

شرح

كتاب التوحيد

من

صحيح الإمام البخاري

لفضيلة الشيخ

محمد بن صالح العثيمين

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً إلى يوم الدين *

أما بعد

بحمد الله تعالى وتوفيقه قام فضيلة الشيخ/محمد بن صالح العثيمين - حفظه الله- بشرح كتاب التوحيد من صحيح الإمام البخاري رحمه الله حيث كان بداية الشرح في اليوم الثالث من شهر الله المحرم لعام ١٤١٤ هـ ، وانتهى فضيلته من الشرح في اليوم العاشر من شهر صفر من نفس العام ، فجزى الله شيخنا خير الجزاء وبارك الله لنا في عمره ، ونقع بعلمه الإسلام والمسلمين *

قال فضيلة الشيخ /محمد بن صالح العثيمين حفظه الله:-

هذا الكتاب ختم المؤلف رحمه الله به الجامع الصحيح كما ابتدأه بالوحي ، لان الوحي به الإبتداء ، والتوحيد به الغاية ، ولهذا كان من مات وأخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة *

والتوحيد مصدر وحد يوحّد أى جعل الشيء واحداً هذا في اللغة ، ولا يتم التوحيد إلا إذا تضمن شيئين: النفي والإثبات لأن النفي وحده تعطيل وإخلاء ، والإثبات وحده لا يمنع المشاركة ، فلا توحيد إلا بإثبات ونفي ، وطرق الإثبات والنفي كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ﴾ وقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ وقوله: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ المهم أن طرق الإثبات والنفي كثيرة ، لكن التوحيد لا يتم إلا بأمرين هما: النفي والإثبات لماذا؟ الجواب: كما سبق ، ويتضح هذا بالمثال فإذا قلت: لا قائم في البيت ، هذا نفي معناه إنتفاء القيام عمن في البيت وإذا قلت: زيد قائم في البيت ، هذا إثبات ولا يمنع أن يكون غيره قائماً أيضاً ، وإذا قلت: لا قائم في البيت إلا زيد ، هذا نفي وإثبات يتضمن قيام زيد وعدم مشاركة غيره له في ذلك ، المثال مرة ثانية: لا قائم في البيت ، زيد قائم في البيت ، لا قائم في البيت إلا زيد ، أيهما التوحيد؟ الجواب: الأخير، والتوحيد في الشرع إفراد الله تعالى بما يختص به علماً وعقيدةً سواء كان ذلك مما يتعلق بأسمائه وصفاته أو أفعاله أو عباداته ، فالذي يختص بالله يجب إفراد الله به ولا يجوز أن يشرك به معه غيره ، وقد قسم العلماء رحمهم الله التوحيد إلى ثلاثة أقسام ، توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الألوهية ويقال توحيد العبادة ، أما توحيد الربوبية فهو إفراد الله سبحانه وتعالى بالخلق والملك والتدبير ، بأن نؤمن بأنه لا خالق إلا الله ولا مالك إلا الله ولا مدبر إلا الله ، فإن قال قائل كيف الجواب عن قوله صلى الله عليه وسلم في المصورين: "أحيوا ما خلقتم" وقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ قلنا الخلق الثابت لله غير الخلق الثابت للمخلوق ، الخلق الثابت لله هو إيجاد من عدم وهذا لا يملكه أحد ، والخلق الثابت للمخلوق تغيير وتحويل يحول الشيء من شيء إلى آخر أو يغيره وليس إيجاداً ، مثال ذلك هذا الباب الذي أمامنا الآن من الذي خلقه إيجاداً؟ الجواب: الله خلقه من الشجر ولا يملك أحد أن يخلق شجرة حتى يكون منها هذا الباب ، لكن خلق النجار لهذا الباب يعتبر تحويلاً وتغييراً ، أى حول الخشب التي أنبتها الله - عز وجل - إلى صورة معينة ، فليس بخالق ثم إن خلق النجار لها كان بقدرته أى بقدرة النجار وعلمه وإرادته ، ومن الذى أودعه العلم

والإرادة والقدرة؟ الجواب: الله - عز وجل - فكان خلق النحار لهذا الباب فرعاً عَنِ تَحْلُقِ اللهُ سبحانه وتعالى له ، لأن هذا من صفاته أى من صفات النحار وأخلاقه ، والإنسان مخلوق لله - عز وجل - بذاته وصفاته وأفعاله فبين الآن أن كل الخلق يدور على الله - عز وجل - كذلك الملك ، الملك الثابت لله غير الملك الثابت للإنسان فالإنسان يملك كما قال تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَكُمْ مِغْفَاً﴾ وقوله ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ لكن ملك الإنسان للشئ ليس كملك الله للشئ ، ملك الله للشئ ملك مطلق شامل عام يفعل في ملكه كما يشاء ، وملك الإنسان للشئ ملك مقيد ليس تاماً ولا شاملاً ، فالإنسان مثلاً يملك كتابه لكنه لا يملك كتاب غيره ، والله - عز وجل - يملك كل ما في السموات والأرض ، الإنسان يملك الكتاب ولكنه لا يتصرف في الكتاب كما يشاء بل تصرفه في الكتاب تصرف مقيد بمحدود شرعية ، ولهذا لو أراد أن يحرق هذا الكتاب لغير سبب شرعي لمنع منه ، ولو كان ملكه تاماً لكان يفعل ما يشاء ، الإنسان يملك البعير فهي له فيركبها ويتفجع بها وينحرها ويأكلها لكنه لا يملك أن يعذبها ، لو أراد أن يحفر في ظهرها جرحاً لم يُمكن من ذلك ، والله عز وجل يملك هذا ، يخرج غدة في ظهر البعير تنجرح وتآلم البعير منها وربما تموت ، إذاً تبين أن الملك الثابت للخالق ليس كالملك الثابت للمخلوق ، كذلك في التدبير ، الإنسان له تدبير يقول: لولده أفعل كذا ولولده الآخر أفعل كذا ويوجهه ، لكن التدبير المطلق لله وحده ، فالله - عز وجل - يدبر كما يشاء وكما تقتضيه حكمته ولا معقب لحكمه ، بخلاف الإنسان ، وبهذا تبين إنفراد الله سبحانه وتعالى بالخلق والملك والتدبير وتوحيد الأسماء والصفات من تمام توحيد الربوبية في الحقيقة ، لكن نص العلماء عليه لوجود الخلاف فيه بين أهل القبلة (أى المسلمين) فلذلك جعلوه قسماً مستقلاً وإلا فإنه يتعلق بذات الرب ، فهو من تمام توحيد الربوبية لكن نظراً إلى أن أهل الملة أعني الأمة التي تستقبل القبلة الواحدة إختلفوا فيه لذا جعلوه قسماً مستقلاً بذاته ، فما هو توحيد الأسماء والصفات؟ الجواب: إفراد الله - سبحانه وتعالى - بأسمائه وصفاته ، بحيث يثبتها له إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل ،

أى تثبتها لله على وجه لا يماثل ما للمخلوقين من ذلك ، مثاله اليد: الله - عز وجل - يد وللمخلوق يد لكن يجب أن نوحده الله بيده بحيث ثبت له يداً لا تماثل أيدي المخلوق ، لأنك لو جعلت يدي المخلوق مثل يدي الله ، أو يدي الله مثل يدي المخلوق كنت بذلك مشركاً في صفات الله ، فتوحيد الأسماء والصفات إثبات ما أثبتته الله لنفسه من الأسماء والصفات من غير تمثيل لها بما للمخلوق من ذلك ، فقد يسمى الإنسان العزيز كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ﴾ والله تعالى سَمَّى نفسه بالعزيز ، لكن هل العزيز الذي سمي به البشر كالعزيز الذي سمي به الله؟ الجواب: لا ، يختلف اختلافاً كبيراً ، فالمخلوق قد يسمى بالعزيز ولا عزة له ، أما الخالق فإنه سمي بالعزيز لكمال عزته ، وقد يسمى المخلوق بصالح وليس فيه صلاح ويسمى خالداً وهو يموت ، لكن أسماء الله مشتتة على معانيها التامة فلذلك حصل الفرق بين ما ثبت لله من الأسماء وما يثبت للمخلوق ، وكذلك نقول في الصفات ، وهذا هو توحيد الله تعالى بأسمائه وصفاته ، القسم الثالث: توحيد الله تعالى بالعبادة ، بأن لا يعبد غير الله أباً كان ذلك المعبود سواءً كان ملكاً أو رسولاً أو ولياً أو صالحاً أو سلطاناً أو أمّاً أو أباً أو غير ذلك ، لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له ، وذكر العلماء ذلك قسماً برأسه لأنه

وقع فيه خلاف بين المسلمين وبين المشركين ، توحيد الربوبية لم يقع فيه خلاف بين المسلمين والمشركين ، توحيد الألوهية والعبادة وقع فيه خلاف بين المسلمين والمشركين ، وتوحيد الأسماء والصفات وقع الخلاف فيه بين المسلمين ، فصارت الآن هذه الأقسام ثلاثة أقسام من حيث إتفاق الناس عليها ، ولا يرد على هذا التقسيم أن من الناس من أنكر وجود الخالق ، لأن من أنكر وجود الخالق قد عطل تعطيلاً نهائياً والكلام مع من أثبت الخالق ، أما من أنكر فلا كلام معه لأنه لا يثبت الرب ولا أسماء الرب وصفاته مثل: الشيوعية والدهرية وغيرهم كثيرون ، إذاً هل وقع الخلاف بين المسلمين والمشركين في توحيد الربوبية؟ الجواب: لا ، لأن الله صرح في آيات كثيرة أنهم يقرون بتوحيد الربوبية قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ أليس كذلك ، سيقولون الله هو رب السموات السبع ورب العرش العظيم وقوله: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مِنْ بَلَدٍ مَعْلُومٍ﴾ والسمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله وقوله: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ فهم يقرون تماماً بتوحيد الربوبية ، نعم ، توحيد الألوهية هل يتفق المسلمون والمشركون عليه؟ الجواب لا ، لأن المشركين ، يشركون بالله في توحيد الألوهية ، يعبدون مع الله غيره مثل اللات والعزى ومناة وهبل وغيرهما من الأصنام كثيرة ، المعنية بعينها وغير المعنية ، يعني المشركون لهم أصنام معنية بعينها كاللات والعزى ومناة وما أشبهها ، ولهم أصنام غير معنية ، ومن سفيهم أن الإنسان إذا نزل أرضاً اختار أربعة أحجار ، ثلاثة منها يجعلها تحت القدر والأحسن منها يجعله الهاً يعبد.

هذه أقسام التوحيد التي ذكرها أهل العلم ، فإذا قال قائل: ما هو الدليل على هذه الأقسام؟ الجواب: قلنا الدليل على هذا التقسيم هو التبع والاستقراء ، أي أن العلماء رحمهم الله تتبعوا واستقروا ما حصل من أنواع التوحيد فوجدوه يدور على هذه الأقسام الثلاثة .

ثم قال المؤلف رحمه الله: [والرد على الجهمية] الجهمية أتباع الجهم ابن صفوان ، والجهم ابن صفوان ليس هو رأس الأمر في التعطيل ، بل رأس الأمر في التعطيل شيخه الجعد ابن درهم ، لكن الجهم كان فصيحاً بليغاً نشيطاً ، فحرك هذه الدعوة ونشرها وناظر فيها وجادل فيها ففسب المذهب إليه ، وإن كان المذهب في الأصل من الجعد ابن درهم ، وأول هذا المذهب الخبيث مبني على شيئين: إنكار المحبة ، وإنكار الكلام لله ، قال الجعد: الله لا يحب ولا يتكلم ، وهذا هدم للدين كله ، إذا كان لا يحب صار المؤمن والكافر عند الله سواء ، وإذا كان لا يتكلم صارت الشرائع والخلق سواء ، يعني أن حكمه الكوني وحكمه الشرعي سواء ، وهذا تعطيل واضح ، وعلى هذا فنقول: الجعد ابن درهم زعم أن الله تعالى لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم موسى تكليماً ، قال هذا إنكار تأويل لا إنكار جحد ، لأنه لو كان يريد إنكار الجحد لأعلن على نفسه بالكفر ، إذ أن من أنكر حرفاً واحداً من القرآن فهو كافر ، لكنه أنكره إنكاراً تأويل ، قال: إن الله يتكلم وإن الله يتخذ إبراهيم خليلاً لكن ليس على المعنى الذي تريدون ، يتخذ خليلاً من الخلّة (بالكسر) وهي الإحتياج والفقر ، وليست الخلّة التي هي المحبة أو أعلى أنواع المحبة ، ولم يكلم موسى تكليماً بمعنى الكلام الذي يسمع لكن كلمته أي جرحه بمخالب الحكمة ، لأن الكلم في اللغة بمعنى الجرح ، ومنه قول النبي صلى

الله عليه وآله وسلم: "ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يشعب دُماً، اللون لون الدم والريح ريح المسك" معنى كلمه يعني جرحه هذا على سبيل الاستعارة ، وعلى كلامه كأن الحكمة وحش لها أظفار جرح الله بها موسى عليه السلام ، ولا شك أن هذا الكلام منكر عظيم ، لكن من طُبع على قلبه فإنه لا يرى الباطل باطلاً والعياذ بالله ، ويقال أنه لما خرج خالد ابن عبد الله القسري ذات عيد من أعياد الأضحى ، وكان قد حبس الجعد ابن درهم ، خرج به موثقاً وخطب الناس وقال: أيها الناس ضحوا تقبل ضحاياكم ، فإني مضح بالجعد ابن درهم إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً ، ثم نزل من المنبر فذبحه ، يقول ابن القيم رحمه الله :-

ولأجل ذا ضحى بجعد ، خالد القسري يوم ذبائح القربان
إذا قال إبراهيم ليس خليله كلا ولا موسى الكليم الدان
شكر الضحية كل صاحب سنة لله درك من أخي قـربان

ونحن نشكره أن ضحى بهذا الرجل الذي هو أصل البدعة العظيمة .

فالبخاري رحمه الله قال: التوحيد والرد على الجهمية ، ويفهم من هذا الكلام أن الجهمية في رأي البخاري رحمه الله ليسوا من أهل التوحيد ، وقد صرح كثير من العلماء بكفر الجهمية وأنهم كفار ، وبعضهم فصل وقال: المجتهد كافر والمقلد العامي ليس بكافر ، وبعضهم زاد قيداً في المجتهد الداعي إلى بدعته كافر وغير الداعي الذي تكون بدعته على نفسه ليس بكافر ، وهذه المسألة أعني تكفير الجهمية والمعتزلة والخوارج والرافضة ونحوهم تحتاج إلى نظر عميق ، وفي كل قضية بعينها ، لأن إطلاق الكفر قد يدخل فيه من ليس بكافر ونفي الكفر قد يخرج منه من هو كافر ، والكفر حكم من أحكام الله لا يجوز لنا أن نطلقه على أحد إلا إذا علمنا أنه يستحق هذا الوصف ، كما أن التحليل والتحریم من أحكام الله فلا يجوز أن نطلق على شيء أنه حرام أو حلال إلا عندنا فيه من الله برهان ، بل الكفر أعظم لأن الكفر فوق الحرام وفوق الكبائر .

ثم قال البخاري رحمه الله :- باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ، الظاهر أن (ال) في قول النبي صلى الله عليه وسلم للعهد الذهني وليست للعموم ، بدليل سياق الأحاديث ، ويصح أن نجعلها للعموم أي دعاء كل نبي أمته إلى توحيد الله ، وإذا جعلناها للعموم فإن دليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ فكل الرسل جاؤا لتحقيق هذا التوحيد ، نسأل الله أن يحققه لنا ولكم ، تحقيق هذا التوحيد مهم جداً ، عبادة الله وحده وإخلاص العبادة له أمر عظيم جداً ، وليس بالسهل وليس باليسير ، ولذلك قال بعض السلف: ما جاهدت نفسي على شيء مجاهدتها على الإخلاص ، النفس تحتاج إلى جهاد في تحقيق هذا التوحيد الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب ، بل من أجله خلق الجن والإنس قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ فجميع الرسل دعوا أممهم إلى التوحيد وعلى رأسهم خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم فقد دعا إلى التوحيد في مكة وفي المدينة بالقول والفعل .

فمن ذلك ما قاله البخاري رحمه الله: حدثنا أبو عاصم حدثنا زكريا بن اسحاق عن يحيى بن عبد الله بن صيفي عن أبي معبد "عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً إلى اليمن".
وحدثني عبد الله بن أبي الأسود حدثنا الفضل بن العلاء حدثنا إسماعيل بن أمية عن يحيى بن عبد الله بن صيفي أنه سمع أبا معبد مولى بن عباس يقول: "سمعت بن عباس يقول: لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً إلى نحو أهل اليمن قال له: إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة أموالهم تؤخذ من غنيهم فتزد على فقيرهم فإذا أفقروا بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس".

بَعَثَهُ معاذاً إلى اليمن كان في السنة العاشرة من الهجرة، بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً وأبا موسى الأشعري، لكن بعث كل واحد منهما إلى ناحية، ولهذا وردت ألفاظ حديث بن عباس في بعث معاذ على وجهين، الوجه الأول: بعث معاذاً إلى اليمن، الوجه الثاني: بعث معاذاً نحو اليمن أي جهة اليمن، والثاني أقرب إلى الواقع لأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً إلى جهة، وبعث أبا موسى إلى جهة أخرى، ولا يمنع أن يكون اللفظ الذي فيه "إلى اليمن" يراد به الخصوص وإن كان للعموم، ومعلوم أن معاذاً لم يتحول في كل اليمن، والشاهد من هذا الحديث قوله: "فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله" كلمة يوحدوا الله مطابقة للترجمة تماماً، وفي لفظ آخر في الحديث نفسه "فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله" فبأيهما نأخذ؟ الجواب: نأخذ بالثاني لأن فيه زيادة وهو قوله وأن محمداً رسول الله، لأن أهل الكتاب لا يؤمنون بأن محمداً رسول الله إلى جميع الخلق فيكون هذا اللفظ هو المعتبر وهو المأخوذ به لأنه أوفى وأكثر فائدة، ومن المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبعث معاذاً إلا مرة واحدة، ولم يوصه بما أوصاه به إلا مرة واحدة، وعلى هذا فينبغي أن نختار من ألفاظ هذا الحديث أوفاهما وأتمها سياقاً، لأن الوافي التام السياق يدل على أن راويه قد ضبطه وأحاط به، على كل حال قوله: "إلى أن يوحدوا الله" هي معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وفي الحديث دليل على أن أهل الكتاب لم يوحدوا الله عز وجل وهو كذلك، فإن اليهود يقولون: عزير بن الله، والنصارى يقولون: المسيح بن الله وأن الله ثالث ثلاثة، فهم لم يوحدوا الله عز وجل إلى السنة العاشرة، وبهذا نعرف أن قوله تعالى ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يفيد جل نساء أهل الكتاب ولو كانوا يقولون بالشرك، وفي الحديث دليل على رد قول من يقول: إن أول واجب على الإنسان المعرفة قبل أن يعتقد، أي أننا ندعوا الناس أولاً إلى أن يعرفوا ويتعلموا ثم بعد ذلك يعتقدون، وأفسد منه قول من يقول: إن أول واجب على الإنسان الشك، أن يشك أولاً ثم ينظر في الآيات من أجل أن يدفع هذا الشك، وهذا القول من أبطل الأقوال بل هو أبطل قول سمعته، لأن الذي يلقي نفسه في الطين ليتعود كيف يخرج من الطين هل يأمن أن يركس في الطين أو لا يأمن؟ الجواب: لا يأمن، فنسأل الله العافية من هذه الأقوال، وسبب هذه الأقوال هو إنحراف الفطرة والطبيعة عند هؤلاء فيظنون أن الناس مثلهم، والناس في الحقيقة يحبون على الفطرة، لا يحتاج أن نقول انظروا من خلق

السموات والأرض لأن هذا أمر معلوم فطرياً بل نقول: وحدوا من خلق السموات والأرض، اعبدوه وحده ، نعم لو احتاج إلى نظر فإننا نخبره مثل أن يكون شخص نشأ في بلاد شيوعية لا يعرف رباً ولا إلهاً ، وإنما هم كالأنعام فهؤلاء قد نحتاج إلى أن نعرفهم بالله أولاً ثم ندعوهم إلى التوحيد ثانياً ، لكن مثل أهل الكتاب ، يحتاجون؟ الجواب: لا يحتاجون لأنهم عندهم علم بالله ، يعرفون الله عز وجل بل يعرفون الرسول صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم فصار أول ما ندعوا الناس إلى توحيد الله عز وجل قبل المعرفة لأن هذا أمر فطري ، إلا إذا كان إنسان منعماً في قوم أفسدوا فطرته فحينئذ نعرفه بالله أولاً ثم ندعوه إلى التوحيد ، أما القول بأن الواجب الشك أولاً ثم المعرفة ثانياً ثم العقيدة ثالثاً فهذا قول من أبطل الأقوال بل هو أبطل قول سمعته ، وفي الحديث قوله: "فإذا عرفوا ذلك" استدل به بعض الناس أن أول شيء هو المعرفة لقوله: "فإذا عرفوا ذلك" لكن ذكرنا لكم آنفاً أن الحديث زوي بالفاظ متعددة وأوفى هذه الألفاظ هو اللفظ الثاني ، "فإن أطاعوا لذلك" أو "فإن هم أطاعوا لك بذلك" وعلى هذا فيكون هذا اللفظ الذي ذكره المؤلف هنا منقولاً بالمعنى ، على أن قوله: "إذا عرفوا ذلك" لا يتعين أن يكون المراد به إذا عرفوا الله ، بل المراد إذا عرفوا ذلك أى عرفوا أن الله إله واحد ، أى عرفوا التوحيد وأقروا به وانقادوا له فأخبرهم بأن الله قد أفترض عليهم . . . إلى آخر الحديث ، وهذا لا يحتاج إلى شرح لأنه معروف وقد سبق ، وفي قوله في الحديث: "زكاة في أموالهم" تدل هذه اللفظة على أن الزكاة واجبة في المال وهو كذلك ولهذا لا يشترط لوجوبها على القول الراجح أن يكون مالك المال مكلفاً أى بالغاً عاقلاً ،

فتجب في مال الصبي وفي مال المجنون وقوله: "من غنيهم فترد على فقيرهم" المراد بالغني هنا من يملك نصيباً زكواً هذا الغنى ، أما من يملك العقار ولو كثر فإنه ليس غنياً بالنسبة لوجوب الزكاة عليه ، لأن العقارات على القول الراجح لا تجب فيها الزكاة ما لم تكن للتجارة ، وفي قوله: "على فقيرهم" دليل على أن الصدقة توزع على مستحقيها توزيع أفراد ، لا توزيع جمع فقوله تعالى: ﴿وإنما الصدقات للفقراء﴾ لبيان جنس المستحقين وليس المراد أن نستوعب هذه الأصناف في الزكاة ، وهذه المسألة اختلف فيها الفقهاء رحمهم الله مع وجود هذا النص ، فقال بعضهم لابد أن نقسم الزكاة ثمانية أقسام لكل واحد من الأصناف الثمانية قسم ، وقال آخرون زيادة على ذلك بل ما جاء بلفظ الجمع من هذه الأصناف وأجب أن نعطي ثلاثة منهم ، وعلى هذا فيكون الواجب أن نعطي ثلاثة فقراء وثلاثة مساكين وثلاثة عاملين عليها وثلاثة غارمين وثلاثة رقاب وثلاثة مؤلفة قلوبهم ، أما في سبيل الله وابن السبيل فهذه مفردة تصدق بالواحد ولكن القول الراجح أن المراد بيان المستحقين لا وجوب التفريق في الجميع بدليل هذا الحديث ، والحديث له فوائد سبق الكلام عليها لكن الذى يختص بهذا الباب قوله: "إلى أن يوحدا الله" .

قال البخاري رحمه الله: حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي حصين والأشعث بن سليم سمعنا الأسود ابن هلال "عن معاذ بن جبل قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم يا معاذ ، أتدري ما حق الله على العباد؟ قال: الله ورسوله أعلم" قال : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، أتدري ما حقهم عليه؟ قال: الله ورسوله أعلم" قال أن لا يعذبهم" ، حدثنا اسماعيل حدثني مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن

عبد الرحمن بن أبي صعصعة عن أبيه "عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾
يردها فلما أصبح جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك - فكان الرجل يتقاهما - فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن" زاد اسماعيل بن جعفر عن مالك عن
عبد الرحمن عن أبيه "عن أبي سعيد أخبرني أخي قتادة بن النعمان عن النبي صلى الله عليه وسلم"،

هذا الحديث مختصر، البخاري رحمه الله اختصر سياقه لأن المقصود هو الشاهد في الحديث وهو قوله
لما سأله ما حق الله على العباد قال: الله ورسوله أعلم قال: "أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً" فذكر النبي
صلى الله عليه وسلم شيئين، العبادة وعدم الشرك فلا بد من عبادة ولا بد من عمل وكلمة "يعبدوه" يعنى
عبادة تامة لا تقتضي مخالفة تستحق العقاب ولهذا قال: "أتدري ما حقهم عليه" قال: الله ورسوله أعلم، قال:
"أن لا يعذبهم" إذا عبدوه ولا يشركوا به شيئاً فإن الله لا يعذبهم لأنهم قاموا بحق الله، والله - عز وجل -
أكرم منهم فإذا قاموا بحقه قام بحقهم، فإذا قال قائل كيف يكون للعباد حق على الله وهم مربوبون؟
والجواب: أن الله هو الذى أوجب الحق على نفسه والممنوع أن نوجب نحن حقاً على الله، أما إذا أوجب
الله على نفسه حقاً لنا فهذا من فضله وكرمه، ولهذا قال بن القيم رحمه الله:

ما للعباد عليه حق واجب	هو أوجد الأجر العظيم الشأن
كلا ولا عملٌ لديه ضائع	إن كان بالإخلاص والإحسان
إن عذبوا فبعده أو نعموا	بفضله، والفضل للمنان

فبين رحمه الله أنه ليس لنا على ربنا حق نوجه نحن بأنفسنا، بل هو الذى أوجب الحق على نفسه وله
أن يفعل ما شاء قال الله تعالى: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من
بعده وأصلح فإنه غفورٌ رحيم﴾.

الحديث الرابع، الشاهد من هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنها لتعدل ثلث القرآن
وأقسم على ذلك، قال أهل العلم وإنما كانت تعدل ثلث القرآن لأن القرآن ثلاثة مواضع أحكاماً وأخباراً
عن الله وأخباراً عن مخلوقات الله، كل القرآن يدور على هذه المعارف الثلاثة فالأحكام تتعلق بأعمال العباد
، والأخبار عن مخلوقات الله أيضاً تتعلق بما أخبر الله به عنه، والأخبار عن الله تضمنته سورة الإخلاص
ففيها توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، الألوهية في قوله: ﴿الله﴾ والربوبية والأسماء والصفات في
قوله: ﴿الصد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾، ولهذا كانت تعدل ثلث القرآن، وفي الحديث من
المسائل الفقهية جواز ترديد السورة أو الآية لأن النبي صلى الله عليه وسلم أقره على ذلك ولم ينكره، فإذا
كرر الإنسان الآية أو السورة فإنه لا بأس، وكثيراً ما تعجب الإنسان آية من كتاب الله، إما لمعناها أو
لفظها، فيردها فنقول هذا لا بأس به حتى لوكرر، لكن تكرارها بعدد معين يعتاده الإنسان هذا يحتاج إلى
توقيف، فمثلاً لو أراد الإنسان أن يقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ مائة مرة وجعل لنفسه رداً يقرأها كل يوم مائة
مرة؟ كان: بدعة لكن لو كان يقرأها بدون عدد معين كلما قرأ قرأ العدد قلنا هذا ليس ببدعة وليس بمحرم ولا
مكروه.

قال فضيلة الشيخ/محمد بن صالح العثيمين حفظه الله:-

إختلاف المسلمين في توحيد الأسماء والصفات ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه على ستة أقسام:-
القسم الأول:-

من أجروا النصوص على ظاهرها اللأثق بالله ، فقالوا إنا نثبت ما أثبت الله لنفسه من غير تمثيل ولا تكيف
وهؤلاء هم السلف ، أهل السنة والجماعة *
القسم الثاني:-

من أجروا النصوص على ظاهرها ، وجعلوا ظاهرها من جنس صفات المخلوقين وهؤلاء هم المثلة *
القسم الثالث:-

من حرفوا النصوص على خلاف ظاهرها ، أى حملوها على خلاف ظاهرها وعينوا لها المعاني ، هم عينوها
بأنفسهم وقالوا مثلاً معنى استوى أى استولى ، هؤلاء هم أهل التحريف المأولة مثل الأشاعرة والمعتزلة
ونحوهم *
القسم الرابع:-

من خالفوا ظاهرها ولكن قالوا الله أعلم بما أراد ، لم يثبتوا الظاهر ولم يثبتوا معنى يخالف الظاهر ، بل قالوا
الله أعلم بما أراد ، وهؤلاء قوم من المتكلمين ولم يعينهم الشيخ *
القسم الخامس:-

من قالوا يجوز أن يكون المراد بها إثبات صفة تليق بالله ، أو لا يكون المراد ذلك ، وهؤلاء أيضاً قوم من
المتفكة ولم يعينهم الشيخ *
القسم السادس:-

من أعرضوا عن هذا كله واقصروا على قراءة القرآن والحديث ولم يثبتوا معنى ظاهراً ولا معنى مأولاً ولا
يجوزون شيئاً ، وهؤلاء لم يعينهم الشيخ رحمه الله * هذه ستة أقسام ذكرها رحمه الله في الفتوى الحموية *
قال البخاري رحمه الله:-

حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب حدثنا عمرو عن ابن أبي هلال أن أبا الرجال محمد بن عبد
الرحمن حدثه عن أمه عمرة بنت عبد الرحمن - وكانت في حجر عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم - عن
عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بقل هو الله
أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: سلوه لأى شئ يصنع ذلك فسألوه فقال لأنها
صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها فقال النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه أن الله يحبها *

الشاهد من هذا الحديث هذا الرجل الذي بعثه النبي صلى الله عليه وسلم على سرية فكان يقرأ
لأصحابه ويختم بقل هو الله أحد ، وقوله: "فيختم بقل هو الله أحد" يحتمل أن يكون يختم قراءة كل ركعة ،
أو أنه يختم قراءة الصلاة غموماً فعلى الإحتمال الأول إذا كانت الصلاة رباعية يقرأ قل هو الله أحد أربع

مرات ، وعلى الإحتمال الثاني يقرؤها مرة واحدة ، وقد استدلل به الفقهاء على جواز جمع سورتين في ركعة واحدة وقوله: "لأنها صفة الرحمن" هذا هو الشاهد بأنها أى ﴿قل هو الله أحد﴾ صفة الرحمن ولا يريد أنها كلام الله ، فهي صفة لأن هذا الوصف لا يختص بقل هو الله أحد ، بل هو شامل للقرآن كله لكن مراده لأنها تشتمل على صفة الرحمن فإن جميع صفات الله عز وجل تتضمنها هذه السورة وتشتمل عليها .

وفي هذا الحديث اثبات الصفة لله كما جرى على ذلك علماء السلف أن لله أسماء وصفات ، وأنكر ابن حزم الظاهري ذكر الصفة وقال إن ذكر الصفة مما أحدثه المتكلمون ولكن قوله مردود بالقرآن وبالسنة .
أما القرآن فإن الله تعالى قال ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾ فنفى ما وصفه به المشركون عن نفسه ، أو تنزيه نفسه عما وصفه المشركون يدل على إثبات صفة الكمال له وهو كذلك ، وأما الحديث فظاهر لأنها صفة الرحمن فأثبت للرحمن صفة ومن العلوم أن ابن حزم لم يحتاج لقول ، إلا أن الصفة لا تقوم إلا بجسم والجسم ممتنع على الله ونحن نتكلم عن الجسم الآن والحيز والجهة وما أشبه ذلك من العبارات التي توصل أهل التعطيل بها - أى بنفيها إلى نفي الصفات - عن الله ، فقالوا لا نصف الله بصفة لأن هذا يقتضي أن يكون جسما والجسم محدث ، والله عز وجل هو الأول الذي ليس قبله شيء .

فنقول لهم إن كان يلزم من إثبات الصفة أن يكون الله جسما فهذا لازم من كتاب الله وسنة رسوله ، وكتاب الله وسنة رسوله حق ، واللازم من الحق حق وإن كان لا يلزم فقد حصل الإنفكاك عما أئزنا به ، ثم نقول له ولغيره - حتى الأشاعرة أيضا ينكرون الصفات - بناء على هذا نقول ما هو الجسم الذي تريدون أن تنفوه عن الله؟ هل مرادكم بذلك الجسم المركب الذى يفتقر بعضه إلى بعض ويتجزأ؟ أم مرادكم بذلك الشيء القائم بنفسه المتصف بالصفات الفاعل لما يريد الذى يحى ويذهب ويأخذ ويقبض ويسط؟ إن أردتم الأول فنحن نوافقكم على أن الله لا يوصف بالجسم بهذا المعنى ، وإن أردتم الثاني فنحن نصف الله به وسموه ما شئتم ، سموه جسما أو غير جسم نحن نصف الله عز وجل أنه قائم بنفسه متصف بالصفات الاثقة به ، يحى ويتزل ويستوي ويأخذ ويقبض ويسط ويتكلم ، نقول بذلك ولا يمكن أن ننكر هذا ، لأن إنكار هذا هو التعطيل المحض ، ثم نقول لهم: أنتم تقولون أنه لا يتصف بالصفات إلا الجسم وهذا خطأ مخالف للواقع ، فإنه يوصف بالصفات ما ليس بجسم فاللغة العربية مملوءة من وصف الأزمان بالصفات فيقال مثلاً: هذا الليل طويل وهذا نهار قصير ، وهل النهار والليل أجسام؟ الجواب: لا ، ويقال حر شديد وبرد شديد ، والحر والبرد ليس بجسم فدعواكم أن الصفات لا تقوم إلا بالجسم دعوى باطلة تكذبها اللغة ويكذبها الحس ، وبناء على ذلك تبين أن نفي الجسمية عن الله عز وجل خطأ ، وأن إثباتها كذلك خطأ هذا من حيث اللفظ أما من حيث المعنى فإن أريد بها معنى لا يليق بالله وجب نفيها ، وإن أريد بها معنى يليق بالله فهي حق ، لكن لا تطلق لفظا على الله إثباتا ولا نفي ، لأنه لم يرد إثباتها ولا نفيها ، والعجب أن هؤلاء القوم الذين أعتمدوا في نفي الصفات عن الله على نفي الجسمية قالوا: إن الله لا يحزن ، لأنه لو حزن لكان جسما ، إذ أن الحزن صفة والصفة لا تقوم إلا بجسم ، فأنظر كيف أدى بهم هذا الخطأ إلى هذا الخطأ الفادح ، أيهما أعظم: أن نصف الله بالحزن والعجز والتعب وما أشبه ذلك ، أو أن نصفه بأنه جسم؟ الجواب: الأول ، فذهبوا يتفنون

الأوضح في الفساد بناء على ما هو خطأ ، فعكسوا القضية لأن القضية أن يستدل بالأوضح على الأفضل ، أما هؤلاء استدلوا بما هو أخفى على ما هو أوضح ، فنقول لهم: إن هذا الكلام من أبطل ما يكون*
أولا:- أأنتم إذا قلتم أننا لو أثبتنا الحزن لله لزم أن يكون جسما ، لمن أثبت الحزن؟ أن يقول أنا أثبت الحزن ولا أقول إنه جسم كما قال السلف نحن ثبت القدرة ولا نقول أنه جسم ، يمكن نقول هكذا ثم نقول كلامكم هذا يؤدي إلى أن يكون الرد على السلف والرد على المعطلة بطريق واحد ، وهو إثبات الجسمية إن ثبت الحزن أو إثبات الجسمية إن ثبت القدرة مثلا ، على كل حال هذا وجهة نظر ابن حزم في إنكار الصفة وقال إن الله ليس له صفة ولا يجوز أن ثبت له صفة ، لأن ذلك يستلزم أن يكون جسما إذ أن الصفات أعراض والأعراض لا تقوم إلا بالجسام ، ولا يخفى علينا أن هذا استعمال للقياس وهو ينكر القياس في الأحكام العملية ويأتي به في الأحكام العقائدية *

فوائد الحديث:-

١- إثبات الصفة لله عز وجل *

٢- إثبات المحبة لله لقوله: "أخبروه" *

أن الله محبة ، وهذه المحبة محبة حقيقية ، يجب أن نؤمن بأن الله يحب لأن القرآن مملوء بذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْحَسَنِينَ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ﴾ ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ وذكر محبة الله لمن علقت محبة الله به أكثر من ذكر محبتنا لله ، في القرآن ذكر إضافة المحبة لله عز وجل أكثر من إضافتها للمخلوق ، ومع ذلك أنكرها أهل التعطيل من الأشاعرة وغيرهم لماذا؟ لأن المحبة لا تكون إلا بين شيئين متجانسين ، والخالق لا يماثل المخلوق فالجواب على هذا سهل ، المحبة تكون بين شيئين متجانسين مثل محبة الرجل لأمرأته كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ وتكون أيضا بين الجماد والإنسان اليس كذلك؟ في الحديث الصحيح "أحد جبل يحبنا ونحبه" وأنت بنفسك تحب بعض مالك على بعض ، يكون مثلا لك قلم ريشة سهلة ولينة ولا تشقق الورق ، وقلم آخر ريشة صعبة تشقق الورق ، مرة تكون الكفاية غليظة ومرة تكون دقيقة أيهما أحب إليك؟ الجواب: الأول ، تحبه وهو جماد ، مثلا ساعة كل يوم تحب عليك وتؤذيك وتضرك في الوقت مرة تقدم ومرة تؤخر ، وساعة أخرى مضبوطة ولم تر منها شيء ، أيهما أحب إليك؟ الجواب: الثاني ، حتى البهائم ترى البعير يحب صاحبه ويأوي إليه دون الآخرين أليس كذلك؟ ونرى أيضا أن الإنسان يحب هذه البعير بعينها ولا يحب الأخرى لأن الأخرى صعبة وهذه سهلة ذلول ، فإذا انتفض كلامهم وقياسهم ، هل هم ينكرون المحبة إنكار جحود أو إنكار تأويل؟ الجواب: إنكار تأويل لأنهم لو أنكروها إنكار جحود لكفروا ، لو قالوا الله لا يحب فهذا أكفر لكن يقول: هو يحب ومعنى المحبة كذا وكذا ، فما معنى المحبة عندهم؟ الجواب: يقولون المحبة إما الثواب وإما إرادة الثواب ، الثواب مخلوق منفصل بائن عن الله ولا أحد ينكره ، كل يقول المخلوقات ثابتة ، الله هو الذى خلقها ، أو إرادة الثواب والإرادة صفة ، لكن الأشاعرة يقولون بإثبات الإرادة لله عز وجل ، فيفسرون المحبة إما بالثواب وهو منفصل بائن عن الله مخلوق ، وإما بإرادة الثواب والإرادة وإن كانت صفة

للمريد ، لكن هم يثبتون صفة الإرادة لان العقل عندهم دل على ثبوت الإرادة لله عز وجل ، كيف دل العقل على الإرادة عندهم؟ الجواب: قالوا تخصيص المخلوقات بما تختص به يدل على الإرادة ، يعنى جعل السماء سماء ، والأرض أرضا ، والبعر بعيرا ، والشاة شاة ، هذا يدل على الإرادة ، أراد الله أن تكون السماء سماء على هذا الوجه فصارت كذلك ، وكذلك الأرض ، وكذلك البعير ، وكذلك الشاة ونحن نوافقهم أن الإرادة دل عليها الشرع والعقل ، لا نرد الحق عن أى إنسان ، لكن كوننا نجعل المحبة بمعنى الإرادة هذا خطأ ، المحبة أعلى وأعظم من الإرادة وتجد الفرق بين أن تقول لشخص إن الله يحبك أو تقول لشخص إن الله يريد أن يثيبك أيهما أعظم؟ الجواب: الأول أعظم وأشرح للصدر وأطمئن للقلب وأوفى للنفس ، فكيف ننكر المحبة ونثبت الإرادة؟ ، على كل حال هذا الحديث يدل على:-

إثبات المحبة لله عز وجل لقوله: "إن الله يحبه" وجاء هذا فى الكتاب والسنة ومحبة الله تعالى تتعلق أحيانا بالأشخاص ، وأحيانا بالأعمال ، وأحيانا بالأماكن ، وأحيانا بالأزمان والأوقات *

تتعلق بالأشخاص مثل هذا الحديث " أخبروه أن الله يحبه " وتتعلق بالأعمال كقول النبى صلى الله عليه وسلم: " أحب الأعمال إلى الله الصلاة على وقتها " ، وتتعلق بالأوصاف لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ *

هل هناك فرق بين الإرادة والمحبة أو هل هناك تلازم بين الإرادة والمحبة؟

الجواب لا تلازم بين الإثنين ، قد يريد الله ما لا يجب ، وقد يجب ما لا يريد ، ولا تلازم بين ما أراد الله وأحبه ، يعنى ليس كل ما أحبه الله فهو يريد ، ولا كل ما أراد الله فهو يحبه ، فإذا قال قائل: ليس كل ما أراد الله يحبه - فيه اشكال - كيف يريد ما لا يجب؟ الجواب: يريد ما لا يجب للحكمة والمصلحة التي تقتضيه ، فالمعاصي لا يحبها الله ولكنه يريد ، وقعت بإرادته الكونية لكنه لا يحبها ، كيف يريد ، وهو لا يحبها؟ الجواب: المصلحة ، ألم تسمع إلى قول الله في الحديث القدسي " ما ترددت بشئ أنا فاعله تردى عن قبض نفس عبدى المؤمن ، يكره الموت وأكره اساءته " ولا بد له منه فهنا أراد سبحانه وتعالى ما يكره ، ولكن المصلحة لا بد منها ، ونظير ذلك في المحسوس أن الإنسان يأتي بإبائه إلى الطبيب فيقرر الطبيب أنه لا بد من كيه بالنار ، فيحتمى الحديد حتى تكون جمره ثم يكوى بها ابن الرجل ، وهنا هل الرجل يحب أن يحرق ابنه بالنار؟ الجواب: يكره ذلك لا شك ، لكن أحب إحراقه بالنار من أجل مصلحة أعظم من ذلك وهي شفاء الولد ، فالله - عز وجل - قد يريد ما يكره لحكمة تقتضيه ، وقد يجب مالا يريد يحب منا أن نكون مؤمنين به قائمين بأمره ، ولكن قد لا يريد ذلك لمصلحة أيضا فإن الله تعالى قسم العباد إلى قسمين:-

القسم الأول: قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ ولو جاء الناس على ما يحبه الله لم ينقسموا إلا إلى قسم واحد ، ولبطلت الحكمة من خلق الجنة والنار ، ولبطل الجهاد في سبيل الله ، ولبطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولبطل الإمتحان الذى يمتحن الله به العباد قال تعالى: ﴿لِيَلْوَكُمْ أَيْكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فتبين بهذا أنه لا إتفاق بين المحبة والإرادة ، قد يجتمعان في شيء واحد وقد يفترقان ، فطاعة المطيع اجتمع فيها الإرادة والمحبة ، ومعصية العاصي اجتمع فيها الإرادة دون المحبة *

- باب قول الله تبارك وتعالى ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ *

ذكر أن سبب نزول هذه الآية أن قريشا سمعوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول: يا الله يا رحمن فقالوا: هذا الرجل يقول إن الإله واحد وبينها أن نجعل له شريكا وهو يدعوا إلهين يا الله يا رحمن ، فأُنزل الله هذه الآية ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ أى ادعوا ربكم باسم الله أو باسم الرحمن ، أى ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ، ليس المعنى أن هناك من يسمى بالله ومن يسمى بالرحمن ، يعنى قولوا يا الله ، وقولوا يا رحمن وقوله تعالى ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا ﴾ أيا: اسم شرط جازم مفعول به مقدم لتدعوا وجملة ﴿ فله الأسماء الحسنى ﴾ هى جواب الشرط ، يعنى أى اسم تدعوا الله به فله الأسماء الحسنى ، يعنى فأسمائه كلها حسنى تصح أن تكون وسيلة للدعاء بها والشاهد من هذا الباب :-
هو إثبات اسم الرحمن ، وإثبات اسم الله ، وإثبات الأسماء الحسنى عموما ، أما اسم الله واسم الرحمن فهو نص وتعيين ، وأما الأسماء الحسنى فهى عامة *

وفى هذا البحث بحوث:-

أولاً:- على أى شئ يدل الاسم ؟ الجواب: نقول كل اسم من أسماء الله فإنه يدل على شئين:-

١- الذات المقدسة *

٢- الصفة التى اشتق منها *

فكلمة الله تدل على الرب عز وجل وعلى الصفة التى اشتق منها وهى الألوهية ، الرحمن تدل على ذات الله عز وجل وعلى الصفة التى اشتق منها وهى الرحمة *

هذه قاعدة:- كل اسم من أسماء الله يدل على شئين: الذات والصفة ، وهل يدل على أكثر من ذلك؟ الجواب: نعم ربما يدل على أكثر من صفة باللزوم لا بالتضمن مثال ذلك قوله تعالى ﴿ هو الله الخالق البارئ ﴾ دلت الخالق على ذات الله وعلى وصفه بالخلق ، ودلت على علمه وقدرته ، كيف وهى ليس فيها علم ولا قدرة؟ الجواب: لأن من لازم الخلق العلم والقدرة ، اذ مع الجهل لا يمكن أن يخلق ، ومع العجز لا يمكن أن يخلق *

ثانيا:- كل أسماء الله حسنى ولذلك قال تعالى: ﴿ وله الأسماء الحسنى ﴾ والحسنى اسم تفضيل يقابله فى المذكر أحسن ، يقال رجل أحسن وإمرأة حسنى ، وهنا قال الأسماء الحسنى فجعل الوصف وصف مؤنث لأن الأسماء جمع ، والجمع يوصف بالمؤنث ، إلا جمع العاقل فيوصف بحسب ما يقتضيه المعنى ، إن كان للذكور فجمع مذكر سالم ، وإن كان للإناث فجمع مؤنث سالم ، أما غير العاقل فإنه يجمع وصفه على جمع المؤنث ، إذا أسماه الله تعالى كلها حسنى ، والحسنى هى المشتمة على أكمل وجوه الحسن ، فهى حسنى ليس فيها نقص بوجه من الوجوه ، فيفهم من هذه القاعدة:-

أنه لا يوجد فى أسماء الله اسم يحتمل معنيين ، معنى حسن ومعنى غير حسن ولهذا لم يكن من أسماء الله المتكلم ، ولا من أسمائه المريد مع أنه متكلم ومريد ، قال العلماء: لأن المتكلم من قام به الكلام ، والكلام

قد يكون حسنا وقد يكون سيئا ، وكذلك الإرادة ، ولهذا لا يصح أن نسمي الله بالتكلم أو نسمي الله بالمريد ، لكن يوصف بأنه متكلم وأنه مريد ، لأن باب الإخبار أوسع من باب التسمية ، لأن التسمية إنشاء ، تنشأ اسماً للمسمى الذي تريد أن تسميه ، لكن الإخبار مجرد خبر ليس بإنشاء ، ولذلك قالوا الإخبار أوسع من الإنشاء ، فقد يخبر عن الشيء بشيئين ولا يسمى به مثل المتكلم ، وحينئذ يمكن أن نقسم ما يضاف إلى الله عز وجل إلى أربعة أقسام:-

القسم الأول:- ما تضمن كمال الحسن فهذا يكون من أسمائه *

القسم الثاني:- ما كان حسنا من وجه دون وجه ، فهذا يخبر به عنه ولا يسمى به *

القسم الثالث:- ما كان محمودا في حال دون حال ، فهذا يوصف به في الحال التي يكون فيها محمودا ، ولا يسمى به على الإطلاق مثل المكر والخداع والاستهزاء والكيد ، هذه أوصاف إن ذكرت في مقابل من يعامل بهذه الأوصاف صارت أوصافا محمودة ويوصف الله بها ، وإلا فلا ، فمثلا المكر ، وصف الله نفسه بأنه يمكر ولكن وصفا مقيدا بمن يمكر به فقال: ﴿يَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ فلا يصح أن تقول أن الله ماكر ، وهذا هو الفرق بين هذا وبين قولنا الله متكلم ، لأنه يجوز أن نقول أن الله متكلم على وجه الإطلاق ، لكن لا يجوز أن نقول أن الله ماكر إلا إذا قيدته ، فقلت ماكر بمن يمكر به ، لأن المكر لا يكون مدحا إلا حيث كان في مقابل مكر آخر ليتبين به أن قوة الله عز وجل أقوى من قوة هذا الماكر ، وكذلك نقول في الخداع ﴿يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ فلا تصح بأن تصف الله بأنه خادع أو مخادع على وجه الإطلاق ، قل خادع من يخادعه ، كذلك المستهزاء لا يصح أن نقول الله مستهزاء على سبيل الإطلاق بل نقول مستهزاء بمن يستهزاء به ، وكذلك الكيد نقول أن الله لا يكيد على أحد إلا من كاد عليه لقوله تعالى:- ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ *

القسم الرابع:- مالا يصح أن ينسب لله إطلاقا ، وهو ما تضمن نقضا مطلقا فهذا لا يصح أن

يضاف إلى الله إطلاقا مثل الخائن والعياذ بالله ، هذا لا يمكن أن نصف الله به مطلقا ، وقول العامة: خان الله من يخون خطأ فادح وغلط ، ولهذا لما ذكر الله خيانة أعدائه لم يذكر خيافته لهم فقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ ولم يقل فخانهم ، لكن في الخداع قال: ﴿يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ فإذا قال قائل ما الفرق بين الخيانة والخداع؟ قلنا الفرق بينهما ظاهر الخيانة أن تخون الأمانة فيمن إثمك والخداع أن تخادع من خادعك ، وبينهما فرق يظهر بالمثال: يقال أن الحرب خدعة والحراة في مقابلة عدو يريد أن يخدعك ، فإذا خدعته كان هذا مدحا ، لكن الخيانة لا يمكن أن تخون من إثمك إذا خنته فانت أنيت ما يقدح فيك ، فهذا علي بن أبي طالب أراد أن يبارزه عمرو بن ود ، والمبارزة تكون قبل بداية المعركة فإذا قتل أحدهما الآخر صار قوة وتشجيع لأصحاب القتال وإنهزام لأصحاب المقتول ، فلهذا كانوا يستعملون هذا في الحرب لما خرج عمرو بن ود إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه صاح به وقال ما خرجت لأبارز رجلين فظن عمرو بن ود أنه لحقه رجل آخر فإلتفت ، فضربه علي حتى أبان رأسه على جسده ، هذا خداع لكنه خداع جائز لأن عمرو بن ود خرج ليقتل علي فخدعه ، فهذا الخداع يعتبر مدحا

وثناءً ، فهؤلاء المنافقون الذين يجادعون الله خدعهم الله عز وجل فيعتبر هذا الخداع مَدْحًا ، لكن الخيانة ليست بمدح لأنها خديعة في محل الأمانة وهذا ذم ولا يجوز على الله عز وجل فصار ما يضاف وينسب إلى الله عز وجل ينقسم إلى أربعة أقسام:

١- أسماء وهذه كلها متضمنة لأحسن الكمالات *

٢- أوصاف يخبر بها عنه ولا يسمى بها *

٣- أوصاف يوصف بها مقيدة *

٤- أوصاف لا يوصف بها مطلقاً فإن وصف بها كان ذلك عدواناً وظلماً ، اليهود قالوا إن الله فقير ، هل يصح أن يوصف الله بالفقر؟ الجواب: لا ، قالوا يد الله مغلوله ، وقالوا الله بخيل وهذا لا يمكن أن يوصف به لأنه نقص بكل حال *

الدرس الثالث

قد ذكرنا أمس أن الاسم يدل على الذات والصفة ، كل إسم من أسماء الله يدل على ذات وصفة ، دلالاته على الأمرين تسمى دلالة مطابقة ، ودلالته على واحد منهما تسمى دلالة تضمن ، ودلالة الإلتزام تدل على أمر لا يدل عليه اللفظ من حيث المادة ، ولكن يدل عليه من حيث أنه يلزم من كذا ، كذا وكذا والمثال:-

نمثل بمعقول ومحسوس ، من أسماء الله تعالى الخالق ، فالخالق دل على ذات الرب وعلى صفة الخلق ، دل على أن هناك خالقاً هو الفاعل وأن هناك خلقاً هو الفعل الخالق تدل على الرب عز وجل بصفة الخلق فدلالته على الذات والصفة دلالة مطابقة ، لأن اللفظ مطابق للمعنى مساوياً له ، كالطبق على الصحن يطابقه ، دلالاته على واحد منهما دلالة تضمن يعني مثلاً: كلمة الخالق تضمنت الدلالة على الرب عز وجل وعلى الخلق الذي هو الصفة *

هل يكون هناك خلق بلا علم ولا قدرة؟ * الجواب: لا ، من أين عرفنا أن الخالق يدل على صفتي العلم والقدرة؟ طريق الزوم ، من لازم أن يكون خالقاً أن يكون عالماً قادراً ، إذ الجاهل لا يمكن أن يخلق والعاجز لا يمكن أن يخلق ، هذا مثال بمعقول ، المثال المحسوس قلت: هذا قصر فلان ، كلمة قصر تشتمل على كل هذه البناية بما فيها من غرف وحجر وساحات وغير ذلك تدل على هذا بالمطابقة ، وتدل على غرفة فيه أو حجرة فيه أو ساحة فيه بالتضمن ، يعني من ضمن هذا القصر غرفة وحجرة وساحة تودل على أن هناك بانياً بنى هذا القصر بالزوم ، دلالة المطابقة والتضمن غالب الناس يفهمها ولا تشكل عليهم ، لكن دلالة الزوم هي التي يختلف فيها العلماء باختلافاً كبيراً بحسب ما أعطاهم الله من الفهم هذه عدة أبحاث في الأسماء:-

البحث الأول: أن أسماء الله سبحانه وتعالى متباينة ومترادفة ، باعتبارين *

فما هو التباين ، وما هو الترادف؟

التباين تعدد اللفظ والمعنى ، أي أن يكون كل لفظ له معنى غير معنى اللفظ الآخر مثاله: إنسان وحجر ، فاللفظ متعدد والمعنى متعدد *

والترادف تعدد اللفظ واتحاد المعنى ، أى أن يكون للشيء الواحد عدة ألفاظ مثل البر والقمح فهما لفظان لشيء واحد وهو (الحَبّ) المعروف .

وعلى هذا فأسماء الله تعالى متباينة مترادفة باعتبارين؟ فيعتبر دلالتها على الذات فقط مترادفة ، لأن السميع العليم العزيز الحكيم كلها لمسمى واحد ، فهي مترادفة ، وباعتبار دلالة كل منها على معناه الخاص متباينة ، لأن معنى السميع غير البصير ، ومعنى العزيز غير الحكيم ، وعلى هذا يتبين بطلان مذهب المعتزلة الذين يقولون أن أسماء الله مترادفة ، فالعليم والسميع والبصير كلها واحدة ، لا يدل السميع على معنى غير ما يدل عليه البصير ، ولا البصير على معنى غير ما يدل عليه السميع ، لأن هذا القول يكذبه كل لغة العالم ، إذ أن المشتق من البصر غير المشتق من السمع مثلا ، فإذا أسماء الله متباينة مترادفة فلو قيل لك هل أسماء الله متباينة؟ الجواب: إن قلت نعم أخطأت ، وإن قلت لا أخطأت ، وإن فصلت أصبت .

البحث الثاني:- هل أسماء الله سبحانه وتعالى محصورة بعدد معين أم هي لا حصر لها؟ الجواب:

قال بعض أهل العلم إنها محصورة بتسعة وتسعين إسما ، لأن الله وتر ، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن لله تسعة وتسعين إسما من أحصاها دخل الجنة" وقال بعض العلماء إن أسماء الله ليست محصورة بعدد ، واستدل هؤلاء بحديث ابن مسعود ، الصحيح ، حديث الهم والحزن ، أن الإنسان إذا أصابه هم أو حزن دعا به ، وفيه أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك" ، الشاهد من هذا الحديث قوله: "أو استأثرت به في علم الغيب عندك" لأن ما استأثر الله به في علم الغيب لا يمكن إدراكه ، لو أمكن إدراكه لم يكن الله مستأثرا به ، وإذا لم يمكن إدراكه فإنه لا يحصر بتسعة وتسعين ، وهذا القول هو الراجح ، إن أسماء الله غير محصورة وليست كلها معلومة لنا ، لأن الرسول يقول: "أو استأثرت به في علم الغيب عندك" تبقى الحاجة إلى الجواب عن قوله: "إن لله تسعة وتسعين إسما من أحصاها دخل الجنة" فنقول الجواب إن هذا الحديث جملة واحدة ، إن لله تسعة وتسعين إسما موصوفة بأن من أحصاها دخل الجنة ، يعني وهناك أسماء أخرى لا علاقة لها بهذا الحكم ، ونظير ذلك أن تقول: عندي مائة فرس أعددتها للجهاد في سبيل الله ، فهل يعني ذلك أنه ليس لك سوى هذه المائة إذا علمنا أن لك ألف فرس؟ الجواب: لا ، فالحديث نظير هذا المثال الذي ذكرنا ، أن المعنى من أسماء الله تسعة وتسعين إسما من أحصاها دخل الجنة ، وحيث تكون الأسماء غير محصورة ، ولكن هل هذه التسعة والتسعون هل يمكن الإحاطة بها علما؟ الجواب: نعم ، لأنه لو كان لا يمكن لكان كلام النبي صلى الله عليه وسلم وحاشاه لغوا ، فما هو الطريق إلى إحصائها؟ الجواب: الطريق إلى هذا جاء حديث بسرد هذه الأسماء ، لكن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قال: إن سردها مدرج وليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا يحتاج به ، ووجه قوله بأن من أسماء الله ما لم يوجد في هذه الأسماء المسرودة ، مثل الرب ، الرب من أسماء الله ولا يوجد في الأسماء المسرودة ، والرب من أسماء الله لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "السواك مطهرة للفم مرضاة للرب" ولقوله: "أما الركوع فعظموا فيه الرب" وكذلك من أسماء الله الشافي ولم يذكر في الأسماء المسرودة ، كان من رقية النبي صلى الله عليه وسلم على المريض أنه يقول: "وأشف وأنت الشافي" ،

إذا ما هو الطريق إلى حصرها؟ الطريق أن يقال أن الله عز وجل أبهمها عنا ، كما أبهم كيلة القدر وكما أبهم ساعة الإجابة في الجمعة ، من أجل أن يكون لنا عمل في تتبع هذه الأسماء وحصرها ليتبين الحريص على حصر هذه الأسماء حتى ينال أجرها من غير الحريص ، ونقول: هذا القرآن وهذه سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، تتبع القرآن وتبني السنة وخذ من هذا القرآن ومن السنة تسعة وتسعين إسما وأحصها ، وحيث تدخل الجنة ، لكن يبقى النظر ما معنى إحصائها؟ هل هو إحصائها عدداً؟ أو الإحصاء شيء وراء ذلك؟ نقول: إذا أردت أن تعرف المراد فإعرف العوض ، ما هو العوض؟ الجواب: دخول الجنة ، ومجرد العد لا يكون عوضاً لدخول الجنة ، فالمراد بالإحصاء معرفتها لفظاً ومعنى ودعاء الله بها والتعبد له لله بمقتضاها ، فمثلاً إذا علمت أن الله عز وجل غفور فلا يكفي في إحصاء هذا الاسم أن تعرف أن من أسماء الله الغفور ، وأن الغفور معناه: الساتر للذنوب العاني عنه ، حتى تدعو الله به فتقول: ياغفور اغفر لي وحتى تتعبد لله بمقتضاه بأن تتعرض لمغفرة الله بكثرة الاستغفار وكثرة الأعمال الصالحة التي توجب المغفرة وما أشبه ذلك*.

البحث الثالث:- هل أسماء الله توقيفية يقتصر فيها على ما جاء به النص؟ أو هي عقلية فيسمى الله عز وجل بما يقتضيه العقل؟ الجواب: هي توقيفية لأننا لا نعلم الاسم الذي يستحق أن يسمى الله به ، عقولنا تقصر عن ذلك ، فيعتمد في هذا على النص ولا يُسمى الله بما لم يسم به نفسه ، وإذا كان لا يمكن أن تسمى الشخص من بني آدم بما لم يسم به نفسه أى بما لا تعلم أنه اسمه فكيف بالرب عز وجل؟ إذا كان لا يمكن أن تقول لشخص لا تعلم اسمه مثلاً يا عبد الله ، يا علي ، يا خالد ، يا بكر ، فالرب عز وجل أولى أن لاتسميه بإسم لا تعلم أنه سمي به نفسه ، لأن جانب الربوبية أعظم إحتراماً من جانب البشرية ، وعلى هذا فالأسماء توقيفية ، لا يجوز أن نسمى الله بما لم يسم به نفسه ولهذا عد العلماء تسمية الله بما لم يسم به نفسه من الإلحاد في أسماء الله ، ، ومما يتعلق بالأسماء تعليقا على ما سبق: أن قلنا إن أسماء الله حسنى ، وأن نطبق ما جاء في الحديث الصحيح من قوله تعالى في الحديث القدسي: "يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار" قال الله عز وجل: "وأنا الدهر" فهل الدهر من أسماء الله؟ الجواب: نقول أن الله قال: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ فخص أسمائه بأنها حسنى ، والدهر ليس من أسمائه الحسنى ، ثم إن الله قال: "يؤذيني ابن آدم يسب الدهر" والذين يسبون الدهر ليسوا يسبون الله بل يسبون الوقت يسبون الزمن يسبون السنة ، ليسوا يسبون الله ، وعلى هذا فيكون معنى قوله: "وأنا الدهر" يعني أنا المدبر والمتصرف في الدهر بدليل قوله: "بيدي الأمر أقلب الليل والنهار" وهذا أمر واضح أن الدهر هنا الوقت وليس اسماً من أسماء الله ، بناء على القاعدة التي دل عليها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ولأن سياق الحديث يأبى أن يكون المراد إثبات إسم الدهر من أسماء الله تعالى*.

البحث الرابع:- أن الصفة أوسع من الإسم ، وذلك أن كل إسم متضمن لصفة ، أليس كذلك؟ كل إسم متضمن لصفة ، وبناء على هذه القاعدة الكلية تتساوى الأسماء والصفات لكن ليس كل صفة يشتق منها إسم ، وبهذا تكون الصفات أوسع من الأسماء ، ولهذا من صفات الله أنه متكلم مريد صانع وجائي ونازل وما أشبه ذلك من الصفات الكثيرة التي لا تحصى ، لكن لا يسمى الله تعالى بشيء دلت عليه هذه الصفة ،

فكانت الصفات أوسع من الأسماء لهذا السبب ، وهل القابض الباسط وما أشبه ذلك هل هما من أسماء الله؟ لولا الحديث لقلنا جزماً إنها ليست من أسماء الله ، لأنه لم يأت في القرآن إلا بلفظ الفعل ، ييسط ويقبض ، لكن جاء في الحديث إن الله هو القابض الباسط ، فهل نقول إن القابض الباسط من أسماء الله لقوله إن الله هو القابض الباسط؟ أو نقول إن الحديث ورد على قضية معينة وهي التسعير ، لما طلب الصحابة من النبي صلى الله عليه وسلم أن يسعر حين غلا السعر قال: "إن الله هو القابض الباسط المسعر" فيكون القابض الباسط يعني في الرزق ، هو الذي يقبضه ويسطه وهو الذي يقدر الغلاء والرخص فيكون هذا من باب الصفة لا من باب الإسم ، والأمر محتمل هذا ما يتعلق بالأسماء مما حضرني الآن وربما يكون هناك أشياء تأتي فيما بعد *

هل يوصف الله بأنه عالم أو هل يوصف الله بأنه عارف؟ الجواب: يقولون لا يوصف الله بأنه عارف لسببين:-

السبب الأول: أن المعرفة تشمل العلم والظن ولهذا قال العلماء في تعريف الفقه ، معرفة الأحكام الشرعية علماً أو ظناً ، والظن في جانب الله ممتنع *

السبب الثاني:- أن المعرفة إنكشاف بعد لبس ، فتكون المعرفة واردة على جهل وهذا غير لائق بالله عز وجل ولهذا قال صاحب مختصر التحرير ولا يوصف الله بأنه عارف فإن قال قائل ما الجواب عن قول النبي صلى الله عليه وسلم "تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة"؟ قلنا للمعرفة هنا ليست هي المعرفة التي هي العلم لأن الله عالم بالإنسان في حال الشدة وفي حال الرخاء لكن المراد بذلك لازمها ، وهو أنك إذا تعرفت إلى الله في الرخاء فإن الله يرأف بك في حال الشدة ، وكم من إنسان لم ينقذه من شدته إلا لمعرفة لربه تعالى في الرخاء *

وحدثنا من نثق به أن رجلاً في زمن نقل البضائع على الإبل قبل وجود السيارات انقطع به السفر في الدهناء ، والدهناء ما فيها ماء في ذلك الوقت وأنه نام على عطش شديد وجوع فرأى في المنام أن رجلاً جاء إليه بقدر من لبن فشربه فقام نشيطاً شاباً ريان ، وقال إن القدر الذي جئني به إلى في المنام مثل القدر الذي كنت أسقي به عجوزاً لنا من جيراننا ، سبحان الله ، يقول: هو هو ، وهذا مصداق الحديث "تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة" فالخلاصة أن المعرفة في الحديث ليست هي المعرفة التي هي معرفة العلم ، بل المراد لازمها وهو أن الله عز وجل يرأف به ويذكره حتى يزيل شدته *

قال الإمام البخاري رحمه الله:-

حدثنا أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد عن عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي عن أسامة بن زيد قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رسول إحدى بناته الحديث *

أحب أن أكمل الحديث ، أكمل الكلام عن الحديث الذي قبله "لا يرحم الله من لا يرحم الناس" * مناسبة الحديث للترجمة ظاهرة في قوله تعالى ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ فيستفاد من هذا الحديث أن الرحمن من أسماء الله له حكم يتعلق به ، وهو ما يطلق عليه بعض العلماء الأثر ، وذلك أن أسماء الله سبحانه

وتعالى قسمان: لازم ومتعدي فاللازم يدل على الاسم والصفة فقط مثل الحي ليس متعلق بآئن عن الله عز وجل بل هو صفة لازمة ، الحي معناها ذو الحياة العظيم ذو العظمة الجليل ذو الجلال وما أشبهها هذه أسماء لازمة يتم الإيمان بها بإثبات الاسم وإثبات الصفة ، هناك أسماء متعدي أي لها تعلق بالمخلوق فهذه لابد للإيمان بها من الإيمان بالاسم والصفة والحكم المترتب على هذا الاسم أو هذه الصفة ، وبعضهم يقول الأثر يدل الحكم مثل الرحمن ، الرحمن يدل على الاسم والصفة وهي الرحمة ويدل على الحكم وهو أنه يرحم ، كما في الحديث "لا يرحم الله من لا يرحم الناس" وكما في القرآن الكريم ﴿يعذب من يشاء ويرحم من يشاء﴾ السميع من أي القسمين؟ الجواب: من الثاني ، لقوله تعالى ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾ الحكيم تقول أما من الحكمة فهو غير متعدي وأما من الحكم فهو متعدي قال الله تعالى ﴿ذالكم حكم الله بحكم بينكم﴾ فالبخاري رحمه الله أتى بهذا الحديث "لا يرحم الله من لا يرحم الناس" للإشارة والله أعلم إلى أن الرحمن إسم متعدي يتعلق بالمخلوقين ، وفي الحديث الحث على الرحمة ، وأنه ينبغي للإنسان أن يكون رحيما بالخلق ، طيب هل الرحمة تتعلق بالناس فقط أم حتى بالبهائم؟ حتى بالبهائم فالإنسان الذي يجد من قلبه رحمة للناس وللبهائم فليشر بالخير أنه ممن يرحمهم الله عز وجل ، فاجنة رحمة الله وأهلها الرحماء "ارحموا من في الأرض يرحمكم من قى السماء" وإذا وجدت من قلبك غلظة على من يستحق الرحمة فيجب عليك أن تعالج هذه الغلظة وأن تحولها إلى رحمة ، وأسباب الرحمة كثيرة منها الفقر والصغر والمرض ومنها القرابة ، يعني منها أسباب كثيرة ، كونك ترحم هذا لكونه صبيبا صغيرا لكونه يتيما ، وترحم هذا الرجل لأنه فقير ، فإذا وجدت من نفسك رحمة لمن يستحق الرحمة فاعلم أنك موفق إن شاء الله *

قال الإمام البخاري رحمه الله:-

حدثنا أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد عن عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي عن أسامة بن زيد قال: كنا عند النبي صلى الله وسلم إذ جاءه رسول إحدى بناته الحديث *

الشاهد من هذا الحديث قوله: "وإنما يرحم الله" وهذه صفة من صفات الله عز وجل من آثار الاسم الذي هو الرحمن ، فإن قال قائل هل الرحمة صفة ذاتية لازمة لله أو صفة فعلية؟ فالجواب: أنها في أصلها ذاتية لأنها صفة كمال ، لكن في أفرادها وآحادها فعلية لأنه يرحم من يشاء وكل شيء يتعلق بالشيء فهو صفة فعلية ، وفي هذا الحديث رحمة النبي صلى الله عليه وسلم لأنه رفع إليه الصبي وهو في سياق الموت ونفسه تقعقع يعني لها صوت تقعقع كأنها في شن ، والشن هو القرية البالية ، وهذه حشيرة النفس من صدر هذا الصبي ففاضت عينا رسول الله رحمة به ، فقال سعد ما هذا يارسول الله - كأنه استغرب أن ينكي النبي على هذا الصبي ، فقال هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده "وإنما يرحم الله من عباده الرحماء" وفي هذه الكلمات الثيرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم تعزية بالغة "أن الله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى" سبحانه الله كلمات النبوة لها نور ، أيجاز مع عظم المعنى ، فما موقفنا نحن مما أخذ الله من بين أيدينا ، موقفنا التسليم لأن الأمر لله له ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى ، الشيء

المقدر لا يمكن أن يتقدم أو يتأخر ، كل شيء بأجل مسمى ، وفي القرآن الكريم ﴿كل شيء عنده بمقدار﴾ ، فهذا الحديث عائد للمدة ، وهذه الآية عائدة للكم ، كل شيء بمقدار ، ويمكن أن نجعل كل شيء بمقدار عائدا حتى على الزمن ، وهذا دليل على كمال عناية الرب بخلقه ، وأنه سبحانه وتعالى يقدر كل شيء نأجل لا يتعده ولا يقصر عنه فإن قلت كيف نجتمع بين اسمي الرحمن والرحيم وهما من وصف واحد لمسمى واحد ، فالجواب أنهما يختلفان في الصيغة ، فوزن الرحمن فعلا ، ووزن الرحيم فعيل ، فهما متباينان من هذا الوجه ، فإن قلت كيف يكونان متباينين وهما من الرحمة ، الرحمن من الرحمة والرحيم من الرحمة قلت؟ أجاب العلماء عن ذلك بما يقتضي أن يكون جوايين ، الجواب الأول: أن الرحمن صفة عامة والرحيم صفة خاصة فالرحمن عامة لكل أحد ، والرحيم خاصة بالمؤمنين كما قال تعالى: ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ المعنى الثاني: أن الرحمن باعتبار الوصف ، والرحيم باعتبار الفعل فإسم الرحمن جاء على صيغة فعلا الذي يدل على السعة والإمتلاء ، فغضبان مثلا للممتلئ غضبا ، وسكران للممتلئ سكرا ، وريان لمن إمتلاء بطنه ماء ، فلما أريد الوصف جاءت على وزن فعلا أما حين أريد الفعل فجاءت على اسم رحيم ، وهذا الثاني أقرب أن الرحمن باعتبار الوصف والرحيم باعتبار الفعل الذي هو إصصال الرحمة إلى المرحوم *

باب قول الله تعالى: ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾

إن الله هو الرزاق ، الرزاق صيغة مبالغة من الرزق وهو العطاء ومنه قوله تعالى: ﴿فارزقوهم منه﴾ أى أعطوهم منه ، وجاءت بصيغة المبالغة لأحد وجهين إما أنها من باب النسبة وأن الرزق وصف لازم لله ، وإما للمبالغة الدالة على الكثرة وذلك لكثرة من يرزقه الله عز وجل ولكثرة رزقه عز وجل ، أن تكون للمبالغة ، لأن كلمة فعال تكون للنسبة كالنحار والحداد وما أشبه ذلك ، وتكون للمبالغة ، فإذا كانت للنسبة فالمعنى أن الله موصوف بهذه الصفة وصفا لازما ، وإذا كانت للمبالغة فالمعنى كثرة من يرزقهم الله عز وجل وكثرة رزقه الذي يعطيه ، وقوله: ﴿هو الرزاق﴾ هو ضمير فصل يدل على الحصر فالرزاق بصيغة المبالغة لا تكون إلا لله ، أما الرازق أو رزق يرزق فتكون لله وللمخلوق ، وقوله: ﴿ذو القوة﴾ ذو بمعنى صاحب ، والقوة هي الفعل بلا ضعف وليست هي القدرة ، لأن القدرة: الفعل بلا عجز ، والقوة الفعل بلا ضعف والدليل قوله تبارك وتعالى: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة﴾ ولم يقل ثم جعل من بعد ضعف قدرة وقال عز وجل: ﴿وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا﴾ قال ليعجزه ، ثم قال إنه كان عليما قديرا ، ولم يقل كان عليما قويا ، لأن العجز ضده القدرة ، والضعف ضده القوة ، طيب أيهما أكمل القدرة أو القوة؟ الجواب: القوة أكمل ويظهر ذلك بالمثال لو قيل لك احمل هذا الحجر فأردت أن تحمله فعجزت أن تقله عن الأرض فأنت غير قادر أليس كذلك؟ ولو قيل لك احمل هذا الحجر فحملته لكن بمشقة فأنت قادر غير قوي ، ولو قيل لك احمل هذا الحجر فحملته بسهولة حتى رفعته إلى فوق فأنت قادر قوى ، إذا القوة أكمل من القدرة ، لأن كل قوى قادر وليس كل قادر قويا ، ما الذى يقابل القوة؟ الجواب: الضعف ولهذا نقول فلان قوى

غير ضعيف ولا نقول فلانا قوى غير عاجز ، ونقول فلان قادر غير عاجز ، هذا فرق بين القوة والقدرة ، فرق آخر أن القوة تكون في الحيوان والجماد ، والقدرة تكون في الحيوان فقط ، مثال ذلك نقول هذا الحديد قوى؟ ولا نقول هذا حديد قادر؟ نقول الفيل قوى أو نقول قادر؟ كلاهما ، الإنسان قوى أو قادر؟ الجواب: كلاهما وقوله عز وجل: ﴿المتين﴾ المتين أى الشديد القوة فهو ذو قوة شديدة ، وفي هذه الآية من أسماء الله ثلاثة ما هى؟ الجواب الله والرازق والمتين ، وفيها من صفات الله أربع: الألوهية والرزق والقوة والمثانة *

الدرس الرابع

عرض علينا محمد السلامة كلام صاحب الفتح في تفسير الرحمة ، أنها إرادة الإحسان ، أو الإنعام نفسه ، أو الإحسان نفسه ، وهذا تحريف للرحمة ، عن معناها الحقيقي ، لأن الرحمة صفة تتعلق بالراحم ، لكن هم أعني الأشاعرة وأشباههم لا يثبتون من الصفات إلا ما دلت عليه عقولهم ، وينكرون من الصفات ما لم تدل عليه عقولهم ، وإن كان العقل يدل على أنها ثابتة لله عز وجل ، فالرحمة ينكرون أن يوصف الله بها ، ويقولون أن الرحمة رقة ولين ، والله عز وجل يقول: ﴿ذو القوة المتين﴾ وحيث تفسر الرحمة بأنها إرادة الإنعام أو الإنعام نفسه ، أما تفسيرها بالإنعام عندهم فظاهر ، لأن الإنعام نعمة منفصلة بآئنة عن الله ، والإرادة ثابتة عندهم لا ينكرونها ، ولكننا نقول: هذا تحريف للكلم عن موضعه ، لأن إرادة الإنعام أو الإنعام من أثر الرحمة ، فالإرادة مترتبة على الرحمة لأن الرحيم هو الذي يريد الإنعام أو الإحسان ، فتفسير الرحمة بما كان من أثارها تحريف للكلم عن موضعه ، ولهذا نقول نحن نثبت أن الله تعالى رحمة يرحم بها من يشاء ، وأن هذه الرحمة إذا لمكانت رقة في المخلوق فإنها لا تكون كذلك في الخالق ، لأن الله ﴿ليس كمثله شيء﴾ وهو السميع البصير ﴿على أننا لا نسلم لهم أن الرحمة رقة ، فقد يكون الرجل القوي الشجاع ، أو السلطان القوي النافذ أمره رحيمًا ، ولا يقتضي ذلك شيئاً ينقص من سلطته وقدرته وقوته *

حدثنا عبدان عن أبي حمزة عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن أبي عبد الرحمن السلمي "عن أبي موسى الأشعري قال: النبي صلى الله عليه وسلم "ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، يدعون له الولد ثم يعافيه ويرزقهم" *

"ما أحد أصبر" * * أصبر بالضم هذه لغة تميم ، وأصبر بالفتح لغة قريش ، يجعلون ما النافية تعمل عمل ليس بشروط معروفة ، والتميميون يرونها لا تعمل عمل ليس بل هي مهملة قال الشاعر:-

ومهفهف الأعطاف قلت له انتسب فأجاب : ما قتل الحب حرام

بدفع حرام فدل على أنه من تميم * في هذا الحديث وصف الله سبحانه وتعالى بالصبر وهو التحمل ، وفيه الأذية لله عز وجل ، ولكن هل الصبر صفة عيب ، أو وصف كمال؟ الجواب: لاشك أنه صفة كمال وأن الإنسان يشئ عليه بالصبر ، والرب عز وجل يشئ عليه بالصبر ، الأذى ، وأما التأذي بما يؤذي فليس صفة نقص؟ لأنه لا يلزم من الأذى الضرر ، ولهذا نقول: أن الله سبحانه وتعالى يتأذى ولكن لا يتضرر ، كما قال تعالى: ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة﴾ وفي الحديث القدسي: "يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر" ونفى عن نفسه الضرر فقال: ﴿لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن

يضروا الله شيئا وقال في الحديث القدسي: "يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني" والأذى لا يدل على ضعف المتأذى ، فإن الرجل قد يتأذى بالرائحة الكريهة ولكنها لا تضره ، ولا يدل على ضعف بل قد يدل على كمال إذا تأذى بما يؤذي حقيقة ، يقول: "يدعون له الولد ثم يعافيه ويرزقهم" يعني أنهم يقولون إن الله ولدًا ، كما قالت اليهود عزيز ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، وقال المشركون الملائكة بنات الله وهو يعافيه ويرزقهم ، فهو صابر على أذاهم ، ودعوى الولد لله عز وجل تتضمن محظورين:-

الأول: تكذيب الله عز وجل ، فإن الله تعالى نفى أن يكون له ولد ، بل نزه نفسه عن ذلك سبحانه أن يكون له ولد.

الثاني:- وصف الله بالنقص ، لأنه لا يحتاج إلى الولد إلا من كان ناقصاً ، يحتاج إلى الولد ليعينه في مهماته وليبقى ذكره بنسله بعده ، لأن الإنسان إذا مات بلا نسل نسي ولم يأت له ذكر اللهم إلا من علم أو صدقة جارية وما أشبه ذلك ، على كل حال هؤلاء آذوا الله عز وجل بدعوى الولد ومع ذلك يعافيه ويرزقهم ، ولولا صبره تبارك وتعالى لأهلكهم ﴿لَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾

فالشاهد من الحديث قوله: "يعافيه ويرزقهم" يعافيه في أبدانهم من الأمراض ، وأعراضهم من أن تنتهك ، ويرزقهم أيضاً ، وفي هذا الحديث من الصفات:-

١- إثبات صفة الصبر لقوله: "ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله من الله وهل هو حقيقى * الجواب نعم حقيقى ولكنه لا يشبه صبر المخلوق لأن المخلوق قد يصبر لكن مع تضجر ، وأما الرب عز وجل فلا ، لا يلحقه من صبره نقص كما يلحق المخلوق من صبره وفيه إثبات أن الله يرزق ويعافي لقوله: "يعافيه ويرزقهم" وهل نشئت من يرزقهم إسماء؟ الجواب لا ، لكن جاء الإسم في قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ هل نشئت من يعافي إسماء؟ لا ولهذا لا يسمى الله بالمعافي لكن يخبر عنه أنه يعافي من الأمراض القلبية والبدنية "واشف أنت الشافي".

باب قول الله تعالى "عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد"

هذه الترجمة ترجمة لإثبات صفة العلم لله عز وجل والعلم لله عز وجل ثابت وجاء على وجود متعددة ، وهو أعني العلم إدراك المعلوم على ما هو عليه فقولنا إدراك خرج به الجهل البسيط ، وقولنا على ما هو عليه خرج به الجهل المركب ، لأن الجهل نوعان:-

النوع الأول:- جهل بسيط وهو عدم العلم

النوع الثاني:- جهل مركب وهو أن يكون الإنسان جاهلاً ويجهل أنه جاهل ولهذا قيل مركب من جهلين * الجهل بالواقع والجهل بحاله لذلك مثلاً يتبين به ذلك سألنا رجلاً متى كانت غزوة بدر فقال كانت غزوة بدر في رمضان في السنة الثانية من الهجرة ، بماذا تصفون هذا الرجل الجيب؟ نصفه بأنه عالم ، لأنه ذكر الأمر على ما هو عليه وسألنا رجلاً آخر قلنا متى كانت غزوة بدر قال كانت في السنة الخامسة من الهجرة هذا جاهل جهلاً مركباً وسألنا الثالث قلنا متى كانت غزوة بدر فقال لا أدري هذا جهل جهلاً بسيطاً فالرب عز وجل

عالم أى مدرك للمعلومات على ما هى عليه ، ثم إن علم الله سبحانه وتعالى أزلي أبدي ؟ عام شامل لكل شئ جملة وتفصيلا ، كل شئ يعلمه ، جملة وتفصيلا لأن الله خلق كل شئ والخالق لا بد أن يكون عالما كما قال تعالى ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللطيف الخبير﴾ وعلم الله لم يسبق بهجه ولا يلحقه نسيان كما قال موسى عليه السلاة والسلام ﴿اعلمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى﴾ فعلم الله موصوف بوصفين:-

الأول:- أنه أزلي أبدي ، لم يسبق بهجه ولا يلحقه نسيان * الثاني:- أنه واسع عام شامل لكل شئ جملة وتفصيلا سواء كان ذلك في الأمور الجائرة أو الواجبة أو المستحيلة ، وسواء كان فيما يتعلق به نفسه سبحانه أو فيما يتعلق بمخلوقاته *

وهنا نريد أن نعرف ما هى الفائدة من معرفتنا بهذه الصفة العظيمة؟ الفائدة أن الإنسان إذا علم أن الله واسع العلم وأن الله قد أحاط بكل شئ علما فلا بد أن يحمله هذا الاعتقاد على الإستقامة على أمر الله ومراقبته والخوف من أن يعلم منك ما لا يرضيه عنك ، وهذه مسألة تغيب عن كثير من الذين يتكلمون عن صفات الله ، تجدهم يتكلمون عن إثبات الصفة لكن لا يتكلمون عما يثمره الاعتقاد بالنسبة إلى هذه الصفة من الأحوال السلوكية ، وهذه مهمة يعنى أنت إذا علمت أن الله يعلم كل شئ هل تضرع في قلبك ما يخالف الإستقامة وأنت تعلم أن الله يعلم ذلك؟ لا هل تفعل ما يخالف الإستقامة؟ لا هل تقول ما يخالف الإستقامة؟ لا وهذه مسألة ينبغي للإنسان أن يجعلها على باله أنه ليس المقصود أن نعلم ما يتعلق بالعقيدة فقط من الأسماء والصفات بل المقصود مع ذلك ما يترتب على هذا الاعتقاد من تصحيح المسلك والإستقامة على الأمر ، طيب من أنكر أن يكون الله عالما؟ فإنه كافر ، ولهذا قال الإمام الشافعي رحمه الله بالنسبة للقدريّة قال: جادلوههم بالعلم فإن أقرؤا به خصموا وإن أنكروه كفروا لأن القدريّة يقولون أن الله سبحانه وتعالى لم يقدر عمل العبد ولم يشأه ولا له علاقة به فقال جادلوههم بالعلم اسألوههم هل الله كان عالما بأعمال العباد أم لا؟ إن قالوا لا فهم كفار وإن قالوا نعم فقد خصموا ، وذلك بأن يقال هل وقعت هذه الأعمال على خلاف معلوم الله ، أو على وقفه ، إن قالوا على خلاف معلومه فهذا هو إنكار العلم وإن قالوا على وقفه فهذا يلزم منه أنها وقعت بمشيئته *

ثم ذكر المؤلف رحمه الله آيات العلم فقال:-

باب قول الله تعالى: ﴿عالم الغيب﴾ *

الآية الأولى:- قال الله تعالى:- ﴿عالم الغيب﴾ وهو ما غاب عن الخلق * والغيب ينقسم إلى قسمين:-

القسم الأول:- غيب مطلق لا يعلمه الخلق * القسم الثاني:- وغيب مقيد يعلمه بعض الناس دون بعض *

فمثلا الذين في مكة الآن غائبون عنا لكنهم عند من يشاهدهم في مكة ليسوا غائبين ، إذا هذا غيب نسبي ، فلو أن أحدا جاءنا يقول إن مكان المسروق الذي سرق لك كذا وكذا يعني تعيين مكان المسروق الذي سرق السارق ودفعه ، هل تقول هذا من علم الغيب؟ بالنسبة لنا غيب لكن بالنسبة لمن شاهد السارق وهو يدفعه لا يكون غيبا ، أما الغيب المطلق فهذا هو الذي يختص الله به وهو الذي يغيب عن كل الناس مثل

العلم بالمستقبل فمن ادعى أنه يعلم ما سيكون غدا فقد ادعى علم الغيب لأنه مستقبل والمستقبل مجهول لكل الناس نعم: يقول تعالى ﴿فلا يظهر على غيبه أحدا﴾ ولبت أن المؤلف رحمه الله أتى بآخر الآية لأن آخرها لا بد أن يذكر وهو ﴿إلا من ارتضى من رسوله فإنه يسلط من بين يديه ومن خلفه رصدا﴾ لأن الله أظهر على غيبه من أظهر من الرسل فأنتي صلى الله عليه وسلم حدثنا عن أمور غيبية مستقبلية من أشراف الساعة ومن أحوال القيامة فليت أن البخاري رحمه الله ذكر هذا الإستثناء لأنه مهم *

الآية الثانية: - قال تعالى: ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ وهذا أيضا علم الغيب فالساعة علمها عند الله حتى النبي صلى الله عليه وسلم سأله جبريل عنها فقال له "ما المسئول عنا بأعلم من السائل" فأفضل الرسل من الملائكة لا يعلمها وأفضل الرسل من الآدميين لا يعلمها ، ومن دونهم من باب أولى *

فمن ادعى علم الساعة وقال إن الساعة ستكون في السنة الفلانية أو في الشهر الفلاني فإنه مكذب لهذه الآية ومدعي دعوى باطلة ويكون كافرا ، والظاهر أن المؤلف أراد جميع هذه الآية ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأى أرض تموت﴾ وهذه الخمسة هي مفاتيح الغيب المذكورة في قوله تعالى وعنده مفاتيح الغيب وكيف كان العلم بهذه الخمسة مفاتيح الغيب ، لأن الساعة مفتاح الآخرة ، تنزيل الغيث مفتاح النبات علم ما في الأرحام مفتاح الجنين الذي خلقه الله تعالى في هذا الرحم يعني مفتاح حياة الإنسان في الدنيا ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غدا﴾ مفتاح العمل في المستقبل ﴿وما تدري نفس بأى أرض تموت﴾ مفتاح الآخرة بالنسبة لكل واحد من الناس ، فلهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم إن مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله قال ﴿وينزل الغيث﴾ فكيف جعل تنزيل الغيث وهو فعل جعله في ضمن المعلومات الغيبية يعني لم يقل ويعلم نزول الغيث *

نقول لأن الخالق لا بد أن يكون عالما بالمخلوق ، فإذا كان هو الذي ينزل الغيث وحده فلا أحد يعلم متى ينزل الغيث إلا هو ، لأن علم نزول الغيث عند من ينزل الغيث لكن جاءت الآية هكذا لأن إنزال المطر الذي به الغيث لا يكون أبدا إلا من الله عز وجل فإن قال قائل: ماذا تقول عن من يتكلمون الآن في الطقس؟ يقول سيكون غدا مطر في الأرض الفلانية بعد الظهر أو في أول النهار وما أشبه ذلك فالجواب عن ذلك من وجهين: -

الوجه الأول: - أن هذا مبني على علم محسوس يدرك بالحواس ، فإن الجو يتغير ويتكيف على وجه يعلم بالآلات الدقيقة أنه مهيا للمطر أو غير مهيا ، وإذا كان كذلك فليس من أمور الغيب *

الوجه الثاني: - أن هذا الذي يقولونه قد يخطئ كثيرا ولو كان علم غيب ما أخطأ ، لأن العلم ليس فيه خطأ ، قال تعالى ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾ أى أرحام الآدميين وغيرهم *

فما متعلق العلم؟ هل هي الذكورة والأنوثة ، أو أحوال هذا الجنين من كل وجه؟ الجواب: الثاني ، لأن أحوال الذكورة والأنوثة يعلمها غير الله عز وجل ، فالملك الذي يؤمر بأن يخلق هذا الجنين ذكرا أو أنثى يعلم ذلك ، لأن الملك يقول يا رب أذكر أم أنثى؟ فيقضي الله ما يشاء ، إذا فالملك يعلم ما في الرحم ذكرا أو أنثى قبل أن يخرج ، ثم إن الأجهزة الأخيرة في عصرنا صارت يمكن أن يعلم بها الجنين ذكر أم أنثى ، إذا

فمتعلق العلم بالجنين ليس هو الذكورة والأنوثة لأن الذكورة والأنوثة إذا خُلِقَ الجنين قصراً ذكرنا أمكن العلم به ، وكذلك إذا صار أنثى ، ولكن هل الجنين سيخرج حياً أو ميتاً ، من يعلم؟ الله عز وجل ، ستطول حياته إذا خرج حياً أم تقصر ، من يعلم؟ الله ، سيكون غنياً أو فقيراً ، سيكون عالماً أو جاهلاً ، سيكون أميراً أو مأموراً؟ من يعلم؟ الله ، يعني متعلقات العلم بالنسبة للجنين كثيرة فإذا قدر أن الناس علموا أنه ذكر أم أنثى بعد تخليقه ، فإنهم لا يعلمون بقية متعلقات العلم الكثيرة التي لا يعلمها إلا الله ، قال تعالى ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً﴾ ولم يقل ماذا تعمل ، لأن الإنسان يقدر ماذا يعمل ، فيقول سأسافر غداً ، سأذهب إلى الكلية ، سأختبر وما أشبه ذلك ، ولكن هل يدري أن هذا يتحقق ويكون كسباً له؟ الجواب لا ، فربما يكون هناك موانع تمنع من تحقيق ما أراد وربما يفعل ولكن لا يكسب بفعله شيئاً ، فالكسب لا يعلمه إلا الله ، ولهذا قال الله تعالى لنبيه ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ قال ﴿وما تدري نفس بأى أرض تموت﴾ حتى لو أن الإنسان قرر أنه لن يخرج من بلده وكان الله قد قدر أنه يموت في بلد آخر فلا بد أن يقدر الله سبباً ينتقل به إلى البلد الآخر ، وإذا كان لا يعلم بأى أرض يموت مع أنه يمكنه التنقل فهو لا يعلم في أى وقت يموت من باب أولى *

الآية الثالثة:- قال تعالى:- ﴿قال أنزله بعلمه﴾ أى أنزل الله إليك القرآن بعلمه وهذا يحتمل معنيين كلاهما صحيح: الأول:- أنزله عن علم منه فالباء للملابسة * الثاني:- أنزله بمعلومه أى بما علمه من مصالح العباد من الشرائع الكاملة التي لم تعلم إلا بإنزاله *

الآية الرابعة:- قال الله تعالى: ﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه﴾ (ما) نافية ، لماذا لا تكون شرطية؟ لأن الفعل بعدها مرفوع ولو كانت شرطية لجزم ، لأنه وقع بعدها إلا ﴿وما تحمل كل أنثى ولا تضع إلا بعلمه﴾ يعني ابتداء الحمل ووضع الحمل ، كل ذلك بعلم الله عز وجل وهذه الآية مما يقرأ به للمرأة إذا تعسرت ولادتها ، وهى مفيدة جداً إذا قرأ الإنسان بماء هذه الآية وقرأ إذا زلزلت الأرض وقرأ ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار﴾ ثم تشربه المرأة وتمسح به بطنها فإنها تضع بسهولة بإذن الله ﴿إلا بعلمه﴾ يعني إلا كان ذلك صادراً عن علم الله عز وجل ، لأن حملها ووضعها من خلق الله ، والله عز وجل يقول:-

الآية الخامسة:- يقول تعالى: ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ قال تعالى ﴿إليه يرد علم الساعة﴾ إلى الله لا إلى غيره يرد علم الساعة أى القيامة ، وهذا شيء معلوم بالقرآن والسنة والإجماع أنه لا يعلم أحد متى تقوم الساعة إلا الله عز وجل ، وقال يحيى: الظاهر على كل شيء علماً الباطن على كل شيء علماً يشير إلى قوله تعالى في سورة الحديد ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾ هذه أربعة أسماء إستوعبت الأزمنة والأمكنة *

فأما بالنسبة للزمان ، فهو الأول الذى ليس قبله شيء والآخر الذى ليس بعده شيء وأما بالنسبة للمكان فقد أحاط بكل مكان قرب أم بعد فهو ﴿الظاهر والباطن﴾ الظاهر العالى على كل شيء فإن الظهور هنا بمعنى العلو ، ومنه قوله تعالى: ﴿ليظهره على الدين كله﴾ أى ليعليه وهو الباطن الذي لا يحول دونه ، الذى

يعلم بواطن الأمور فهو مع علوه محيط بكل شئ وليس المعنى أنه في كل شئ لأن هذا مذهب الحلولية من الجهمية وغيرهم ، فهذه الآيات كما ترون فيها إثبات علم الله عز وجل ولم ينكر أحد فيما نعلم علم الله تعالى في كل شئ إلا غلاة القدرية ، فإن غلاة القدرية أنكروا علم الله بما يفعله الخلق وقالوا إن الله لا يعلم ما يفعله الخلق إلا بعد وقوعه أى فلا يعلمه علم غيب وإنما يعلم علم مشاهدة ، إذا وقع علم الله به ، أما قبل ذلك فلا يعلمه ولكن شيخ الإسلام رحمه الله قال: إن هذا قول غلاة القدرية قديما وأن منكره اليوم قليل (يقول هذا في زمانه يرحمه الله) *

حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن اسماعيل عن الشعبي عن مسروق "عن عائشة رضى الله عنها قالت: من حدثك أن محمد صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب ، وهو يقول ﴿لا تدركه الأبصار﴾ ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب ، وهو يقول: ﴿لا يعلم الغيب إلا الله﴾ *

الشاهد من هذا قوله: ﴿لا يعلم الغيب إلا الله﴾ أما الحديث فتقول رضى الله عنها عائشة لمسروق "من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب" والله يقول ﴿لا تدركه الأبصار﴾ ولا شك أن عائشة رضى الله عنها في هذا الاستدلال لم تصب لأن الله تعالى قال: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ ولم يقل لا تراه الأبصار ، ولهذا جعل علماء أهل

السنة هذه الآية من الأدلة على ثبوت رؤية الله عز وجل ، ووجه ذلك أن نفى الأخص يدل على وجود الأعم ، فلما قال: لا تدركه علمنا أنها تراه ولكن لا تدركه ولو كان المراد نفى الرؤية لقال لا تراه الأبصار ولكن لو استدلت رضى الله عنها بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا" كما جاء ذلك في حديث الدجال حيث يدعي أنه الرب ، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا" لكان هذا أصح من استدلالها بالآية ، وهذه المسألة اختلف فيها العلماء هل النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه يعني في الدنيا أم لم يره؟ فقول أنه رآه ومن قال ذلك بن عباس رضى الله عنه في المشهور عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه ، أما عائشة فكانت تنكر ذلك كما رأيتم ، وهذا في اليقظة أما في المنام فقد رأى ربه كما في حديث اختصام الملاء الأعلى وهو حديث مشهور شرحه زين الدين عبد الرحمن بن رجب رحمه الله ، والصحيح أنه لم يره لأن النبي صلى الله عليه وسلم نفسه سئل هل رأيته ربك؟ فقال: "رأيت نورا" وفي رواية "نور أنى أراه" يعنى بينى وبينه نور فكيف أراه وهذا كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن إذا قال قائل كيف نجمع بين هذا الحديث الذي حدث به النبي صلى الله عليه وسلم عن نفسه وبين قول بن عباس؟ فالجواب أن شيخ الإسلام بن تيمية قال: إن بن عباس لم يصرح بأن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه يعنى رأسه ، بل قال رآه ربه ، فتحمل الرؤية التي قالها بن عباس رضى الله عنهما على أن المراد بذلك رؤية اليقين ، وهذا وإن كان خلاف الظاهر لكن ابن عباس أنه يخالف ما حدث به النبي صلى الله عليه وسلم عن نفسه أنه لم يره الله سبحانه وتعالى ، ومعلوم أن رؤية الله في الدنيا لا تمكن لأن الإنسان لا يستطيع ذلك ، ولا يقوم بهذه الرؤية أبدا ، والدليل على هذا أن موسى عليه الصلاة والسلام قال: ﴿رب أرني أنظر إليك قال لن تراني﴾ يعنى لا يمكن أن تراني ولكن أنظر إلى الجبل فإن استقر

مكانه فسوف تراني فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكا. بمجرد ما تجلّى الله له إندك الجبل ولم يستقر مكانه فرأى موسى منظرا أفرعه ﴿فخبر موسى صعبا فلما أفاق قال سبحانه تبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾ وموسى عليه الصلاة والسلام لم يسأل الله رؤيته شكا في الأمر لكن تلذذا برؤية الله عز وجل ، لقوة محبته لله سأل الله أن يريه نفسه ﴿ربى أرني أنظر إليك﴾ فلما رأى ما حصل للجبل صعب فلما أفاق قال سبحانه أى تنزيها لك أن تدركك الأبصار أو أن تراك في هذه الدنيا ، إني تبت إليك من سؤال الرؤية ، لأن أنعم شيء يكون للإنسان أن يرى الله عز وجل ، ولهذا كان أكبر نعيم لأهل الجنة رؤية الله سبحانه وتعالى وأكبر فوز ، وبالمناسبة يقولون أن الرّمحسرى صاحب التفسير المشهور الجيد الذى كان من بعده عيالا عليه هو من المعتزلة ويقول البلقيني إننى استخرجت من هذا التفسير إعتزاليات بالمناقش ، من ذلك قوله على هذه الآية ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾ فقد فاز قال: أى فوز أعظم من هذا أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة ، قال أشار إلى به إلى عدم الرؤية فالكلام هذا إذا قرأه الإنسان يقول صحيح لكنه أشار بذلك إلى نفى رؤية الله عز وجل في الجنة ، لأن رؤية الله في الجنة أشد فوزا من أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة ، فتأمل كيف يتكلم هؤلاء الأذكياء بمثل هذا الكلام الذى لا يدركه إلا من عرف مذهبه وعقيدته ، أنا لو قرأت هذا الكلام في تفسير بن كثير مثلاً فإني لا أظن بهذا الظن بل أقول إذا دخل الجنة فمن نعمها أن يرى الله ، لكن لما كان هذا الرجل قد علم أنه ينكر رؤية الله في الآخرة صار هذا الكلام إشارة إلى أنه لا رؤية ، قالت عائشة رضى الله عنها: "ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب" وهو يقول: ﴿لا يعلم الغيب إلا الله﴾ هكذا قالت ولفظ الآية ﴿قل لا يعلم من في السموات الغيب إلا الله﴾ فليست على هذا اللفظ الذي ذكرته عائشة رضى الله عنها فالظاهر أنها لم يرد التلاوة ، فالحاصل أن الذي يحدثك أنه يعلم الغيب فإنه كاذب ، ولا يكفي أن نقول إنه كاذب بل نقول إنه كافر ، ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم: "من أتى كاهنا أو عرافا وصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد"

الدرس الخامس

باب قول الله تعالى: ﴿السلام المؤمن﴾

نحن إذا نظرنا إلى صنيع البخاري رحمه الله في كتاب التوحيد وجدنا أنه يصدر غالبا الأبواب بآيات من القرآن ، وذلك لأن من المبتدعة من يقول لا نقبل من أدلة الصفات إلا ما كان متواترا ، ولا نقبل أخبار الآحاد ، فاراد رحمه الله أن يعزز أخبار الآحاد التي يسوقها في الكتاب بآيات من القرآن لألا يبقى عذر لمن رد هذه الأسماء أو الصفات ، وهذا من فقهه رحمه الله ، المبتدعة الذين يحكمسون العقل ويتلقون عقيدتهم في الله من عقولهم يقولون لا نقبل أخبار الآحاد في باب الصفات ، لأن خير الآحاد لا يفيد إلا الظن والعقيدة يجب أن تكون مبنية على اليقين ، وقد رد ابن القيم رحمه الله هذه القاعدة الباطلة بوجود كثيرة في الصواعق المرسلة على غزو الجهمية والمعتلة *

باب قول الله تعالى: ﴿السلام المؤمن﴾ السلام إسم من أسماء الله والمؤمن من أسماء الله ، والسلام في الأصل إسم مصدر سلم ، والمصدر تسليم ، وإسم المصدر عند علماء النحو ما كان بمعنى المصدر ولم يتضمن

حروف المصدر ، كالسلام إسم مصدر كَلَمَ والسلام إسم مصدر سلم ، فما معنى السلام الذي هو إسم من أسماء الله؟ السلام يكون الوصف به من باب المبالغة ، أن الله عز وجل سلام أى سالم من كل عيب ونقص ، حياته ليس فيها نقص ولا عيب ، علمه ليس فيه نقص ولا عيب ، قدرته ليس فيها نقص ولا عيب ، سمعه ، بصره ليس فيه نقص ولا عيب ، كل أسمائه وصفاته ليس فيها نقص ولا عيب ، أما ﴿المؤمن﴾ فهى مشتقة من الإيمان ومن الأمان ، أى أن الفعل آمن أو أمن ، ومعنى المؤمن من آمن المصدق لرسله بما جاؤا به ، قال الله تعالى: ﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليه أنزل به علمه﴾ وهذا تصديق لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام والآيات في هذا كثيرة ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب﴾ ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل﴾ ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا﴾ فهو سبحانه وتعالى مصدق لرسله وكذلك مصدق لغير الرسل ممن شهد الله لهم بالصدق كقوله تعالى:- ﴿أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ وأما ﴿مؤمن﴾ من الإيمان فمعناه مؤمن أى يؤمن من يستحق الأمان وهو المؤمن فالمؤمن له الأمن من الله قال الله تعالى ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾

حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا مغيرة حدثنا شقيق ابن سلمة قال "قال عبد الله: كنا نصلى خلف النبي صلى الله عليه وسلم فنقول: السلام على الله ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله هو السلام ، ولكن قولوا التحيات لله والصلوات والطيبات ، السلام عليهما النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله"

هذا من حسن تعليم الرسول عليه الصلاة والسلام ، أنه لما ذكر الممنوع ذكر المشروع ، كانوا يقولون السلام على الله ، تحية ، فيسلمون على الله "السلام على الله" وهذه الكلمة لا تقال لمن لا يمكن أن يلحقه نقص ، لأن السلام إنما يدعى به لمن يلحقه النقص ، أما من هو منزّه عن ذلك عز وجل فإنه لا يقال السلام عليك ، ولهذا أبدلهم النبي عليه الصلاة والسلام وأمرهم أن يقولوا بدل السلام على الله التحيات لله ، لأن الله كامل من كل وجه فلا يحتاج أن يدعى له بالسلام فقال النبي عليه الصلاة والسلام: "إن الله هو السلام" فبدأ بالتعليل قبل الحكم من أجل أن يرد الحكم على النفس وهى مطمئنة بما ذكر لها من العلة ، ولكن قولوا: "التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي السلام عليك ورحمة الله وبركاته" "التحيات لله ، اللام هنا للإختصاص والإستحقاق والتحيات جمع تحية وهى كل لفظ يدل على التعظيم وجمعت بإعتبار أنواعها وأجناسها ، وقوله: "والصلوات" يعنى الصلوات لله ، "والطيبات" يعنى الطيبات لله ، فما هى الصلوات التى لله؟ هى العبادة المعروفة وقيل الدعاء وعلى هذا القول يكون محمولا على الصلاة لغة وشرعا ولا مانع من أن يقال إنه يعم هذا وهذا "والطيبات" والطيبات يعنى الأوصاف الطيبات والأعمال الطيبات لله فالله عز وجل طيب ولا يقبل إلا الطيب فكل طيب من الأعمال فهو لله وكل خبيث فإن الله لا يقبله وكل وصف طيب فهو لله إذا الطيبات هنا وصف لأوصاف الله ووصف

للأعمال التي تفعل الله ، ولهذا ينبغي أن تستحضر عندما تقرأ هذا في الصلاة أنك إذا قلت الطيبات يعني أن الله تعالى ذو الأوصاف الطيبات الذي لا تقبل من الأعمال إلا الطيبات ، لما بدأ بحق الله ووصف الله بما يستحق ثني بحق الرسول فقال: "السلام عليك أيها النبي" لأنه عليه الصلاة والسلام محتاج إلى أن يسلمه الله ولهذا كان دعاء الأنبياء على الصراط يوم القيامة اللهم سلم اللهم سلم ، فالأنبياء محتاجون إلى أن يسلمهم الله عز وجل وقوله: "عليك" هنا فيه إشكال وهو كاف الخطاب فإن كاف الخطاب في الجملة تحولها إلى مخاطبة آدميين ، فكيف نجتمع بين هذا وبين قول الرسول صلى الله عليه وسلم "إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الآدميين أو قال من كلام الناس" الجواب عن هذا من أحد وجهين:-

الأول:- أن هذا مستثنى فيكون العموم مخصوصا بهذا فيقال تبطل الصلاة بكاف الخطاب إلا ما كان الله ﴿إياك نعبد﴾ أو لرسوله "السلام عليك أيها النبي" *

الثاني:- أن يقال هذا الخطاب لا يراد حقيقته وإنما هو لقوة استحضر المصلي صار كأن النبي صلى الله عليه وسلم مواجهها له كأنه يخاطبه وعلى هذا فلا يراد بالخطاب حقيقته والدليل لذلك أن المصلي يقول السلام عليك بصوت خفي لا يسمعه الرسول ، ولو كان خطابا حقيقيا لرفعوا أصواتهم ليسمعه فلا يراد بالخطاب حقيقته والدليل على هذا أمور:-

أولا:- أن المصلي يسر بهذا الخطاب ولو كان خطابا حقيقيا لرفع صوته *

ثانيا:- أن المصلي يقول ذلك ولو كان في الشرق والرسول في الغرب ، ولهذا يقال حتى بعد موت الرسول يقال السلام عليك أيها النبي لأنه لا يراد بذلك حقيقة الخطاب وإنما المراد كما قال شيخ الإسلام رحمه الله في كتاب إقتضاء الصراط المستقيم المراد قوة الإستحضر كأنه بين يديك تخاطبه فيقال هذا حتى بعد موت الرسول *

وما أخرجه البخاري رضى الله عنه عن ابن مسعود قال "كنا نقول في حياة النبي صلى الله عليه وسلم السلام عليك أيها النبي فلما مات قلنا السلام على النبي" فهذا من إجهاده رضى الله عنه لكنه إجهاد فيه نظر ، والصواب أن نقول ما أمرنا به الرسول قال قولوا "السلام عليك أيها النبي" ولم يقل إلا إذا مت ثم إنه قد روى الإمام مالك في الموطأ بسند صحيح أن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب خطب الناس يعلمهم التشهد فقال: "التحيات لله * * * السلام عليك أيها النبي" خطب بذلك في خلافته بعد موت الرسول عليه الصلاة والسلام وعمر أعلم من ابن مسعود رضى الله عنه وقاله بمحض من الصحابة ولم ينكر عليه أحد وبهذا يكون قول عبد الله ابن مسعود من باب الاجتهاد ولكن الصواب ما دل عليه الحديث وما تحدث به أمير المؤمنين رضى الله عنه "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته" هنا أطلق "النبي" وأراد به النبي الرسول لأن محمدا صلى الله عليه وسلم نبي رسول ، عرفنا أنه نبي رسول من أدلة أخرى واضحة ولهذا نرى الله عز وجل يطلق في القرآن وصف النبي على من هو نبي رسول قال تعالى:- ﴿واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا﴾ ﴿واذكر في الكتاب اسماعيل إنه كان صادقا الوعد وكان رسولا نبيا﴾ ﴿واذكر في الكتاب ادريس إنه كان صديقا نبيا﴾ فإن قال قائل ماذا تقولون في حديث

البراء ابن عازب رضى الله عنه الذي علمه الرسول صلى الله عليه وسلم ما يقول إذا أوى إلى فراشه ومنه "وبنيك الذي أرسلت" فقال البراء لما أعادها على الرسول قال وبرسولك الذي أرسلت قال الرسول "وبنيك الذي أرسلت" فالجواب على هذا من وجهين:

الوجه الأول:- أن دلالة الرسالة على النبوة دلالة لإلتزام لأنه لا يمكن أن يكون رسولا حتى يكون نبيا وجمع النبوة مع الرسالة دلالة مطابقة لأنه وصفه بوصفين وصفه بالنبوة ووصفه بالرسالة.

الوجه الثاني:- أنه إذا قال وبرسولك الذي أرسلت فإنه لا يخرج بذلك الرسول الملكي مثل جبريل لكن إذا قال بنيك الذي أرسلت خرج الرسول الملكي وتعين أن يكون المراد به الرسول البشري وهو محمد صلى الله عليه وسلم "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته" ثلاث هدايا للرسول صلى الله عليه وسلم وهي لنا دعونا له بالسلام وبالرحمة وبالبركة ، فالسلام يزول به المهرسوب ، والرحمة يحصل بها المطلوب ، والبركة ينتشر بها المطلوب والخير تدعوا للرسول صلى الله عليه وسلم بالرحمة وبالبركة ، والبركة تشمل البركة عليه وعلى آتاره وسنته وهذا هو الواقع ، فإن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم أبرك الرسالات وأعمها وأشملها ملايين الملايين من البشر كلهم قد انتفعوا بها وبركاتها كثيرة معروفة لمن تتبع التاريخ "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين" جاء حقنا نحن فحق الله مقدم على حق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحق الرسول مقدم على حقنا ثم حقنا بعد ذلك ، إذا فحق رسول الله علينا أعظم من حق أنفسنا علينا وحق الله فوق ذلك ، وانظر حسن هذا التعليم لما جاء الدعاء العام غير الخاص بالرسول صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نبدأ بأنفسنا "علينا وعلى عباد الله الصالحين" وهنا قال علينا بالجمع ومقام الدعاء مقام ذل وخضوع (ونا) تدل على التعظيم فكيف جاءت بصيغة التعظيم؟ نقول: لأن المراد بها علينا معشر أمة محمد بقرينة قوله السلام عليك أيها النبي وهو مرسل للأمة فيكون معنى السلام علينا معشر هذه الأمة المتبعة للنبي صلى الله عليه وسلم فضمير الجمع هنا ليس للتعظيم ولكنه يراد به حقيقة الجمع وقيل المراد السلام علينا معشر المصلين وهذا يصح إذا كنا في جماعة وعلى هذا فإن المعنى الأول أصح "وعلى عباد الله الصالحين" المراد بالعبودية هنا عبودية الذل والخضوع الشرعي لأن عبوديتنا لله عز وجل تنقسم إلى قسمين:-

القسم الأول:- عبودية تتضمن الخضوع والذل الكوني وهذه عامة للإنسان والحيوان وكل شيء حتى الكافر عبد الله ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا أَتَى الرَّحْمَنَ عَبْدًا﴾.

القسم الثاني:- عبودية ذل وخضوع شرعي وهذه خاصة بالمؤمنين ولهذا قيدت العبودية هنا بقوله: "وعلى عباد الله الصالحين" والصالح هو الذي صلح أمره ولم يعتزه فساد بأن كان عمله خالصا لله متبعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتضمن هذا أن يقوم هذا العبد بحق الله وحق عباده ، ولهذا فسر بعضهم "الصالحين" بأنهم الذين قاموا بحق الله وحق عباده ، عباد الله الصالحين مفرد أم جمع؟ جمع مضاف بفيد العموم والذي وضع لنا هذه القاعدة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه قال فيإنكم إذا قلتم ذلك سلمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض ، إذا فللعموم صيغة قوله:- "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله" الشهادة تكون بالرؤية الحسية يعني بما يدرك بالحواس تقول أشهد على فلان أنه فعل كذا

وهنا المراد بالشهادة اليقين التام وقوله "أن لا إله إلا الله" إله بمعنى مألوه ، أى أشهد أن لا معبود إلا الله ومعلوم أننا لو أخذنا بهذا الظاهر لأدى ذلك إلى الكفر كيف ذلك؟ لأن فيه أصناما تعبد وتسمى آلهة فإذا قلنا لا إله إلا الله صار كل ما يعبد فهو الله ولهذا يتعين أن نقول إن خير لا النافية محذوف تقديره لا إله حق إلا الله فإذا كان الخير هكذا تقديره زال الإشكال لأن الألهة التي تعبد من دون الله باطل كما قال تعالى:- ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل﴾ رأينا من قدرها من العلماء بقوله لا إله موجود إلا الله وهذا التقدير خطأ والصواب ما ذكرنا لا إله حق إلا الله فإذا قال قائل لماذا لم تجعلوا لفظ الجلالة الله هو خير لا لأن الأصل عدم التقدير قلنا هذا لا يصح لفظا ولا معنى أما كونه لا يصح لفظا فلأن لا النافية لا تعمل إلا في النكرات قال ابن مالك عمل إن يجعل للا في نكرة ولو قلنا أن لفظ الجلالة هو الخير لأعملناها في المعارف وهذا لا يصح ، الوجه الثاني المعنوي أننا إذا قلنا لا إله إلا الله ورد علينا الإشكال الذي ذكرناه أولا وهو أن تكون الأصنام المعبودة التي تدعى آلهة أن تكون هي الله وهذا لا يستقيم "وأشهد أن محمدا عبده ورسوله" كلمة محمدا هنا علم على محمد ابن عبد الله الهاشمي القرشي ، عبد الله ورسوله وهذه العبودية أحص العبوديات يعني عبودية شرعية خاصة بمحمد عليه الصلاة والسلام أبو بكر عبد الله ، لكن ليست عبودية أبي بكر كعبودية رسول الله صلى الله عليه وسلم عبودية الأنبياء هي عبودية خاصة هي أحص العبوديات "ورسوله" رسول رب العالمين أى مرسله ، رسوله بمعنى مرسله إلى الثقلين الإنس والجن فإذا قال قائل: ما هو دليلك على ما شهدت به ، أنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله؟ قلنا أما الأول فدليلي على ذلك الفطرة والقرآن ، أما القرآن فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وألوا العلم﴾ أما الفطرة: فالإنسان الذى لا يبيض له شيطان ولا بيئة فاسدة يشهد بفطرته أنه لا إله إلا الله لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة" ، وأما دليلي على أن محمدا رسول الله فقله تعالى: ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك﴾ ﴿محمدا رسول الله﴾ ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ وأما كونه عبدا فقد قال الله تعالى:- ﴿تبارك الذى نزل الفرقان على عبده﴾ ﴿وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا﴾ إذا نحن نشهد هذه الشهادة أنه لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله بما دل عليه الكتاب والسنة ، والشاهد من هذا الحديث قوله: "إن الله هو السلام" فيكون مطابقا للآية الكريمة ﴿السلام المؤمن﴾

باب قول الله تعالى: ﴿مملك الناس﴾

فيه ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم

حدثنا أحمد بن صالح حدثنا بن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب عن سعيد - هو ابن المسيب - "عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك ، أين ملوك الأرض؟" وقال شعيب والزبيدي واسحاق ابن يحيى عن الزهري عن أبي سلمة

في هذه الترجمة إثبات الملك ، اسماً من أسماء الله وقد ورد على ثلاثة أوجه فيما أعلم مضافاً إلى الناس مضافاً إلى الدين ، مطلق ، فالمطلق مثل قوله تعالى: ﴿الملك القدوس﴾ والمضاف إلى يوم الدين ﴿ملك يوم الدين﴾ على إحدى القرائتين ، والمضاف إلى الناس ﴿ملك الناس﴾ وبهذا نعرف أن الملكية المطلقة في الدنيا والآخرة لله عز وجل ، فملك الناس هو ملكهم في الدنيا والآخرة ، وملك يوم الدين هو الملك الذي تظهر ملكيته أو ملكوته في يوم الدين حين لا يوجد ملك في ذلك الوقت ولهذا يقول الله عز وجل ﴿لن الملك اليوم﴾ فيجيب نفسه ﴿الله الواحد القهار﴾ والملك والمالك إذا اجتماعاً فإنه يظهر منهما كمال باجتماعهما ، زائد عن الكمال الذي يكون بإتفراد أحدهما لأن في قوله ملك تمام السلطة والسلطان والسيطرة ، وفي قوله مالك تمام التصرف والتدبير ، ولنضرب لذلك مثلاً في المخلوق ، يكون الإنسان مالكا ولا يكون ملكا ، ويكون ملكا ولا يكون مالكا ، فإذا اجتمع ملك ومالك صار بذلك تمام السلطة والسيطرة ، وتمام التصرف والتدبير ، ولهذا جاءت القراءتان تبين هذا المعنى ﴿ملك يوم الدين﴾ و﴿مالك يوم الدين﴾ ، وكلا الوصفين من خصائص رب العالمين عز وجل وهو متصف بهما حقيقة ، وهو مالك لا أحد يتصرف في ملكه إلا بما شاء ، ولا أحد يشفع عنده إلا بإذنه ؛ ملوك الدنيا مهما بلغوا من القوة والسيطرة يُشفع عندهم بلا إذن ، لكن الرب عز وجل لقوة سلطانه لا يشفع أحد ولو كان أقرب الناس إليه عبادة وخضوعاً إلا بإذنه ، فإلبي عليه الصلاة والسلام لا يشفع إلا بإذن الله وهو أقرب الناس إلى الله وأتمهم عبودية ، وهو سبحانه أيضاً مالك له تمام التصرف والتدبير ﴿إنما أمره إذا شئنا أن يقول له كن فيكون﴾ ولا أحد يضاد الله في تدبيره أبداً حتى أكفر الكافرين ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن ولكن لا تبصرون﴾ ﴿فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين﴾ هل يمكن لأحد سلطة في العالم أن يرجعها أى الروح إذا بلغت الحلقوم؟ لا يمكن ، إذا تمام السلطة والتدبير لله عز وجل ، فهو إذا تام الملك وتام التدبير والتصرف ، وهنا قال ملك الناس ولم يقل ملك يوم الدين لأن لكل مقام مقالا ، فالسورتان الفلق والناس نزلتا لنشرة النبي صلى الله عليه وسلم من السحر ، ومن الذي سحره؟ واحد من الناس ، فكانت المناسبة أن يقال: ﴿ملك الناس﴾ الذي بيده السلطة والسيطرة على الناس ومنهم الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا كرر ﴿ملك الناس إله الناس﴾ لهذا فهو الملك وهو الإله المألوه للناس سبحانه وتعالى ، فلكل مقام مقال وهذا من بلاغة القرآن ، والنبي عليه الصلاة والسلام سحر ورقي بهاتين السورتين ، وما تعوذ متعوذ بمثلهما ولا أحسن منهما لرفع السحر لكن بشرط أن يكون هناك صدق من قارئهما ، وقابلهما (المقروء عليه) فإن كان في القارئ شك أو المقروء عليه شك فإن ذلك لا ينفع ، لكن إذا كان هناك قوة ويقين فإنه باذن الله ينفع ولا أنفع منه ، وهذا شئ مجرب لمن وفق للإيمان واليقين وصار اغل قابلا وهو المقروء عليه ، أما إذا كان الغل غير قابل فلا ينفع ، ولهذا لو جاء رجل قوى شجاع ومعه سيف بثار وأتى على حديد صلب ونادى بأعلى صوت أنا أبو فلان ثم قام وضرب السيف على هذا الحديد الصلب ينقطع أو لا ينقطع؟ ينقطع السيف ، لماذا؟ لأن الغل غير قابل فلا يتأثر به ، مع أن الرجل شجاع والسيف بثار ولكن لا ينقطع لأن الغل غير قابل ، لكن لو جاء هذا الشجاع بسيف بثار على رقبة مجرم مستحق للقتل ثم ضربه بعد

٣٢
أن إنفعل ، وستكون الضربة حيثذ قوية ، هل يتأثر وتنقطع رقبته؟ لا شك ؟ لماذا؟ لأن الحل قابل ، إذا في هذه الآية إثبات الملك لله وأنه عام .

ثم ذكر حديث أبو هريرة قال: "يقبض الله الأرض يوم القيامة" الأرض كلها يقبضها الله يوم القيامة ، وشاهد هذا في القرآن قوله: ﴿والأرض جميعا قبضته يوم القيامة﴾ ، ويطوى السماء يمينه لقوله تعالى: ﴿والسماوات مطويات بيمينه﴾ وهذا الطي حقيقي ، ليس المراد قوة السيطرة على السماء أو قوة السيطرة على الأرض ، وقبض حقيقي للأرض وطي حقيقي للسماء ، والسماء جعلها الله طيا لا قبضا ، لأن السماء أوسع من الأرض وأشد وأعظم وطيبها أبلغ في القدرة ، وقد شبه الله هذا الطي بقوله: ﴿كطى السجل للكتب﴾ ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض؟ هل أحد منهم يرفع أصبعه؟ أبدا ما في ملك يوم القيامة ، الناس سواء ، أصغر الخدم وأكبر الملوك على حد سواء كلهم حفاة كلهم عراة كلهم غرل ، ما فيهم ملك ، الملك لله عز وجل .

الدرس السادس

قال البخاري رحمه الله:-

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يقبض الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض؟" .

قوله: "يقبض الله الأرض يوم القيامة" وهذا القبض قبض حقيقي يقبضها عز وجل بيده ويطوي السماء بيمينه أى بيده اليمنى وهذا يدل على أن الله سبحانه وتعالى يدين إثنين وقد دل على ثبوت اليدين لله عز وجل في الكتاب والسنة وإجماع السلف ففي كتاب الله عز وجل قال الله تعالى لإبليس ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ فأضاف الخلق إليه وجعله باليدين وهذا يدل على أنه ليس المراد باليد الذات إنما المراد بها اليد الحقيقية وليست الذات وقال الله تبارك وتعالى ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان﴾ وقال الله تبارك وتعالى ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ وقال تعالى ﴿أولم يروا أنا خلقناهم مما عملت أيدينا أنعاما﴾ فهذه آيات كلها تدل على ثبوت اليد لله عز وجل ولكنها يد لا تماثل أيدي المخلوقين لأنها يد عظيمة كما جاء في هذا الحديث أن الله يقبض بها الأرض ويطوي بها السماء وقد جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما "أنه قال ما السموات السبع والأراضين السبع في كف الله إلا كخردلة في كف أحدكم" وهذا يدل على عظمة هذه اليد وأنه لا يمكن أن يتصور الإنسان عظمتها وقدرتها والبحث فيها أى في اليد من وجوه:-

البحث الأول:- هل هي حقيقة أو مجاز عن القدرة أو القوة - مذهب السلف كما هو القاعدة الأصلية أنها حقيقة لأن الأصل فيما وصف الله نفسه أنه حقيقة ولكنها حقيقة منزهة عن التمثيل وعن التكيف أى لا تمثل بأيدي المخلوقين ولا تكيف بحيث يتصور الإنسان لها كيفية وإن لم توافق صفة أيدي المخلوقين المهم أنه لا تكيف ولا تمثيل وأما من قال المراد بها القدرة أو القوة فقوله باطل من عدة أوجه:-

الوجه الأول:- إجماع السلف على خلاف هذا القول فإن قال قائل أين إجماع السلف قلنا إن الصحابة يتلون كتاب الله ويؤمنون به بمقتضى اللغة العربية فإذا لم يرد عنهم نقل في مخالفة مقتضى اللغة العربية علمنا علم اليقين أنهم أجروا النص على ظاهره إذ لا يمكن أن تأتي عن كل صحابي بأنه قال المراد باليد الحقيقية ، لا يمكن لكن إذا كانوا يتلون الكتاب واليد في الكتاب بمقتضى اللسان العربى الذي نزل به القرآن هى اليد الحقيقية ولم يرد عنهم حرف واحد يدل على نقلها إلى المعنى الآخر علمنا أنهم متفقون على ذلك وهذا يجري في اليد وغيرها من الصفات .

الوجه الثانى:- من الرد على القول بأنها القدرة أو القوة أو النعمة أن القدرة أو النعمة أو القوة لا يصح أن تثنى بالنسبة لله عز وجل بالنسبة لله لا يصح أن تثنى فما هما القدرتان وما هما القوتان وما هما النعمتان قوة الله سبحانه وتعالى صفة واحدة لا تتجزأ ولا تتعدد وكذلك قدرته أما نعمته فقد قال الله عنها ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ لا تنحصر بنعمتين .

الوجه الثالث:- أنه لو كان المراد باليد القوة ما صح أن يحتج إبليس بما احتج به حين أمر أن يسجد لآدم وحين قال الله له: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين﴾ قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين﴾ لأنه لو صح أن يكون المراد باليد القدرة أو القوة لقال ياربى وأى فضل له على وقد خلقتني بقدرتك وقوتك ، أليس كذلك نعم هو كذلك حجة لإبليس أن يقول أى مزيه لآدم فإنه خلق بقدرتك وأنا خلقت بقدرتك ولم يذهب يأتي بعله أخرى قد تقبل وقد لا تقبل وهى غير مقبولة .

الوجه الرابع:- أن هذه اليد جاءت على وجوه متعددة جاءت بلفظ الكف وجاءت بذكر الأصابع وجاءت بلفظ اليمين وكلتا يديه يمين فيمتنع مع هذا التنوع فيما جاءت عليه أن يكون المراد بها القوة أو القدرة .

الوجه الخامس:- أن تقول لهم لماذا فررتم عن تفسيرها باليد الحقيقية إذا قالوا لأن اليد جارحة والله منزّه عن الجوارح فإننا نقول فسرّوا لنا الجارحة هذه ، الجارحة لم يرد نفيها ولا إثباتها بالنسبة لله عز وجل فماذا تريدون بالجارحة التي توصلتم بنفيها إلى نفي ما أثبت الله لنفسه أيردون بالجارحة أنه سبحانه وتعالى يكسب بها ويعمل بها ليكسب أم تريدون بالجراح أنه يأخذ بها ويعمل بها إن أرادوا الأول فهو باطل وإن أرادوا الثاني فهو حق ، وكونهم يتوصلون إلى نفي هذا الحق بنفي الجارحة هذا بلا شك أنه من القول على الله بلا علم وإن قالوا ننفي عنه اليد لأننا لو أثبتنا له اليد الحقيقية شبهناه بالمخلوق الذي له يد حقيقية ، نقول أنتم حرّتم المعنى إلى القوة وللمخلوق قوة فوقتم في مثل ما فررتم منه وزدتم أنكم حرّتم النص عن ظاهره فحجيتم جنائين ولم تتخلصوا من التشبيه على قاعدتكم وإن قلتم القدرة قلنا للمخلوق قدرة أيضا ، فقد وقعتم في ما فررتم منه مع التحريف وإن قلتم نعمة ، قلنا للمخلوق نعمة ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك﴾ فوقعتم فيما فررتم منه مع التحريف فأنتم مدركون بكل حال .

البحث الثانى:- اليد وردت في القرآن على ثلاثة أوجه الأفراد والتنبيه والجمع ، وقد يبدو للإنسان أن هذا تناقض ، ولكن لا تناقض في ذلك ، ولا يمكن أن يوجد بين كتاب الله عز وجل تناقض ولا بين ما صحح عن

رسول الله تناقض ولا بين كتاب الله وما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تناقض وما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين العقل الصريح تناقض.

هذه ثلاثة أشياء لا تناقض بينها ، الكتاب والسنة الصحيحة والعقل الصريح ونعني بالعقل الصريح السالم من الشبهات والشبهات ، يعني أنه عقل مبني على العلم فليس عنده شبهة ومبني على حسن القصد وإرادة الحق فليس عنده شهوة ، أي إرادة غير الحق ، إذا كان كذلك فلا تناقض فيما جاء في يد الله بين الأفراد والتثنية والجمع ، نقول أما المفرد فإنه مضاف والمفرد المضاف صالح للواحد والمتعدد ، ألم تر قول الله تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ نعمة مفرد مضاف ، كم يشمل من نعمة؟ ما لا تحصى ، فالمفرد المضاف في اليد لا يناقض التعدد إذا سقط عنا ظن التناقض بالنسبة للأفراد والتثنية والجمع ، فنقول عندنا التثنية والجمع نقول: أما التثنية والجمع فإن قلنا بأن أقل الجمع إثنان كما ذهب إليه بعض النحاة وكما هو موجود في آيات الموارث فإن أقل الجمع فيها إثنان وكذلك في جمع الصلاة ، الجماعة تحصل بإثنين إن قلنا أقل الجمع إثنان فلا إشكال ، لأنه يحمل الجمع على أقله فيكون إثنين فيطابق المثني ولا إشكال في هذا ، وإن قلنا بالمشهور وهو أن أقل الجمع ثلاثة فحيث يكون عندنا عددان إثنان وثلاثة يحتاج إلى الجمع بينهما ، فنقول إن صيغة الجمع لا يراد بها معنى الجمع وإنما يراد بها التعظيم ، موافقة للضمير (ضمير الجمع) وهو (نا) ضمير جمع بالنسبة لإضافتها إلى الله ، لا يمكن أن يكون المراد بها التعدد ، فإذا كانت (نا) الدالة على الجمع للتعظيم كان الأنسب لفظاً ومعنى أن يكون المضاف إليها بصيغة الجمع من أجل التناسب بين المضاف والمضاف إليه ، ونبين لك هذا أنه لو كان تعبير الآية مما عملت يدانا أنعاماً لوجدت هناك تنافراً بين يدي المثني وبين الضمير ، فلذا كان الأفصح لفظاً ومعنى أن تصاغ اليد بصيغة الجمع وبذلك يتبين أنه لا تعارض بين مجيء اليد بصيغة التثنية وصيغة الجمع وصيغة الأفراد.

البحث الثالث:- هذه اليد لا يجوز أن تكون كيد المخلوق ولكن ما ورد من الكتاب أو السنة في وصفها بما توصف به يد المخلوق فإنه لا تمثيل فيه ، فهذه اليد وصفت باليمين كما في الآية ﴿والسماوات مطويات بيمينه﴾ فهل توصف بالشمال كما أن المخلوق له يداً يمين وشمال؟ في هذا خلاف بين العلماء ، منهم من قال إنه يصح أن توصف بالشمال كما جاء ذلك في الصحيح رواه مسلم من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه: "ثم يطوي الأرضين بشماله" وقد ذكره شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب آخر كتاب التوحيد في مسأله: السادسة التصريح بتسميتها بالشمال ، ومنهم من قال لا توصف بالشمال وما جاء في الصحيح فإنه شاذ أو وهم من الراوي ، ودليل ذلك قول النبي عليه الصلاة والسلام: "كلتا يدي يمين" والحقيقة أن هذا اللفظ أو أن هذه الجملة لا تمنع من إثبات الشمال لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "كلتا يدي يمين" لدفع توهم نقص في الشمال لماذا؟ لأنه المعروف في المخلوقات أن الشمال فيها نقص عن اليمين ، فقد يتوهم وأهم أنها أتقص من اليمين فقال "كلتا يدي يمين" أي أنهما لا يختلفان في الكمال ، وينبغي على هذه القاعدة أو المسألة هل توصف بالكف ، وهل له أصابع ، وهل له أنامل؟ الجواب لا يلزم من إثبات اليد أن يكون له كف أو أنامل أو أصابع ، لكن إذا ورد أن الله تعالى كفاً أو أن الله أنامل أو أن الله أصابع

بدلالة مستقلة ، وإذا أثبتنا الأصابع فلا يلزم أن تكون خمسة في كل يد أو أقل أو أكثر؟ لكن الذي بلغنا خمسة أصابع فيما تحدث به النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن مسعود: "أن الله يجعل السموات على إصبع والأرضين على إصبع ٥٥٥" فذكر خمسة ، لكن لا يلزم من ذكر الخمسة أن لا تزيد ، فلذا نقول ثبت من عدد الأصابع ما بلغنا والباقي نسكت عنه؟ هذا مذهب أهل السنة والجماعة ، هذا ما يتعلق بصفة اليد ، والمهم أن نؤمن بأن الله تعالى يدأ حقيقة يأخذ بها ويقبض وأنها لا تماثل أيدي المخلوقين ولا يجوز أن نكيفيةها ، أما نفي التمثيل فلقولته تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ وهذا عام في جميع صفاته ، وأما نفي التكيف فلقولته تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ وقال تعالى: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والأثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ هذه عقيدتنا فيما يتعلق بيد الله عز وجل .

باب قول الله تعالى: - ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾

هذا الباب تضمن إسمين من أسماء الله أولهما العزيز والثاني الحكيم العزيز له اشتقاقات في اللغة العربية مأخوذ من عز أى إمتنع ومن عز أى قل ومن عز أى قوى فقولته تعالى: ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ أى بممتنع وقوله وعزني في الخطاب أى غلبني وقولهم هذه أرض عزاز أى صلبة قال العلماء وعزة الله عز وجل تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

عزة القدر وعزة القهر وعزة الإمتناع عزة القدر أى أن الله عز وجل ذو قدر عزيز لا نظير له ، وعزة القهر هى عزة الغلبة فإنه سبحانه وتعالى الغالب الذي لا يغلبه أحد حتى الجاهليون في جاهليتهم يقول قائلهم:-

أين المفر والإله الطالب والأشرم المغلوب ليس الغالب

يؤمنون بأن الله تعالى ذو العزة الغالب وعزة الإمتناع معناها أنه يمتنع أن يناله نقص في أى شئ من الصفات إمتناع النقص على الله عز وجل هذا معنى عزة الإمتناع وهل العزيز من الأسماء المتعدية أو اللازمة هو في أحد معانيه من المتعدى العزيز . بمعنى الغالب متعدى لأنه غالب وليس بمغلوب أما العزيز عزة القدر وعزة الإمتناع فهذه من الأسماء اللازمة وقد عرفتم كيف الإيمان بالأسماء للمتعدية والأسماء اللازمة أما الحكيم فإنه فاعل . بمعنى فاعل ، أو بمعنى مُفعِل ، فإن كان من الحكمة فهو . بمعنى مفعول وإن كانت من الحكم فهو . بمعنى فاعل وورود فاعل . بمعنى فاعل كثير في اللغة العربية ، رحيم . بمعنى راحم لكن فاعل . بمعنى مفعول قليل قول الشاعر:-

أمن ربحانة الداعي السميع يؤرقني وأصحابي هجوع

الداعي السميع . بمعنى المسمع ولهذا قال يؤرقني وأصحابي هجوع فصح أن فيلًا في اللغة العربية تأتي . بمعنى مفعول أما إتيانها . بمعنى فاعل فكثير الحكيم إذا نقول مشتقة من الحكمة ومشتقة من الحكم ثم نرجع ونقول الحكم أى حكم الله سبحانه وتعالى ينقسم إلى قسمين حكم كوني وحكم شرعي مثال الحكم الشرعي قوله تعالى في سورة المنتحنة:- ﴿ذاالكم حكم الله يحكم بينكم﴾ ومثال الحكم الكوني قوله تعالى: ﴿فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبى أو يحكم الله لي﴾ أى يقدر لى والحكمة تكون في الحكم الكوني والحكم الشرعي فما من حكم كوني إلا وله حكمة وما من حكم شرعي إلا وله حكمة لأن الحكم الشرعي بدون حكمة أو

٣٦ - لا تكوني بدون حكمة سفه ، والله سبحانه وتعالى منزّه عن السفه أو لغو والله تعالى منزّه عن اللغو ولكن هل يلزم من كونه ذا حكمة أن تكون الحكمة معلومة لنا؟ لا ، وما أكثر الأحكام الكونية والأحكام الشرعية التي تخفى علينا حكمتها إما خفاءً نسبياً بأن تخفى على بعض دون بعض أو خفاءً حقيقياً على كل أحد فصار الحكم قسمان كوني وشرعي والحكمة تكون في الكوني وتكون في الشرعي ثم الحكمة تنقسم إلى قسمين:-

حكمة حالية:- بمعنى كون الشيء على هذه الحال حكمة . حكمة غائية:- بأن يكون المقصود من هذا الشيء حكمة بالغة وثمرات جليلة وعلى هذا فيكون الحكم الكوني فيه الحكمة بوجهيها والحكم الشرعي فيه الحكمة بوجهيها فالحكم الكوني الذي يحكم الله به على العباد له حكمة في كونه على هذا الوجه الذي قدره وحكمة في في كونه له غاية حميدة فالجذب والقحط وقلة المياه والحر الشديد المهلك للثمار والبرد هذا فساد لكن إيقاعه في الحال التي يقع فيها حكمة قال الله تعالى: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا﴾ إذاً هذا الفساد الذي سببه ما كسبت أيدينا له غاية حميدة ما هي؟ ﴿لعلهم يرجعون﴾ إذاً فكل ما قضى الله عز وجل على العباد من عمن ومصائب وقتال وغيرها فإن غايته حميدة حتى لو كان فيه إهلاك والدمار لأن المصابين بهذا لهم أجرهم عند الله وتكفير للسيئات ورفعة للدرجات وزيادة الحسنات مع الصبر والإحتساب والذين لم يصابوا يتخذون من ذلك عبوة فيرجعون الله عز وجل ثم كون هذا الشيء الذي قدره الله عز وجل على هذا الوجه موافق للحكمة لكن أحياناً نحن ندرك ذلك وأحياناً لا ندرك لأن عقولنا قاصرة كذلك أيضاً بالنسبة للحكم الشرعي له حكمة حالية بمعنى أن شرعه على هذا الوجه المعين له حكمة وله حكمة غائية أن الغاية منه حميدة بحمد الله عليها أنظر في جميع الشرائع تجدونها هكذا فمثلاً الوضوء تطهير الأعضاء الأربعة لا شك أن شرعيته على هذا الوجه حكمة لأن هذه الأعضاء هي أعضاء الكسب الوجه واليدان والرأس والرجلان ثم كونه غسلًا في ثلاثة أعضاء ومسحًا في عضو واحد أيضاً حكمة لو أن الله فرض علينا غسل الرأس كما نلزم بغسل الوجه ماذا يحصل من المشقة ولا عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ثم ألزمتنا بغسل الرأس كما نلزم بغسل الوجه ماذا يحصل من المشقة ولا سيما في أيام الشتاء ولهذا كانت طهارته المسح ، وطهارة الأعضاء الثلاثة الغسل .

إذاً هذا مطابق للحكمة واسحب هذا على جميع الشرائع تحد أن كونها على هذه الحال حكمة ثم الغاية منها حكمة عظيمة ففي الوضوء الغاية منه التطهير المعنوي هذا أهم شيء فإن خطايا هذه الأعضاء تزول مع آخر قطرة من قطرات الماء وهذا التطهير المعنوي هو المهم هل يوجد تطهير حسي؟ نعم ، لأن هذه الأعضاء في الغالب بارزة وإذا كانت بارزة فإنها تتعرض للغبار وتعرض للأوساخ فلماذا أمر بغسلها .

المهم نرجع الآن إلى قاعدة الحكمة ، الحكمة حالية وغائية وفي الشرع وفي القدر فتكون أربعة حكمة حالية في القدر حكمة غائية في القدر حكمة حالية في الشرع وحكمة غائية في الشرع وقد ذكر المؤلف البخاري في هذا الباب ثلاث آيات:- الآية الأولى:- قوله تعالى: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ وسبق الكلام على ذلك ، وفي جمع الله تبارك وتعالى بين العزيز والحكيم زيادة كمال لأن العزيز وهو الغالب قد تحمله عزته على سوء التصرف كما يكون في المخلوقين فقرر الله عز وجل العزة بالحكمة ليتبين أن عزته مبنية على الحكمة

وأنه ليس كما يكون المخلوق من العزة التي قد تحمله على التهور وعدم إحسان التصرف . آية الثانية:- قوله تعالى: ﴿سبحان ربك رب العزة﴾ سبحان يقول أهل اللغة إنها إسم مصدر سبح ، والمصدر تسبيح ويقولون أيضاً إنها ملازمة للنصب علي المفعولية المطلقة ولم تخرج عن ذلك إلا نادرا نادرا ويقولون إنها ملازمة للإضافة إما لإسم ظاهر وإما لإسم مضر ، وربما تفرد قليلا قليلا عن الإضافة فما معنى التسبيح؟

معناه التنزيه وما الذي ينزه الله عنه؟ ينزه عن ماثلة المخلوق وعن النقص والعيب قال النبي صلى الله عليه وسلم عن الدجال أنه أعور وإن ربكم ليس بأعور وقال تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾ ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ والنصوص في هذا كثيرة في نفي العيب عن الله وكذلك في نفي الماثلة وقوله ﴿سبحان ربك﴾ أضاف الربوبية إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنها ربوبية خاصة فإن الله تعالى رباه على أكمل الأخلاق فلذلك نقول أن الربوبية تنقسم إلى عامة وخاصة فالعامة هي الشاملة لجميع الخلق مثل قوله تعالى: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ ﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾ والخاصة هي التي تختص بمن تعبد الله عز وجل وتستلزم النصر والتأييد والزية الخاصة وأخص هذا النوع ما أضيفت إلى الرسل عليهم الصلاة والسلام لأن ربوبية الله لهم هي أخص ربوبية وقوله ﴿رب العزة﴾ معنى رب هنا صاحب العزة وليس معناها خالق وذلك أن العزة صفة من صفات الله وصفات الله تعالى غير مخلوقة فبتعين أن نحمل قوله رب معنى العزة على صاحب العزة وهنا أضاف الرب نفسه عز وجل إلى العزة لأن المقام يقتضيه فإن هؤلاء يصفون الله تعالى بما هو مبرأ منه فيظنون أنهم بذلك غالبون ولكنهم مغلوبون في الحقيقة لأن صاحب العزة على الكمال هو الله عز وجل فهم وإن أمهلوا لكنهم لا يهملون ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾ الشاهد من هذا قوله رب العزة فإنها تطابق العزيز لأن العزيز مأخوذ من العزة .

الآية الثالثة:- قوله تعالى: ﴿و الله العزة والرسوله﴾ هذا في جواب المنافقين لما قالوا لن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل قال الله تعالى: ﴿و الله العزة والرسوله وللمؤمنين﴾ إذا فليس هم أعز من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بل هم أذل فكان في الآية تسليحا لما قالوا أى أنه يخرج الأعز الأذل لكن من الأعز؟ الله ورسوله والمؤمنون ﴿و الله العزة والرسوله وللمؤمنين﴾ وفي تقديم الخير لله العزة دليل على أن العزة المطلقة لا تكون إلا لله وحده أما العزة التي قد تشاب بذل فهذه تكون للمخلوقين حتى للمؤمنين كما قال تعالى: ﴿ولقد نصركم الله ببلدر وأنتم أذلة﴾ أذلة جمع ذليل لكن في النهاية تكون العزة للمؤمنين .

الشاهد من ترجمة هذا الباب قوله ﴿و الله العزة والرسوله وللمؤمنين﴾ وهنا قد يشكل جمع العزة لله والرسول وللمؤمنين بالواو مع أن عزة الرسول وعزة المؤمنين تابعة لعزة الله تعالى ثم إن عزة الرسول والمؤمنين ليست العزة المطلقة الثابتة لله؟ الجواب من وجهين:- الوجه الأول:- أن نقول العزة بالدين من عزة الله عز وجل يعني أن الله لا يعز المؤمنين ولا يعز النبي إلا لإعزاز دينه وهذا كقوله ﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾ . الوجه الثاني:- أن جملة والله العزة جملة مستقلة ، ولرسوله هذه عطف جملة على جملة يعني ممكن أن يكون التقدير ولرسوله العزة أو ولرسوله عزة .

وقوله رحمه الله:- ومن حلف بعزة الله وصفاته

يعني وباب من حلف بعزة الله يعني هل تخلف بعزة الله وبصفاته؟ الجواب نعم بلليل ما ذكره البخاري رحمه الله تخلف بعزة الله نقول وعزة الله لأغلبن عدوي إن شاء الله قال البخاري وصفاته بقية الصفات أى صفة من صفات الله فإنه يجوز أن تخلف بها فتقول وقدرة الله لأحملن هذا الحجر أو تقول وسلطان الله لأستحوذن على أهل بيتي المهم أن الخلف بصفات الله جائز ومن ذلك الخلف بالقرآن جائز لأن القرآن صفة من صفات الله ، وأما الخلف بالمصحف فيه تفصيل أن أراد المصحف الذي هو الأوراق والجلد والمداد فإن هذا لا يجوز لأن هذا مخلوق وإن أراد بالمصحف القرآن فهذا جائز ، والخلف بآيات الله فيه تفصيل إن أراد بآيات الله الآيات الكونية فإنه لا يجوز وإن أراد بآيات الله الآيات الشرعية أى الوحي فهذا جائز والذين يخلفون الآن من عامة الناس الظاهر أنهم يريدون الآيات الشرعية لو سألت أى عامى هل أنت تريد بقولك وآيات الله أو أحلف بآيات الله الشمس والقمر؟ لقال: لا أنا أريد القرآن فيكون بذلك حالفا بصفة من صفات الله.

قال رحمه الله: -وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم "تقول جهنم قط قط وعزتك"

قط بمعنى حسب وفيها لغات قط قط مبنية على السكون وقط قط مبنية على الكسر محركة منونة تقول جهنم قط قط إذا وضع الرب عز وجل عليها قدمه إنزوى بعضها على بعض وقالت قط قط لأنه لا تزال يلقى فيها وهى تقول هل من مزيد حتى يضع الرب عز وجل عليها قدمه وتقول قط قط لكن هذا اللفظ الذى علقه المؤلف "قط قط وعزتك" هذا قسم أقسمت النار بعزة الله وحكاه النبي عليه السلام عنها مقررأ له .

وقال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم " يبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولا الجنة فيقول: رب اصرف وجهي عن النار ، لا وعزتك لا أسألك غيرها"

الشاهد قوله "لا وعزتك" فأقسم بعزة الله وحكاه النبي صلى الله عليه وسلم مقررأ له ، قوله "لا وعزتك" لا ليست للنفى لأنها لو كانت للنفى لكان نفيا لليمين لكنها للتأكيد والتثنية ونظيرها قوله تعالى ﴿لَا أَقْسَمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ ﴿لَا أَقْسَمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿لَا أَقْسَمُ بِمَا تَبْصُرُونَ﴾ ليست لا نافية هنا ولكنها للتثنية والتأكيد .

قال رحمه الله: - قال أبو سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "قال الله عز وجل ، لك ذلك وعشرة أمثالها" قال أبو أيوب وعزتك لا غنى لي عن بركتك .

الشاهد قوله "وعزتك" فأقسم أيوب بعزة الله فدل ذلك على جواز القسم بصفة من صفات الله عز وجل أى صفة من صفات الله ولكن يحسن أن تكون الصفة التي تقسم بها مناسبة للمقسم عليه فإذا كنت تريد أن تقسم على غلبة ما فالذي يناسب وعزتك ولهذا قال الشيطان لما أراد أن يخبر الله عز وجل بأنه سوف يغوى العباد ، وإغواء العباد يحتاج إلى قوة وإلى سلطة ﴿قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾ فأقسم الشيطان بعزة الله لأنها تناسب المقام والتناسب بين المقسم والمقسم عليه هو طريقة القرآن ولهذا لا تجدد قسماً في القرآن إلا وبين القسم والمقسم عليه مناسبة ولكنها قد تكون خفية لا يعلمها كل أحد وقد تكون قريية معروفة لكل أحد .

حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا حسين المعلم حدثني عبد الله بن بريدة عن يحيى ابن يعمر "عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت والانس والجن يموتون"

حدثنا ابن أبي الأسود حدثنا حرمي حدثنا شعبة عن قتادة "عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقي في النار . وقال لي خليفة حدثنا يزيد ابن زريع حدثنا سعيد عن قتادة "عن أنس . وعن معتمر سمعت أبي عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يزال يلقي فيها وتقول: هل من مزيد حتى يضع فيها رب العلمين قدمه فينزوي بعضها إلى بعض ثم تقول: قد قد ، بعزتك وكرمك . ولا تزال الجنة تفضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة"

الله أكبر هذا الحديث "لا يزال يلقي فيها" أى في جهنم وهى تقول "هل من مزيد" هل استفهام ، "من مزيد" مبتدأ فيه من الزائدة لفظا الزائدة معنا ، وهذا الإستفهام هل هو للطلب أو للنفى؟ فى هذا قولان للعلماء منهم من قال إنه للنفى وأن المعنى لا مزيد على ما عندي ، يعنى أنها قد إمتلأت ، وهذا القول الثاني هو المتعين لأن الحديث يدل عليه فإن قوله: "حتى يضع فيها رب العالمين قدمه فينزوي بعضها إلى بعض" سئلت "هل امتلئت" قالت هل من مزيد أى زيدوا على "فيضع فيها رب العالمين قدمه فينزوي بعضها إلى بعض" يدل على أنها تطلب المزيد لأن الله تعالى قد وعدا ، وهو أصدق الواعدين وأوفاهم وعدا بأن يملأها فإذا سئلت هل امتلئت قالت هل من مزيد يعنى أعطوني زيدوا على ، فيضع فيها رب العالمين قدمه بأن يملأها فإذا سئلت هل امتلئت قالت هل من مزيد يعنى أعطوني زيدوا على ، فيضع فيها رب العالمين قدمه فينزوي بعضها إلى بعض ثم تقول "قد قد" وفي رواية قط قط وهما لغتان معروفتان في هذه الكلمة معناها حسب يعنى يكفى "بعزتك وكرمك" تتوسل إلى الله بعزته وكرمه أن لا يضع عليها قدمه أكثر مما وضع لأنه ينزوي بعضها إلى بعض تنضم ، وضع ربنا عز وجل قدمه عليها ليس بالأمر الهين فينزوي بعضها إلى بعض وتضيق حتى تقول بعزتك وكرمك ، فتوسلت بالعزة التي بها القهر والكرم الذي به الفضل أن لا يضع قدمه عليها . الشاهد من هذا الحديث قول النار "بعزتك" وحدث به النبي صلى الله عليه وسلم مقرر له ، وفيه أيضا شاهد آخر لصفة من صفات الله الخيرية وهى "القدم" وفي رواية "رجله" فعند أهل السنة والجماعة على القاعدة المعروفة المشهورة أن نجعل الرجل والقدم حقيقة تليق بالله عز وجل ، والدليل على هذا أنه ينزوي بعضها إلى بعض من شدة ما وضع عليها وعظمته وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ولكن هل هذه الرجل تماثل أرجل المخلوقين؟ لا ، لقوله تعالى ﴿ليس كمثل شيء وهو السميع البصير﴾ والعقل يدل أيضا على أنه لا تماثل إذ لا تماثل بين الخالق والمخلوق فكما أن الله لا مثيل له في ذاته فلا مثيل له في صفاته ولهذا قال أهل العلم الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات فكما أن الذات ليس لها مثيل فالصفات كذلك ليس لها مثيل ، لو سألنا هل لها أصابع؟ نقول للسائل أنت مبتدع لماذا؟ لأن من هو أفضل منك وأعلم منك وأخشع منك وأخشى منك وأتقى منك وأحب منك للعلم وأشد تعظيما لله لم يسألوا الرسول عليه الصلاة

والسلام وهو الذي يأتيه الوحي هل لرجله أصابع أم لا؟ وأنت لما سألت أحباً لله أحباً لمعرفة صفات الله أطمعنا في زيادة الدرجات وتكفير السيئات أم ماذا؟ إن قلت نعم قلنا لست أولى بهذا من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وإن قلت تعتنا وتعمقا وتنطعنا قلنا هلك المنتطعون هلك المنتطعون هلك المنتطعون أسكت عن هذا يسعك ما وسع الناس السلف الصالح وبهذا نستريح يا إخواني من إيرادات كثيرة توردها الشياطين على قلوبنا أو يوردها بعضنا على بعض أى كيفية أى صفة تسأل عنه وهو لم يرد في الكتاب ولا السنة ولا الصحابة فأعرض عنه وجوباً لا تورده على نفسك ولا تورده على غيرك حتى تسلك سبيل السلف وحتى تستريح وتسلم لماذا قال الإمام مالك رحمه الله ومن قبله شيخه ربيعة لماذا قالوا السؤال عنه بدعة يعنى إنتهى عن هذا والحقيقة أن الذي ضر أهل الكلام هو هذا التنطع وهذا التعمق لأنهم لو أخذوا الدين على ظاهوه وعلى طلاوته وعلى حلاوته وعلى سهولته ويسره ما تولدت عندهم هذه الإستفهامات وهذه التقديرات إذا أى واحد يسألنا هل للقدم أصابع نقول هذا بدعة كف لسانك ما سألته من هو خير منك على من هو خير مني ولو كان العلم بهذا من الدين لم يهمله الله عز وجل وليبني في كتابه أو في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ابتداءً أو جواباً على سؤال أو إقراراً من قائل الدين لا يمكن أن ينقص أبداً ولهذا إذا لم يتكلم الرسول صلى الله عليه وسلم بشئ قدر الله أو يسر الله أعرابيا يأتي من البادية من أجل أن يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا كان الصحابة يفرحون إذا أتى أعرابيا من البادية ليسأل الرسول صلى الله عليه وسلم إذا فما بالنا نتكلم ، ألا يسعنا ما وسع الأولين بلى والله هم أتقى منا لله وأعلم منا بالله وأشد منا أدباً مع الله ألم تعلم أنك إذا سألت أن الله أصابع في الرجل ألم تعلم أن الله يسمعك؟ بلى لو أن ملكاً من ملوك الدنيا عليه مشلح مغطي كل قدمه هل يليق بك أن تتقدم بين يديه وتقول أيها الملك هل لك أصابع في الرجل؟ أبداً ما تسأل ترى أن هذا خلاف الأدب وأنت مع الله لا تتأدب فلماذا أنا أنصح نفسي وإياكم في هذه المسائل ألا تقدروا شيئاً تعلموا أن الله فوق ما تتصورون وفوق ما يدركه العقل إذا كانت الأبصار وهى إدراك حسي وما يدرك البصر مدرك حسي لا تدركوا الله فكذلك العقول بل قال الله تعالى ﴿وَلَا يَحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ فلماذا تقدر أنا أن تعجب كيف أن يورد على شاب أو طالب علم يقول كيف ينزل الله إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر وثلث الليل الآخر في كل الدنيا هل هذا أدب هل تريد أن تكذب الرسول هل تريد أن تنف عن الله هذه الصفة هل تريد أن تجعل هذه الصفة في كل وقت والله حددها في ثلث الليل كل هذا يا إخواني لا يرد والله ما يورده إلا إنسان جاهل أو ضعيف الإيمان هذه أمور ما للعقل مدخل إطلاقاً ولم يضر إخواني هذا الضرر العظيم حتى نفوا صفات الله أو أكثرها إلا هذه التقديرات قالوا هذا غير معقول هذا لا يتكلمون هذا الضرر العظيم حتى نفوا صفات الله أو أكثرها إلا هذه التقديرات قالوا هذا غير معقول هذا لا يدركه العقل ولذلك قالوا أشطب عليها ما يمكن ومن ذلك ما نحن فيه الآن القدم ، القدم قال المتكلمون لا يمكن أن يكون لله قدم هو مسماه بعض ما لأجسامنا ولكن نتأدب مع الله عز وجل نقول قدمه حقيقة صفة من صفاته الخيرية التي لا مدخل للعقل فيها وليست معنوية حتى يدركها العقل إجمالاً فهى مجرد خير آمنأ بها مجرد الخير ، هم يقولون لا يمكن لله قدم مسحيل ، والقائل بأن لله قدم مجسم كافر ، ولذلك يطلقون على أهل السنة المشبهة ومن شبه الله بخلقه فهو كافر والرسول صلى الله عليه وسلم قال "يضع رب العالمين قدمه

فـيـنزوي بعضها إلى بعض" وهو يتكلم بلسان عربي مبين ويخاطب أفصح العرب في زمانهم وبعد زمانهم الصحابة الذين علموا اللغة العربية شرعاً ووضعاً ومع ذلك لم ينكر أحد منهم هذه الكلمة ولم يحرفها عن معناها بل قالوا سمعنا وأطعنا وصدقنا وأما المتكلم لما كانوا ينكرون هذا بعقولهم الفاسدة وبعدهم عن حقيقة الإسلام الكامل لله وهو تصديق الخير وإن استبعده العقل وإمثال الأمر وإن جهل حكمته العقل هذا هو الإسلام الحقيقي هم قالوا قدمه يعني مقدمه من الخلق يعني الذين قدمهم للنار إذاً حتى يضع رب العالمين قدمه يعني حتى يضيف إليها أناس آخرين فينزوي بعضها إلى بعض وهذا تحريف إذا ضُم إليها آخرون لم ينزوي بعضها إلى بعض بل الناس يتراكم بعضهم فوق بعض لكن النار تبقى على ما هي عليه وهل النار تنضم إذا أدخل فيها أم تتوسع؟ تتوسع ليتضابقون من فيها ، ثم ما الذي جعلنا نقدر هذا التقدير؟ هؤلاء إن كانوا من أهل النار لم يحتاج أن يقال للنار أنت إمتلئت أم لا؟ إذا كانوا من أهل النار فهم من أهلها إمتلئت أو ما إمتلئت وإن ام يكونوا من أهل النار فإنهم لا يستحقون دخول النار من أجل ملئ النار ، قلنا في لفظ آخر للحديث "رجله" يضع رب العزة فيها رجله قالوا لله رجل؟ هذا تجسيم وكفر إذاً ما معنى الرجل قالوا الرجل الطائفة لأنه في الحديث أن أيوب عليه السلام أرسل الله إليه رجل جراد أى طائفة من الجراد والناس إذا سألوا الجراد كثير في المكان قالوا لا والله رجل يعني طائفة قليلة فمعنى "رجله" أى طائفته ثم من هى هذه الطائفة التي تستحق أن تضاف إلى الله إضافة خاصة لأن الخبيث لا يضاف إلى الله إضافة خاصة أنا أقول خلق الله العالمين كلهم لكن لا يليق أدباً أن أقول أن الله خلق الكلب إلا في مقابلة من ينفي أن الله خلق الكلب ، أما أن تضيف خلق الله إلى شئ خبيث فهذا ممنوع لا يليق وإن كان داخل في العموم يعني هناك فرق بين العموم وبين الخصوص حتى عند العامة الآن لو قلت مثلاً للملك أنت تأكل الطعام يعني كل ما أكل يدخل في هذا لكن لو تقول أنت تأكل القرص المحترق هذا سوء أدب يمكن أن يقول إذهبوا به إلى السجن ففرق بين التعيين والعموم وقد أشار إلى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية بالنسبة للخلق .

إذاً ما قولنا في قوله صلى الله عليه وسلم "حتى يضع فيها رب العالمين قدمه" نقول هى قدم حقيقية تليق بالله ولا تتجاوز سوى ذلك لا نقول أصابع أو ليس له أصابع وما أشبه ذلك ، لا نتكلم فيها ، نقتصر على ما سمعنا ولا نتعرض لها .

أما بقية الحديث ففيه بيان أن الله سبحانه وتعالى كما ذكر عن نفسه في الحديث القدسي رحمته سبقت غضبه يبقى في الجنة فضل عمن دخلها والذي دخلها من بني آدم واحداً ألف لكن له ملك طويل عريض مسيرة ألفى عام ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أذناه إلا أن هذه الجنة عرضها السموات والأرض ومن يدرك عرض السموات والأرض؟ لا يدركه إلا الله ، يدخلها أهلها ويبقى فيها فضل وقد وعدها الله عز وجل أن يملأها وهو أوفى من وعد (من أوفى بعهده من الله) فيبقى فيها فضل يقول "حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة" في ذلك الوقت يخلق الله أقواماً جددًا ويدخلهم الجنة بلا عمل بل بفضله ورحمته وأهل النار في النار لا يخرج ممن يستحق الخلود في النار حتى يسكنه بقية الجنة النار غُلقت على أهلها ولا

يقول للجنة يقرب بعضكم من بعض حتى تمتلئ بمن فيها بل ينشئ الله لها أقواماً يملؤها وهذا مصداق قوله إن رحمتي سبقت غضبي ولولا حلم الله ما بقي على ظهر البسيطة أحد .

باب قول الله تعالى: ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق﴾

الباء للملابسة والغاية يعني خلقها حقاً لم يخافها أحد سواه وخلقها بالحق الغاية منها الحق كما قال تعالى ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ وخلق بمعنى أوجد من عدم فالسموات كانت عدم والأرضون كانت عدم وخلقها الله عز وجل وبين لنا سبحانه وتعالى أنه خلقها في ستة أيام بين ذلك إجمالاً، وبين ذلك تفصيلاً ، وهذا من حسن التعليم ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت﴾ لماذا؟ لأن الإجمال يوجب قرار هذا الشيء في النفس ثم تشوف النفس إلى التفصيل فيرد عليها التفصيل وهي متهيأة لقبول ما يجب عليها هذه الأيام الستة فصلها الله عز وجل ولهذا سميت فصلت فصلت قال تعالى ﴿قل إنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين﴾ هذه يومين ، ﴿وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها﴾ هذه ثلاثة أمور ﴿في أربعة أيام﴾ مع اليومين السابقين يعني بمعنى اليومان السابقان ، واليومان في الأمور الثلاثة ولذلك قال ﴿سواء للسائلين﴾ سواء يعني لا تزيد ، هذه أربعة أيام خلق الأرض في يومين جعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في يومين فالجميع أربعة أيام .

ولا بأس أن نستطرد على هذه الآية لأنها مهمة قال: ﴿جعل فيها رواسي من فوقها﴾ ولم يقل في وسطها أو من تحتها لأن هذه الرواسي التي جعلت من فوق لها مصلحة عظيمة أن كانت فوق الأرض لأنه أضبط للتوازن ولما يحصل من هذه الجبال العظيمة من كهوفها ومغاراتها وغير ذلك من المصالح العظيمة الشعاب العظيمة التي تملئ الرياض من أين تأتي؟ من الجبال لأن الأراضي المنبسطة ما تأتي منها الأودية ولذلك تجد الأودية في الأماكن التي فيها الجبال الشاخعة تجدها أقوى إندفاعاً وأعظم ، كذلك أيضاً هذه الجبال العظيمة من فوق الأرض تصد الرياح العظيمة العاتية التي تأتي من هنا وهناك يعرفها أهل الجغرافيا حيث قال: ﴿وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها﴾ أنزل الله فيها البركة ولهذا هي تحمي بني آدم وأنعامهم وأرزاقهم على كثرة من يولد ويموت في هذه الأرض ، هي مباركة لنا ﴿قدر فيها أقواتها﴾ جعل في كل إقليم قوته الذي يحتاج إليه وجعل هذه الأقوات توجد في إقليم دون إقليم وفي بلد دون بلد ليتبادل الناس التجارة فيما بينهم ولهذا قال ﴿قدر فيها أقواتها﴾ وقبلها قال: ﴿وجعل فيها رواسي﴾ لأن الأقوات مقدرة بحسب الحاجة وبحسب المصلحة التي تقوم بين بني آدم ﴿في أربعة أيام سواء للسائلين﴾ ثم ﴿استوى إلى السماء﴾ بعد أن خلق الأرض وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام استوى إلى السماء وهي دخان أي كالدخان قال بعض العلماء إن هذا هو بخار الماء لأن الأرض والسماء كانت ماءً كما قال تعالى: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾ فقضاهن سبع سموات في يومين ﴿أنظر الحكمة العظيمة السموات ما فصل فيها كما فصل في الأرض ولا مدد خلقها كما مدد خلق الأرض مع أنها أعظم من الأرض أضعافاً مضاعفة لكن ليتبين للناس عناية الله سبحانه وتعالى بما يباشرون من المصالح ،

الناس أين هم في السماء أم في الأرض؟ في الأرض فأنظر عناية الله ﷻ ثم ليتبين لك أن خلق الله للأرض في أربعة أيام والسماء في يومين ليس عجزاً منه في أن يخلق الأرض في لحظة ولذلك خلق السموات وهي أعظم منها في يومين فإذا تمديد الله خلق الأرض إلى أربعة أيام ليس لعجز أو ضعف لكن لحكمة بدليل أنه خلق السماء وهي أعظم منها بمدة أقصر من خلق الأرض ومع ذلك قال لها وللأرض عاتياً طوعاً أو كرهاً هذا يحتل أنه للتهديد أو للتخيير لينظر عز وجل كيف إنقياد السماء والأرض إليه ماذا قالتا؟ أتينا طائعين مع أن السماء والأرض جماد ، والجماد لا يجمع جمع مذكر سالم لأن شروط جمع المذكر السالم كما عرفنا في الألفية إسماء أو صفة لمذكر عاقل فكيف قال: ﴿آتينا طائعين﴾ قال بعض المفسرين قولاً عجيباً قال قالتا أتينا بمن فينا من إنس وجن وملائكة طائعين فغلب العاقل على غير العاقل والصواب خلاف ذلك لأن الناس لم يخلقوا بعد حين خلق السموات والأرض لكن المعنى أنهما لما كانا يُخاطَبانِ ، ويخاطَبانِ صار بمنزلة العاقل فقال ﴿آتينا طائعين﴾ وهذا أمر لا شك فيه .

الخلاصة أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام ذكر ذلك بجملاً وذكر ذلك مفصلاً ولو شاء خلقهما في لحظة كن فيكون قال للقلَم أكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة والقلم جماد ومع ذلك كتب ما هو كائن إلى يوم القيامة لأن أمر الله لا يرد لو قال للسماء والأرض كوناً أرضاً كوناً سماءً كان في لحظة لكن قال العلماء إن الله عز وجل مدد الخلق إلى ستة أيام تعليمًا للعباد إذا فعلوا أن يفعلوا على وجه الجودة والثاني وإتقان الشيء دون التسرع والتعجل هذه من جهة . من جهة أخرى أن الله حكيم الخلق يحتاج إلى تدرج فكانت الحكمة تقتضي أن يخلقهما بالتدرج حتى يصل إلى الكمال كما أن النحلة تبذر ثم تنمو شيئاً فشيئاً حتى تصل إلى الكمال . وأياً قلنا من التعليل هذا أو هذا فما هو إلا تعليل ظني وإلا فله من الحكم والأسرار وراء عقولنا ، بأنه جعل الخلق في ستة أيام دون أن يكون في لحظة يعني لنا أن نقول خلقهما في ستة أيام مع قدرته على خلقهما بلحظة لأمر لا نعلمه ونكون بذلك صادقين ، ونكون بذلك عاجزين أو قادرين؟ عاجزين عن إدراك الحكمة قادرين على الجواب ، نحن نقول الله أعلم فإن استنبطنا الحكمة وكانت هي الموافقة فهذا من لطف الله بنا وفتح علينا وإن لم تكن فنسأل الله أن يعفوا عنا خطانا .

الدرس الثامن

باب قول الله تعالى ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق﴾

حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن ابن جريج عن سليمان عن طاووس "عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو من الليل: اللهم لك الحمد ، أنت رب السموات والأرض ، لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ، لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ، قولك الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاعف عني ما قدمت وما أخرت ، وأسرت وأعلنت ، أنت إلهي لا إله لي غيرك" حدثنا ثابت ابن محمد حدثنا سفيان بهذا وقال "أنت الحق ، وقولك الحق"

ثم ذكر المؤلف رحمه الله حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو من الليل وذلك إذا قام لصلاة الليل يقول "اللهم لك الحمد أنت رب السموات والأرض" فبدأ بحمده ثم قال "أنت رب السموات والأرض" إذا ربوبيته سبحانه وتعالى مبنية على الحمد والحمد هو وصف المحمود بالكمال مع الحب والتعظيم فإن كرر الوصف بالكمال سمي ثناءً والدليل على هذا قوله في الحديث القدسي "إذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي فإذا قال الرحمن الرحيم قال أثنى على عبدي" وقوله: "رب السموات والأرض" سبق أن معنى الربوبية يدور على ثلاثة أشياء: - الخلق ، الملك ، التدبير .

فهو خالقهما ومالكهما والمدير لهما وجمع السموات باعتبار العدد وأفرد الأرض باعتبار الجنس ، السموات سبع بنص القرآن ﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم﴾ الأرض ليس فى القرآن تصريح بأنها سبع لكن فيه ما يدل على ذلك مثل قوله تعالى ﴿الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن﴾ والمائلة هنا لا يمكن أن تتأتى إلا بالعدد إذ أن الكيفية والحجم والعظمة لا تماثل بين السماء والأرض فعين أن يكون المراد مثلهن أى فى العدد والسنة صريحة فى ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم "من إقتطع من الأرض شبراً طوقه الله يوم القيامة من سبع أراضين" "لك الحمد أنت قيم السموات والأرض" أى بك تقوم السماء والأرض وأنت القيوم عليهن فيه سبحانه وتعالى تقوم السماء والأرض ولا غنى للسموات والأرض ولا من فيهما عن الله طرفه عين ، وهو القيم عيها أيضاً فالقيومية هنا إذا تضمنت الإيجاد والإعداد والقيامة على الشئ كقوله تعالى ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ أى يقومون على النساء ويتولون أمورهن ، فالله قيوم السموات أى به قامت السموات والأرض وهو الذى يقوم على السموات والأرض ، ويتولى أمر السموات والأرض ، قال الله تعالى: ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾ هذا أحد المعنيين .

المعنى الثانى: - أنه يقوم عليهما ويتولهما "قيوم السموات الأرض ومن فيهن لك الحمد أنت نور السموات والأرض" أى بك استنارت السموات والأرض ، فلولا أن الله سبحانه وتعالى جعل فى السموات والأرض نورا ، لم يكن فيهما نورا ، أو أنه هو نفسه النور وقال إنه نور السموات والأرض وإن لم يكن فى جوف السماء أو فى جوف الأرض كقوله تعالى ﴿وجعل القمر فيهن نورا﴾ ومن المعلوم أن القمر ليس ينير السموات وإنما ينير الأرض قال "وقولك الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والساعة حق" يمكن أن يقول الإنسان هذه الأشياء الستة ويخبر عنها بكلمة واحدة "حق" ولكن مقام الثناء مقام بسط ولكل مقام مقال "قولك الحق" الحق من أى وجه؟

من وجهين لأن قول الله عز وجل إما أمر وإما خبر فإن كان أمراً ، وإن شئت فقل إما طلب وإما خبر فإن كان طلباً فهو عدل مشتمل على مصالح وإن كان خبراً فهو صدق وعليه قوله تعالى ﴿وقمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً﴾ "وعدك الحق" ولغد سواء كان وعد بمثوبة أو عقوبة فإنه حق ليس فيه كذب ولا بد أن يقع لأن الله لا يخلف الميعاد إلا أن الوعد بالعقوبة إذا لم يكن الإثم شركاً تحت المشيئة لقوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ "ولقاؤك حق" لقاء الله عز وجل حق قال الله تعالى ﴿يأياها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه﴾ لابد أن يخلو ربك بك ليس بينك وبينه ترجمان لابد

٤٥
 "يَسْأَلُكَ وَيَقْرُرُكَ بِذُنُوبِكَ وَيَقُولُ فَعَلْتَ كَذَا فِي يَوْمٍ كَذَا لَكِنْ يَبْنِيكَ وَيُنِيَّةَ ثُمَّ إِذَا أَقَرَّرْتَ وَإِعْتَرَفْتَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى "إِنِّي سَرَّتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ" هَكَذَا يَحْسَابُ اللَّهُ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّهُمْ لَا يَقْرُرُونَ هَذَا التَّقْرِيرَ وَلَكِنْ يَخْزُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَسَادَى عَلَيْهِمْ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ هَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ" وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ أَيْ صَدَقَ وَثَابَتَ وَكَذَلِكَ النَّارُ كِلَاهُمَا حَقٌّ وَهُمَا الْأَنْ مَوْجُودَتَانِ وَهُمَا مَخْلُوقَتَانِ لِلْأَبَدِ مُؤَبَّدَتَانِ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ السَّنَةِ إِلَّا أَنْ هُنَاكَ خِلَافٌ يَسِيرٌ فِي أَبَدِيَةِ النَّارِ وَلَكِنْ الْقَوْلُ بِعَدَمِ أَبَدِيَّتِهَا ضَعِيفٌ لِلْغَايَةِ لِأَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ أَبَدِيَّتَهَا فِي ثَلَاثِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعيراً خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَمَنْ يَعَصِ أَمْرًا﴾ وَرَسُولُهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾ وَهَذَا خَيْرٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ صَدَقَ وَإِذَا كَانُوا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَزِمَ أَنْ يَأْبَدَ الْمَكَانَ الَّذِي خُلِدُوا فِيهِ ، يَقُولُ "وَالسَّاعَةُ حَقٌّ" وَالسَّاعَةُ يَعْنِي سَاعَةَ الْقِيَامَةِ حَقٌّ لَا بَدَّ أَنْ تَقَعَ لِأَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ بِهَا وَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ حَقٌّ "اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ" الْجَرُّ وَالْمَجْرُورُ فِي قَوْلِهِ لَكَ أَسْلَمْتُ مَعْمُولٌ مُقَدَّمٌ لِإِفَادَةِ الْحَصْرِ لَكَ أَسْلَمْتُ أَيْ إِنْقَدْتُ إِتْقِيَادَ تَامَ لَشَرْعِكَ "وَبِكَ آمَنْتُ" وَالْإِيمَانُ مَحَلُّ الْقَلْبِ فَذَكَرَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الدِّينَ الظَّاهِرَ بِالْإِسْلَامِ ، وَالدِّينَ الْبَاطِنَ بِالْإِيمَانِ "وَبِكَ آمَنْتُ" مَعْنَى الْإِيمَانُ بِاللَّهِ الْإِقْرَارُ بِهِ الْمُتَضَمِّنُ لِلْقَبُولِ وَالْإِذْعَانَ هَذَا هُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ فَأَمَّا الْإِقْرَارُ الَّذِي لَا يَتَضَمَّنُ ذَلِكَ فَلَيْسَ بِالْإِيمَانِ بَلْ لَا بَدَّ مِنْ قَبُولِ لِلْخَيْرِ وَإِذْعَانَ لِلطَّلَبِ وَلِهَذَا قَالَ أَهْلُ السَّنَةِ إِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ وَإِعْتِقَادٌ بِالْجَنَانِ "وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ" أَيْ إِعْتَمَدْتُ إِعْتِمَاداً تَاماً مَعْتَرِفاً بِتَقْصِيرِي وَأَفْضُضَ أَمْرِي إِلَيْكَ وَهَذَا الْفَرْقُ هُوَ بَيْنَ التَّوَكُّلِ عَلَى الْإِنْسَانِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ تَوَكُّلِي عَلَى الْإِنْسَانِ لَيْسَ تَوَكُّلِي إِنْتِقَارٌ وَتَفْوِضٌ وَتَوَكُّلِي عَلَى اللَّهِ تَوَكُّلٌ إِنْتِقَارٌ وَتَفْوِضٌ لَوْ وَكَلْتُ شَخْصاً يَشْتَرِي لَكَ حَاجَةً فَقَدْ تَوَكَّلْتُ عَلَيْهِ إِعْتَمَدْتُ عَلَيْهِ فِي شَرَاءِ الْحَاجَةِ لَكِنْ هَلْ هَذَا إِعْتِمَادٌ إِنْتِقَارٌ وَتَفْوِضٌ مَطْلُوعٌ الْجَوَابُ لَا لَوْ شِئْتَ لَعَزَلْتَهُ زِلْخَالَفَ مَا وَكَلْتَهُ فِيهِ لَضَمَّتَهُ كُلَّ تَوَكُّلِكَ عَلَى اللَّهِ تَوَكُّلٌ إِنْتِقَارٌ وَتَفْوِضٌ تَفْوِضُ الْأَمْرِ إِلَيْهِ تَسْنَدُ الْأَمْرِ إِلَيْهِ وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ التَّوَكُّلِ الَّذِي لَا يَصِحُّ إِلَّا لِلَّهِ وَالتَّوَكُّلِ الَّذِي يَصِحُّ لِلْمَخْلُوقِ "وَالَيْكَ أُنَبِّتُ" الْإِنَابَةُ بِمَعْنَى الرَّجُوعِ أَيْ إِلَيْكَ رَجَعْتُ فِي أُمُورِي كُلِّهَا رَجَعْتُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ رَجَعْتُ إِلَيْكَ فِي تَسْمِيَةِ أُمُورِي فِي رِزْقِي فِي كُلِّ شَيْءٍ أُنَبِّتُ إِلَيْكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ "وَبِكَ خَاصَمْتُ" خَاصَمْتُ مَنْ؟ كُلٌّ مِنْ يَخَاصِمُنِي فَيَكُونُ إِنْجَابِي أَخَاصِمٌ بِكَ وَالْبَاءُ هُنَا لَيْسَتْ لِلظَّرْفِيَّةِ وَلَكِنَّهَا لِلِاسْتِعَانَةِ أَيْ إِنَّكَ تَعِينُنِي عَلَى خُصُومَتِي مَعَ مَنْ أَخَاصِمُ وَيُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ الْبَاءُ لِلظَّرْفِيَّةِ وَيَكُونُ الْمَعْنَى فَيَكُ خَاصَمْتُ لِأَنَّ الرَّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَخَاصِمُ فِي اللَّهِ وَيَجَادِلُ فِيهِ كَمَا خُوصِمَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَكُ خَاصَمْتُ لِأَنَّ الَّذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴿فَعَلَى هَذَا نَقُولُ أَنَّ الْبَاءَ يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ لِلظَّرْفِيَّةِ بِمَعْنَى فِي وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ لِلِاسْتِعَانَةِ وَالفَرْقُ بَيْنَ الْمَعْنَيْنِ وَاضِحٌ إِذَا كَانَتِ الْبَاءُ لِلظَّرْفِيَّةِ صَارَ الْمَعْنَى أَنِّي أَخَاصِمُ فَيَكُ إِذَا خَاصَمُنِي يَخَاصِمُ وَجَادِلُنِي يَجَادِلُ فِي ذَلِكَ أَوْ فِي أَسْمَائِكَ وَصِفَاتِكَ جَادِلْتَهُ وَإِذَا كَانَ لِلِاسْتِعَانَةِ فَالْمَعْنَى أَنِّي أَسْتَعِينُ بِكَ فِي خُصُومَتِي لِغَيْرِي وَكَلَا الْمَعْنَيْنِ صَحِيحٌ فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ هَلْ تَأْتِي الْبَاءُ لِلظَّرْفِيَّةِ؟ قَالْنَا نَعَمْ فَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ﴿وَأَنْتُمْ تَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفْلَا تَعْقِلُونَ﴾ أَيْ وَفِي اللَّيْلِ "وَالَيْكَ حَاكَمْتُ" يَعْنِي حَكَوْمَتِي

تنتهي إليك لا أحاكم إلى غيرك فشرعك هو الحكم فأنا أحاكم إليك ولا أتعدى حكمك وهذا تفويض كامل لله كوناً وقدرًا وكل هذه الكلمات والجمل التي تتضمن هذا الثناء العظيم على الله كلها وسيلة لما سيأتي قال "فاغفر لي" فالفاء هنا تسمى فاء الفصيحة ويجوز أن تكون للسببية أي فيسبب ذلك فاغفر لي والمغفرة ستر الذنب والتجاوز عنه وليست الستر فقط ودليل ذلك أنها مشتقة من المغفر وهو ما يلبس على الرأس في أثناء القتال لحماية الرأس من السهام والمغفر يحصل به ستر ووقاية فإذا سألت ربك مغفرة الذنوب فأنت تسأله لأمرين الستر والتجاوز عن عقوبة هذا الذنب "فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وأسرت وأعلنت" ما في قوله ما قدمت موصولة وكذلك في قوله ما أخرت ، وأسرت وأعلنت معطوفة على الصلة والمعطوف على الصلة يقتضي أن يكون معطوفاً على الموصول أيضاً والمعنى أن الرسول صلى الله عليه وسلم سأل الله أن يغفر له ما قدم وأخر وأسر وأعلن وفي هذه الجمل بسط ظاهر لأنه يغني عنها أن يقول إغفر لي ذنبي لأن ذنب مفرد مضاف فيشمل كل الذنوب ما أسر وأعلن وقدم وأخر لكن مقام الدعاء يقتضي البسط لماذا؟ لأمر:
الأمر الأول:- وهو أهمها لمن فتح الله على قلبه التلذذ بمنجاة الله عز وجل لأن كل واحد منا لو كان له صديق محبوب إليه أفلا يحب أن ييسط معه القول ويكثر معه القول بلى لا شك تجده إذا جلس إلى صديقه الذي يحبه وقاما يتحدثان تمضي الساعات الطويلة وكأنها دقائق حتى أن بعض الأصدقاء يشيعروا صديقه إلى بيته يعني يمشي معه إلى البيت يتحدثان ويمشيان رويداً رويداً فإذا وصل إلى بيته إنقلب فشيعة الآخر وهكذا دواليك ربما يطلع الفجر إن كان في الليل وهما على هذا الحال وهذا أمر مشاهد معروف أن الإنسان يحب أن ييسط القول مع من يحب هذه واحدة.

الشيء الثاني أن الدعاء عبادة وكلما كررت إذدت الله تعبدًا فيزداد أجرك بإزيداد جمل الدعاء.

الشيء الثالث:- أن البسط والتفصيل يوجب تذكر الإنسان كل هذه الأنواع التي بسطها وفصلها وبينها واستحضار الإنسان لذنوبه تفصيلاً أكمل في التوبة لأن التوبة المحملة ما تستوعب جميع الذنوب استحضاراً وإن كانت تستوعب جميع الذنوب لفظاً ومدلولاً لكن استحضاراً لا أرايت لو أنك قلت اللهم اغفر لي ذنبي كله وأنت فعلت ذنباً قد تكون أكبر مما تتذكره الآن لكن غابت عن بالك فإذا ذكرت وفصلت كان هذا أبلغ في التوبة لأن الدلالة على تعيين الأفراد أقوى من الدلالة على العموم هذه ثلاث فوائد في البسط.

يستفاد من هذا الحديث:- علو مرتبة النبي صلى الله عليه وسلم في العبادة حيث أثنى على ربه هذا الثناء العظيم بهذا التفصيل العظيم مع أنه صلى الله عليه وسلم مع أنه قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . يستفاد منه أن للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ذنباً لقوله "إغفر لي ما قدمت وما أخرت" وأصرح من ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾ وأصرح من ذلك ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ وبهذا يطل قول من يقول إن استغفار النبي صلى الله عليه وسلم لذنبه استغفار لذنوب أمته وليس استغفار لذنبه تقول سبحانه الله هل أنت أعلم برسول الله من رسول الله؟ لا ليس أعلم ، رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بنفسه وهو يقول اغفر لي ذنبي كله دقه وجله علانيته

وسره وأوله وآخره ثم نقول كيف يستقيم هذا الأمر والله تعالى يقول ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيَتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ الأوصاف هذه لموصوف واحد فهل هذه الأوصاف للأمة ثم كيف يستقيم ذلك والله يقول ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ كيف يستقيم هذا؟ ولكن الفرق بين الرسول والأمة من حيث الذنب أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقر على الذنب والأمة تقر عليه ومعنى تقر يعني قدراً لا شرعاً أما شرعاً فلا أحد يقر على الذنب لكن قدراً الأمة تقر على الذنب لكن الرسول لا يقر كيف لا يقر؟ لأنه عليه الصلاة والسلام لا بد أن يتبته أو يُبته فيستغفر، والإنسان إذا استغفر من الذنب فقد تكون حاله بعد ذلك أكمل من حاله قبل فعل الذنب، وانظر إلى قوله تعالى ﴿عفا الله عنك لما أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ فبدأ بالعفو قبل ذكر المخالفة ﴿عفا الله عنك﴾ ولا عفو إلا عن خطيئة ﴿لما أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ سبحانه الله هذا تعليم من الله عز وجل يعلم نبيه وهو لنا ألا نتعجل في الحكم على الشيء حتى يتبين ﴿حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ وهذا ينطبق تماماً على ضد الحالة التي عليها نحن اليوم نحن الآن نسمع الكلمة ثم نظير بها الآفاق دون أن نتبين والله عز وجل يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿عفا الله عنك لما أذنت لهم﴾ ويقول ﴿واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ كلمات عظيمة جداً ويقول الله عز وجل ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم﴾ وكما قلت قد يكون الإنسان بعد الذنب والتوبة خير منه قبل ذلك متى حصل الإحتباء لآدم بعد أن أذنب وتاب ثم إحتباه ربه وتاب عليه وهدهد وانظر ذلك في نفسك إذا أذنبت ذنباً حصل في قلبك من الإنكسار والحجل من الله عز وجل والخوف ما لم يحصل لو استمرت عليه فيما أنت عليه من الطاعة بل إن الإنسان ربما إذا كان على طاعة ربما ينشأ في قلبه مرض السرطان السرطان الحسي أو المعنوي الجواب المعنوي وهو مرض عجب بالنفس لكن إذا الخطيئة إنكسر وحجل أمام الله عز وجل وإستحي من الله ورجع ثم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يجوز في حقهم شيء واحد وهو ما يخل بالرسالة منعهم الله منه فالخيانة والكذب ممنوع حتى أن الرسول صلى الله عليه وسلم ممنوع من الإشارة بالعين لأنه لا بد أن يكون قوله صريحاً واضحاً بدون أى خداع أو أى خيانة.

هذا الذي يمنع منه الرسل عليهم الصلاة والسلام وهو ما يخل بالرسالة من الكذب والخيانة وما أشبهها وكذلك ما يخل بالشرف والمرؤة فإنهم ممنوعون منه مثل سفاسف الأخلاق فهم ممنوعون منه لأن هذا تنفر منه النفوس والطباع لكن المعاصي الأخرى قد يفعلونها، موسى عليه السلام قتل نفساً بغير حق وإن كان هذا قبل أن نبأ ولكنه عليه السلام جعل ذلك مانعاً له من الشفاعة للخلق حيث أنه إذا أتى له ليشفع إعتذر بذلك، لأن قتل النفس لا يحمل عليه سوء الخلق أو سوء الأخلاق أو ما يخل بالصدق والأمانة لكن تحمل عليه لغيره ولا سيما أن فرعون قد سام بني إسرائيل سوء العذاب حتى أنه كان يقتل أبناءهم ويستحي نساءهم.

قال "أنت إلهي لا إله لي غيرك" ضمنها بالألوهية لأنها هي التي أرسلت من أجلها الرسل وأنزل الكتب "أنت إلهي لا إله لي غيرك" أى لا معبود لي غيرك يا الله .

باب قول الله تعالى ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾

قوله ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ هذا اسمان من أسماء الله تعالى السميع والبصير ويقرن الله بهما كثيراً لأن بالسمع إدراك الأصوات وبالبصر إدراك الأفعال فالأقوال يتعلق بها السمع والأفعال البصر ولهذا يقرن الله بهما كثيراً ، والسميع من أسماء الله تعالى وله معنيان: - إدراك المسموع ، استجابة المسموع .

فمن الأول ما ذكره المؤلف رحمه الله ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ومن الثاني قوله تعالى ﴿إِنْ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ أى ليجيبه وليس المراد ﴿لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ لمدركه وسامعه لأن مجرد السمع لا يتناسب مع قول الداع ﴿إِنْ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ وإنما الذي يتناسب مع دعائه هو استجابة الدعاء .

ثم اعلم بأن السمع بالمعنى الأول أى بمعنى إدراك المسموع ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

سمع عام سمع للتأييد سمع للتهديد .

فالعام مثل هذه الآية ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ هذا عام يشمل كل ما يسمع ، كل ما يسمع فسمع الله متعلق به فيسمع أصوات بني آدم وما يقولونه من خير وشر وأصوات البهائم وأصوات الحشرات حتى ديب التمل على الصخرة الصماء فيسمعها الله لا يخفى عليه شيء ، وهذا هو السمع بالمعنى العام .
وتارة يراد به التهديد مثل قوله تعالى ﴿فَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنَاءُ﴾ وقوله تعالى ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَا نَسْمَعُ سُرَهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ هذا المراد به التهديد .
الثالث الذي يراد به التأييد مثل قوله تعالى لموسى وهارون لما قالا ﴿رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْفِئَ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ فالمراد السمع هنا التأييد والنصر والمدافعة .

فهذه أقسام السمع الذي بمعنى إدراك المسموع ، أى السمع الذي بمعنى إجابة الداع فمثله قوله تعالى ﴿إِنْ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ وقول المصلي سمع الله لمن حمده ، سمع بمعنى استجاب لمن حمده وليس المراد بذلك مجرد سماع صرت الخامد بل المراد بذلك استجابته فإذا قال قائل هل السمع يأتي بمعنى الإجابة؟ قلنا نعم ، السمع يأتي بمعنى الإجابة ، قال تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ معنى لا يسمعون لا يستجيبون ، وإلا فهم يسمعون الذكر يتلى عليهم ، يسمعون من الناس لكنهم لا يستجيبون .

ثم اعلم أن سمع الله وبصره حقيقة وليست راجعة إلى العلم ، خلافاً للمعتزلة الذين يقولون لأن الله لا يسمع ولا يبصر والعباد بالله ، وأن معنى السمع والبصر هو العلم بدون رؤية مفعول أو سماع مقول ، ولكن نقول أخطأتم خطأ كبيراً بل السمع غير العلم لأن علم الله تعالى متعلق بالشيء قبل أن يكون مسموعاً وقبل أن يكون مبصراً فهو يعلم ما كان وما سيكون .

وقوله:- قال الأعمش عن تميم عن عروة "عن عائشة قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات

فأنزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ .

هذه امرأة تشتكي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكان زوجها قد ظاهر منها أي قال لها: أنت علي كظهر أمي وكانوا يعدون الظهار في الجاهلية طلاقاً بائناً وجاءت تشتكي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بأنها كبرت وأن لها أولاداً من زوجها وأن زوجها ظاهر منها ، تشتكي إلى الله عز وجل والرسول صلى الله عليه وسلم يحاورها ويسر عليها الأمر ولكنها أبت وأصرت فأنزل الله هذه الآيات ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ السَّخِرَ﴾ تجادل في زوجها ﴿أَيُّ شَأْنِهِ﴾ وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاور كما إن الله يسمع بصير ﴿قَالَ عَائِشَةُ "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ" إِنِّي لَفِي الْحَجَرَةِ وَإِنِّي لِيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُ حَدِيثِهَا ، سَبَّحَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَوْقَ عَرْشِهِ يَسْمَعُ كَلَامُهَا وَيَسْمَعُ مَحَاوِرَهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَحَاوِرَتِهَا لَهَا وَتَأْمَلُ كَيْفَ جَاءَتْ الْآيَةُ بِلَفْظِ الْمَضَارِعِ قَدْ سَمِعَ وَاللَّهُ يَسْمَعُ كَمَا جَاءَتْ هَذِهِ الْمَادَّةُ سَمْعَ مَعْنَى التَّعَجُّبِ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿أَسْمِعْ بِهِ وَأُبْصِرْ﴾ أَسْمِعْ بِهِ يَعْنِي مَا أَسْمَعُهُ وَمَا أَبْصَرُهُ فَبِهَا أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى يَسْمَعُ سَمَاعاً حَقِيقِيّاً لِأَنَّهُ قَالَ ﴿قَدْ سَمِعَ﴾ وَاللَّهُ يَسْمَعُ وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِذَلِكَ الْعِلْمُ مَا صَحَّ لِأَنَّ عِلْمَ اللَّهِ تَعَالَى كَانَ سَابِقاً وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ سَمْعَهُ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ حَالاً حَيْثُ قَالَ ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ﴾ وَيَسْمَعُ هَذِهِ فَعَلَ مَضَارِعَ تَدُلُّ عَلَى الْحَالِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ بَصِيرٌ﴾ الْجُمْلَةُ هَذِهِ كَالْتَعْلِيلِ لِمَا قَبْلَهَا وَمِنْ هُنَا أَخَذَ أَهْلُ السَّنَةِ أَنَّ الْإِسْمَ إِذَا كَانَ مُتَعَدِّياً فَإِنَّهُ لَا يَتِمُّ الْإِيمَانُ بِهِ إِلَّا بِاثْبَاتِهِ وَإِثْبَاتُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ مِنْ صِفَةٍ وَإِثْبَاتُ الْحُكْمِ ، فَبِهَا الْإِسْمُ إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ بَصِيرٌ وَالصِّفَةُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْحُكْمُ سَمِعَ وَيَسْمَعُ ثُمَّ إِنَّا إِذَا آمَنَّا بِذَلِكَ وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ لَنَا أَلَّا نَسْمَعَ رَبَّنَا مَا يَغْضِبُهُ عَلَيْنَا إِذَا كُنْتَ تَوْمِنُ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ كُلَّ قَوْلٍ تَقُولُهُ فَإِنَّ هَذَا يُوجِبُ أَلَّا تَقُولَ قَوْلًا لَا يَرْضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ وَاللَّهُ الْمِثْلَ الْأَعْلَى إِذَا كَانَ أَبُوكَ لَا يَرْضَى أَنَّ يَسْمَعَ مِنْكَ مَا لَا يَرْضَاهُ فَتَحَاوَلْ أَلَّا يَسْمَعَ مِنْكَ مَا لَا يَرْضَاهُ فَرَبُّكَ أَوْلَى وَأَعْظَمُ أَنَّ تَسْمَعَهُ مَا لَا يَرْضَاهُ مِنْكَ .

الدرس التاسع:-

قال فضيلة الشيخ العثيمين حفظه الله:-وقوله "أنت الحق" كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ لكن ينبه على أن كثيراً من الناس المحدثين صاروا بدل أن يقولوا: قال الله تعالى قالوا: قال الحق كذا وكذا ، والحقيقة أن هذا عدول عن مذهب السلف ، الذي نعرف أن مذهب السلف يقولون: قال الله تعالى ، وأشرف أسماء الله لفظ الجلالة الله ، هو أشرف الأسماء على الإطلاق ، ولهذا تجدون الأسماء كلها تأتي تبعاً له إلا في آية واحدة .

فهذه مشكلة لبعض الناس ، كما أن كثيراً من الناس يقولون : قال المصطفى يريدون الرسول عليه الصلاة والسلام ، ووصفه بالرسالة أفضل من وصفه بالمصطفى ، لأن المصطفى هنا كثيرون حتى من الأنبياء ، ومحمد صلى الله عليه وسلم أفضل منهم ، لكن إذا قلنا رسول الله هذا أفضل وأحسن من قال المصطفى ، ولهذا تتبعوا الأحاديث عن الصحابة تجدون ما يقول أحد منهم قال المصطفى ولا قال محمد ، يقول بن عبد الله ، فقول أيضاً محمد بن عبد الله لو يأتي إنسان ما يدري عن محمد بن عبد الله من هو يظنه شخصاً يسمى محمد بن عبد الله ، نعم لو قال محمد بن عبد الله رسول الله لا بأس ، لكن الأفضل من هذا أن تتبع السلف

فيما سلف ، يعني في طريقته السالفة ، قال النبي صلى الله وسلم قال الله تعالى وما أشبه ذلك ، ولهذا لا تكاد تجد إنسان يتنطع إلا وجدت في تنطعه خللاً .

تحدثنا أمس عن سماع الله عز وجل ، وبيننا أنه ينقسم إلى قسمين :- إدراك المسموع ، إستجابة الداعي .
وبينا الشاهد لكون السمع يأتي بمعنى الإستجابة ، وبيننا أن السمع الذي يكون بمعنى إدراك المسموع ينقسم إلى ثلاثة أقسام :- الأول : للتهديد ، والثاني : للتأييد ، الثالث : للعموم . وبيننا أيضاً أدله ذلك وأمثله ، وبيننا أيضاً نزول الآية ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك ﴾ ، حيث جاء السمع بالماضي والمضارع .
الماضي ما دل على الماضي ، والمضارع ما يدل على الحال .

وهنا أسأل هل سماع الله من صفاته الذاتية؟ أو من صفاته الفعلية؟ الجواب من صفاته الذاتية الذي يحدث إنما هو المسموع أما السمع فلم يزل ولا يزال متصفاً به لكن المسموع هو الذي يحدث مثله العلم .
علم الله سبحانه وتعالى صفة أزلية أبدية من صفاته الذاتية لكن الذي يحدث هو المعلوم ومنه قوله تعالى ﴿ ولنبلوكنم حتى نعلم المجاهدين ﴾ فهذا علم متعلق بالمعلوم والمعلوم محدث أما العلم الأزلي الذي هو وصف الله فهو سابق فالله عام من يجاهد ومن لا يجاهد ومن يصبر ومن لا يصبر عالم من قبل لكن هذا علم للشيء بعد وجوده فهو متعلق بالمعلوم حين حدوثه .

قال البخاري رحمه الله حدثنا سليمان ابن حرب حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي عثمان "عن أبي موسى قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفو ، فكننا إذا علونا كبرنا ، فقال إربعوا على أنفسكم ، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً ، تدعون سمياً بصيراً قريباً . ثم أتى علي وأنا أقول في نفسي : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال لي يا عبد الله ابن قيس قل لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة ، أو قال : ألا أدلك به"

هذا الحديث يقول " كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفو " أبو موسى عبد الله بن قيس فكننا إذا علونا كبرنا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد علمهم إذا علوا كبروا وإذا هبطوا وادياً سبحوا والمناسبة في هذا ظاهرة لأن العلو إرتفاع فإذا إرتفع الإنسان فقد يرى في نفسه الكبرياء فيقول الله أكبر إذا نزل فالنزول سفل والسفل نقص فكان من المناسب أن يسبح الله عز وجل فإذا نزلت وادياً فقل سبحان الله وإذا علوت فقل الله أكبر ومثل ذلك فيما يظهر الطائفة عند صعردها فقل الله أكبر وعند نزولها تقول سبحان الله لأن هذا النزول إلى أسفل كانوا يكبرون ولكنهم يرفعون أصواتهم ويشقون على أنفسهم بالتكبير فقال "أربعوا على أنفسكم" يعني هونوا عليها فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً وهنا قال تدعون ولم يقل لا تكبرون لأصم وذلك لأن الذكر يتضمن الدعاء فإن الذكر إنما يذكر الله لماذا؟ ليشي على ذلك فهو دعاء بلسان الحال لو سألت الذاكر لما تذكر الله؟ لقال ليثيني فلهذا قال لا تدعون ويحتمل أنهم يكبرون ويدعون فحذف الدعاء من التكبير وذكر التكبير ولكن الأول أقرب إن الذكر دعاء لأن الذاكر يدعوا الله تعالى بلسان حاله "لا تدعون أصم" يعني لا يسمع حتى ترفعوا أصواتكم له "ولا غائباً" يخفى عليه حالكم إنما تدعون سمياً بصيراً سمياً ضد أصم بصيراً ضد أعمى وهنا لم يتعارض في الأول للعمى لكن ذكره في الثاني لأن الله تعالى دائماً

يقرن بين قوله سميع بصير لأن في السمع إدراك المسموعات وفي البصر إدراك المراتبات "قريباً" هذا ضد قوله غائباً تدعون سميعاً بصيراً قريباً" وفي لفظ آخر إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته وهم على رواحل فهو أقرب من عنق الراحلة عز وجل ففي هذا الحديث ما في الترجمة وهي قوله "سميعاً بصيراً".

باب قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾

وقوله بصيراً البصر يدرك المبصرات فهو جل وعلى لا يخفى عليه شيء وقوله قريباً هل المراد القرب بالذات أم المراد القرب بالعلم إذا أجرين اللفظ على ظاهره قلنا إنه قريب بذاته وقد نص بن القيم رحمه الله على ذلك في كتابه الصواعق المرسلة على أنه قرب ذاتي لأنه قريب بذاته ولكن يشكل علينا إذا كان قريباً بذاته أليس هو فوق عرشه؟ إذا كيف يمكن الجمع نقول إن صفات الله عز وجل لا تشبه صفات المخلوقين ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في العقيدة الواسطية إن الله قريباً في علوه على في دنوه فهو عز وجل جامع بين العلو وبين والقرب وهو قرب حقيقي والأصل أن كل شيء يضاف إلى الله فهو يضاف إليه ذاته هذا هو الأصل لكن يكون من لوازمه أشياء مثلاً قرب به يلزم منه علمه وسمعه وبصره وتدبيره وغير ذلك من لوازم الربوبية "ثم أتى على وأنا أقول في نفسي لا حول ولا قوة إلا بالله" في نفسي يعني لا أنطق به بلساني "لا حول ولا قوة إلا بالله" لا حول جملة مركبة لا نافية للجنس واسمها ، فأين خيرها؟ خيرها محذوف أي لا حول كائن ولا قوة كائنة إلا بالله ، فما معنى الحول وما معنى القوة؟

معنى الحول التحول ، التحول من حال إلى حال ، فلا تحول لنا من حال إلى حال إلا بالله .

القوة معروفة ضد الضعف ولا قوة لنا أيضاً إلا بالله والباء هنا للسببية أو للإعانة ، والمعنى لا تستطيع أن تحول ولا تقوى على ذلك إلا بالله عز وجل وهذه الكلمة كلمة استعانة وليست كلمة إسترجاع خلاف الاستعمال العام مثلها فإن العامة يستعملونها للإسترجاع فإذا أصيب بمصيبة قال لا حول ولا قوة إلا بالله والصواب أنك إذا أصبت بمصيبة تقول إنا لله وإنا إليه راجعون وإستعمالهم إياها له وجه بأنهم يستعينون بها على تحمل الصبر وتلقي المصيبة لكن ما ورد وهو الإسترجاع أفضل وأحسن "فقال لي يا عبد الله بن قيس وهو أبو موسى قل لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة أو قال ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة" فينبغي للإنسان كلما أصابه أمر هام أن يقول لا حول ولا قوة إلا بالله لأنها كلمة إستعانة ولهذا نقول في إجابة المأذن إذا قال حي على الصلاة حي على الفلاح نقول لا حول ولا قوة إلا بالله .

سائل يسأل سؤال عن القرب؟ الجواب: قرب الله عز وجل قسمه العلماء إلى قسمين:

قرب عام وقرب خاص فالقرب العام هو قرب الإحاطة وهو شامل لكل أحد واستدل هؤلاء بقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسُّوسُ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ قالوا إن هذا عام يعني يقول ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسُّوسُ بِهِ نَفْسَهُ﴾ والقرب الخاص مثل قوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ يعني إذا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي ، إذا دعوني فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فيكون هذا قرب خاص فيمن يدعون وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد" وهذا أقرب

للعابد فالقرب الخاص قرب الداعي وقرب العابد والعام الشامل لكل أحد لكن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أبى ذلك وقال إن القرب لا ينقسم القرب لا يكون إلا ممن يستحق القرب وهو الداع والعابد قال الداعي مع الله يناجي ربه والعابد كذلك يناجي ربه فهذا هو الذي يستحق أن يكون الله قريباً منه أما غير ذلك فلا وأجاب عن قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسُّوسُ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ قال إن هذا قرب الكتبة بدليل قوله ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ فإن إذ ظرف لا بد له من متعلق ولا متعلق له فيما نعلم إلا كلمة أقرب التي سبقته يعني ونحن أقرب إليه حين يتلقى المتلقيان فيكون المراد هنا بالقرب قرب الملازمة قال ومثله قوله تعالى في المحتضر ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ وَأَنْتُمْ حِينٌ إِذْ تَنْظُرُونَ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ولم يرد في الكتاب والسنة القرب العام لكل أحد بخلاف المصيبة المصيبة وردت عامة وخاصة كما قال تعالى ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنْ كَانُوا﴾ ووردت خاصة مثل قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ لأن المصيبة أوسع من القرب القرب واضح بأنه دنو لكن يليق بجلاله وعظمته لا يلزمه منه إنتفاء العلو وإن كان قريباً لأن الإنسان ما يتصور كيف تكون هذه صفات الله عز وجل هي أعظم من أن يدركه العقل إذا كان الله سبحانه وتعالى وسع كرسيه السموات والأرض والكرسي موضع القدمين فكيف بعرش الرب عز وجل لا يمكن تصوره يعني لا يمكن الإحاطة به . فإذا القرب ينقسم عند بعض العلماء إلى قسمين والراجح أنه لا ينقسم وأنه خاص بالعابد والداع فقط .

قال البخاري رحمه الله :- حدثنا يحيى ابن سليمان جدثني بن وهب أخبرني عمرو عن يزيد عن أبي الخير " سمع عبد الله ابن عمرو أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله علمني دعاء أدعوا به في صلاتي قال هل : اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي من عندك مغفرة إنك أنت الغفور الرحيم " .

هذا أبو بكر رضى الله عنه أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنه قال لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لآخذت أبا بكر سألت النبي صلى الله عليه وسلم وهو أنصح الخلق للخلق ولا سيما لأبي بكر الذي هو أحب الناس إليه في أشرف عبادة يتعبد بها الإنسان لربه وهي الصلاة فهل الدعاء الذي علمه الرسول صلى الله عليه وسلم أبا بكر يتبين لك عظمه أنه من أبي بكر وتوجيه الرسول وفي أشرف الأعمال وهي الصلاة .

إذاً فهو دعاء عظيم وقوله في صلاتي لم يتبين موضعه من الصلاة ويحتمل أن يكون في السجود لقول النبي صلى الله عليه وسلم وأما السجود فاجتهدوا فيه في الدعاء ويحتمل أن يكون بعد التشهد الأخير لقول النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر التشهد ثم مع الدعاء أعجبه ولعل هذا أولى أن يكون بعد التشهد الأخير يعني عند السلام لأن التشهد الأخير فيه ثناء على الله عز وجل وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه المشروع بالتعيين فإننا مأمورون في التشهد الأخير بالتحيات لله والشهادة له بالوحدانية والصلاة

على رسوله والتبريك على رسوله وحيث يكون مقدمة الدعاء مأموراً بها فيكون أول ما يذكر هذا الدعاء عند السلام بعد التشهد الأخير وفي هذا الدعاء جمع لجميع أنواع الدعاء لأن الدعاء يشمل إما الشاء على المدعوا أو الاعتراف بالذني وذكر الحال أو الجمع بينهما.

وهنا الحديث جمع بين هذا كله "اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً" هذا حال الداع وذكر حال الداع وسيلة من وسائل إجابة الدعاء كما قال موسى عليه السلام ﴿ربّي إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾ هنا حاط الإحالة فقط أنه فقير لما أنزل الله إليه من خير قوله ﴿اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً﴾ هذا ذكر الحال حال الداعي وإعترافه بالحالة التي هو عليها وبماذا يكون ظلم الإنسان نفسه؟ يكون إما بترك الواجب وإما بفعل المحرم وقوله ظلماً كثيراً وردت في بعض الآيات كثيراً قال بعض العلماء والأفضل أن يجمع بينهم فيقول ظلماً كثيراً ولكن هذا ضعيف أن يجمع بينهما والصواب أن يقول بأرجهما وأرجهما كثيراً فيقتصر عليها وقوله "إلا أنت" هذا ثناء على الله فذكر حال نفسه وذكر الشاء على ربه "ولا يغفر الذنوب إلا أنت" والمراد بالذنوب هنا الذنوب الذنوب التي بين العبد وبين ربه فإنه لا يغفرها إلا الله أما الذنوب التي بينه وبين غيره من الخلق فإن الإنسان يغفرها لغيره ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾ ﴿بأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾

إذا فالذنوب التي بين الإنسان وبين الناس لا يغفرها إلا الله ، لا يغفرها الناس ﴿ولا يغفر الذنوب إلا أنت﴾ والذنوب هي المعاصي والآثام التي تكون على الإنسان "فاغفر لي" هذا الدعاء سبقه ثناء وإعتراف "من عندك مغفرة" أضاف الله من عنده لأن العطاء يكون على حسب المعطي فإذا كانت من عند الله لا بد أن تكون مغفرة عظيمة لا تغادر ذنباً "إنك أنت الغفور الرحيم" هذا ثناء أيضاً على الله تعالى وتوسل إليه باسمه الغفور الرحيم. هل في هذا الحديث ذكر للسمع والبصر لأن الباب باب قوله تعالى ﴿وكان الله سميعاً بصيراً﴾ البخاري رحمه الله جعل هذا الباب في هذه الترجمة ﴿وكان الله سميعاً بصيراً﴾ لأنه تضمن المغفرة والرحمة ولكن حتى لو قلنا بهذا ما أستطيع أن أقول أن هناك مناسبة بينة وأما كونه لازم لإجابة الدعاء أن يقول قد سمع وأبصر هذا ما يكفي في المناسبة والله أعلم.

المهم أن نقول بالنسبة للدعاء تارة يقول بذكر حال الداعي فقط مثل قول مرسى عليه السلام ﴿فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾ هذا ذكر حاله.

وتارة يكون بالدعاء المباشر بأن يقول رب اغفر لي وإرحمني كما في الجلسة السجدة.

وتارة يكون بالثناء على الله المجرد كقول النبي صلى الله عليه وسلم "خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله" إلى آخر الحديث.

وتارة يكون بالجمع بينهما بين اثنين أو بين ثلاثة وهذا الحديث تضمن الجمع بين الثلاثة.

باب قول الله تعالى ﴿قل هو القادر﴾.

ومن أسماء الله عز وجل القادر والقدير والمقتدر لكن القادر مقيدة مثل قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ ، أما القدير والمقتدر فجاءت مطلقة مثل ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ جاءت مقيدة ولكنها بالعموم على كل شيء قدير .

والمقتدر جاءت مطلقة مثل قوله ﴿فِي مَقْعَدِ صَدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ وهذه كلها تعود إلى معنى واحد وهو القدرة والقدرة هي فعل الفاعل بدون عجز فالذي يقابل القدرة هو العجز والدليل على هذا قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ قال ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ﴾ وعلل ذلك بأنه كان عليم قدير والعليم ضده العاجز والجاهل معلوم أنه يعجزه الشيء فإن الإنسان قد يكون قادراً غير عاجز لكن لجهله بالشيء لا يستطيع أن يفعله وقد يكون الإنسان عالماً لكنه عاجز فلا يستطيع أن يفعل فالله عز وجل لا يمنعه شيء ولا يعجزه شيء لأنه عليم قدير ثم القدرة متعلقة بكل شيء لقوله تعالى ﴿وَمَا يَشَاءُ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ فَيَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُ بِشَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ وكان الله على كل شيء قديرًا فلم يعلق القدرة بالمشيئة فهو قادر على ما يشاء وما لا يشاء وأما قوله تعالى ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ فالتعليق بالمشيئة هنا لا يعود على القدرة بل هو يعود على الجمع يعني إذا شاء جمعهم فإنه ليس بعاجز عنه بل هو قدير عليه ومن هنا نعرف أن قول بعض الناس إنه على ما يشاء قدير خطأ لأنهم إذا قالوا إنه على ما يشاء قدير فخصصوا القدرة بما يشاء لزمه من ذلك أن يكون غير قادر على الذي لا يشاؤه ثم يأتينا المعتزلة من هذه الناحية حيث يقولون إن الله تعالى لا يشاء أفعال العباد وعلى هذا فيكون الله غير قادر على أفعال العباد لأنه لا يشاؤها فلذلك ينبغي أن تنبه القائلون على هذه المسألة .

وأما ما جاء في الحديث الذي أخرجه به النبي صلى الله عليه وسلم أن أخر الناس دخولاً الجنة حيث قال الله تبارك وتعالى: "إني على ذلك قادر" فهذا متعلق بفعل خاص والمتعلق بفعل خاص يبين أن الله قادر عليه إذا سألوه ولهذا قال على ما أشاء قادر ولم يقل قدير لأنه متعلق بفعل خاص فمثلاً لو رأينا أمراً استغربهنا إما لاستبعاده وإما لعظمته فإننا نقول إن الله على ما يشاء قادر يعني فلما شاء هذا الشيء كان قادراً عليه أما إذا أردنا أن نأتي بالإسم والوصف على إطلاقه فإننا لا نقول على ما يشاء خوفاً من أن يتوهم من ذلك أن مالا يشاؤه لا يقدر عليه أن مالا يشاؤه لا يقدر عليه مع أنه تعالى قادر على كل شيء على ما شاء وما لم يشأ لكن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ويذكر أن جنود الشيطان قالوا له نراك تفرح إذا مات العالم أكثر مما تفرح إذا مات العبد لأن العالم أشد على الشيطان من العابد قال نعم أنا أفرح بموت عالم أكثر مما أفرح بموت تفرح إذا مات العبد لأن العالم أشد على الشيطان من العابد فقالوا له هل يقدر الله على أن يجعل ألف عابد ، وسأخبر العابد ، يقول أنه أرسل جنوده إلى العابد فقالوا له هل يقدر الله على أن يجعل السموات والأرض في جوف بيضة ، العابد على طبيعته قال لا يقدر ، فرجع الجنود إلى زعيمهم وقالوا له أنه قال لا يقدر ، قال إذا نفى قدرة الله ، ثم أرسلهم إلى العالم فقالوا له مثل ما قالوا للعابد فقال لهم نعم ، قالوا كيف ذلك؟ قال ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فإذا أمر السموات والأرض أن تكون في جوف بيضة صارت إما أن تصغر السموات والأرض وإما أن تكبر البيضة ، المهم إذا أراد الله ذلك قال له كن فيكون .

الحاصل أن القدرة تتعلق بكل شيء ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لكن ذكر بعض العلماء أن القدرة لا تتعلق بالمستحيل لأن المستحيل مستحيل وجوده ، فمثلا هل يمكن أن يكون التكرار ساكنا في آن واحد؟ لا يمكن ، لماذا؟ لأنه إن تحرك لم يسكن ، وإن سكن لم يتحرك ، قالوا: فلو قيل هل يمكن أن يجعل الله المتحرك ساكنا في آن واحد؟ أما الله فهو قادر على أن يجعل المتحرك ساكنا يعني يؤول إلى أن تكون ساكنا والساكين إلى أن يكون متحركا ، ولهذا قال السفاريني في عقيدته: واقتدر بقدرة تعلقت بممكن ، لماذا؟ لأن المستحيل ليس بشيء ، لكن مع ذلك بالنسبة لطالب العلم يجب أن يتحمل هذا التفصيل لأنه يعرف المستحيل على اسمه ، لكن العامي لا ينبغي له أن يفصل له هذا التفصيل لأن عقله لا يدرك هذا الشيء ، فقل للعامي ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير قال وخص العقل ذاته أى ذات الله فليس عليها بقادر ما معنى ذلك؟ إن أردت فليس عليها بقادر ليس بقادر على أن يخلق مثلها ، نقول هذا لم تتعلق به القدرة أصلا ، أو ليس بقادر على أن يهلك نفسه فهذا لم تتعلق به القدرة أصلا ، أم تريد أن تنفي الأفعال الاختيارية كما هو مراده فلا يقدر على أن ينزل ولا على أن يستوى إلى السماء ولا على أن يستوى على العرش ولا على أن يضحك ولا على أن يغضب فإننا لا نوافقك على هذا وأنتم تعلمون أن الأشاعرة وكثيرا ممن وافقهم على ذلك يرون أنه لا يمكن أن تقوم الأفعال في الله عز وجل يعني ما يمكن أن يفعل فعلا يختاره أبداً من نزول أو استواء أو مجيء أو ضحك أو غضب لا يمكن معرفة أصلا من أصوله أن الأفعال الاختيارية لا تكون بذات الله فلهذا قال بناءً على هذه العقيدة الفاسدة قال خص العقل ذاته فليس عليها بقادر وقد عرفتم التفصيل في هذا ، فقلنا إن أراد بذلك ما يستحيل في حق الله فهذا حق لكننا لا نقول إن الله غير قادر عليه ماذا نقول؟ نقول أن القدرة لا تتعلق به أصلا وإن أراد بذلك أفعال الله الاختيارية أنه لا يقدر على أن يأتي أو على أن يستوى على العرش أو أن يستوي إلى السماء أو ما أشبه ذلك فإننا لا نقره على هذا بل نقول إن الله قال ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ وقال ﴿فَعَالٌ لَّما يَرِيدُ﴾ وقال ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لَّما يَرِيدُ﴾ .

لهذا ينبغي لطالب العلم إذا أتى بمثل هذه الكلمات الخطيرة أن يعلق على الكتاب إذا كان عنده علم يدفع به هذا الخطأ وأما إذا لم يكن له علم فلا يعلق لكن إذا كان عنده علم وكانت المسألة لا بد من التنبيه عليها فبعلت وجزاه الله خيراً لأن الكتاب ربما يقرأ من بعده مثلاً يقول هذه الكلمة على الإطلاق غير صحيحة ويفصل هذا التفصيل الذي ذكرنا .

وخلاصة الكلام الآن أن من أسماء الله تعالى القدير والمقتدر والقادر لكنها مقيدة لا تكون من أوصاف الفعل ، ثم إن القدرة نقول أنها لا تتعلق بالمشيئة فلا يقال إن الله على ما يشاء قدير بل يقال إن الله على كل شيء قدير كما قال تعالى عن نفسه والقدرة هي الفعل بلا عجز .

الدرس العاشر

قال فضيلة الشيخ حفظه الله :-

سبق الكلام عن إسم الله عز وجل القدير ويان ما يدل عليه من القدرة ، وسبق لنا أن القدير من الأسماء العامة وأن القدرة صفة ذاتية لم يزل ولا يزال متصفاً بها وأن حدوث المقدور عليه لا يقتضي حدوث القدرة وأن القدرة لم يزل الله متصفاً بها كما أن حدوث المعلوم لا يلزم منه حدوث العلم وحدث المسموع لا يلزم منه حدوث السمع فالسمع لم يزل الله ولا يزال سميعاً والعلم لم يزل الله ولا يزال عالماً لكن الذي يحدث المسموع أو المعلوم أو المقدور عليه بخلاف الصفات الفعلية فإن الصفة نفسها تحدث النزول إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر هذا فعل متى حدث؟ لما يبقى ثلث الليل حدث النزول ثم بعد ذلك إذا طلعت الفجر إنتهى النزول وخلق السموات والأرض في ستة أيام ثم إستوى على العرش متى حدث الإستواء؟ بعد خلق السموات والأرض ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه متى حدث الكلام؟ بعد مجيء موسى . فالصفات الفعلية تتجدد أفرادها وآحادها عن أصلها فهو قديم لم يزل ولا يزال الله تعالى فعالاً لكن آحاد هذه الأفعال هي التي تحدث ولو قلنا أنه لا يمكن أن يحدث من الله فعل لزم أن يكون معطلاً عن الأفعال وهذا نقص عظيم .

أما الصفات الذاتية فإنها لا تحدث لم يزل ولا يزال متصفاً بها مثل العلم والقدرة والسمع والبصر لكن الذي يحدث هو المخلوق المعلوم والمسموع والمبصر والمقدور عليه وما أشبه ذلك وهذا لا يعني أن القدرة تتجدد أو العلم أو السمع أو البصر فإن قال قائل ماذا نقول في قوله تعالى ﴿ ولنبولونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ﴾ حتى نعلم .

حدثني إبراهيم ابن المنذر حدثنا معن ابن عيسى حدثني عبد الرحمن ابن أبي الموالي قال سمعت محمد ابن المنكدر يحدث عبد الله ابن الحسن يقول "أخبرني جابر ابن عبد الله السلمي قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها كما يعلم السورة من القرآن يقول: إذا أحذركم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل . اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم فإن كنت تعلم هذا الأمر - ثم يسميه بعينه - خيراً لى في عاجل أمري وآجله - قال: أو في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - فاقدره لى ويسرد لى ثم يبارك لى فيه . اللهم إن كنت تعلم أنه شر لى في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال في عاجل أمري وآجله - فاصرفني عنه و اقدر لى الخير حيث كان ثم رضني به" .

الشاهد من هذا الحديث قوله "أستقدرك بقدرتك" والبحاري رحمه الله عنده فهم عميق أتى بحديث الاستخارة لبيان أن أسماء الله عز وجل متضمنة لما تدل عليه من المعاني والصفات لأن الباب باب قوله تعالى ﴿ قل هو القادر ﴾ القادر إسم فاعل وحديث الاستخارة فيه "قدرتك" لبيان أن أسماء الله متضمنة للصفات ليست أسماء جامدة لا تحمل معنى بل هي أسماء مشتقة تحمل المعنى الذى اشتقت منه وهى القدرة وقوله يعلم أصحابه الإستخارة" يعنى طلب خير الأمرين إستخرفته يعنى طلبت منه خير الأمرين وقوله "في الأمور كلها" هذا عام يراد به الخاص والمبراد به الأمور التي يشكل على الإنسان وجهها أما مالا يشكل فلا حاجة

للإستخارة فيه لأن الإنسان عازم فلا يحتاج أن يستخير ولهذا لو أراد إنسان أن يسافر لزيارة قريب أو لتجارة وما أشبه ذلك وهو عازم فإنه لا حاجة للإستخارة وإلا لقنا إن الإنسان يصلي دائماً صلاة الإستخارة لأن الإنسان حارث وهمام دائماً بهم بالأمور لكن مرور المراد بذلك الأمور التي لا يتبين للإنسان وجهها فيتخير وحيث لا ملحق له إلا الله عز وجل وقوله "كما يعلم السورة من القرآن" يدل على أن الإهتمام بهذه الإستخارة كما علمهم التشهد في الصلاة كما يعلمهم السورم من القرآن وهذا الدعاء والثناء على الله عز وجل جعله الله تعالى بديلاً لما كان يسمع في الجاهلية من الإستقسام بالأزلام يعني يقبلون ما يقسم لهم بواسطة الأزلام وهي أقذاح تجعل في كيس أو ما أشبه ذلك مكتوب على الواحد منها إفعل وعلى الثاني لا تفعل لا تفعل وإن خرج الذي ليس فيه شيء يتوقف ثم يعيد الإستقسام مرة أخرى أو يدع الأمر لكن أبدل الله تعالى الناس بهذا الدعاء قال: "فليركع ركعتين من غير الفريضة" وقول من غير الفريضة يعني النافلة وهل يكفي عن هاتين الركعتين الرتبة مثلاً أو سنة الضحى؟ يحتمل أن تكون مجزأة لقوله من غير الفريضة ويحتمل أنه لا بد من صلاة مستقلة وهو الأحوط.

وظاهر الحديث أن هذا الدعاء يكون بعد السلام لأنه لا يصدق عليه أنه صلى ركعتين حتى يفرغ منهما يقول "اللهم إني أستخيرك بعلمك" يعني أطلب خير الأمرين حسب ما تعلمه وقوله "وأستقدرك بقدرتك" أطلب منك القدرة بقدرتك فهو توسل بالقدرة على أن يقدر على الأمر وقوله "وأسألك من فضلك" لأن الإنسان قد يقدر على الشيء ويحصل له لكن لا يتأله من الله فضل به ولا بركة فيسأل الله من فضله وقوله "فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب" في هذه الجملة لف ونشر مرتباً قدم العلم في الجملة الأولى على القدرة وفي الجملة الثانية قدم القدرة على العلم ولو كان اللف والنشر مرتباً بدأ بالعلم قبل القدرة "اللهم إن كنت تعلم هذا الأمر" أي الأمر الذي يريد أن يستخير الله فيه ثم يسميه بعينه "خيراً لي" هذه مفعول ثان لتعلم وقوله "في عاجل أمري وآجله قال أو في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه" هذه أو شك من الراوي هل قال في عاجل أمري وآجله أو قال في ديني ومعاشي وعاقبة أمري رجح بعض العلماء الأول للعموم ورجح بعضهم الثاني لأن العاجل السابق قد انقضى لكن ليس هذا الوجه الأخير. مرجح لأن المراد بعاجل أمري ليس الذي قد انقضى بلا شك المراد بعاجل أمري - ما يأتي بعد الإستخارة مباشرة ولو قال قائل لو أن الإنسان جمع بين هذه الجمل في عاجل أمري وآجله وديني ومعاشي وعاقبة أمري فلا حرج لأن الدعاء ينبغي فيه البسط أو نقول إن شك الراوي يقتضي أن يقول أن الذي ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم واحد من الأمرين فيقوله قلنا نرجح الجملة الأولى في علجل أمري وآجله للعموم لأن كلمة أمري يعني شأني وهو عام لكونه مضافاً مفرد. الثاني فيها شيء من التفضيل والتخصيص ديني ومعاشي وعاقبة أمري فليس فيها عموم لكن التفضيل قد يكون أحسن في باب الدعاء يقول "فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه" ثلاث جمل أقدره يعني بعلمك ومشيتك ويسره بحيث لا يكون فيه موانع ثم بارك لي فيه أي إجعل لي فيه بركة والبركة هي الخير الواسع الثابت وأصله من البركة

والبركة هي مجمع الماء وهي كبيرة واسعة والماء ينفذ فيها ويقى وقوله " اللهم إن كنت تعلم أنه شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فإصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به " اجعلني راضياً به فهل الدعاء ينبغي للإنسان إذا هم بالأمر وأشكل عليه وجهه؟ نعم ، الصواب فيه أن يصلي ركعتين ويستخير الله فإن بان له الأمر فذلك المطلوب وإن لم يبن أعاد الاستخارة وقال بعض العلماء إن لم يبن استشار ذوي الرأي والصلاح والخبرة ثم إما أن يقوه علي هذا أو على هذا وقال آخرون بل يقدم المشورة والصحيح أن يقدم الاستخارة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال "إذا هم أحدكم بالأمر فليصلي ركعتين" فيقدم أولاً الاستخارة ثم إن بدى له وجه الصواب فذلك المطلوب وإلا أعاد الاستخارة مرة ثانية واستشار ذوي الخبرة والصلاح والأمان .

باب مقلب القلوب وقول الله تعالى ﴿وَنَقْلِبَ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾

مقلب القلوب هذا وصف لا يصح إلا لله عز وجل هو الذي يقلب القلوب لأن الإنسان مهما كان لا يمكن أن يقلب أحد قلبه والمراد بتقليب القلوب ليس التقليب الحسي أن يجعل أعلى القلب أسفله أو الجانب الأيمن منه الجانب الأيسر المراد بتقليب القلوب تقليب وجهات النظر يعني إذا هم الإنسان بالشئ ثم يقلب الله نيته إذا هم إلى شئ آخر يهيم بالسيئة ثم يقلب الله قلبه إلى حسنة أو العكس ويذكر أن أعراياً قيل له بما عرفت ربك قال بصرف الهمم يعني أن الله هو الذي يصرف الهمم دائماً الإنسان يهيم بالشئ ويجزم بد فإذا به تنصرف همته إلى شئ آخر بدون سبب ظاهر من الذي صرف ذلك؟ هو الله عز وجل فذلك مقلب القلوب هو الله كما قال تعالى ﴿مَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهْهُ الْهَيْدَةُ﴾ فلا يمكن لأحد أن يقلب قلب أحد فمقلب القلوب هو الله فهذا وصف لا يصح إلا لله فإن قال قائل أليس الإنسان يهيم بالشئ فيأتيه شخص ويشير عليه ويبين له الوجه الصحيح الذي يراه ثم يتحول؟ بلى ، لكن ما الذي جعله يتحول؟ الله عز وجل ، وربما يشار عليه كثيراً ولكن لا يتحول فالأمور كلها بيد الله ثم استدلل المؤلف بقوله تعالى ﴿وَنَقْلِبَ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ أفئدتهم أى قلوبهم ، وأبصارهم يحتمل أن يكون جمع بصورة وإن كان هذا خلاف المعروف ، لأن البصيرة جمعها بصائر ويحتمل أن يكون جمع بصر كسبب وأسباب بصر وأبصار ، ولكن كيف تقلب البصر؟ تقلب البصر أن يصرف البصر من النظر إلى الطاعات إلى النظر إلى المعاصي هذا من تقليب الأبصار والعياذ بالله ، الله عز وجل هو الذي يقلب القلوب والأبصار ﴿وَنَقْلِبَ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ كما لم يؤمنوا أول مرة ﴿وليت البخاري أتى بهذا﴾ كما لم يؤمنوا به أول مرة ﴿الكاف هنا للتعليل أى لكونه لم يؤمنوا به أول مرة﴾ ﴿نظرهم في طغيانهم يعمهون﴾ وهذا تهديد عظيم للإنسان ، الذي لا يرد الحق أول ما يرد إليه ، فإن الإنسان إذا لم يقبل الحق أول ما يرد إليه يخشى أن يتلى بهذه البلوى ، وهو أن يقلب قلبه ولا يهدى للحق لأنه رده أول مرة ، إذاً يبين الله عز وجل أنه يقلب أفئدتهم وأبصارهم وأن لهذا التقليب سبب وهو أنهم لم يؤمنوا به أول مرة ، ويدل هذا أيضاً قوله تعالى ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ يختلط عليهم الأمر ثم لا يتبين لهم وجه الصواب ولهذا يجب على الإنسان من حين أن يتبين له الحق أن يقبله ويأخذ به حتى يهدى لحق آخر ، أما إذا رده أو تردد فيه فإنه على خطر عظيم أن يتلى بهذه البلور

وما ألد رجوع الإنسان إلى الحق ، حتى الإنسان إذا رجع إلى الحق وإن كان خلاف ما يقوله أولاً يجد في هذا لذة عظيمة ولكيانه رجع من القول الأول لأنه فتح الله على قلبه حيث آمن بالحق أول ما جاء به بعض الناس يحاول ويجادل لقوله الذي قاله أولاً حتى لا يهزم في نظره والحقيقة أنه مهزوم في نظري إذا أصر على الانتصار ، يقوله لا للحق لكن لو استحباب للحق وانتقاد هذا هو الذي انتصر على نفسه أولاً ، ثم يُنصر لأن الحق معه حيث وافق الحق وقوله تعالى : ﴿نقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا أول مرة﴾ .

حدثنا سعيد ابن سليمان عن ابن المبارك عن موسى ابن عقبة عن سالم "عن عبد الله قال: أكثر ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يخلف: لا ومقلب القلوب" .

سبق في الأيمان أن الرسول صلى الله عليه وسلم حلف بهذا كثيرا ويخلف بقوله والذي نفسي بيده كثيرا ، أما المراد بعبد الله هو عبد الله ابن عمر وهذا مما يستدل به على الميهم من الرواة يمكن أن تستدل على تعينه بتلاميذه أو مشائخه وقوله: "لا ومقلب القلوب" هل هذا إثبات أو نفى؟ يعني إذا لم يخلف نفى للحدث أم إثبات؟ هذه للتركيد أن لا النافية تدخل على القسم المبراد به الإثبات مثل قوله تعالى ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾ فالصحيح أن لا هذه للتثنية والتوكيد خلافا لمن قال في قوله تعالى ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ قال إنها للنفي ، والمعنى لا صحة لما تزعمون من إنكار البعث ، أو لا أقسم لأن الأمر لا يحتاج إلى قسم ، لكن الصحيح هو ما قررناه أولاً أنها للتركيد والتثنية .

باب إن لله مائة اسم إلا واحدة .

قال ابن عباس: ذو الجلال العظمة البر اللطيف .

قوله رحمه الله "إن لله مائة اسم إلا واحدة" ظاهر كلامه حصر أسماء الله عز وجل في هذه التسعة والتسعين ، وهذا أحد القولين في هذه المسألة العظيمة ، أن أسماء الله محصورة بتسعة وتسعين ولكن سبق لنا أن القول الراجح أنها غير محصورة ، واستدلنا بذلك بحديث عبيد الله ابن مسعود في دعاء ألهم الحزن وفيه "أو استأثرت به في علم الغيب عندك" فإنه يدل على أن من أسماء الله ما استأثر به الله بعلمه ، وما استأثر الله بعلمه فإنه لا يمكن أن يحاط به وهذا هو الصحيح ، ولذلك لو تأملت أسماء الله في الكتاب والسنة لوجدتها تزيد عن تسعة وتسعين إسما ، على هذا يكون ظاهر كلام البخاري رحمه الله يكون قولاً مرجوحاً ، وقول ابن عباس "ذو الجلال" أي ذو العظمة وهذا صحيح ، فالجلال هو كمال العظمة يشير إلى قوله تعالى ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ ولكن كيف الجمع بين قوله ﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام﴾ وقوله ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ لأن قوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام صفة لوجه ، وأما تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام فهي صفة للرب وليس صفة لإسم ، فهي في الآية الأولى صفة للمضاف وفي الآية الثانية صفة للمضاف إليه ، وقوله "البر اللطيف" الصواب أن اشتراد بالبر واسع الخيرات وكثير العطاء لأنه يتفق في الإشتقاق مع البر الذي هو ضد البحر والبر الذي هو ضد البحر واسع ومنه بر الوالدين أي كثرة عطائهما ونفعهما وما أشبه ذلك والظاهر أن تفسير البر باللطيف ليس من تفسير ابن عباس .

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج "عن أبي هريرة أن الرسول صلى الله

عليه وسلم قال: إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحدة، من أحصاها دخل الجنة" أحصيناها: حفظناه.

معنى الإحصاء هو معرفتها لفظاً ومعنى والتعبد وسؤال الله بها، ما قصد بذلك؟ قصد بيانها للناس

أو التبرك بها، أما إذا كان قصدهم بيانها للناس فلا بد أن تكون الأسماء غير الأسماء المسرودة لنا لأن المسرودة

والمعروفة لنا غير صريحة مدرجة من كلام بعض الرواة، وأما إذا كان قصدهم التبرك بها فهذا لا يجوز لأن

التبرك بالشئ لا بد أن يكون هو أصلاً في الشرع.

باب السؤال بأسماء الله تعالى والإستعاذة بها.

السؤال بأسماء الله دل عليه قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ وسبق لنا أن معنى قوله

تعالى فادعوه بها يتضمن شيئين: - الأول: تتعبد لله عز وجل بمقتضى هذه الأسماء فيكون الدعاء في قوله

فادعوه بها بمعنى العبادة. الثاني: أن تجعلها وسيلة لك في الدعاء بأن تذكرها بين يدي الدعاء أو تختتم الدعاء

بها فتقول يا غفور اغفر لي ويا سميع إجعلني سامعاً وما أشبه ذلك.

فلقوله تعالى ﴿ادْعُوهُ بِهَا﴾ معنيان: - المعنى الأول: التبعيد لله بمقتضاها لأن الدعاء يأتي بمعنى العبادة

﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾.

المعنى الثاني: - سؤال الله بها أى تجعلها وسيلة لك في الدعاء سواء جعلتها بين يدي الدعاء أو ختمت الدعاء

بها أما الإستعاذة بها ففيها تقول اللهم إني أعوذ باسمك الأعظم أى تعوذ بصفات الله وبأسمائه.

حدثنا عبد العزيز ابن عبد الله حدثني مالك عن سعيد ابن أبي سعيد المقبري "عن أبي هريرة عن

النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا جاء أحدكم فراشه فلينفذه بصنفة ثوبه ثلاث مرات وليقل: باسمك

ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، فإن أمسكت نفسي فاغفر لها، وإن أرسلته فاحفظها بما تحفظ به عبادك

الصالحين، تابعه يحي وبشر ابن المفضل عن عبيد الله ابن سعيد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه

وسلم وزاد زهير وأبو ضمرة وإسماعيل ابن زكريا عن عبيد الله عن سعيد عن أبيه عن أبي هريرة عن

النبي صلى الله عليه وسلم، ورواه ابن عجلان عن سعيد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه

وسلم، تابعه محمد ابن عبد الرحمن والداروردي وأسامة ابن حفص.

فما يتعلق بالخلق فهو إرادة كونية وما يتعلق بالشرع فهو شرعي المراد بقوله بصنفة ثوبه المراد به

طرفه من الداخل والخيط من ذلك أن الطرف في الغالب هو ملتقى الأوساخ فإذا توسخ من الفراش لم يكن في

ذلك غضاضة على لباس الثوب ولهذا قال الرسول تمسحوا بداخل الثوب من أجل إذا كان هناك وسخ يكون

في داخل الثوب وهذا من حسن توجيه الرسول عليه الصلاة والسلام وإرشاده وتربيته يعني حتى إلى الثياب

كيف تنفض فراشك بثوبك إنفضه بداخله من أسفله لأنك لو إنتفضته من أعلاه ربما يكون فيه أذى فيوسخ

الثوب من فوق ويبين للناس وكذلك لو أنك نفقت من ظاهر الثوب ولو في الأسفل قد يكون فيه أذى

فيشاهده الناس ويؤخذ من هذا أنه ينبغي للإنسان أن يلاحظ ثيابه حتى لا يكون فيها أذى فتتقلع أعين الناس

من النظر إليه ويقال هذا رجل مهمل لا يبال بنفسه والإنسان لا ينبغي أن يظهر بمظهر يتقذذ الناس منه ولهذا

كأن الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يباشر أهله وهي حائض يأمرها أن تترن لألا يشاهد منها في محل الفرج ما تتقذ منه النفس من الدم فهذه المسائل كثير من الناس لا يبال بها تجده مثلا يأكل رمانة فتقط نقطة على ثوبه فيكون الثوب أحمر فيتركه ويقول إن شاء الله لأن غسلت الثوب غسلته ربما يعرف أنفه فتقط نقطة على هذا الثوب فيقول إذا أردت أن أغسله غسلته هذه تتفرز منها النفوس بعض الناس ولا سيما الصغار يمسح رأس القلم بالغطرة أو بالثوب حتى يقول الناس إنه كاتب هل تقول هذا من هذا الباب الظاهر لا لأن الناس لا تتفرز نفوسهم إذا رأوا من الصبيان أن في ثيابهم شيء من الخير فالحاصل أن الرسول صلى الله عليه وسلم علم أمته حتى هذه المسألة التي قد لا تخطر على بال الإنسان ينفض ثوبه ويقول باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه هذا إذا نام أو إضجع يقول باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه ولهذا إذا وضع جنبيه يقول بسم الله فبضع جنبيه على اسم الله عز وجل ثم قال إن أمسكت نفسي فاغفر لها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين لأن الله تعالى قد يمسك نفس النائم فيموت وهذا أحد القولين في قوله تعالى ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾ ولكن الصحيح أن معنى الآية ﴿ويتوفى التي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى التي قضى عليها النوم إلى أجل مسمى﴾.

الدرس الحادي عشر:-

في باب السؤال بأسماء الله والاستعاذة بها .

حدثنا مسلم حدثنا شعبة عن عبد الملك ابن ربيع "عن حذيفة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه: قال اللهم باسمك أحيا وأموت . وإذا أصبح قال : الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور" .

هذا الحديث ذكره البخاري في باب السؤال بأسماء الله والاستعاذة بها ، أما السؤال بأسماء الله فقد تقدم الكلام عليه ، وأن الله أمرنا بها فقال ﴿و الله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ وأما الاستعاذة بها فكذلك يستعيذ باسم الله فنقول: أعوذ بالله أعوذ بالرحمن أعوذ بالعزير وما أشبه ذلك ، وسبق أيضا أن الاستعاذة هي الاعتصام من المكروه ، واللجوء هو الفرار من الشيء المكروه إلى الشيء المطلوب ، فالاستعاذة تكون من المكروه واللجوء يكون بمحصول المطلوب .

حدثنا سعد ابن حفص حدثنا شيان عن منصور عن ربيع ابن حراش عن خرشة ابن الحر "عن أبي ذر قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أخذ مضجعه من الليل قال باسمك نموت ونحيا ، فإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور" .

ثم أتى في الحديث قوله "إذا أخذ مضجعه من الليل" متبعدة بالمضجع من الليل ، فيكون هذا الذكر من الأذكار الخاصة بنوم الليل ، بدليل قوله "قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور" لأن النشور يكون في أول الأمر كما ينشر الناس يوم القيامة في أول يوم القيامة .

حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا جرير عن منصور عن سالم عن كريب "عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله فقال: بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبدا"

هذا من السؤال باسم الله إذا أراد أن يأتي أهله ، وهذا كناية عن الجماع ، فقال "باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه إن يقدر بينهما ولد" سواء ذكر أو أنثى في ذلك الجماع لم يضره الشيطان أبدا ، واختلف العلماء في قوله لم يضره الشيطان أبدا ، فهل المعنى أنه لم يضره ضررا بدنيا؟ لأن الشيطان إذا أسقط الطفل من بطن أمه لكزه فرما يقضي عليه في هذه اللكزة ولذلك يصرخ الجنين إذا نزل من بطن أمه على هذه اللكزة ، وقيل بل المراد لم يضره ضررا قلبيا ، وأن هذا من الأسباب التي تمنع من ضرر الشيطان ، لهذا الحمل الذي نشأ بعد هذا الذكر والسبب قد يوجد له مانع يمنع من النفوذ ومن حصول المسبب ، وهذا القول أصح لأنه عام ، لم يضره لا في بدنه ولا في قلبه ، لكن هذا من باب الأسباب قد يوجد موانع ، كما أن أسباب الإرث مثلا توجد في شخص يكون قريبا ، يكون زوجا ، يكون مولى ، ثم توجد موانع تمنع نفوذ هذه الأسباب ، والقاعدة العامة أن الأشياء لا تتم إلا باستكمال أسبابها وشروطها وإتفائها موانعها ، فإذا طبقنا هذه القاعدة على هذا الحديث وشيبهه قلنا هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيان السبب ، ثم قد يوجد موانع تمنع من نفوذ هذا السبب ، ومن ذلك أن يعيش هذا الطفل بعد خروجه من بيضة سيئة فقد تصرفه عن الاستقامة لقول النبي صلى الله عليه وسلم "كل مولود يولد على الفطرة ٠٠٠٠" وفي هذا الحث على أن يقول الإنسان هذا الذكر عند جماع أهله لأنه تكسب به هذه الفائدة العظيمة التي لو اشتراها الإنسان بالملايين لكانت رخيصة .

حدثنا عبد الله ابن مسلمة حدثنا فضيل عن منصور عن إبراهيم عن همام "عن عدى ابن حاتم قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم قلت: أرسل كلابي المعلمة؟ قال: إذا أرسلت كلابك المعلمة وذكرت اسم الله فأمسكنا فكل ، وإذا رميت بالمعراض فخرق فكل" .

حديث على ابن حاتم سأل النبي صلى الله عليه وسلم أنه يرسل كلابه المعلمة فتأتي بالصيد قد قتلته هل يحل أو لا؟ فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم أنه يحل لكن بشرط أن يسمي الله على ذلك ، وهنا نبحت في هذا الحديث بحثاً فقهيًا: -أولاً:- "قوله إذا أرسلت" هذا يدل أنه لا بد أن يكون صاحب الكلاب هو الذي يرسلها بنفسه ، لما رأى الصيد إنطلق عليها فهل يحل الصيد أم لا يحل؟ ظاهر الحديث أنه لا يحل لأنه قال إذا أرسلت ، لكن قال العلماء إن زجر فاشتد في عدوه في طلبه فإنه يحل بناء على أن هذا الزجر صار سببا في إصراره ، فبدل ذلك على أنه إنما أمسك عليك ولا يمسك لنفسه ، لأن إنطلاقه أول ما رأى الصيد بدون أن ترسله إنما إنطلق من أجل أن يصيد لنفسه فإذا زجره فاشتد في عدوه لطلبه دل ذلك على أنه أمسكه لك ، ولهذا قال الله تعالى ﴿كلوا مما أمسكن عليكم﴾ .

ثانياً:- أنه في هذا الحديث قال "المعلمة" التي علمت الصيد ، قال العلماء والتعليم هو أنه يسترسل إذا أرسل ، ويتزجر إذا زجر ، يعني يتقاد إذا طلب منه الوقوف ، وإذا أمسك لم يأكل ، فالتعليم يحصل بثلاثة أشياء:-

أنه يسترسل إذا أرسل ، أنه ينزجر إذا زجر ، أنه إذا أمسك لم يأكل . - ٦٣ -

فإذا كان لا يسترسل إذا أرسل فهذا لم يتعلم ، وكذلك إذا كان إذا أرسلته وانطلق على الصيد وزجرته ليقف لم يقف فهذا لم يتعلم لأنه غير مؤدب ، وكذلك إذا كان يسترسل إذا أرسل وينزجر إذا زجر لكنه إذا أمسك لم يأت لك إلا بنصف الصيد فهذا أيضا لا يؤكل صيده ، لأنه لما أكل منه دل هذا على أنه أمسكه لنفسه وإن كان قد يأتي ببقية الصيد إما أنه شيع أو انه يريد أن يكون شريكا لك في هذا الصيد .

ثالثا: - قوله "وذكرت اسم الله" متى تذكر الله؟ اسم الله تذكره إذا أرسلته أى حين إرساله ، لا إذا رأيته قابلا على الصيد . . . إذا سميت عليه إذا أرسلته فإنه إذا لم يسم الله فإنه لا يحل ، سواء إن ترك التسمية ناسيا أو جاهلا أو عالما ذاكرا ، وذلك لأن الشرط لا يسقط سهوا ولا جهلا ، فإذا أرسله ولم يسم الله وأتى بالصيد فإن الصيد حرام يجب تركه ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم اشترط التسمية والشرط لا يسقط سهوا أو جهلا ، فإن قال قائل هذه الحال يكثر فيها النسيان لأن الإنسان إذا رأى الصيد لإرتبك وأرسل الكلب بسرعة لألا يفوته الصيد فينسى كثيرا ، قلنا ولو كان الأمر كذلك فإنه لا يعذر بترك هذا الشرط ، فإن قال قائل ما الجواب عن قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَوَاضِعْنَا وَلَا تَوَاضِعْنَا﴾ وهذا قاعدة عظيمة في الشريعة الإسلامية ، كنا نقول بموجب هذه القاعدة وأن هذا الرجل الذي ترك التسمية نسيانا لا مؤاخذه عليه ، لكن لو تركها عمدا صار مؤاخذا ، فنقول بالنسبة لهذا الذي أرسل الصيد ونسى التسمية لا مؤاخذه عليه ولا نأثمه لكن بالنسبة لمن يأكل هو الذي نعمة من أن يأكل لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ لكن لو أكل الإنسان من هذا الصيد الذي لم يسمى عليه ناسيا أو جاهلا ، هل يَأْثَمُ أو لا يَأْثَمُ؟ لا يَأْثَمُ حيث أن القاعدة فنقول هذا الصيد من شرط حله التسمية فإذا فقد الشرط فقد المشروط كما أن الكلب لو استرسل بنفسه فإنه لا يحل ، كذلك لو استرسل بإرسال صاحبه ولكن لم يسمى فإنه لا يحل ولا فرق في هذا ، ومثله أيضا المذبح إذا ذبح ونسيت أن تسمى الله فإن الذبيحة حرام ولا تحل لأن التسمية شرط للحل والشرط لا يسقط بالسهو أو الجهل قال تعالى ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا" فاشترط شرطين: - إنهار الدم ، ذكر اسم الله .

فلو أن أحدا ذبح بدون إنهار الدم جهلا خنق الذبيحة ومات وقد سمي الله عليه أتحل؟ لا . لماذا لكن الجاهل ولو كان جاهلا لأن هذا شرط ولو أنه نسي وذبح بخنق ثم مات وقد سمي الله عليها فإنها لا تحل لأن إنهار الدم شرط فالتسمية كذلك مثل إنهار الدم لا بد منها وقد اختلف العلماء في مثل هذه المسألة باختلاف كثيرا منهم من قال إن التسمية على الذبيحة والصيد سنة وليست بشرط وهذا قول ضعيف جدا ومنهم من قال إنها شرط في الذبيحة وفي الصيد لكنها تسقط بالنسيان في الذبيحة ولا تسقط بالنسيان في الصيد وهذا هو المشهور من مذهب الحنابلة رحمهم الله واستدلوا بعدم السقوط في الصيد بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أرسلت كلابك وذكرت اسم الله فاجعل التسمية شرطا وأما الذبيحة فالتسمية واجبة وليست بشرط فتسقط بالنسيان والجهل وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لا تسقط التسمية لا في الصيد ولا في الذبيحة وأنه إذا نسي التسمية في الصيد أو في الذبيحة فالصيد والمذبح حرام وقوله أصح وأما التفريق

بين الصيد والذبيحة فكان مقتضى النظر أن تسقط التسمية في الصيد دون الذبيحة لأن الذبيحة يذبحها الإنسان وهو مطمئن هادئ النفس بخلاف الصيد وأما قولهم إن الرسول صلى الله عليه وسلم اشترط ذكر اسم الله في الصيد نقول وكذلك أيضاً في الذبيحة فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا إلا السن والظفر" فإن السن عظم والظفر مدجلة المسألة الثانية في الحديث قال وإذا رميت بالمصrad فخذق فكل وإن أصاب بعرضه فلا تأكل ، والمعارض مثل العصا رميت بالعصا وكان رأسه مديبة فأصاب الصيد برأسه فخذق حتى أنهر الدم فإنه يؤكل وأما إذا صدمه في الصيد وصدم الصيد بعرضه ومات الصيد فإنه لا يؤكل لأنه داخل في قوله تعالى: ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ الموقوذة هي التي تضرب بعصا أو شبهه حتى تموت فإن رمى الصيد بحجر وقتل الحجر الصيد لثقله لا بحده فإنه لا يحل لأنه كالمعارض تماماً ، الصيد بالبندقية ، البندقية معروفة التي تقال بالسطم والسطم الحبة الصغيرة هل يحل؟ نعم يحل لأنه لا يقتل بثقله وإنما يقتل بنفوزه فهو كرأس السهم ولقد اضطرب العلماء أول ما خرج هذا النوع من السهام هل يحل أو لا لكنهم وجمعوا بعد ذلك على الحل وقالوا كل إنسان يعرف إن السطم هذه لو ضربت بها الصيد لم يموت ، وإنها إنما تقتله بنفوزها فيكون حلالاً .

حدثنا يوسف ابن موسى حدثنا أبو خالد الأحمر قال سمعت هشام ابن عروة يحدث عن أبيه "عن عائشة قالت: قالوا بارسول الله إن هنا أقواماً حديثاً عهدهم بشرك يأتون بلحمان لا تدري يذكرون إسم الله عليها أم لا ، قال : إذكروا أنتم اسم الله واكلوا" تابعه محمد ابن عبد الرحمن وعبد العزيز ابن محمد وأسامة ابن حفص .

في هذا الحديث قوله: "لا تدري يذكرون إسم الله عليه أم لا قال إذكروا أنتم إسم الله واكلوا" في هذا من الفوائد الفقهية أن الفعل إذا وقع من أهله فإن الأصل فيه السلامة كل فعل يقع من أهله تثأصل فيه السلامة البيع إذا وقع من جائز التصرف فالأصل فيه السلامة ولا يحتاج أن تقول ثبت وكذلك الهبة وكذلك جميع العقود والأفعال أيضاً إذا صدرت من أهلها فإن الأصل السلامة وفيه أيضاً أن الذابح إذا كان أهلاً للذبح وشككنا هل سمي أم لا فإننا لا نلتفت إلى هذا الشك بناء على أن الأصل السلامة ولهذا سألو النبي صلى الله عليه وسلم عن ذبائح هؤلاء القوم الذين هم حديث عهد بالشرك والغالب أن حديث العهد بالشرك لا يعرف أحكام الإسلام ومع ذلك قال: "سموا أنتم واكلوا" إذكروا أنتم إسم الله واكلوا فدل ذلك على أن الذبيحة إذا ذبحها من هو أهل للذبح لا نسأل هل سمي أم لا لأن الأصل أن ذبيحته حلال وكذلك لا نسأل كيف ذبح هل بالسكين أو بمخفق أو غير ذلك لا نسأل لأن التسمية شرط وإنهار الدم شرط وإذا كنا لا نسأل عن التسمية فإننا لا نسأل عن إنهار الدم ولا فرق ، فإذا أطعمنا يهودي أو نصراني لحماً فهل نأكل أو نقول كيف ذبح وهل سمي؟ لا ، تأكل ولكن تسمي ، ويشعر هذا الحديث بفحواه الانتقاد عن السؤال أو إنتقاد السؤال لأنه لما قال سموا أنتم واكلوا كأنه قال ليس عليكم أن تبحثوا في فعل غيركم فإن هذا من التعمق ومن التنطع ولكن أنتم سموا على فعلكم ولا تبحثوا عن فعل غيركم وهذا هو الموافق للشرعية الإسلامية أن الإنسان لا ينبغي له أن يتنطع ويتعمق ما دام الفعل صدر من أهله فلا تبحث وقوله: "سموا أنتم واكلوا" هل المراد

التسمية على فعل غيرهم أو على الأكل الذي هو فعلهم . الثاني: لأن التسمية الأولى لا فائدة منها إنتهى الذبح فالتسمية هنا على الأكل الذي هو فعلنا وفي هذا من يسر الشريعة الإسلامية وسهولتها ما فيه وأن الإنسان لا يكلف أن يبحث ولو أننا كلفنا أن نبحت لضائق علينا المغموم لكنا نقول هذا من ذبح فلان إبحثوا هل هو يصلي أو لا يصلي إبحثوا هل هو تملك هذه الذبيحة على وجه شرعي أو لا قالوا نعم اشتراها من فلان وفلان كيف جاءت قالوا استعوهبها من فلان الواهب كيف جاءت قال عوض من إمرأتي من أين جاءت المرأة وبقينا تتسلسل إلى مالا نهاية له لكن من لطف الله عز وجل أننا لا نتمتع بهذا التعنت وأن الأصل في التصرف الواقع من جائز التصرف السلامة والصحة .

قال رحمه الله: حدثنا حفص ابن عمر حدثنا هشام عن قتادة عن أنس قال ضحى النبي صلى الله عليه وسلم بكبشين يسمى ويكبر .

.. حدثنا حفص ابن عمر حدثنا شعبة عن الأسود ابن قيس عن جندب أنه شهد النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر صلى ثم خطب فقال: من ذبح قبل أن يصلي فليذبح مكانها أخرى ، ومن لم يذبح فليذبح باسم الله .

الشاهد من قوله: "يسمي ويكبر ويذبح باسم الله" وفي هذا دليل على أن الشرط لقوله من ذبح قبل أن يصلي فليذبح مكانها أخرى فإنه عموم يقتضي وإن كان جاهلاً ولهذا لما قال أبو بردة يا رسول الله إنني ذبحت قبل أن أتى إلى الصلاة من أجل أن يطعم أهله ويأكلوا مبكرين فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يذبح بدله وقال له إن شئت لك لحم مع أنه كان جاهلاً لكن الشرط لا يسقط بالجهل كما ذكرنا قبل ذلك قال ومن لم يذبح فليذبح باسم الله استنبط بعض العلماء من قوله صلى الله عليه وسلم فليذبح باسم الله أن الجار والمجرور في البسمة ينبغي أن يكون متعلقه فعلاً مناسباً للعمل الذي ابتدأته بالتسمية فمثلاً إذا أراد الإنسان أن يتوضأ قال بسم الله ما متعلق البسمة؟ يتوضأ ، وإذا أراد أن يدخل المسجد يقول بسم الله أدخل .

حدثنا أبو نعيم حدثنا ورقاء عن عبد الله ابن دينار "عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تحلفوا بأبائكم ، ومن كان حالفاً فليحلف بالله" .

قوله عليه الصلاة والسلام: "لا تحلفوا بأبائكم" وإنما خص الأباء لأنه الغالب كانوا يحلفون بأبائهم ثم أرشد لما نهى عن الحلف بالآباء أرشد إلى ذكر من يحلف به وهو الله وقال من كان حالفاً فليحلف بالله فدل ذلك على تحريم الحلف بالآباء ، ومثله الحلف بأى مخلوق كان لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك" حتى الرسول صلى الله عليه وسلم لا يجوز الحلف به ، حتى بجريل ، حتى بالعرش ، فمن حلف به فقد أشرك .

باب ما يذكر في الذات والنعوت وأسامي الله عز وجل

يعني هل تطلق الذات؟ وهل للرب عز وجل ذات مجردة عن الصفات؟ لا ، ولهذا قال البخاري رحمه الله "في الذات والنعوت" والنعوت هي الأوصاف ، قال "وأسامي الله" فهذا ذات وإسم وصفة وكلها ثابتة

لله عز وجل فإذا قلت الله الخالق ، فالخالق تدل على ذاته وهي إسم من أسماء الله ، وتدل على صفة ، ولهذا لا يمكن أن تقول إن الله عز وجل ذات مجردة عن الصفات ، كغلاة الجهمية وغيرهم ، وقالوا إنه لا يجوز أن نثبت صفاته بل ذاته فقط ، لأن إثبات الصفات القديمة على حد قولهم يقتضي إثبات قدماء متعددين ، وإثبات قدماء متعددين شرك ، مثال ذلك إذ قلت أنا أثبت لله ذاته وأثبت له العزة ، عزة قديمة لم يزل ولا يزال عزيزا ، وأثبت له القدرة ، وأثبت العلم والسمع والبصر ، كلها قديمة ، يقولون هذا شرك النصارى أشركوا بآيتين وأنت أشركت بأكثر ، إذا لا يجوز أن تثبت لله صفة قديمة ولا يجوز أن تثبت له صفة مادته أيضا ، لأننا لو أثبتنا صفة مادته لزمه قيام الحوادث به ، وما قامت به الحوادث فهو حادث ، إذا أثبتنا الصفة القديمة قلتم يعدد قدماء وهذا شرك ، وإن أثبتنا الحديث قلتم هذا حادث والحادث لا يقوم إلا بحاله ، فماذا نعمل؟ قل ليس لله صفة واستريح ، قل ما فيه إلا ذات مجردة عن الصفات والبخاري رحمه الله بين أن هناك ذات وهناك . . . وهي الصفات ، وهناك أسماء كلها ثابتة لله عز وجل ، الذات والإسم والصفات ، ومستحيل أن توجد ذات مجردة عن الصفات لو لم يكن من صفاتها إلا صفة الوجود لكان كافيا لأن كل عين قائمة بنفسها ، لا بد أن يكون لها صفة ، فإن قلت لا أضفه بالوجود؟ قلنا بلى ، ما ضد الوجود العدم إذا أنت وصفته بالعدم فإن قال أنفى الوجود والعدم؟ قلنا هذا مستحيل لأن الوجود والعدم نقيضان ، والنقيضان لا يرتفعان أبدا ، لأبد لكل شئ من وجود أو عدم أما أن نقول لا موجود ولا معدوم لا أضفه بالوجود ولا بالعدم فهذا شئ مستحيل؟ والعجب أن هؤلاء نسأل الله العافية إذا أفهستهم ذهبوا يشبهونه بالشئ الممتنع الذي لا يقول به أحد لأنهم إذا قالوا لا نصفه بالوجود ولا بالعدم شبهوه بالمتنعات ولو أنهم سلكوا مذهب السلف وقالوا آمنا بالله وصدقنا بكل ما وصف الله به نفسه لوجدوا الراحة القلبية ، والحق أنه سهل ويسير ولهذا لا تجد هذا التعمق وهذا التنطع عند الصحابة رضى الله عنهم ، ما حصل التعمق والتنطع والإيرادات والإشكالات إلا بعد أن خاض الإنسان فيما لا يعنيه .

وقال خبيب: وذلك في ذات الإله" فذكر الذات باسمه تعالى .

أثبت لله الذات "وذلك في ذات الإله" فأثبت الذات باسمه وهذه المسألة سيأتي إن شاء الله الكلام عليها مبسوطاً في التفصيل فيها لأن من الناس من أنكر أن لله ذاتاً بناء على أن الذات في اللغة العربية لا تأتي بمعنى العين إنما تأتي بمعنى صاحبة فتقول ذات الشئ أى صاحبة الشئ تقول امرأة ذات الجمال البدار ذات الإتساع وما أشبه ذلك فهي بمعنى صاحبة ولا تأتي بمعنى الشئ القائم بنفسه ولكن هذا القول مردود بمثل ما قال البخاري رحمه الله في قول خبيب "وذلك في ذات الإله" وعارضوا بأن المراد بذات الإله الجهة وسبأتي الكلام في هذا مبسوطاً إن شاء الله .

الدرس الثاني عشر:-

وقال خبيب: وذلك في ذات الإله ، فذكر الذات باسمه تعالى .

هذه الترجمة كما رأيتم اشتملت على ثلاثة كلمات:- الذات والنعوت والأسماء .

أما النوعون فهي الأوصاف ، فأوصاف الله تعالى تسمى نوعاً كما تسمى أوصافاً فتقول مثلاً نعت الله نفسه بكذا وكذا أى وصفه .

وأما الأسامي أسامي الله فأمرها معلوم سمي الله نفسه بأسماء كثيرة وجعل منها تسعة وتسعين من أحصاها دخل الجنة .

أما الذات فالذات كلمة يختلف فيها علماء اللغة هل هي فصيحة من العربية أو هي مولدة وليست بعربية؟ وأكثر المحققين على أنها مولدة وليست من العربية في شيء وإنما هي من مصطلح أهل الكلام جعلوها بدلا عن كلمة النفس فيقول مثلاً جاء زيد نفسه أو جاء زيد ذاته يجعلونها بدلا عنها ولكنها ليست من كلام العرب العرباء كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لأن أصلها في اللغة لا تستعمل بمعنى النفس في اللغة العربية تستعمل إستعمالات متعددة منها:-

١- أن تكون بمعنى صاحبة كما لو قلت تزوجت امرأة ذات علم أى صاحبة علم ويقابلها في المذكر ذو كما لو قلت إتصل بي رجل ذو علم أى صاحب علم .

٢- تستعمل بمعنى التي عند طيه ، طى أصحاب الشمال ، جبل طى ، يجعلون الذات بمعنى التي كما يجعلون ذو بمعنى الذي وعليه قول الشاعر:

فإن الماء ماء أبي وجدي وبثري ذو حفرت وذو طويت .

أى بثري الذي حفرت و الذي طويت ويقال جاءت ذات أرضعت ولدها أى التي أرضعت ولدها .

٣- تأتي بمعنى جهة ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَنَقْلِبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ﴾ أى جهة اليمين وجهة الشمال ويمكن أن يحمل عليها قول خبيب رضى الله عنه وذلك في ذات الإله وقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام أو قول النبي صلى الله عليه وسلم في إبراهيم كذب ثلاث كذبات في ذات الله أى في جهته والمراد في سبيله وطاعته فتكون بمعنى الجهة .

٤- أن تكون وائدة للتوكيد توكيد التكثير مثل قدمنا مكة ذات يوم فوجدنا المسجد خفيفاً قوله ذات يوم هذه زائدة لتوكيد التكثير فلو قلنا قدمنا مكة يوماً فوجدنا المسجد خفيفاً استقام الكلام وهذا يوجد كثيراً في الحديث خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم ذات ليلة وما أشبه ذلك .

من أى الأقسام الأربعة قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ما هي صاحبة الصدور؟ القلوب كما قال تعالى ﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ هذه أربعة معان لذات في اللغة العربية أما ذات بمعنى نفس الشيء وحقيقته فهذه يختلف فيها علماء اللغة العربية فمنهم من أنكر إستعمالها في هذا المعنى ومنهم من أجازها وظاهر صنيع البخاري رحمه الله جواز إستعمالها بمعنى النفس فإذا قال قائل ما العلاقة بين هذا الإستعمال وبين المعنى الأصلي في اللغة العربية؟ قلنا المعنى الأصلي في اللغة العربية أن تأتي بمعنى صاحبة فهم يقولون ذات علم أى صاحبة علم والله تعالى ذو علم فأصلها مضارع لكن حذف المضاف ثم بقيت نكرة فعرفت بآل ولهذا منع بعض العلماء أن تقول ذات بالنسبة لله ، لماذا؟ لأن التاء للتأنيث ولا يجوز إستعمال الكلمة المأثثة بالتاء ولو للمبالغة ولهذا لا يجوز أن تقول إن الله علامة ويجوز أن تقول إن هذا الرجل

علامة أما الله فتقول علام الغيوب فأنت إذا أتيت بذات تريد الرب عز وجل فإن هذا يعني تأنيث ما يضاف إلى الله وهذا لا يجوز لكن هذا خلاف إستعمال جمهور العلماء المحققين .

والخلاصة أن الذات في اللغة العربية تستعمل على أربعة أوجه أما في الإصطلاح ولا مشاحة في الإصطلاح وهو المعنى الجديد لها وهو أن تكون بمعنى نفس فيقال ذات وصفات ذات الله أى نفس الله جاء زيد ذاته أى نفسه وهكذا وتكون مضافة كذات الله وتكون مقطوعة عن الإضافة معرفة بـ (أل) مثل الذات وهذا ما ذهب إليه البخاري رحمه الله . فإن قال قائل فإستدلال البخاري رحمه الله بقول الخبيـب "وذلك في ذات الإله" هل يطابق ما ترجم به؟ لأن البخاري ترجم أن الذات بمعنى النفس وخبيـب هل أراد ذلك؟ لا ، لأنه لا يريد ذات الله التي هي نفسه إنما يريد ذلك في ذات الإله لكن كأن البخاري يقول يكفي في هذا أن استعملت الذات مضافة إلى الله فأخذ من جواز إستعمال ذات مضافة إلى الله أن يوصف بها الله عز وجل .

حدثنا عبد العزيز ابن عبد الله حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الوهري أخبرنا عمرو ابن أبي سفيان عن أسيد ابن جارية الثقفي حليف لبني زهرة وكان من أصحاب أبي هريرة "أن أبا هريرة قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة منهم خبيب الأنصاري فأخبرني عبيد الله ابن عياض أن إبنة الحارث أخبرته أنهم حين إجتمعوا إستعار منها موسى يستحل بها ، فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه قال خبيب الأنصاري:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أى شئ كان في الله مصري

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

فقتله ابن الحارث ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه خبرهم يوم أصيبوا .

هاتان كرامتان في هذه القصة حمایة عاصم وهذا الرزق الذي يأتي به الله عز وجل إلى خبيـب ، وأنا أرى أن مثل هذه القصص العظيمة أرى أن لو تسجل وتنشر بين الناس لما فيها من تثبيت الإيمان والأسوة الحسنة بهؤلاء الذين هم مفخرة الأمة الإسلامية لأن هذا مما يشجع الإنسان ويزيد صبره وإيمانه أنظر إلى عاصم رضى الله عنه ومن معه قال لا يمكن أن أنزل على ذمة كافر ومن يثق بالكافر وماذا فعلوا في ذمتهم؟ باعوهـم كما تباع الغنم .

باب قوله تعالى: ﴿ويحذرکم الله نفسه﴾

وقوله جلا ذكره ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾

هذا أيضاً من صفات الله عز وجل النفس والبخاري رحمه الله من فقهه أتى به بعد ذكر الباب الذي فيه الذات لبيـن رحمه الله أو ليشرح إلى أن الذات بمعنى النفس ، ونفس الشئ هو الشئ فقولـه تعالى: ﴿ويحذرکم الله نفسه﴾ أى يحذرکم إياه وليست النفس شيئاً آخر والله شئ آخر ، الله هو النفس . وكذلك قوله تعالى: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ أى تعلم ما في نفسي أنا ولا أعلم ما في نفسك فليست النفس صفة زائدة عن الذات بل هي الذات نفسها ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ويقولون في أنفسهم﴾

هل المراد بأنفسهم شئ آخر غير زواتهم؟ لا، هي ذواتهم وعلى هذا فالنفس بمعنى الذات ﴿يُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ﴾
نفسه﴾ يعني يحذركم إياه ويدل ذلك قوله تعالى: ﴿وإياي فارهبون﴾ ﴿وإياي فاتقون﴾ وما أشبه ذلك.

وفي قوله ﴿ويحذرکم الله نفسه﴾ دليل على أن الإنسان يجب أن يحذر من الله عز وجل ، ما يحذر
منه ظاهراً فقط بل ظاهراً وباطناً فيما يقول وفيما يفعل وفيما يضمّر علناً أو سراً لأن الله عز وجل يقول
﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ رزقنا الله وإياكم اليقين ، إذا علم الإنسان هذا وأيقن
فإنه سوف يخشى الله عز وجل ويخاف أن يقع في محارمه ويحذر وقوله تعالى ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما
في نفسك﴾ القائل عيسى ابن مريم عليه السلام يقول الله عز وجل يوم القيامة ﴿واذ قال الله ياعيسى ابن
مريم ءأنت قلت للناس إتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي
بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾ ولما نفى
هذه المقالة بين ما ذا قاله لهم فقال ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم
شهيذاً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد﴾ وأتباع عيسى
النصارى اليوم الذين يدعون أنهم أتباع عيسى وهم كاذبون يقولون إن الله ثالث ثلاثة وعيسى قد قال لهم أن
اعبدوا الله ربي وربكم لكن هم يعبدون الآن عيسى وأمه والرب ثلاثة أقانيم عندهم بل بعضهم يعبد الصليب
وهذا من سفههم وضلالهم ، الصليب في الأصل خشبة مصلوباً عليها على ما زعموا عيسى عليه السلام
والعقل يقتضي أن الواحد منهم الذي يتبع عيسى ويحب عيسى يقتضي أنه إذا رأى الصليب كسره أليس
كذلك؟ بلى ، لأنه إذا كان يحب عيسى هل يحب العمود الذي صلب عليه أم يكرهه؟ يكرهه ، ونحن نرى
عيسى ابن مريم عليه السلام ونشهد أنه عبد الله ورسوله من أن يكون صلب وأن الله تعالى نزهه عن ذلك
ولما هموا بقتله وصلبه رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾
سبحان الله العظيم أصل ضلالهم مبني على شبهة والضلال كله شبهة ، شبه لهم رجل بأنه عيسى فقتلوه
وصلبوه وقالوا هذا عيسى ، وليس الذي قتله أيضاً النصارى ، الذي قتله وصلبه اليهود على زعمهم ومع ذلك
فقد قال الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض﴾ لكن هم
أولياء ضد عدو ثالث وهو المسلمون ، المسلمون أعداء لهم منذ بزغ الإسلام إلى اليوم وإلى يوم القيامة
وسوف يقتل اليهود إن شاء الله على يدي المسلمين حتى يختبؤوا بالشجر فيقول الشجر يا عبد الله هذا يهودي
تحته فاقته. فالخاصل أن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام إنما جاء بالتوحيد الذي جاء به إخوانه من
المسلمين ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وأنت على كل شئ شهيد﴾
ومعنى توفيتني أى قبضتني ورفعني إليك.

حدثنا عمرو ابن حفص ابن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش عن شقيق "عن عبد الله عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال: ما من أحد أغير من الله ، من أجل ذلك حرم الفواحش ، وما أحد أحب إليه
المدح من الله"

في هذا الحديث إثبات الغيرة لله عز وجل والغيرة لا تحد بأوضح من لفظها الغيرة هي الغيرة ، أن الإنسان يغار ولكن لها آثار وهو الغضب ، فما من أحد أغير من الله عز وجل من أجل ذلك حرم الفواحش فقد ثبت في الحديث الصحيح في قصة صلاة الكسوف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته" يعني أن الله يغار غيرة شديدة لا يوجد لها نظير إذا زنى عبده أو زنت أمته وفي هذا دليل على عظم الزنى عند الله عز وجل أنه يغار منه سبحانه وتعالى غيرة شديدة ، وقوله "وما أحد أحب إليه المدح من الله" نعم يجب عز وجل من عباده أن يشنوا عليه وأن يمدحوه لأنه أهل لذلك سبحانه وتعالى وذها من كماله عز وجل أن يحب أن يُثنى عليه بما هو أهله مع أننا لا نحصى ثناء عليه ، ثم إن هذا الثناء مصلحته تعود للعبد المثنى على الله فهو يحب هذا لأن ذلك ينفع العبد ، يجب هذا لأنه أهل لأن يمدح .

حدثنا عبدان عن أبي حمزة عن الأعمش عن أبي صالح "عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لما خلق الله الخلق كتب في كتابه - وهو يكتب على نفسه وهو وضع عنده على العرش - إن رحمتي تغلب غضبي"

هذا الحديث كما رأيتم في ثيابه وفي قلبي وقد روى بسياق أتم وأحسن من هذا والشاهم منه قوله "يكتب على نفسه الرحمة" وقد جاء في القرآن ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ والشاهد إثبات النفس لله عز وجل .

حدثنا عمرو ابن حفص حدثنا أبي حدثنا الأعمش سمعت أبا صالح "عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ خير منه ، وإن تقرب إلى شبرا تقرب إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلى ذراعاً تقرب إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة" .

قوله تعالى "أنا عند ظن عبدي بي" يعني كما جاء في حديث آخر "إن ظن بي خيراً فله وإن ظن بي سوءاً فله" ولكن متى يحسن أن يظن الإنسان بربه خيراً؟ يحسن إذا عمل عملاً يستحق به الخير مثاله عمل عملاً صالحاً فيظن بربه أن يقبله ، تاب إلى من ذنب فعله فيظن بربه أن يقبله لا ينظر إلى عمله وإلى حاله فيسيئ الظن بناء على ما عنده ، ولكن ينظر إلى رحمة الله عز وجل أما من ليس عنده ما يكون به إحسان الظن فإن إحسان الظن إفلاس ولذلك جاء في الحديث "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني" فحسن الظن لا بد أن يكون في محل قابل بل بأن يعين عملاً صالحاً فيحسن الظن بالله عز وجل أنه قبله يتوب فيحسن الظن بالله أن الله قد قبل توبته ، أما أن يضر على معصية ويقول أنا محسن الظن بالله وسيغفر لي الله ، يزني ويشرب الخمر صباحاً ومساءً ويقول أنا أحسن الظن بالله كيف يحسن الظن بالله؟ مسكين تب إلى الله وأحسن الظن بالله أن يقبل الله توبتك كلما ذكرت الله فاعلم أن الله معك سواء ذكرته بقلبك أو بلسانك أو بجوارحك فاعلم أن الله معك . ولهذا قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾ حتى تنالوا الفلاح بالثبات وذكر الله ولهذا إذا ذكر الإنسان ربه من قلبه نسي كل شيء ولست أقول نسي كل شيء كما ينسى

الصفوة الذين يتفون عن شهود سوى إذا قام أحد يتعب نسي كل شيء فغفل على زعمه بالمعبود عن العبادة وبالمذكور عن الذكر وبواجب الوجود عن ممكن الوجود نسي كل شيء حتى وصل بعضهم إلى حد الجنون يقول أنا خيمتي على جهنم ويقول سبحانه سبحاني ويقول ما في الحب إلا الله يعني نفسه ، فيصلون إلى حد الشطح والجنون والهذيان فانت كلما ذكرت ربك فإن الله سبحانه وتعالى معك بالنصر والتأييد والتذكير وزوال الوحشة حتى إذا استوحشت بالليل وأردت أن تزول الوحشة عنك فاذكر الله عز وجل لأنك بذكرك الله يهون عندك كل شيء ويتصاغر عندك كل شيء والمعية تنقسم إلى أقسام:

الأول: -معية عامة يراد بها بيان الإحاطة ، مثل قوله تعالى ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا﴾ هذه معية عامة ومثل قوله تعالى ﴿هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم﴾ وهذه المعية تشمل المؤمن والكافر والبر والفاجر .

الثاني: - معية التهديد: معية خاصة ولكنها للتهديد مثل قوله تعالى: ﴿يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً﴾ هذه خاصة معهم هؤلاء الذين يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول في الليالي المقصود بها التهديد .

الثالث: - معية خاصة لقوم معينين بأوصافهم للتأييد والتثبيت مثل قوله تعالى: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ وأمثالها كثير .

الرابع: -مخصوصة لقوم معينين للتأييد مثل قوله تعالى: ﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم﴾ هذه إن كانت خاصة للمخاطبين في ذلك الوقت فهي خاصة وإلا فهي عامة خاصة بالمجاهدين ﴿وأنتم الأعلون والله معكم﴾ بالنصر والتأييد والتثبيت .

الخامس: -خاصة بأشخاص معينين للتأييد والنصر والدفاع مثل قوله تعالى عن موسى وهارون لما قال موسى ﴿ربنا إنا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إني معكما أسمع وأرى﴾ المعية هنا خاصة بشخص للتأييد والتقوية والتثبيت ومن ذلك قوله تعالى في حق نبينا صلى الله عليه وسلم حين قال له أبو بكر وهما في غار ثور يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى قدمه لأبصرنا يعني بذلك قريشاً الذين يطلبون الرسول عليه الصلاة والسلام وأبا بكر وقفوا على الغار ليس بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر حائل لا عش حمام ولا شجرة عليها حمامة ولا شيء ﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾ قال الرسول صلى الله عليه وسلم لا تحزن إن الله معنا ما ظنك باثنين الله ثالثهما أخير وبين الحكم لا تحزن إن الله معنا ما ظنك باثنين هذا التثبيت والتأييد والدفاع ما ظنك باثنين الله ثالثهما أبو بكر رضى الله عنه ماذا يظن باثنين الله ثالثهما أنه لن يضرهما أحد ولم يستطع أحد أن يعثر عليهما وهذا هو الواقع وقفوا على الغار ولم يروا أحد أعمى الله أبصارهم وإنصرفوا وهذه المعية من الله عز وجل للرسول وأبو بكر كالمعية التي كانت لموسى وهارون ولهذا

كانت أقوى من قول الرسول صلى الله عليه وسلم لعلى ابن أبي طالب لما خلفه في أهله في غزوة تبوك وكان علياً صار في نفسه شيء كيف تخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي في كونك خليفة لي على أهلي كما خلف موسى هارون على قومه ﴿أخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ لكن أبو بكر والرسول صلى الله عليه وسلم ﴿إن الله معنا﴾ كمعية الله لموسى وهارون فكان هذا أبلغ من قول الرسول صلى الله عليه وسلم لعلى ابن أبي طالب أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي بينهما فرق أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم لأبو بكر إن الله معنا كما قال الله لموسى وهارون إني معكما أسمع وأرى فهذه معية خاصة للشخص فإذا قال قائل هل هذه المعية حقيقية؟ أو المراد بها لوازمها؟ نقول هي حقيقية واللوازم تابعة للمعنى الأصلي كسائر المعاني اللوازم كالسمع والعلم والبصر والمدافعة وما أشبه ذلك تابعة للمعنى الأصلي الذي يدل عليه اللفظ بالمطابقة فإن قال قائل كيف تجعلونها حقيقية وأنتم تنكرون على الحلولية الذين يقولون إن الله معنا حقاً بذاته ، نقول نعم ننكر عليهم لأن هؤلاء يقولون إن الله معنا في نفس المكان فيكون الله مع الرسول وأبو بكر في نفس الغار مع المحسنين في نفس الأماكن المعية العامة مع الناس كلهم في أى مكان ونحن ننكر هذا أشد الإنكار فإن قال قائلهم أن تثبتوا معية حقيقية مع إعتقادكم أن الله تعالى فوق عرشه فوق السموات السبع؟ فهذا تناقض فالجواب من ثلاثة أوجه:-

الوجه الأول:- أن الله جمع فيما وصف به نفسه بين المعية والعلو فقال: ﴿فهو معكم﴾ وقال: ﴿وهو العلي العظيم﴾ بل في نفس آيات سورة الحديد فليس إستواءه على العرش يمنع من كونه معنا فإذا كان كذلك فإننا نعلم علم اليقين أنه لا تناقض بينهما لأنه لو كان بينهما تناقض للزم أن يكون أحد الخبرين كذباً وهذا مستحيل .

الوجه الثاني:- أنه لا تناقض بين العلو والمعية وذلك لأن المعية معناها الأصلي مطلق المصاحبة والمقارنة وهذا المطلق يختلف باختلاف المضاف إليهم وباختلاف القرائن ممثلاً الرجل يقول زوجتي معي وهو في المسجد والمرأة في البيت إذا في مطلق مقارنة ومصاحبة لكن ليس معناها أن تكون معه في نفس المسجد ، الجنود في الميدان في القتال يقولون القائد معنا لأنهم يسرون على توجيهاته هذه المعية لها معنى القائد أين هو؟ في غرفة العمليات وهم في ميدان القتال ويقول القائد معنا إذا تغير المعنى بحسب السياق العرب يقولون ما زلنا نسير والقمر معنا القمر معهم بأيديهم أو على رءوسهم؟ لا في السماء ، ويقولون باللفظ العربي الصريح المبين إن القمر معنا ولا ينكر عليهم أو يقولون ما زلنا نسير والقطب معنا أو الجدوى معنا وكل هذا كلام عربي فصيح صحيح فهل هناك الآن منافاة بين علو القمر في السماء أو القطب أو الجدوى وبين كونه معنا؟ لا فإذا كان هذا ممكناً في حق المخلوق ففي حق الخالق أولى وأولى ولهذا قال شيخ الإسلام رحمه الله في العقيدة الواسطية بل القمر في السماء وهو من أصغر المخلوقات وهو مع المسافر وغيره أينما كان فكيف بمن هو محيط بكل شيء؟ كيف بمن السموات السبع والأرضين السبع في كفه كخردلة في كف أحدنا . ألا يصح أن نقول هو معنا وهو في السماء؟ يصح ،

الوجه الثالث:- أن نقول هب أن بين المعنى الحقيقي للمعية والعلو الذاتي تناقضاً في حق المخلوق قايماً يلزم في حق المخلوق لا يلزم في حق الخالق وما إستحال في حق المخلوق قد يكون جائزاً أو واجباً في حق الخالق وبهذا يزول الإشكال عن ما يقع في القلب من الشك والتردد بين قولنا بإثبات معية حقيقية وعلو ذاتي حقيقي. وأهيم شئ الوجه الأول أن الله تعالى لا يمكن أن يجمع فيما وصف به نفسه بين شيئين متناقضين لكن يحتاج الأمر إلى فطنة وذكاء حتى يتمكن الإنسان من الجمع بين ما ظاهره التعارض وفضل الله يؤتیه من يشاء.

المعية في هذا الحديث من الأقسام الخاصة ، وعليك يا أخي بذكر الله دائماً حتى يكون الله معك دائماً وقوله: "فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي" هذا الشاهم من الحديث الشاهد قوله ذكرته في نفسي وقوله: "وإن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم" ملا يعني جماعة من هم؟ الملائكة المقربون الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ، يذكره في ملا خير منهم فياله من فخر عظيم إذا جلست في مجلس ما أسهل أن تذكر الناس بالله عز وجل لو لم تقل إلا أن تقول لا إله إلا الله ما أعظم الله كيف استطاع بنو آدم أن يكونوا هذا النور من مسمار يضغط ويطغى النور أو لا يطفئ ، إذاً لو ذكرت الله في هذا الملا ذكرك الله في ملا خير منهم وهم الملائكة المقربون عند الله ، استدل بعض العلماء بهذا الحديث على أن الملائكة خير من البشر ومن الجن لأنه قال "ذكرته في ملا خير منهم" فهل هذا الإستدلال صحيح؟ الجواب: لا ، لأنه لا يلزم من الخيرية الخاصة المطلقة فمثلاً أنا عندي جماعة أهل استقامة ودين في ناس خير منهم أعلى منهم درجة يكونون خيراً منهم وهناك ملا ثالث أعلى من الثاني خير منهم ، فأنا أقول للملا الثاني هم خير من الملا الذين عندي لكن لا يلزم أن يكونوا خير من الملا الذين فوقهم ، فإذا كان الملائكة الذين عند الله حين الذكر خير من الملا الذين عندي لا يلزم أن يكونوا خيراً من كل بني آدم لأن الملا الذين عندي ليسوا خير الناس ، هذه المسألة أخذت نقاشاً طويلاً بين العلماء أيهما أفضل الملائكة أو بنو آدم ، وعندني أن الخلاف والنقاش في هذا ليس بذات أهمية لأن الملائكة من جنس آخر وعبادتهم من جنس آخر والتكاليف التي أمرهم الله بها من جنس آخر فلا حاجة للمقارنة وكون الله عز وجل يأمر الملائكة أن يسجدوا لأبينا آدم لا يدل على فضلنا عليهم وكونهم مسخرين لنا يكتبون أعمالنا ويحفظون أرواحنا أيضاً لا يدل على أننا أفضل منهم وكونهم يدخلون علينا من كل باب أسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم يقولون سلام عليكم بما صبرتم لا يدل على أننا أفضل منهم لأنه يأتينا خصلة واحدة من خصالهم ربما تقضي على كل هذا وهو أنهم لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، لكن الذين قالوا البشر أفضل قالوا إن البشر ركب فيهم شهوة فيتابعهم للحق يكون صعباً ومعاناة الشئ مع الصعوبة أفضل من معاناته مع السهولة لأن الملائكة ألهموا التسييح وصار عليهم سهلاً وصار إمثالهم ليس له معارض وليس له موانع لكن البشر أبتلوا وصار هناك موانع من تحقيق العبادة أو الإستمرار فيها فصارت معاناتهم للعبادة تقابل إستمرار لأن العبادة مع المشقة تكون أفضل من العبادة بدون مشقة لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة "أجرك على قدر نصبك" وأنا أقول لو سلك سالك مسلك شيخ الإسلام ابن تيمية وقال إن الملائكة

أفضل بإعتبار البداية والبشر أفضل بإعتبار النهاية أما الأعمال التي كلف بها هؤلاء ، وهؤلاء أطاعوا ، وهؤلاء حصل منهم عصيان فهذا شيء آخر لو سلك سالك هذا المسلك لكان مسلماً جيداً لأن الملائكة بإعتبار البداية خلقوا من نور والنور أفضل من الطين وإباعتبار النهاية البشرية والسعادة والفوز إنما هو للبشر حتى الملائكة بدخلون على البشر من كل باب يقولون سلام عليكم بما صرتم فنعمة عبي الدار فهم أفضل بإعتبار النهاية لأن الله أعد لهم دار كرامته ودار رحمته أما الأعمال التي كلفوا بها فلكل منهم ما يناسبه والله عز وجل حكيم ، أنا ذكرت أنه كلما كانت العبادة أشق فهي أفضل هل معنى ذلك أن يتعمد الإنسان المشقة في العبادة؟ لا ، بل ربما لو تعمد المشقة في العبادة لأثم لأن الله يحب أن تؤتى رخصه ويريد بنا اليسر ولما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم رجلاً واقفاً في الشمس وسأل قالوا إنه نذر أن يقف بالشمس فأمره أن يدع الوقوف وقال كلمة معناها أن الله غنى عن تعذيب هذا نفسه فلو قال قائل أنا أريد أن أسخن الماء في الصيف لو قال قائل أنا أريد أن أسخن الماء في الصيف حتى أتوضأ به وأبرده في الشتاء حتى أتوضأ بماء بارد ماذا تقول له؟ نقول أخطأت هذا خلاف هدى النبي صلى الله عليه وسلم وخلاف ما يريد الله من اليسر فإن قال تسخين الماء في الشتاء وتبريده في الصيف من أجل الوضوء هل يمنع فضل الوضوء؟ لا ، بل هذا من حسن رعاية الإنسان لنفسه ورعاية الإنسان لنفسه بدون إخلال بالطاعات لا شك أنه مطلوب "إن لنفسك عليك حق".

الدرس الثالث عشر:-

حدثنا عمرو ابن حفص حدثنا أبي حدثنا الأعمش سمعت أبا صالح "عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ، وإن تقرب إلى شيراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة".

هذا الحديث تقدم الكلام على أوله إلى قوله "ذكرته في ملأ خير منهم" قال: "وإن تقرب إلي بشير تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة" في هذه الجمل الثلاث بيان فضل الله عز وجل وأنه يعطي أكثر مما فعل من أجله أى يعطي العامل أكثر مما عمل وهذه هي القاعدة في ثواب الله عز وجل أنه يعطي أكثر مما جاء في القرآن الكريم ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل﴾ هذه الجمل الثلاث تدل على هذا لا معنى العظيم وأن عطاء الله وثوابه أكثر من عمل العبد وكدحه يقول جلا وعلا "إن تقرب إلي بشير تقربت إليه ذراعاً" الشبر مسافة ما بين طرف الخنصر إلى طرف الإبهام عند مد اليد والذراع مسافة ما بين طرف الأصبع الوسطى إلى عظم المرفق وهذا هو الذي كان يقدر به سابقاً الشبر والذراع والباع وما أشبه ذلك وقوله: "إن تقرب إلى شيراً تقربت إليه ذراعاً" يختلف العلماء في معنى هذه الجملة وما بعدها.

فقيل إن هذا على حقيقته وأن الإنسان إذا تقرب إلى الله شبراً تقرب إليه ذراعاً وعلى هذا فيكون هذا القول في العبادات التي تحتاج إلى مشى كالسعى إلى المساجد والسعى إلى الحج وما أشبه ذلك ويخرج العبادات التي لا يكون فيها مشى ولكنها كالتى تحتاج إلى مشى أى أن الله يعطي العامل أكثر مما عمل .

وقيل أن هذا على سبيل المثال وأن الإنسان إذا تقرب إلى الله بقلبه تقرب الله إليه على كيفية لا نعلمها نحن بأنفسنا نعلم كيف تقرب إلى الله لكن تقرب الله إلينا لا نعلمه فالمعنى أن الإنسان إذا تقرب إلى الله بقلبه فإن الله تعالى يتقرب إليه على كيفية لا تعلم وذلك أن الإنسان يشعر بتقربه إلى الله بالقلب أحياناً يكون قلبه ذاكرةً لله عز وجل فيشعر أنه قريب من الله عز وجل وأحياناً يكون غافلاً فالمعنى إذا تقرب الإنسان إلى ربه بالقلب ومن المعلوم أن العبادات تكون سبباً لتقرب القلب إلى الله عز وجل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد" ولهذا وأنت ساجد بأنك قريب من الله وأن الله في السماء فيكون على هذا القول يكون هذا من باب ضرب المثل وليس على الحقيقة وهذا القول أحسن من الأول لأنه يشمل بدلالة المطابقة جميع العبادات والأول يختص بالعبادات ذات السعى والمشى ، وكذلك أيضاً قوله: "من تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً" .

أما قوله: "وإن أتاني يمشي أتيته هرولة" فهذا أيضاً اختلف فيه العلماء هل هو على حقيقته أم لا؟ فقيل أنه على حقيقته ونحن إذا مشينا نعرف كيف نمشي أما الله عز وجل فإننا لا نعرف كيفية مشيه ولا مانع من أن الله يمشي يقابل المتجه إليه فيقابله إذا أتاه يمشي يقابله بهرولة ويقال إن الذي يأتي سيأتي على صفة ما ولا بد فإذا كان الله يأتي حقيقة فإنه لا بد أن يأتي على صفة ما هرولة أو غير هرولة فإذا قال عن نفسه أتيته هرولة قلنا ما الذي يمنع أن يكون إتيانه هرولة إذا كنا نؤمن بأنه يأتي حقيقة ونحن نؤمن بأنه يأتي حقيقة فإذا كان يأتي حقيقة لا بد أن يكون إتيانه على صفة من الصفات فإذا أخبرنا بأنه يأتي هرولة قلنا آتينا بالله لكن كيف هذه الهرولة؟ لا يجوز أن نكيفها ولا يجوز أن نتصورها هي فوق ما يتصور وفوق ما يتكلم به ولكن هذا القول يخص هذا الحكم بالعبادات التي يأتي إليها الإنسان مشياً وتبقى العبادات الأخرى التي يفعلها الإنسان وهو قائم في مكانه تبقى غير مذكورة في هذا الحديث لكنها بمعناها .

يقول هذا من باب التمثيل أى من أسرع إلى رضا وإلى عبادتي أسرع إلى ثوابه سرعة أكثر من سرعة عمله وهذا القول يشمل جميع العبادات لأن الإنسان يسرع إلى العبادة إسرعاً بالبدن وأحياناً يسرع بالقلب فقط وهو ثابت في مكانه فالمهم أن لعلماء السلف في هذه المسألة قولين هل نقيها على ظاهرها وإن كان سيخرج عنا بعض العبادات إلا أنها تثبت بالقياس أو نقول إن هذا كناية عن أن فضل الله عز وجل أكثر من عمل العامل وكان شيخ الإسلام رحمه الله يميل إلى هذا الرأي الأخير أنه من باب ضرب المثل ونريد هذا بأنه ليس جميع العبادات تحتاج إلى سعى ومشى وإبقاء الحديث على عموم المعنوي في جميع العبادات أولى من كوننا نخصه في بعض العبادات التي لا تكون عشر العبادات الأخرى أى العبادات التي تحتاج إلى مشى قليل فكوننا نحمل الحديث على عموم العبادات ونجعل هذا من باب ضرب المثل وما زال الناس يضرّبون المثل في هذا يقول أنا إذا رأيتك تقبل على فسرف أعطيك بالخطوة خطوتين أو إذا أقبلت مثلياً أقبل إليك مسرعاً أو

إذا مشيت إلى بالأقدام أمشي إليك بالجفون وهذا أسلوب عربي معروف وما زال إلى يومنا هذا ، وبهذا يزول إشكال الحديث إن حملناه على الحقيقة لم يفتنا على هذا الحمل إلا شيء واحد وهو العبادات التي لا تحتاج إلى مشي ولا إلى مسافة وإن حملناه على ضرب المثل عم جميع العبادات وهذا المثل معروف من أساليب اللغة العربية .

باب قول الله تعالى ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾

قال البخاري رحمه الله باب قول الله تعالى ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ كل شيء هالك أى زائل إلا وجه الله والمراد بالهالك قبوله للهلاك وإن لم يهلك ولهذا من المخلوقات مالا يهلك ولا يفنى كالجنة والنار والروح وما شاء الله عز وجل فالمراد بالهالك هنا أنه إما هالك حقيقة أو قابل للهلاك إلا وجه الله وإختلف المفسرون في قوله ﴿إلا وجهه﴾ فقيل إلا ما أريد به وجهه وعلى هذا يكون معنى الآية كل شيء يقوم به الإنسان ويفعله فإنه لا فائدة منه إلا ما أراد به وجه الله وهؤلاء أيدوا قولهم بقوله تعالى ﴿ولا تدعوا مع الله الهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه﴾ هذا هو الأمر بالإخلاص فيكون إلا وجهه أى إلا ما أريد به وجهه أى إلا ما كان خالصاً وهذا لا شك أن له وجهاً من حيث سياق الآية وقيل المراد كل شيء هالك أى فاني وزائل إلا وجه الله عز وجل فعلى الأول يكون الهلاك معنوياً وعلى الثاني يكون الهلاك حسياً إلا وجه الله عز وجل والمراد بوجهه هنا ذاته بمعنى أنه غير بالوجه عن الذات وليس كما قال أهل الضلال أن الرب عز وجل يفنى إلا وجهه أعوز بالله هذا منكر من القول والله يعبر عن وجهه في مقام الشاء كما قال تعالى: ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ هذه كل شيء هالك إلا وجهه بإيذاء كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام والتعبير بالوجه عن الذات لا يعني أننا أخرجنا عن المعنى المراد إذ أن التعبير بالوجه عن الذات يدل على أن الله وجهاً وهذا هو المطلوب فالله عز وجل له وجه موصوف بالجلال والإكرام والعظمة والإحسان إلى الخلق وإكرام من يستحق الإكرام هذا الوجه حقيقي لكنه غير معلوم بالكيفية لأن الله أخبرنا عن وجهه ولم يخبرنا عن كيفية وجهه وكما أنه لا كيفية لذاته من حيث الكل ولا نقول الكل بالنسبة لله فكذلك لا كيفية لصفاته لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ولهذا قال بعض العلماء إذا قال لك الجهمي أنت أثبت لله وجهاً فكيف وجهه؟ أثبت لله يداً فكيف يده؟ تقول له أنت تثبت لله ذاتاً فكيف ذاته فإذا قلت هذا فسوف ينقطع لأنه لا يمكن أن يكيف ذاته فنقول له إذا كنت لا تكيف ذاته فإننا لا نكيف صفاته لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات وقال بعض العلماء على حديث النزول إذا قال لك المعطل إن الله ينزل إلى السماء الدنيا كيف ينزل؟ فقل له إن الله أخبرنا أنه ينزل ولم يخبرنا كيف ينزل وكل هذه جوابات مفحمة واضحة لا تحتاج إلى تكلف فالوجه لله حقيقة ثابت موصوف بالجلال والإكرام لكن كيفيته غير معلومة لنا لا نعلم كيفية هذا الوجه لأنه أعظم من أن تحيط به عقولنا وأفهامنا .

وأهل السنة والجماعة على طريقتهم وعلى جاداتهم يقولون إنه وجه حقيقي يليق بالله عز وجل ولا تعلم كيفيته وهذا النوع من الصفات يسمى الصفات الخيرية لأن إثباتها بمجرد الخير فالعقل لا يهتدي إليها

لكن السمع والبصر صفات معنوية يهتدي إليها العقل يعلم أنه لا يصح أن يكون رباً إلا من كان شيعياً بصيراً ولهذا قال إبراهيم لأبيه ﴿يَا أَبَتِ لِمَا تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾ لكن الوجه واليد وما أشبهها لا يمكن أن يثبتها العقل فهي موقوفة على السمع والخبر ولهذا سموها صفات خبرية وضابطها أن مسماها بالنسبة إلينا أبعاد وأجزاء ليست معاني الوجه اليد العين الساق القدم الأبع كل هذه نسميها صفات خبرية. أهل التحريف الذين يسمون أنفسهم أهل التأويل يقولون إن الله ليس له وجه لأن إثبات وجه حقيقي يستلزم التأويل والخسمة كفار فلا نقول إن الله وجهاً حقيقياً إذا ما المراد بالوجه؟ قالوا إن المراد بالوجه الجهة أو المراد بالوجه الثواب وليس المراد الوجه الحقيقي فيقال إن هذا تحريف وأى معنى للجهة في قوله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ أى معنى لهذا يعني مثلاً لو صح أو إستقام أن تكون الجهة صحيحة في مثل قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ لو صح إثبات الوجه بمعنى الجهة لم يستقم في مثل قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ قالوا إذا تحول المعنى إلى أن المراد الثواب يعنى إلا ثوابه لأن ثوابه لا يهلك فالجنة مؤبدة أبد الأبدين ولكن كل هذا إنحراف عن الصراط المستقيم سببه الرجوع إلى العقل ولو أن الإنسان تأدب مع ربه ومع نبيه ولم يحكم عقله فيما جاء عن الله ورسوله لسلم من هذه المشاكل ما الذي يضره لو قال أن الله وجه حقيقي لكنه لا يشبه الأوجه لا يماثل أوجه المخلوقين ولا نعلم كيفيته فالصواب إذاً المقطوع به المتعين عقيدة أن ثبت لله وجهاً حقيقياً موصوفاً بالجلال والإكرام ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ ولكننا لا نكفيه ولا نثله بخلقه.

حدثنا قتبية عن سعيد حدثنا حماد ابن زيد عن عمرو "عن جابر ابن عبد الله قال: لما نزلت هذه الآية ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَعْثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم: أعوذ بوجهك ، فقال أو من تحت أرجلكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أعوذ بوجهك ، قال: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعاً﴾ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا أيسر"

ثم ساق المؤلف حديثاً فيه ذكر الوجه وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك قاضاً عند قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَعْثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ من فوقكم يعني حاصباً من السماء كالمواعق وغيرها مما يهلك الناس أو من تحت أرجلكم الخسف والزلزل قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعاً وَيَزِيْقُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم هذه أيسر أو أهون بالنسبة لغيرها لأن الأول لا يمكن مدافعتة والثاني لا يمكن مدافعتة والثالث يمكن أن يدافع بالإصلاح ، كلما جاء وجه الله في القرآن فهو الوجه الحقيقي لكن يختلف العلماء في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ قيل المراد بالوجه هنا الجهة يعني أى شئ تولونه في صلاتكم فهي جهة صحيحة وقيل المراد الوجه الحقيقي ، لكن الراجح في قوله تعالى ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ أنه الوجه الحقيقي ويؤيد هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم في المصلي "إن الله قبل وجهه" فهذا يدل على أن الإنسان إذا إتجه في الصلاة فإنما يتجه إلى وجه الله ، ماذا نقول في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا نَنْطَعِمُكُمْ لَوْجَهُ اللَّهِ﴾ هل المراد به الوجه الحقيقي؟ نعم المراد به الوجه الحقيقي وهذا كما لو قالوا إِنَّمَا نَنْطَعِمُكُمْ لَوْجَهُ اللَّهِ لكن عبروا بالوجه عن الذات مثل ﴿كُلُّ شَيْءٍ

هالك إلا وجهه. • فالقاعدة كلما جاءت وجه مضافة إلى الله تعالى في القرآن فإنها الوجه الحقيقي إلا هذه الآية ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَنُفْسُ اللَّهِ وَجْهٌ﴾ ففيها قولان للسلف.

باب قول الله تعالى ﴿وَلْتَصْنَعْ عَلَى عَيْنِي﴾

تغذى ، وقوله جل ذكره ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾

هذا الباب ذكر المؤلف رحمه الله صفة العين ، والعين من الصفات الخيرية وذكر رحمه الله آيتين من كتاب الله: قوله تعالى لموسى: ﴿وَلْتَصْنَعْ عَلَى عَيْنِي﴾ اللام هذه للتعليل وتصنع بمعنى تربي وتغذى ، التغذية صناعة للبدن والتربية أيضاً صناعة للعمل فإن الإنسان يربي على الأخلاق فيقال صنع عليها ويغذى فيزداد نموه وينشط فيكون مصنوعاً بالغذاء البخاري رحمه الله قال تغذى فذكر أحد نوعي الصناعة وهي التغذية والتربية صناعة لأنك تكيف ولدك مثلاً على الصفة التي تريدها من التربية فيكون هذا صناعة ولقوله تعالى: ﴿وَلْتَصْنَعْ عَلَى عَيْنِي﴾ أى على مرأى مني فأراك بعيني وليس المعنى أنه يصنع على عين الله عز وجل بحيث يكون عليها نفسها ولا يمكن أن يكون هذا المراد وليس هو ظاهر اللفظ ، ولكن المعنى على مرأى مني بالعين أى أراك بعيني ولهذا فسر علماء السلف الآية بقولهم على مرأى مني كما فسروا قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ أى يمرأى منا ومرادهم بذلك أنه يصنع على عين الله أى يمرأى من الله بعينه ففيه إثبات العين .

والعين كما ترون في الآية مفردة عيني مفردة ، فهل المراد عين واحدة أو المراد ما ثبت لله من عين؟ الثاني لأن المفرد إذا أضيف يتناول كل ما يحتمله المعنى من العموم أو كل ما تحتمله الإضافة من العموم فهو يشمل ما لله من العين . أما الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ قوله تجري الضمير يعود على سفينة نوح عليه السلام لقوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدَسَّرَ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفْرًا﴾ أى تجري يمرأى منا نحن نكلوها ونحفظها ونراقبها بأعيننا ولا شك أن هذه المراقبة بالعين مراقبة خاصة الله عز وجل ينظر كل شئ ويصير كل شئ ، لكن هذا نظر خاص لهذه السفينة وعناية ورعاية تختص بها .

ومن المعلوم أنه لا يمكن أن يكون المراد بقوله بأعيننا أنها في نفس عين الله عز وجل هذا مستحيل فلا يحتاج بذلك علينا أهل التحريف يقولون أنتم تكفرون علينا المشى على خلاف الظاهر وأنتم تمشون في هذه الآية على خلاف الظاهر نقول لهم ما مشينا على خلاف الظاهر بل مشينا على وفق الظاهر أين كانت السفينة على السماء أو على الأرض؟ على الأرض وكانت على الماء الذي أنزله الله من السماء وأنبه من الأرض فكيف يمكن أن نقول أن ظاهر قوله تجري بأعيننا أى في نفس عين الله عز وجل؟ حاشى وكلا والله تعالى في السماء وهذه في الأرض لكن هذه العبارة معروفة عند العرب إذا قال إمشي بعيني المعنى أنسي أكلوك بعيني وأحميك بها أيضاً ، نقول للشخص يا فلان هات لي كذا وكذا يقول لك على عيني فقوله تجري بأعيننا أى يمرأى منا بالعين وليس هذا من باب التحريف بل هذا من باب تفسير الكلام بما يقطع أنه مراد الله عز وجل ، وهنا قال بأعيننا وفي الآية التي قبل قال على عيني بالإنفراد فهل بينهما تعارض؟ لا ، ليس بينهما تعارض وهنا يجب أن نعلم أن ما جاء في الكتاب أو في صحيح السنة لا يمكن أن يناقض بعضه بعضاً لا الكتاب يناقض بعضه بعضاً ولا صحيح السنة يناقض بعضه بعضاً ولا القرآن مع صحيح السنة يناقض بعضه بعضاً .

بعضاً ، لا يمكن لأن الكل من عند الله ولا يمكن أن يكون فيه إختلاف ولكن قد يقصر الفهم عن المعنى المراد فيظنون في ذلك تناقضاً ويشبه عليه الأمر ولكن من أعطاه الله فهماً عرف كيف يتخلص مما ظاهره التعارض وأنا أدلكم على شيء يعينكم على هذا ألا تنظروا للآيات أو النصوص التي ظاهرها التعارض لا تنظروا إليها على سبيل أنها متعارضة أنظروا إليها على سبيل أنها متآلفة ثم حاولوا أن تصلوا إلى كيفية هذا التآلف أما أن تنظر إليها على أنها متعارضة فإنك قد تحرم الوصول إلى التآليف بينها لأنك سوف توردها بعضها على بعض على وجه متناقض وحيث تحرم الوصول إلى المراد لكن أنظر إليها إلى أنها متآلفة ولكن حاول أن تعرف كيف التآلف . هذا هو الذي يجب أن تعتقده في النصوص التي ظاهرها التعارض حتى تهتدي ، أما إذا نظرت إليها بنظرة التعارض فأعلم أنه سوف ينغلق عنك الباب ولا تعرف كيف توفق بينها ، لأنك إنما نظرت على أنها متعارضة متنافرة لكن إذا نظرت إليها على أنها متآلفة لكن كيف التآلف؟ سهل عليك فنحن ننظر إلى هاتين الآيتين ﴿وَلَتَصْنَعُ عَلَى عَيْنِي﴾ ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ لا نقول إنها متعارضة بل نقول بينها تآلف لأن العين مفردة مضافة فتشمل كلما ثبت لله من عين مهما كثرت ، انظر إلى قول الله تعالى ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ نعمة مفرد مضاف المراد بها مالا يحصى من النعم ﴿واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به﴾ أيضاً نعمة الله عليكم لا تحصى ، كذلك عيني نقول يشمل كلما ثبت لله من عين ، بقينا في الجمع هل نقول بظاهر الجمع أم لا؟ ذهب بعض العلماء إلى أننا نقول بظاهر الجمع ونقول لله أعين كثيرة لكنها غير محصورة لأن أعين جمع وعين مفرد مضاف فيشمل كلما ثبت ، وحيث نقول لله أعين كثيرة غير محصورة ولا معلومة العدد ، وحنة هؤلاء أنهم يقولون لم يأت في القرآن ولا في السنة تقييد العين بالتثنية كما جاءت اليد لقوله تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾ ﴿بل يدها مبسوطتان﴾ لكن العين ما جاءت وإن كان فيها حديث فيه مقال "إذا قام أحدكم يصلي فإنه بين عيني الرحمن" لكن هذا الحديث فيه مقال فهو ضعيف فظنوا أن الله أعين كثيرة ولكن البخاري رحمه الله لدقة فهمه ساق حديثي الدجال ليبين أن المراد بالأعين عينان اثنتان فقط لا تزيد.

حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا جويرية عن نافع "عن عبد الله قال: ذكر الدجال عند النبي صلى الله عليه وسلم إن الله لا يخفى عليكم ، إن الله ليس بأعور - وأشار بيده إلى عينه - وأن المسيح الدجال أعور عين اليمنى ، كأن عينه عنة طافية"

حدثنا حفص ابن عمر حدثنا شعبة أخبرنا قتادة قال: "سمعت أنساً رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما بعث الله من نبي إلا أنذر قومه الأعور الكذاب ، إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور ، مكتوب بين عينيه كافر"

ليبين أن المراد بالأعين عينان الدجال فقط لا تزيد وهو ما قال أن الدجال ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن الله لا يخفى عليكم إن الله ليس بأعور وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنة طافة أو طافية يقول إن الله ليس بأعور وأشار بيده إلى عينه من المشير؟ الرسول صلى الله عليه وسلم ليس بأعور العين وبهذا يسقط ويطل قول من قال إن المراد بالأعور هنا العين لأن بعض الخرفين الذين أصروا

على أن تكون عين الله كبيرة قال المراد بالعمور العيب ، والمعنى أن الدجال أعور أى معيب وليس المراد أعور العين ولكننا ندفعهم دفعاً يذهب به الباطل حينما أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى عينيه والرسول أعلم منا بالله قال أشار بيده إلى عينه وإن المسيح الدجال أعور العين وهذا أيضاً ينم عن باتاً أن يكون المراد بالعمور العيب أعور العين وخص اليمنى ومثلها كأن عينه عنة طافية إذا كان كذلك علم أن الله ليس له إلا عينان إثنان وجه الدلالة أنه لو زادت على إثنين لكان الزائد كمالاً أليس كذلك؟ نعم ، ولكن هذا الكمال يحصل به الفرق بين عيني الدجال لأنه ليس له إلا إثنان وبين الأعين الزائدة على إثنين إذا أثبت ذلك لله عز وجل ومن المستحيل أن النبي صلى الله عليه وسلم العلامة التي فيها الكمال إلى علامة إنتفاء العيب هذا مستحيل لأنه يكون في ذلك إخفاء كمال الله عز وجل بذكر ما زاد على إثنين فلو كان الأعين أكثر من إثنين لكان الزائد كمالاً يحصل به الفرق بين الدجال والرب عز وجل فلما لم يذكر ذلك الذي هو الكمال وإنما ذكر نفى العيب وهو أن الله ليس بأعور علم أن الله سبحانه وتعالى ليس له إلا عينان إثنان فقط وهذا هو ما ذكره الأشعري وغيره ممن يذكرون عقيدة أهل السنة والجماعة يقولون وأن الله عينين إثنين وهذا هو المتيقن على المؤمن أن يعتقد في ربه عز وجل أن له سبحانه وتعالى عينين إثنين فإن قال قائل في هذا الحديث إشكال عظيم وهو كيف إن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل العلامة الفارقة في العين مع أن الفرق بين الخالق والمخلوق عقلي لا حسي يعني ليس الفرق بمجرد أن هذا أعور والرب عز وجل ليس بأعور بل هناك فروق كثيرة فلماذا قلنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر العلامة الحسية لأن المسألم من هيئة المسألة إذا جاء الدجال إندهش الرجال وضاعت العقول ، فالعلامة الحسية أسرع إلى الإدراك من العلامة العقلية لأن العلامة العقلية تحتاج إلى مقدمات وربما يذهب الإنسان عنها في تلك اللحظة لكن العلامة الحسية واضحة كالعلامة الأخرى التي ستأتي في الحديث الذي بعده وهي أنه مكتوب بين عينيه كافر هذه أيضاً علامة حسية والنبي صلى الله عليه وسلم أفصح الخلق وأنصحهم ذكر العلامة التي لا تحتاج إلى مقدمات ولا تحتاج إلى عمل فكر مجرد ما يرى الرجل هذا الخبيث الدجال يعرف أنه ليس برب فهذا هو وجه كون الرسول ذكر العلامة الحسية دون أن يكون هناك علامات عقلية وإلا من المعلوم ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق﴾ على أن هذا الدجال يوهم الناس أنه يخلق يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبث ويقتل الرجل ويحييه فيحصل بهذا لبس لكن والله الحمد هذه العلامة الحسية لا تحتاج إلى تأمل ولا إلى تفكير وفي هذا الحديث الذي بعد حديث أنس دليل على عظم فتنة الدجال لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنه ما من نبي إلا أنذر قومه الأعور الكذاب كل الأنبياء من نوح إلى محمد ينذرون أقوامهم الأعور الكذاب وهذا قد يشكل فيقال الأعور الكذاب من علامات الساعة فكيف ينذر ربه أول الرسل والساعة لم تأتي بعد؟ والجواب ، أن هذا له أوجه:- الوجه الأول:- أن يقال أنذرت فيه الرسل لعظم خطره فينوح عنه حتى في الصحف الأولى حتى في الرسالات الأولى كما قال تعالى ﴿إم لم ينبا بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى ألا تنزر وأزره وزر أخرى وألا يسأل الإنسان إلا ما سعى﴾ وقال: ﴿بل تؤثر الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى﴾ فلعظم خطر هذا الرجل أنذرت به الرسل وإن كان لن يخرج إلا في آخر الزمان .

الوجه الثاني:- أنه يحتمل أن الرسل لم يبلغهم أنه سيخرج في آخر الزمان إنما بلغ أنه سيخرج رجلاً له فتنة عظيمة ولم يوحى إليهم أنه سيخرج في آخر الزمان .

الوجه الثالث:- لكنه ضعيف أن المراد ما يشأ به فتته من دعاة الضلال لكن هذا الوجه بمنعه قوله "إلا أنذر قومه الأعور الكذاب" فإن هذا يدل على تعيين هذا الدجال وأنه هو الذي أنذر به الرسل أقوامهم وعلى كل حال فإن الرسول صلى الله عليه وسلم أنذرنا بهذا الأعور الدجال إنذاراً لم ينذره أحداً من الأنبياء قبله وفصله تفصيلاً تاماً وقد كتب بين عينيه كافر وجاءت بعض الرويات بتفريق حروف كافر يعني مكشوب - (كاف فاء راء) وفي بعض الروايات كافر فيحتمل هذا أو هذا لكن المعنى هو العلامة لا تختلف بالواقع ولكن من يقرأ هذه الكلمة - يقرأها المؤمن سواء كان كاتباً أو غير كاتب ولا يستطيع الكافر والمنافق أن يقرأها ولو كان من أعلم الناس بالكتابة ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ ما يعرف يقرأها والمؤمن يقرأها ولو كان أمياً وهذه من آيات الله عز وجل وهي من العلامات الخفية .

الدرس الرابع عشر:-

باب قول الله تعالى ﴿هو الله الخالق البارئ المصور﴾ .

هذه ثلاثة أسماء في ضمن أسماء متعددة ذكرها الله تعالى في آخر سورة الحشر ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة المصور﴾ هذه ثلاثة أسماء الخالق وورد الخلاق كما في قول الله تعالى ﴿إن ربك هو الخلاق العليم﴾ والخالق هو الموجد للشيء على وجه مقدر محكم وهذا جاء في اللغة العربية الخلق بمعنى التقدير كما في قول الشاعر

ولأنت تلدي ما خلقت وبعض الناس يخلق ثم لا يدري

تلدي ما خلقت يعني تفعل ما قدرت فألخلق هو الإيجاد بتقدير والله سبحانه وتعالى يخلق الشيء بتقدير محكم بالغ على حسب ما تقتضيه الحكمة والبارئ بمعنى المنشئ وهو قريب من معنى الخالق لكن لا بد أن يكون بينهما فرق بأن الله سبحانه وتعالى لا يذكر كلمتين إلا وبينهما فرق وهذا هو الأصل في الكلام أن نحمل على التأسيس لا على التوكيد معنى على التأسيس يعني أن لفظه فيه لها معنى مستقل لا على التوكيد لأنك إذا قلت فهو للتوكيد صارت اللفظة الثانية بمعنى اللفظة الأولى وهذا قال العلماء إذا دار الكلام بين التأسيس والتوكيد فحمله على التأسيس فتعين فلا بد أن بينهما فرقاً لطيفاً أما المصور فواضح الفرق بينه وبين الخالق يعني أنه يخلق ما يشاء على صورة معينة يختارها سبحانه وتعالى ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ ولهذا كانت هذه الأشياء الثلاثة من خصائص الرب عز وجل فالخالق من خصائص الله عز وجل لا أحد يخلق قال الله تعالى: ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق﴾ ﴿أفلا يتذكرون﴾ وسبق لنا الجواب عما يقال فلان خلق كذا أى صنعه لأن هذا الخلق الذي يحصل من الآدمي ليس هو الخلق الذي يكون لله الخلق الذي يكون لله إيجاد من عدم والخلق الذي يكون للإنسان تحويل وتغيير لشيء مخلوق لكن يصنعه على كيفية معينة ومع ذلك فإن فعل العبد مخلوق لله عز وجل فيعود فعل العبد خلقاً لله لأن فعل العبد صادر

عن إرادته وقدرته وتصوره والله سبحانه وتعالى هو الذي خلق ذلك كله فيكون الخلق إذاً كله لله ^{٢٨} سواء ما خلق الله عز وجل وإستقل به أو خلق الآدمي . . . البارئ أيضاً لا أحد يبرأ الناس به ونبيها وينشئها إلا الله عز وجل مهما كان عند الناس من قدرة فإنهم لن يستطيعوا أن يبرؤا الناس به وقد تحدى الله سبحانه وتعالى الخلق أن يخلقوا أصغر مخلوقات الله وأهونها وهو الذباب فقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلًا فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ أمرنا الله عز وجل أن نستمع وأن ننسط لهذا المثل لأنه مثل عظيم ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ كل من عبد من دون الله فهو في نظر الخلق فوق لطفة الخلق فيإذا كان هذا للأعلى ، لو اجتمعوا لم يخلقوا ذباباً فمن دونهم من العباد الذين يعبدونهم من باب أولى ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ ثم أضاف إلى ذلك ﴿وَإِنْ يَسْلُبِهمُ الذَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُونَهُ مِنْهُ﴾ يعني لو أخذ الذباب منهم شيئاً ما استطاعوا أن ينقذوه ﴿وَإِنْ يَسْتَنْقِذُونَهُ مِنْهُ﴾ كيف الذباب يأخذ منهم شيئاً صورها بعض العلماء قال إن هذه الأصنام يجعل عليها أشياء من الطين فيعلق بأيديهم ولا يستطيع هؤلاء أن يستنقذوا ما تعلق بأجل الذباب من الذباب إذا الخلق والبرء كامن بالله عز وجل المصور كذلك التصريح خاص بالله عز وجل ولهذا أنكر الله عز وجل على من يصور ويخلق كخلقه قال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي﴾ من أظلم؟ لا أحد ، لأنه ينازعه في الربوبية الذي يصور كما يصور الله ينازع الله تعالى في الربوبية كأنما يقول بلسان حاله أنا أقدر على أن أفعل كما فعل وأصور كما صور ومن المعلوم أن التصوير خاص بالله عز وجل لا يستطيع الخلق أن يغيروا صورة صورها الله عز وجل إلى أحسن ولا إلى أسوأ أبداً وإنما يكون هناك قطع غيار إذا اجتاج بعض الصور إلى تكميل يعيب أو شبهه يمكن؟ أنف إنقطع مثلاً يمكن للبشر أن يجمع من بقية الأجزاء أجزاء البدن ما يصور به هذا الأنف أو ما أشبه ذلك لكن التصوير كامل لا يمكن أبداً ، لا يمكن لأحد أن يغير صورة صورها الله إلى حسن أو إلى قبح ربما إلى قبح قد يكون يجني على هذا الرجل جنابة تغير ملامح وجهه مثلاً لكن على أنه تصوير لا يمكن وهنا يحسن أن نتكلم عن التصوير وحكمه التصوير المحسّم إذا كان حيوان إنس أو بهيمة فإنه حرامواظن ذلك متفق عليه ، يحرم ، يعني لا يجوز للإنسان أن يصور شيئاً شاخصاً على صورة إنسان أو صورة بهيمة وهذا بالإتفاق وسواء صورها بيده أو صنع آلة تكون مجوفة ومخططة بحيث إذا وضع فيها عجين أو شبهه إنطبع حتى يكون صورة فإن هذا كله حرام ولا يجوز أما إذا كان التصوير بالتلوين يعني ليس جسماً يلمس وإنما هو لون فقد اختلف العلماء فيه قديماً وحديثاً حتى وإن صور باليد فممن العلماء من أجاز ذلك وقال إن الحديث الذي رواه البخاري في تحريم التصوير قال فيه إلا رقماً في ثوب والأصل أن الإستهاء متصل فيكون قوله إلا رقماً في ثوب مستثنى من الصور المحرمة فيكون التصريح بالتلوين لا بأس به والكلام على التصوير باليد ما وصلنا إلى التصوير بالآلة فيكون حلالاً وإلى هذا ذهب بعض أهل العلم من السلف والخلف وقال بعض العلماء إن التصوير المحرم هو التصوير الذي يقصد به أو يخاف فيه التوصل إلى عبادة الصورة وأن مالا يخشى منه ذلك فليس به بأس واستدلوا لذلك بقصة الرجال الذين كانوا صالحين من قوم نوح صنع لهم صور ثم عبدوا ولكن الصحيح أن هذه علة لا شك لكن العلة التي نص عليها الحديث "ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي" تبدل على من صور سواء لهذا الغرض أو لغيره فإن ذلك حرام

إذا ما كان له جسم فهو حرام وما لم يكن له جسم فمحل خلاف بين العلماء ولكن الجمهور على^{٨٢} خلاف وحملوا قوله إلا رقماً في ثوب على أنه إستثناء منقطع وأن المراد به الرقم في الثوب ما لم يكن صورة ذي روح واستدل هؤلاء الذين قالوا بذلك وهم الجمهور بحديث عليّ ابن أبي طالب رضى الله عنه حين بعث أبا الهياج الأسدي أنا أبعث على ما بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تبدع صورة إلا طمسها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته ومعلوم أن الطمس يكون بالملون في الغالب وإن كان قد يكون بالمجسم بحيث يوضع على الوجه مثلاً طين أو شبهه يطمس معالم الوجه على كل حال هذا دليل واستدلوا أيضاً بحديث النمرقة حينما جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيته بيت عائشة فإذا فيه نمرقة وفيها صور فلم يدخل عليه الصلاة والسلام وعرفت الكراهية في وجهه فقالت عائشة أتوب إلى الله ورسوله ماذا أزنبت فقال إن أصحاب هذه الصور يعذبون يقال لهم أحيوا ما خلقتم وهذا القول الذي عليه الجمهور وهو الصحيح أن الصور ولو كانت رقماً حرام وأنها من كبائر الذنوب وإن كانت المضاهاة فيها بالنسبة لخلق الله ليست كاملة لأن خلق الله مجسم وهذا ملون ليس فيه شيء نافي على أنه الأنف أو غلى أنه حاجب العين أو ما أشبه ذلك لكن ظاهر النصوص العموم وأنه يشمل حتى ما كان بالتلوين ويبقى علينا النظر في غير ذي الروح أو في جزء من ذوات الأرواح يعني لو صور رأساً فقط أو يداً فقط أو رجلاً فقط فهل يدخل في التحريم أو لا يدخل؟ نقول لا يدخل في التحريم لأن الحديث كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ ومثل هذه الأجزاء لا تنفخ فيها الروح أصلاً ، وليست جسماً يمكن أن تنفخ فيه الروح ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر في قصة التمثال الذي قال له جبريل مر برأس التمثال فليقطع حتى يكون كهيئة الشجرة يعني إذا قطع رأسه سيقى عروة حتى يكون كهيئة الشجرة ولم يقل في الحديث وكسر الرأس فدل ذلك على أن الجزء التي لا تخل الحياة في التحريم ولهذا جاء في الحديث وإن كان فيه مقال ، السورة الرأس فإذا قطعت الرأس فلا سورة والمعنى أن السورة لا تكون سورة إلا مع الرأس فإذا قطع فلا صورة وليس المعنى أن الصورة هي الرأس يعني أن الرأس نفسه يكون صورة مستقلة والدليل حديث التمثال مر برأس التمثال فليقطع حتى يكون كهيئة الشجرة" ثم إنه يتضاعف الإثم إذا عظم الإثم إذا مر برأس التمثال فليقطع حتى يكون كهيئة الشجرة" ثم إنه يتضاعف الإثم إذا صور العظماء من ملوك ووزراء وعلماء وعباد فإن هذا يتضاعف ، وتضاعف ذلك في العلماء والعباد أشد من تضاعفه في الملوك والوزراء والرؤساء وذلك لأن عاطفة الناس لتعظيم العلماء والعباد أشد من عاطفتهم لتعظيم الملوك والرؤساء لأن تعظيم الملوك والرؤساء في الغالب إنما يكون عن خوف ورهبة وأما العباد والعلماء فهو عن تعظيم وتوقير في النفس فلذلك كان خطر صور العلماء والعباد أشد من صور الملوك والرؤساء ولهذا يجب علينا إذا رأينا صورة شخص عالم صور ليتداولها الناس بالأيدي تعظيماً لها يجب علينا حماية لجانب التوحيد أن نغرفها أما من صور العلماء في المجلات والصحف فهذا لا يؤبه لها لكن يوجب صور بعض العلماء مصورة مبروزة يتناقلها الناس وهذه خطيرة جداً فالواجب أن نغرقه ولا يجوز إقرارها مهما كان العالم ، يعني كما قلت لكم عاطفة الناس بالنسبة للعلماء والعباد قوية فيخشى في يوم من الدهر أن يعظم هؤلاء كما عظم القوم الصالحون في قوم نوح ويتعاضم أيضاً الأمر أمر الصور فيما إذا كانت الصورة صورة امرأة جميلة فإن

هذه فتنة لا من حيث العبادة ولكن من حيث الخلق فإن الإنسان ربما يفتن بهذه الصورة حتى يكون دائماً يطالها صباحاً ومساءً بالتلذذ والتمتع بها وسواء كان التمتع تمتع شهوة يعني شهوة غريزية أو تمتع إنشراح صدر أو ما أشبه ذلك.

لأنه كما تعلمون ليس كل تمتع للشهوة يعني تمتع مثلاً برؤية السيارة الجميلة والزينة والساعة الجميلة، لكن ليس هذا تمتع شهوة فهذه الصور بعض الناس ربما يقتنيها ليمتع بها وهذا يضاعف الإثم فيها، فالحاصل أن الصور نفسها محرمة فإذا أضيف إلى ذلك خوف فتنة بها من عبادتها أو التلذذ برؤيتها أو التمتع بذلك فإنه يزداد إثماً وذلك لأن المعاصي تزداد بحسب ما بها من الحسنات.

بقينا في الصورة الفوتغرافية هذه صارت محل جدل بين العلماء المعاصرين بعد أن ظهرت هذه الآلة فمن العلماء من منعها سداً للذريعة وأخذوا بظاهر العموم وقالوا إن حركة الإنسان لهذه الآلة أو تحريكه لها هذا هو التصوير، ومن العلماء من أجازها وقال:-

أولاً:- هذه ليست تصور والإنسان المصور لا يشعر بأنه حاذق وأنه جيد ولهذا لا يمدح الرجل الذي يطلق آلة التصوير حتى تصور، لكن لو يأتي إنسان يخطط صورة حتى تكون كالمصورة قيل ما أحذفه وما أمهره، فليست في الحقيقة تصوير لكنها إلتقاط صورة صورها الله عز وجل والأصل لا شك أنه تصوير الله.

ثانياً:- إلتقاط هذه الصورة كما تكون في المرأة إلا أن المرأة لا تثبت فيها الصورة وهذه تثبت بسبب ما يكون فيها من المواد الكيماوية وهذه المسألة تجازيها أصلاً:-

الأول:- أصل الحل وأن لا تمتنع الناس من شيء إلا إذا تيقنا أنه حرام أو غلب على ظننا أنه حرام.

الثاني:- أصل التحريم وهو عموم المصورين ولكنك إذا تأملت تأملاً عميقاً تبين لك أن الإنسان ليس مصوراً فيما إذا إلتقطت الصورة بالآلة ولهذا يلتقطها الأعمى، يلتقطها الإنسان في ظلمة وتظهر كما هي ولو كان التصوير من الإنسان نفسه لكان يختلف الحكم بين الماهر وغير الماهر والأعمى والبصير وما أشبه ذلك لكن من تركها تنزهاً لا ينبغي أن يوصف بأنه متشدد أو متعمق أو منتطع وما أشبه ذلك، وهذا يسوقه بين الإجتهد من أداه إجتهداه إلى التحريم والمنع فإنه لا يلام، ومن أداه إجتهداه إلى الحل وقال الأصل الحل حتى يتبين لنا دخولها في التحريم فإنه لا يلام، وإذا كنا لا نلوم من يقول إن أكل لحم الإبل لا ينقض الوضوء، فيقوم ويصلي أمامنا ونحن نشهد باعتقادنا أن صلاته باطلة، فإننا لا نلومه لأنه مجتهد، فلا ينبغي أن نلوم من يرى أن التصوير الفوتغرافي ليس حرام، لأن صلاة بلا وضوء أعظم من التصوير، الصلاة ركن من أركان الإسلام، وهذا الرجل الذي أكل اللحم ونحن نرى أنه ينقض الوضوء هو عندنا فعل محرم، لا شك أعظم من التصوير لكن نظراً إلى أن هذه المسائل إجتهدية فأنا أرى أنه لا ينبغي أن يشدد فيها على من خلف فيها مسائل لا تتعلق بالعقيدة، إنما هي مسائل إجتهدية، وأقوى دليل رأيته لمن قالوا بالحل قالوا أليست إذا أخذت صحيح البخاري ثم أدخلته الآلة التي تصور وخرجت الصورة من الآلة هل يقال هذا كتابك؟ أكتبته أنت أم لا؟ إذا أنت لست مصوراً له، وهذا واضح لمن تأمله، لكننا نرى بالنسبة لإقتناء الصور الأصل فيه التحريم، لأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة، وهذه صورة لا شك، حتى إذا كنت أمام امرأة ورأيت وجهك فهو صورة

لا شك، ويجب أن تعلم أن العلماء رحمهم الله فرقوا بين التصوير وإقتناء التصوير، وأكثر الناس لا يعرفون هذا الفرق، لكن العلماء فرقوا، أين متن زاد المستقنع؟ وهو مختصر في الفقه قال: يحرم التصوير وإستعماله، ففرق بين التصوير وبين إستعماله، وقالوا يجوز إستعمال التصوير أو الصور فيما يمتن كالفرش والمخدات وما أشبهه والخلاف في هذا معروف، بعض العلماء يقول لا يجوز حتى فيما يمتن بل يجب أن تقطع الرأس حتى تكون بلا رأس.

إذا الخلاصة أولاً:- أن التصوير بما له جسم حرام لا شك عندنا فيه، وهو محل إتفاق فيما نعلم.

ثانياً:- التصوير باليد أيضاً حرام، لماذا؟ لأن المصور يريد أن يضاهي خلق الله في هيئة الصورة وإن كان التصوير بالرقم ليس حقيقة كخلق الله، لكن الوجه والعين والشفة والأنف وما أشبه ذلك كخلق الله، هذا أيضاً حرام وتزداد حرمة إذا كان لمعظم من ملوك أو علماء أو عباد، وتزداد حرمة إذا كان من أجل التمتع بالصورة تمتع شهوة أو بلا شهوة، أما إذا كان بالآلة فقد عرفت الخلاف في هذا ولكن الذي نود أن لا يكون هذا هو الشغل الشاغل لطلبة العلم، بل نقول هذه المسألة مما ساع فيه الخلاف، والعلماء يختلفون فيها وإدخالها في التحريم، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول "المصور" إدخالها في التحريم فيه نظر، بل أرى أنه لا يدخل في التحريم فإذا كانت المسألة فيها شيء من الإجهاد فلا ينبغي التشديد فيها، نعم نشدد على من إقتنى صورة عالم أو ملك أو وزير أو عابد لتعظيمها فإن ذلك لا يجوز، وهذا هو أصل منع التصوير.

تصوير ما لا روح فيه مثل تصوير نخل ورمان وبرتقال أيجوز هذا؟

نعم جمهور العلماء على أنه جائز، وقال مجاهد وهو إمام من أئمة التابعين أنه لا يجوز تصوير الشجر وما أشبهها لأن الله تعالى قال في الحديث القدسي "ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا حبة أو يخلقوا شعيرة"، ومعلوم أن الشجر النامي يتفرد به الله عز وجل فهو سبحانه الذي خلقه لأن الله فائق الحب والنوى، فمن صور فقد صور كما صور الله، خلق كما يخلق الله.

لكن الصحيح أنه جائز وهو الذي عليه الجمهور وهو الذي أرشد إليه بن عباس رضى الله عنه، أما تصوير السيارات والدركتات والطائرات والقصور يجوز أم لا؟ يجوز لأن هذا صنع الآدمي، هو الذي يصنع بيده، فإذا جاز الأصل جاز الفرع، أما تصوير الأنهار لو أراد الإنسان أن يصور قارة من القارات ويصور أنهارها وجبالها مثلاً أيجوز أو لا يجوز؟ يجوز، لماذا؟ لأنها ليست نامية، والإنسان يجوز أن يحفر في الأرض جدولا يجري فيه الماء، ولا يقال أنك خلقت نهراً، وهذه قناة السويس كان في الأول قارة آسيا مع قارة أفريقيا ليس بينهما حائل فكان الناس يذهبون على الإبل من آسيا غرب الجزيرة إلى إفريقيا فشققوا القناة فصارت بحراً تصل البحر الأبيض بالبحر الأحمر وهذا لا بأس به ولا إشكال فيه.

حدثنا اسحاق حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا موسى - هو ابن عقبة - حدثني محمد بن يحيى ابن

حبان عن ابن محرز "عن أبي سعيد الخدري في غزوة بني المصطلق أنهم أصابوا سبايا فأرادوا أن يستمتعوا بهن ولا يحملن، فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن العزل فقال: ما عليكم أن لا تفعلوا فإن الله قد

كتب من هو خالق إلى يوم القيامة" وقال مجاهد عن قرعة سمعت أبا سعيد فقال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ليست نفس مخلوقة إلا الله خالقها".

عن أبي سعيد الخدري في غزوة بني المصطلق أنهم أصابوا سبايا، سبايا يعني نساء والمسلمون إذا غزرو الكفار ثم غلبوا ووقع في أيديهم أحد من المشركين فإن النساء والذرية الصغار يكونون سبايا أى ملكاً للمسلمين أرقاء وأما المقاتلون فإنه يخير الإمام فيهم أو قائد الجيش بين:

١- القتل ٢- المن بدون شيء يطلقه هكذا ٣- الفداء بمال أو الفداء بأسير.

وإختلف العلماء في الرق هل يدخلوا في هذا والله عز وجل يقول: ﴿حتى إذا أنختموهم فيما مناً بعد وإما فداء﴾ وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قتل الأسرى ضرباً فهذا ثلاثة أشياء القتل والمن والفداء. مثال الفداء بالمال أن يقال للأسير أعطنا مثلاً كذا وكذا من المال ونطلق صراحك، والفداء بأسير أن يكون عند الكفار أسرى للمسلمين فيتبادلون الأسرى بالمنفعة مثل أن يقال للأسير أنت تعرف صناعة كذا علمنا، مثل ما علم أسرى بدر الكتابة للصحابة رضى الله عنهم. أو القتل ولكن هذا التخيير تخيير مصلحة أم تخيير تشهي؟ القاعدة في هذه التقديرات كلها أن ما كان للغير فهو تخيير مصلحة للتيسير فهو تخيير تشهي إذا كنت تتصرف بغير التخيير تخيير مصلحة ومن ذلك ولى اليتيم إذا خيير بين شيئين للتصرف في ماله يجب عليه أن يختار ما هو أصلح وكذلك الوكيل، وغير ذلك.

الآن نقول، إذا غنمنا من الكفار نساء أو ذرية ماذا يكونون؟ سبايا أرقاء بمجرد السبي أما المقاتلون فإن الإمام يخير فيهم، وقوله "فأرادوا أن يستمتعوا بهن ولا يحملن" أراد الصحابة رضى الله عنهم أن يستمتعوا بهؤلاء النساء بالجماع بدون حمل وسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن العزل والعزل أن يجامع الإنسان إمرأته أو مملوكته فإذا قارب الإنزال نزع حتى يكون الإنزال خارج الفرج فقال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم "ما عليكم ألا تفعلوا" يعني إن شئتم إفعلوا وإن شئتم فلا، وقوله "فإن الله قد كتب من هو خالق إلى يوم القيامة" بمعنى أنكم لو فعلتم وأنزلتم فإنه لا يلزم من الإنزال أن يخلق منه ولد لأن الله سبحانه وتعالى كتب من هو خالق إلى يوم القيامة فأنتم إذا لم تفعلوا يعني ولم تعزلوا فإنه قد يخلق الولد من هذا الماء وقد لا يخلق. الشاهد من هذا الحديث قوله "ما هو خالق" لأن الترجمة باب قول الله تعالى الخالق.

العزل ليس هذا محل بحثه لكن لا بأس أن نبحث هل يجوز للإنسان أن يعزل أم لا يجوز؟

نقول إذا دعت الحاجة إلى العزل فإنه يجوز بشرط موافقة الزوجة فإن لم توافق فإن ذلك حرام، لماذا؟ لأن العزل يفوت به أمران مقصودان للمرأة:-

الأمر الأول:- تمام اللذة فإن اللذة لا تتم إلا بالإنزال.

الأمر الثاني:- الولد ولها حق فيه.

فلا يجوز للرجل أن يعزل عن زوجته إلا بإذنها وموافقتها أما إذا وافقت الزوجة فهل الأولى العزل أم..

لا؟ نقول الأولى عدم العزل والأولى الإكثار من الأولاد فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم "تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم يوم القيامة" وكثرة الأولاد عز للأمة وليس فيه تضيق للرزق فإن الله تعالى قال ﴿وما

من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴿١٧﴾ وكلما كثرت الأمة فتح الله لها أبواب من الرزق بشرط أن تصدق الله في التوكل عليه أما هؤلاء الأمم الكثيرة الذين يموتون من الجوع فهؤلاء ليس عندهم صدق في التوكل على الله وإلا فلو صدقوا لهما الله لهم الرزق وفي الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: "لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خصاصاً وتروح بطاناً" الطير تغدوا من أوكارها خصاصاً أى جائعة ليس في بطونها شئ تذهب أول النهار وتروح في آخر النهار بطاناً أى مملوءة البطون، فكثرة الأمة لا شك أنه عز وكثرة للأمة ولهذا نجد الأمم الكثيرة لها هبة وإن كانت متأخرة في الصناعة من أجل كثرتها وما يحاوله أعداء المسلمين اليوم من تقليل النسل للمسلمين فهو خطة خبيثة مأكرة يريدون أن يقضوا على المسلمين بأى وسيلة إما بموت الموجود أو الخيلولة دون المعلوم أرايتم لو كثرت الأمة فكان هذا في الزراعة في الصناعة وهذا في التعليم يعني تشتتوا كل واحد قام بعمل وأرض الله واسعة ورزق الله لا تفاد له قال تعالى: ﴿ما عندكم ينفذ وما عند الله باق﴾ فكثرة الأولاد لا شك أنه محبوب إلى الشرع مطلوب في العقل وأما ما يقول بعض الناس الآن إذا كثر الأولاد كثرت طلباتهم فنقول رزقك ورزقهم على من؟ على الله لقوله تعالى ﴿نحن نرزقهم وإياكم﴾ ﴿نحن نرزقكم وإياهم﴾ انظروا إلى شعيب ماذا قال لقومه ﴿واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم﴾ فجعلها نعمة يذكر بها وقال الله تعالى لبني إسرائيل ﴿وجعلناكم أكثر نفيراً﴾ وهذا فيه الإشارة إلى الكثرة والإشارة إلى تعلم أساليب الحرب لأنه ان بنفر في الحرب إلا من كان عنده خبرة.

باب قول الله تعالى ﴿لما خلقت بيدي﴾

هذا الباب أتى به المؤلف لإثبات اليد لا لإثبات الخلق لأن إثبات الخلق في الباب الذي سبق، لكن لا مانع، هذا من حسن ترتيب المؤلف رحمه الله أن الباب الأول في الخلق عموماً وهذا الباب في الخلق خصوصاً يقول عز وجل: ﴿لما خلقت بيدي﴾ وهذه جملة من آية أكبر من هذا فإن الله تعالى أمر الملائكة لما خلق آدم أن يسجدوا له وكان من بينهم وليس منهم إبليس كان معهم ولكنه ليس منهم سجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يسجد قال الله تعالى ﴿إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾ لأن الجن الأصل فيهم المعصية لا الطاعة والملائكة لا يعصون الله، فسجد الملائكة إلا إبليس أبى فقال الله تعالى ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ ماذا قال؟ قال، أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فصار المانع له من السجود هو الإستكبار والعلو وكان في علم الله تعالى كافراً فاستكبر وأبى قال ءأسجد لمن خلقت طيناً فقال الله تعالى ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ وهنا قال لما ولم يقل لمن مع أن آدم عاقل لكن إذا أريد الوصف عبر عن العاقل بما ولكن إذا أريد الشخص عبر عن العاقل بمن أرايت قوله تعالى: ﴿وإن خفتهم ألا تعدلوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾ ما طاب ولم يقل من طاب مراعاة للوصف والوصف غير عاقل، وهنا هذا الخلق آدم عليه الصلاة والسلام أمره عظيم فاعتبار الوصف فيه أولى من اعتبار الشخص ولهذا انظر جواب إبليس أمره عظيم فاعتبار الوصف فيه أولى من إعتبار الشخص ولهذا أنظر جواب إبليس حيث جعله في مقام الشخصية فقال ءأسجد لمن خلقت والله تعالى قال لما خلقت لأن الله عز وجل أراد تعظيم آدم وإبليس أراد تهوينه فقال لمن وقوله تعالى لما خلقت بيدي الشاهد من هذه الجملة قوله تعالى بيدي

وغير آدم لم يخلق باليدين؟ نعم خلق بالكلمة كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ غير آدم من الملائكة والشياطين وغيرهم كلهم خلقوا بالكلمة، فإذا قال قائل ما دليلك على أنهم خلقوا بالكلمة؟ دليلنا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فإذا أراد أن يخلق الملائكة قال كونوا فكانوا وكذلك غيرهم لكن آدم خلقه الله بيده وجعل صورته على صورته وهذا تكريم آخر أن يجعله على صورة الرب ولكن لا يلزم من ذلك أن يكون ماثلاً للرب لأن الله تعالى قال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وهو السميع البصير ﴿وَأَوَّلُ زَمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَلَيْسُوا بِمِثْلَيْنِ لِلْقَمَرِ فَلَا يُلْزَمُ مِنَ الصُّورَةِ الْمِثَالَةُ﴾.

الدرس الخامس عشر:-

قال فضيلة الشيخ حفظه الله:-

تكلمنا على قوله تعالى في الترجمة التي ترجم بها البخاري رحمه الله ﴿لَمَّا خَلَقْتَ يَدَيَّ﴾ وقلنا أن هذه كناية عن آدم عليه السلام وعرضنا على هذا شبهة على ما قاله النحويون أن من للعاقل وما لغير العاقل وأجبتنا عن هذه الشبهة يعني إذا قصد مراعاة الوصف وصف العاقل بأنه يأتي (عما) وإن أريد الشخص فإنه يأتي (بمن) ومراعاة الوصف في آدم أنه خصه الله عز وجل بأنه خلقه بيده أعظم من كونه شخصاً أعظم من كونه شخصاً وقوله تعالى ﴿يَدَيَّ﴾ الباء للتعدية يعني أن الخلق حصل باليد وهذا لم يكن في خلق السموات والأرض ولا في غيرهما من المخلوقات لم يخلق الله أحداً بيده إلا آدم عليه السلام إلا ما ورد أنه سبحانه وتعالى غرس جنة عدن بيده فإذا صح هذا الأثر فإنه يضاف إلى ما خلقه الله تعالى بيده.

وأما ما كتبه بيده سبحانه فهو التوراة قال الله تعالى ﴿وَكُتِبْنَا لَهُمُ فِي الْأَوْحَادِ مَوْعِظَةٌ وَتَفْصِيلٌ لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ خلق الله آدم بيده وخلق غيره بالكلمة كن فيكون حتى عيسى ابن مريم عليه السلام خلقه الله عز وجل بكلمة كما قال تعالى ﴿وَكَلَّمْتَهُ أَلقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ فإنه خلقه وقال له كن فكان لكن بناء على أقل شيء له سبب ، نفخ الله في فرجها بروح من عنده خلقها الله عز وجل ونفخ في فرجها جبريل هذه الروح فنشاء الولد.

واليد التي وصف الله بها نفسه هي من الصفات الخيرية وليست من الصفات المعنوية خلافاً لأهل التحريف الذين جعلوها من الصفات المعنوية وفسروها بالقدرة أو النعمة يعني بالإنعام أى بشيء منفضل عن الله عز وجل بأن تقول هي صفة لله عز وجل من الصفات الخيرية التي مسماهما بالنسبة إلينا أبعاض وأجزاء وهي يد حقيقية يقبض بها ويأخذ بها كما ثبت ذلك في قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وثبت أنه سبحانه وتعالى يأخذ الصدقة إذا كانت من كسب طيب يأخذها يمينه فريبتها كما يربي أحدا فلوه يعني مهره الصغير حتى تكون مثل الجبل ، وهذه اليد ليست كأيدي المخلوقين لا في الحقيقة ولا في الصفة والكيفية. أما الحقيقة فإن حقيقتها تابعة للذات فكما أن ذات الله عز وجل ليست من جنس المواد المخلوقة كلها بل هي ذات لا يماثلها ذات.

وكذلك أيضاً بالكيفية ليست كأيدي المخلوقين لقول الله تعالى: ﴿ليس كمثل شيء﴾ وهو السميع

البصير ﴿وهذا ينسحب على جميع الصفات.

البحث الثالث:- وردت صفة اليد بلفظ اليد وكلاهما صحيح واليد والكف في اللغة العربية معناهما واحد لا يحتمل فإن اليد إذا أطلقت في اللغة العربية فهي الكف وإن قيدت بقيدت بما قيدت به ولهذا لما أطلق الله اليد في قوله تعالى في التيمم ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾ لم يتعد التيمم موضع الكف ، واما أطلقت في قوله تعالى ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ لم يتعد القطع موضع الكف ولما أريد الزيادة على ذلك قيدت فقال تعالى في آية الوضوء ﴿فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق﴾ إذا اليد والكف معناهما واحد لكن معنى ذلك لولا ورود الكف في الحديث الصحيح لقلنا ثبت لله يداً ولا نقول كفاً لأن صفات الله عز وجل يجب التحرز منها تحزراً كاملاً لأنها فوق ما يدركه العقل .

البحث الرابع:- اليد التي أثبتها الله لنفسه وردت في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه الإفراد - الثنية - الجمع - الإفراد مثل قوله تعالى ﴿قل من بيده ملكوت السموات والأرض﴾ ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ وما أشبه ذلك والثنية مثل قوله تعالى ﴿لما خلقت بيدي﴾ وفي قوله تعالى ﴿بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ ووردت بلفظ الجمع في قوله تعالى ﴿أو لم يروا أنا خلقناهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون﴾ وهذه الوجوه الثلاثة قد يظن ظان أنها متعارضة ولكن ليس في القرآن والله الحمد ما يتعارض تعارضاً كلياً بحيث يكذب بعضه بعضاً والجمع بين هذه الوجوه الثلاثة سبق نظيره في الجمع بين ورود هذه الوجوه الثلاثة في صفة العين لله عز وجل وقلنا في الجمع أما الإفراد فإنه لا يعارض الثنية ولا الجمع لأن المفرد المضاف يعم ولا ينافي التعدد وعليه فيكون قوله تعالى ﴿قل من بيده ملكوت كل شيء﴾ ﴿بل يدها مبسوطتان﴾ لا يتعارضان لأن قوله ﴿من﴾ ﴿بيده ملكوت كل شيء﴾ يعم كل ما لله من يد وكذلك أيضاً لا يعارض المفرد ما يعارض الجمع في قوله تعالى ﴿مما عملت أيدينا أنعاماً﴾ يعني النظر في الجمع بين المثني والجمع فنقول إذا قلنا بأن أقل الجمع إثنتان فلا منافات لأننا نحمل الجمع على أنه مثني وإن قلنا بأن أقل الجمع ثلاثة فما هو المعروف فإن الجمع بين الثنية والجمع هو أن المجموع لا يراد به معنى الجمع وإنما جمع للتعظيم والمناسبة بين المضاف والمضاف إليه المضاف أيدي والمضاف إليه (نا) الدالة على الجمع فلو حظ فيه المعنى واللفظ المعنى وهو التعظيم والثاني اللفظ وهو التناسب بين المضاف والمضاف إليه إذا فما الذي نعتقد بالنسبة ليدي الله عز وجل أو واحدة أم إثنتان أم ثلاث الثاني يعني نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى له يدان إثنتان وعلى ذلك أجمع السلف أن لله يدان إثنتان فإن قال قائل لماذا لا نأخذ بالجمع لأنه أزيد ، فإن من أخذ بالجمع فقد أخذ بالثني قلنا هذا لا يستقيم لأن قوله تعالى ﴿بل يدها مبسوطتان جاءت رداً على قول اليهود ﴿يد الله مغلولة﴾ فجاءت ببيان الصفة الكاملة لله عز وجل بالنسبة لهذه الصفة ولو كان هناك يد زائدة على إثنتين لذكرت لأنه كلما كثرت الأيدي كثر العطاء فلو كان هناك يد زائدة على إثنتين لذكرها الله تعالى لما فيها من إتمام هؤلاء اليهود والرد عليهم فيتعين أن اليد إثنتان لا أكثر وجاءت في الأحاديث أيضاً ظاهراً في هذا المعنى أن اليد إثنتان فقط وهذا هو الذي نعتقد به بالنسبة لله عز وجل .

البحث الخامس:- ما الفرق بين قوله ﴿لما خلقت بيدي﴾ حيث قلنا أن الآية تدل على أن الله خلق آدم بيده وبين قوله تعالى ﴿أو لم يرو أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون﴾ قلنا الفرق بينهما من ثلاثة أوجه الوجه الأول أن الله أسند الفعل إلى نفسه في قوله ﴿لما خلقت بيدي﴾ وجعل اليد بمنزلة الآلة التي يصنع بها أما في عملت أيدينا فأسند الفعل إلى الأيدي نفسها .

ثانياً:- أن الله سبحانه وتعالى قال ﴿لما خلقت بيدي﴾ بصفة التثنية ومما عملت أيدينا بصفة الجمع فلا بد أن يكون هناك فرق والفرق أن المراد بأيدينا النفس فهو كقوله تعالى ﴿بما كسبت أيديكم﴾ أى بما كسبتم فمعنى الآية مما عملنا .

الوجه الثالث أن الله تعالى قال في خلق آدم خلقت بيدي فقال خلقت وهناك قال مما عملت فجعله عملاً والعمل يكون بالكلمة وكذلك الخلق يكون بالكلمة لكن لما غير بثبوتها علم أنها ليس سواءً وهو كذلك ولهذا أجمع العلماء أن الأنعام من الخيل وما أشبه ذلك مما يركب ويؤكل لم يخلقها الله بيده وإنما خلقها بالكلمة سبحانه وتعالى وعلى هذا فتكون الأنعام غير مخلوقة باليد بل مخلوقة بالكلمة لا باليد .

البحث السادس:- زعم أهل التعطيل أن إثبات اليد الحقيقية لله عز وجل منكر ومحال على الله ووصف الله بما لا يليق به وأنه لا يجوز للمسلم أن يعتقد هذه العقيدة حتى إن بعضهم قال من أطلق ذلك فهو كافر لأنه يقتضي أو يستلزم أن يكون الله جسماً ومن أثبت أن الله جسم فهو كافر على زعمه إذاً ما معنى اليد قالوا معناها يعود إلى القدرة وإنما أعادوه إلى القدرة لأنهم يثبتون القدرة في جملة الصفات السبع فبحرور كل صفة فعلية إلى معنى القدرة فيكون معنى اليد القدرة وبعضهم قال اليد النعمة لأنها تأتي في اللغة العربية بمعنى النعمة ومنه قول الشاعر:

وكم لظلام الليل عندك من يد تؤيد أن المعنوية تكذب

يعني يقول أن لك خيارات كثيرة في الليل تبين وتخبر أن المعنوية وهم طائفة من المحوس بقولون إن الظلمة لا تخلق خيراً أبداً ولن يكون خيراً في ظلمة وهذه الخيرات التي يسديها هذا الممدوح تشهد أن المعنوية كاذبة ، الشاهد قوله "من يد" أى من نعمة ومنه قول أبو بكر رضى الله عنه لبديل ابن برقع لولا يدك عندي لم أجزئها لكنه قال لولا يد لك عندي يعني نعمة فلو قال الأصل في اليد أنها اليد الحقيقية فإذا وجدت قرينة تمنع أن يكون المراد بها اليد الحقيقية فحينئذ يجب أن نأخذ بما دلت القرينة عليه ثم نقول يمنع هذا التحريف التثنية بيدي بل يده فهل تقولون أن ليس لله قدرة إلا إثنان وما معنى هذا القول أو تقول أن ليس لله نعمة إلا نعمتان؟ وهذا يكذبه الواقع لا شك وعلى هذا فنقول كل من حرفها فإنه مخطئ بجانب للصواب مخالف لما عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان ، فإن قال قائل أتسوا لنا بدليل واحد أو نص واحد عن الصحابة أنهم قالوا المراد باليد الحقيقية؟ نقول لا تأتي لكم بشئ بل المتواتر عنهم حيث يتلون كتاب الله وما جاء من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ومع ذلك لم ينقل عنهم حرف واحد يبينون أن المراد بها أن المراد بها خلاف ظاهرها ، وعلى هذا فهم يؤمنون بها على ظاهرها وهم عرب خلص يعرفون المعنى وإذا لم يرد عنهم شئ يخالف الظاهر فإننا نجزم بأنهم يقولون بالظاهر ، إذ كيف يتلون كتاب الله أثناء

الليل والنهار ولا يتجاوزون عشر آيات إلا تعلموها وما فيها من العلوم والعمل ثم لا يرد عنهم حرٌّ ٩ وأحد يدل على أنهم يخلطون الكلام عن ظاهره ولا حاجة إلى أن ننقل لكل صفة بعينها نص عن الصحابة أو التابعين لأن الأصل أنهم يقولون بما دل عليه ظاهر القرآن أن المراد اليد الحقيقية والعين الحقيقية وكذلك بقية الصفات فإن قال قائل إن قوله تعالى ﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ لم يبين فيها أن الله يداً بمعنى أو يداً شمالاً فماذا تقولون؟ هل تقولون أن الله ليس له إلا يداً وتسكتون أو تقولون أن له يداً بمعنى وشمالاً أم ماذا تقولون؟ نقول كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كلتا يديه يمين بالنسبة إلى عدم اختلاف كل يد عن الأخرى ، لكن ورد التصريح بالشمال من حديث ابن عمر أخرجه مسلم في صحيحه وذكره الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله في كتاب التوحيد واستخرج المسائل من الدلائل وقال من جملة المسائل التصريح بالشمال لله عز وجل . وعلى هذا فالجمع بين هذه الرواية وبين قوله كلتا يديه يمين أن نقول هما يداً يمين وشمال ولكن لا تختلفان كما تختلف أيدي المخلوقين بالنسبة لليمين والشمال بل كلتاهما يمين مباركة فيها الخير والعطاء ، فإن الله سبحانه وتعالى يده ملئى سحاء الليل والنهار كما قال النبي صلى الله عليه وسلم قال أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم ينفد ما في يمينه لكثرة خيراته وبركاته وتوذه وإحساناً .

حدثنا معاذ ابن فضالة حدثنا هشام عن قتادة "عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا ، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أما ترى الناس؟ خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك من أسماء كل شيء ، اشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا ، فيقول لست هناك - ويذكر لهم خطيئته التي أصاب - ولكن اتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ، فيأتون نوحاً فيقول: لست هناك - ويذكر خطيئته التي أصاب - ولكن اتوا إبراهيم خليل الرحمن "

أولاً قال في هذا اللفظ يجمع الله المؤمنين ، ولكن الجمع يوم القيامة للمؤمنين وغيرهم ، والمشقة تكون على المؤمنين وغيرهم ، ويقول في هذا الحديث يأتون آدم فيقولون: "يا آدم أما ترى الناس" يعني على ما هم عليه من الغم والكرب الذي لا يطاق ، فالمفعول الثاني محذوف دل عليه السياق ، والمعنى أما يرى الناس قد أصابهم من الغم والكرب "خلقك الله بيده" وهذا هو الشاهد من الحديث المطابق للترجمة تماماً "وأسجد لك ملائكة" أي أمرهم أن يسجدوا لك فسجدوا ، وهنا يقع سؤال: كيف جاز للملائكة أن يسجدوا لغير الله ، وهل سجودهم هذا عبادة؟ جاز لهم أن يسجدوا لغير الله لأن الله أمرهم به ، وسجودهم لآدم عبادة ولهذا كان ترك إبليس السجود لآدم كفراً لقوله تعالى ﴿استكبر وكان من الكافرين﴾ كما أن قتل النفس من كبائر الذنوب ولا سيما الأقارب ، وكان قتل النفس للأقارب منتهى عظمة لإبراهيم عليه السلام حيث أمره الله أن يقتل ولده ، فاستسلم هو وولده ولما أخذه للذبح وتله للجبين أى تله بشدة ألا تأخذه الرحمة وجعل جبينه مما يلي الأرض ألا يعجز عن تنفيذ ما أمره الله به أن يري وجه ولده والسكين أمامه أو أن الولد أيضاً يحصل له ما يحصل حين يرى السكين فرق وجهه ، لكن جاء الفرج من الله ورفع عنه هذا التكليف العظيم الباهر وقال له قد صدقت الرؤيا وكب لك أج من ذبح ولده الذي نلغ معه السعي إمتثالاً

زوجها ليسكن إليها ﴿ قلنا الجواب على هذا سهل المراد بقوله من نفس واحدة أى من جنس واحد وجعل
منها زوجها كقوله تعالى ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ وليس المراد بالنفس الواحدة آدم بل المراد نفوس بني آدم والمعنى أنه خلقنا من
جنس واحد وحصل ما حصل من الشرك بالله عز وجل وهذا يقع من بني آدم وليس من آدم وبذل لهذا قوله
تعالى ﴿ فتعالى الله عما يشركون أيشركون مالا يخلق شيئا وهم يخلقون ﴾ ولم يقل فتعالى الله عما يشركان
لو كانت خاصة بآدم وحواء لقال عما يشركان ثم أن آدم وحواء لم يشركا مالا يخلق شيئا وإنما حصل الشرك
لو صحت القصة بتسمية الولد عبد الحارث .

قال " ولكن اتنوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض " ونوح هو الأب الثاني للبشرية
لقوله تعالى ﴿ وجعلنا زريته هم الباقين وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين ﴾ أول رسول بعثه
الله إلى أهل الأرض صحيح أن آدم ليس برسول وأن أول رسول نوح وبذل على ذلك قوله تعالى ﴿ إنا أوحينا
إليك كما أوحينا إلى نوح والذين من بعده ﴾ ولو كان قبل نوح رسول لقال نوح رسول لقال كما أوحينا إلى فلان والذين من
بعده وقال الله تعالى ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب ﴾ وبهذا تعرف أيضاً
كذب من قال من المؤرخين أن إدريس وشيماً رسولان قبل نوح فشيئ لم يذكر في القرآن لكن نأخذ الذي
ذكر في القرآن وهو إدريس فإن بعض المؤرخين يقول إن إدريس قبل نوح وهذا لا شك أنه كذب ولا يجوز
تصديقه لأنه ليس أحد من الرسل قبل نوح أبداً والظاهر أن إدريس من أنبياء بني إسرائيل لأنه يذكر في سياق
بني إسرائيل والظاهر أنه منهم فإن قال قائل لماذا لم يرسل أحد من قبل نوح؟ الجواب ما ذكره الله في قوله
﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكموا بين الناس
فيما اختلفوا فيه ﴾ فكان الناس على الحق لكن لما كثروا وانتشروا في الأرض اختلفوا فحيث اختلفوا إلى
الرسول ليحكموا بينهم بالحق ، وفيه إشارة إلى أن آدم نبي وقد جاء ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما
رواه ابن الحدد في اسناد صحيح أن آدم نبي مكلف أوحى الله إليه بوحيه بشرع يناسب الوقت الذي هو فيه
فتقيد به ، وأولاده في ذلك الوقت قليلون على طبيعته وعلى فطرته فيأخذون بما كان عليه أبوههم ويتبعون الله
به حتى كثروا فاختلَفوا وهذا مما يرجح قول جمهور العلماء في الفرق بين النبي والرسول :-

أن النبي مما أوحى إليه بشرع ولم يكلف بإبلاغه ولم يلزم به بل قيل له تعبد به فتكون فائدته إن كان قبله
رسول إحياء الرسالة التي نسيها كثير من الناس وإن لم يكن قبله رسول كأدم فهو شرع جديد وهذا الذي
عليه جمهور العلماء في الفرق بين النبي والرسول فإذا قال قائل كيف يوحى الله إليه ولم يأمره بالتبليغ؟ قلنا
هنا شيان :- تعبد خاص وتعبد عام يلزم بإبلاغه ، فأيهما النبوة ، التعبد الخاص وفائدته أنه إذا عمل بالشرع
وهو عند الناس معتمِر والنبوة لبد أن تكون فيمن هو أهل لها فإن الناس سوف يقتدون به ولهذا نرى العلماء في
هذه الأمة يحبون ما مات من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، إذا رأهم الناس اقتدوا بهم وتعلموا منهم
فيكون فائدة النبي الذي جاء بالشرع وتعبد الله به وإحياء ما مات من سنة الرسول قبله إن كان قبله رسول

أو إنشاء شرع جديد يتعبد لله به ، ولا أعلم مثالا لهذا الأخير إلا آدم فإنه لم يرسل قبله أحد ولكنه نبأ عليه الصلاة والسلام فكان يتعبد بمقتضى هذا الوحي حتى كبر أولاده وإنتشروا واختلقوا فبعثت الرسل .

نوح عليه الصلاة والسلام يذكر خطيئته وهي سؤاله ربه ما ليس له به علم فإنه قال الله عز وجل ﴿رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ انظر كلام الله عز وجل لأنبيائه ورسله في هذه القوة والشدة ، وقال لمحمد آخر الرسل ﴿إتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ فكيف يقول الله هذا الكلام للرسل ألوا العزم ونحن نسأل الله أن يعننا بعفوه ، نبارز الله بالمعصية القولية والفعلية والعقائدية إلا أن يشاء الله وكأنا واثقون أننا ناجون .

قال :- "اتنوا إبراهيم خليل الرحمن" إذا قال قائل من أين علم نوح أن إبراهيم خليل الرحمن وأيهما الأول؟ نوح ، علم ذلك بالوحي ، قطعاً أنه علمه بالوحي وذلك لأنه لا يعلم الغيب ولكن هل إن الله أوحى إلى نوح في وقت وجوده في الدنيا أنه سيعت إبراهيم ويتخذه خليلاً أو أن نوحاً علم بعد ذلك ويكون الأنبياء تعرض عليهم أحوال الناس في الدنيا وإن أخذنا هذا بالتسليم وكنا نقول كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أما كيف علم أنه خليل الله فهذا ليس إلينا إذا قلنا بهذا فقد اتبعنا المبدأ السابق الذي فيه الراحة والسلامة نقول كما قال النبي صلى الله عليه وسلم إن نوحاً قال إئتوا إبراهيم خليل الرحمن وفي هذا إشارة إلى إن أعظم وصف يحصل للإنسان أن يتخذه الله خليلاً خليل الرحمن ولم يقل رسول ولا نبي لأن الخلقة درجة عظيمة من ينالها لا تعلم أن أحداً نالها من البشر إلا رجلين هما لإبراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم ﴿إن الله يختزنني خليلاً كما يختزن إبراهيم خليلاً﴾ وبه تعرف أن من قالوا إبراهيم خليل الله ومحمد حبيب الله أنهم نقصوا النبي صلى الله عليه وسلم لأن المحبة أدنى من الخلقة والخلقة ثابتة للرسول ، المحبة تكون حتى لعامة المؤمنين ولعامة التوابين ولعامة المتطهرين يعني ليست خاصة بالأنبياء فضلاً عن ألوا العزم .

والخلقة لا نعلم أنها كانت إلا لهذين الرسولين الكريمين فالذي نخذه في بعض الأدعية أو في بعض خطب الوعظ أو ما أشبه ذلك إبراهيم الخليل ومحمد الحبيب نقول هذا خطأ ، هذا نقص في حق الرسول صلى الله عليه وسلم فإذا قال أنا أريد محمد الحبيب لي؟ قلنا هنا أيضاً تقتضي ، كان أبوهريرة يقول حدثني خليلي أوصاني خليلي إني اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم خليلاً أشد من أن تتخذه حبيباً ، هل تتخذ صديقك خليلاً؟ جاء في الحديث "المرء على دين خليله فلينر أحدكم من يخال" والمنوع أن الرسول يتخذ خليلاً ، وأما نحن فلنسا ممنوعين أن نتخذ الرسول خليلاً أو أن نتخذ من يستحق المحبة والخلقة خليلاً .

لكن الشيء الذي يجب أن نخذر الناس منه ما وجد عند بعض الشباب والشابات من المحبة مع الله التي تكون أول ما تكون محبة في الله ثم تنمو حتى تكون محبة مع الله فتراحم محبة الله إن لم تغلب عليها ، فيحب المرء أول ما يحبه الله ثم تنمو هذه المحبة حتى تطفئ على محبة الله ولا يكون في قلبه إلا محبة هذا الشخص وهذه مسألة خطيرة يجب أن ينتبه إليها الإنسان بنفسه ويجب أن ينبه لها غيره ، ألا تكون المحبة في الله محبة مع

الله فإنها تكون نوعاً من الشرك قال تعالى ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله﴾^{٩٥} والذين آمنوا أشد حباً لله.

الدرس السادس عشر:-

قال البخاري رحمه الله تعالى:-

"فيأتون إبراهيم فيقول: لست هناك - ويذكر لهم خطاياهم التي أصابها - ولكن انتوا موسى عبداً آتاه الله التوراة وكلمه تكليماً ، فيأتون موسى فيقول: لست هناك - ويذكر لهم خطيته التي أصابها - ولكن انتو عيسى عبد الله ورسوله وكلمته وروحه"

وعيسى عليه السلام لم يذكر خطيئة ليكمل الشرف لرسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث يكون الأنبياء الذين سبقوه منهم من إعتذر لخطيئة ومنهم من إعتذر بإعتزافه بأن محمداً أكمل بدون خطيئة لكن لكمال محمد صلى الله عليه وسلم وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء أن ينتقل طلب الشفاعة من أبي البشر إلى أربعة من ألو العزم ولا تحصل الشفاعة إلا من محمد صلى الله عليه وسلم ، منهم من يرى أنه عمل أشياء تحول بينه وبين أهلية الشفاعة وهم ثلاثة نوح وإبراهيم وموسى عليهم السلام والرابع لا يذكر شيئاً لكن يرى أنه هناك من هو أحق منه أن يشفع وأكمل منه وهو محمد صلى الله عليه وسلم .

"فيأتون عيسى فيقولوا: لست هناك ، ولكن انتوا محمد صلى الله عليه وسلم عبداً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فيأتوني فأنتطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي عليه ، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقال لي: إرفع محمد قل يسمع وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأحد ربي بمحامد علمنيها ثم أشفع فيحد لي حداً ، فأدخلهم الجنة ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقال: إرفع محمد وقل يسمع وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأحد ربي بمحامد علمنيها ثم أشفع فيحد لي حداً ، فأدخلهم الجنة ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقال: إرفع محمد قل يسمع وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأحد ربي بمحامد علمنيها ثم أشفع فيحد لي حداً ، فأدخلهم الجنة ثم أرجع فأقول يا رب ما بقى في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود"

هنا طوى ذكر سبب طلب الشفاعة لأن سبب طلب الشفاعة من البشر أن يرجعهم الله من الموقف وهنا طوى ذكرها ولم تذكر ولكنها ذكرت في أحاديث أخرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم يشفع حتى يأتي الله عز وجل بالقضاء بين عباده .

قال أهل العلم وإنما كان الرواة يطوون ذكر هذه الشفاعة لأن هذه الشفاعة لا ينكرها أحد من فرق الأمة ، كل الأمة لا تنكر الشفاعة التي للقضاء بين العباد فلهذا إقتصروا الرواة على ذكر الشفاعة التي فيها الخلاف بين فرق الأمة ، وهي شفاعة من دخل النار فإن الخوارج والمعتزلة يرون أن من دخل النار فإنه لا يخرج منها بشفاعة ولا غيرها وإن كان من المؤمنين ، لأن الخوارج يرون أن فاعل الكبيرة كافر ومخلد في النار وأن من سرق ربع دينار كمن سجد لصنم كلاهما كافر ومخلد في النار .

والمعتزلة يرون أن فاعل الكبيرة خارج من الإيمان غير داخل في الكفر فهو في منزلة بين منزلتين ٩ ولا يعطي إسم الإيمان ولا يعطي إسم الكفر لكنه بحكم الآخرة مخلد في النار ، فلا فرق بينهم وبين الخوارج في حكم الآخرة كلهم يرون أن فاعل الكبيرة مخلد في النار فلهذا كان رواة حديث الشفاعة يذكرون ما يتعلق بالخلاف بين أهل السنة وبين أهل البدعة ، وهو الشفاعة في من دخل النار بذنب لكنه ليس بكافر .

"فقال النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرة"

وهذه الشفاعة لأهل الكبائر من هذه الأمة إذا شفع لهم الرسول صلى الله عليه وسلم أو الأنبياء الآخرون أو الملائكة أو الصالحون أخرج الله سبحانه وتعالى من النار من في قلبه مثقال ذرة من الخير والشاهد من هذا الحديث كله هو قوله في آدم "خلقك بيده" إثبات اليد لله عز وجل وسبق الكلام عليها وبيان الوجوه التي وردت عليها في الكتاب والسنة .

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج "عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يد الله مملأى ما يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ، وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق الله السموات والأرض فإنه لم يغيض ما في يده وقال: عرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع" يقول: "يد الله مملأى لا يغيضها نفقة سحاء - أى كثيرة العطاء - الليل والنهار" يعني كثيرة العطاء ليلاً ونهاراً ، والليل والنهار أوسع من قوله في الليل والنهار لأنه إذا قيل في الليل والنهار فإن في للظرفية تحتل أن تكون في جميع الليل والنهار أو أن تكون في جزء منه ، وأما إذا قيل الليل والنهار فالمعني دائماً .

وقوله "أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض" يعني أخبروني ماذا أنفق منذ خلق السموات والأرض من يستطيع إحصاءها؟ لا أحد ، قال: "فإنه لم يغيض ما في يده" لم يغيض يعني لم ينقص ومنه قوله تعالى: ﴿وغيض الماء﴾ يعني نقص فإن قال قائل معلوم أنه لا يغيض ما في يده لأنه ينفق مما في يده على ما في ملكه فالكل لم يخرج عن ملكه فكيف يتصور النقص؟ المراد لو قدر أنه ينفق خارج ملكه لم يكن ذلك ناقصاً مما عنده كما جاء في حديث أبي ذر الغفاري الطويل الذي أخرجه مسلم ورواه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه قال: "يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا غمس في البحر" .

قال: "وعرشه على الماء" هذا ماء غير الماء الأول الذي كان قبل خلق السموات والأرض هذا ماء آخر بين السماء السابعة والعرش ، ماء عظيم ، قال "وبيده الأخرى الميزان" يعني إحدى اليدين للعطاء وهو محض والأخرى فيها العدل "يخفض ويرفع" يخفض من إتضت حكمته خفضه ويرفع من إتضت حكمته رفعه كما قال تعالى ﴿قل اللهم مالك الملك توتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتزل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾ . الشاهد من هذا الحديث قوله "يد الله مملأى - وبيده الأخرى" فأفاد هذا الحديث أن الله عز وجل يدين إثنين .

حدثنا مقدم ابن محمد قال حدثني عمي القاسم ابن يحيى عن عبيد الله عن نافع ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: أن الله يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السموات يمينته ثم يقول أنا الملك" رواه سعيد عن مالك .

وقال عمر ابن حمزة سمعت سالماً سمعت ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا ، وقال أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني أبو سلمة أن أبا هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض الله الأرض .

المؤلف رحمه الله ساق هذا الحديث للإشارة إلى أنه لا قبض إلا بيده كما قال تعالى: ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ تدل على أن الله يدأ يقبض بها ، خلافاً لأهل التعطيل الذين قالوا إن المراد بالقبض السيطرة على الأرض والسلطان عليها ، فالبخاري رحمه الله ساق هذا الحديث هذه الفائدة .

حدثنا مسيب أنه سمع يحيى ابن سعيد عن سفيان حدثني منصور وسليمان عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله أن يهودياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد إن الله يمسك السموات على أصبع والأرضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر على أصبع والخلق على أصبع ثم يقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قرأ ﴿وما قدر الله حق قدره﴾ قال يحيى ابن سعيد وزاد فيه فضيل ابن عياض عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجباً وتصديقاً له .

حدثنا عمر ابن حفص ابن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش سمعت إبراهيم قال سمعت علقمة يقول قال عبد الله جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب فقال يا أبا القاسم إن الله يمسك السموات على أصبع والأرضين على أصبع والشجر والثرى على أصبع والخلق على أصبع ثم يقول أنا الملك أنا الملك فيأيت النبي صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه ثم قرأ ﴿وما قدر الله حق قدره﴾ .

كل هذا يؤيد ما سبق بأن الأرض قبضته عز وجل ، وفي الحديث إثبات الأصابع لله سبحانه وتعالى وقد جاءت في غير هذا الحديث مثل قوله صلى الله عليه وسلم "ما من قلب من قلوب بني آدم إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن" فعقيدتنا أن ثبت لله الأصابع ، وجاء في حديث إختصاص الملائكة الأعلى أن له أنامل فإذا أثبت الله لنفسه أو أثبت له رسوله أى صفة كانت فلا تستوحش منها ، أثبتنا لله ، لكن جعل أمامك شيئاً: الأول: - إنتفاء المماثلة لقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ . الثاني: - إمتناع التكيف لقوله تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ . فإذا ضمنت لنفسك هذاين الأمرين ، تستأنس ولا تستوحش من أى صفة يثبتها الله لنفسه ، أو يثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم ، وفي الحديث الأول ذكر خمسة أصابع وفي الثاني ذكر أربعة ، ولا منافاة ، لأننا نأخذ بالزائد ونقول هذا يقع من إختلاف الرواة ولا يضر ، المهم ثبوت أصل الشيء وهو الأصابع ، وأصبع في اللغة العربية يقولون لا يمكن أن يخطئ فيه ألحن الناس من حيث

باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "لا شخص أغير من الله" وقال عبيد الله ابن عمرو عن عبد الملك "لا شخص أغير من الله"

أراد المؤلف رحمه الله في هذا الباب أن يبين فيه صفة الغيرة لله عز وجل ، وهى من صفاته التى جاء بها الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والغيرة هى أن يغار الإنسان على فعل ما يكرهه ، كأنه يطلب تغيير ما حصل مما يكرهه ، هذا هو أصل اشتقاق الغيرة ، أن الغائر يكره ما حصل ويريد تغييره فهل يوصف الله بالغيرة؟

نعم يوصف الله بالغيرة كما يوصف بالفرح والضحك والعجب وما أشبهه ، وهذه الصفة من الصفات الفعلية التى تتعلق بمشيئته لأن الظاهر أن كل صفة لها سبب فهى من الصفات الفعلية ، فالضحك والفرح والعجب كلها صفات فعلية لدخولها في الضابط المعروف عند العلماء أن كل صفة تتعلق بمشيئته فهى فعلية ، ومعلوم أن الصفة ذات السبب تتعلق بمشيئته لأنه هو الذي شاء السبب .

فالتوبة مثلاً ، توبة الإنسان إلى ربه لماذا حصلت؟ بمشيئة الله ثم ترتب عليها الفرح هذا وجه قولهم إن كل صفة ذات سبب فإنها من الصفات الفعلية ، فالغيرة من الصفات الفعلية وهنا هل أراد البخاري رحمه الله إثبات الشخص لله لكونه ترجم بقوله "لا شخص أغير من الله" لما ذكر الحديث المعلق لا شخص أغير من الله دل هذا على أنه رحمه الله يريد ذلك ، وهل يوصف الله بالشخص؟ هذا ينبني على أمرين:-

الأمر الأول:- صحة اللفظ لا شخص أغير من الله لأن بعض ألفاظ الحديث لا أحد أغير من الله وهذا هو أكثر الروايات ، وأحد يصح أن يوصف الله به في الإثبات ﴿قل هو الله أحد﴾ وفي النفس لا أحد أغير من الله فلا بد أن نبحث هل هذه اللفظة محفوظة أو غير محفوظة .

الأمر الثاني:- إذا كانت محفوظة وأن الرواة الذين روا الحديث روهه بالمعنى فبعضهم عبر بالشخص وبعضهم عبر بأحد فإن ذلك لا يلزم منه ثبوت الشخصية لله عز وجل لأنه يحتمل أن المعنى لا شخص من بني آدم أغير من الله وهذا لا يلزم منه أن يكون المفضل عليه من جنس المفضل كما لو قلت لا رجل أقوى من الفيل ، فهل يلزم أن يكون الفيل من الرجال؟ لا يلزم ، إذاً ، إذا كان لفظ الحديث محفوظاً لا شخص أغير من الله فلا يلزم أن يكون الله سبحانه وتعالى موصوفاً بالشخصية ، ثم إذا سلمنا أن اللفظ محفوظ وأنه يدل على أنه يوصف بالشخصية فإنه لا يلزم من كونه شخصاً أن يكون مماثلاً للأشخاص فإن الله ليس كمثله شئ ، حتى في اللفظة التي يستوي فيها الإنسان والرب عز وجل فإنه لا يماثله في حقيقة معناها . لكن رأينا بعض العلماء قال إنهم أجمعوا على أنه لا يوصف الله بأنه شخص فنحتاج إلى تحقيق هذا الإجماع ، فإن صح الإجماع لم يبق علينا إلا أن نقول نبحث أولاً عن ثبوت هذا اللفظ هل هو محفوظ أو غير محفوظ لأنه ما دام الرواة الثقات روهه على وجهين: لا أحد ، لا شخص ، وأحد أكثر فقد يكون هذا اللفظ شاذاً .

الأمر الثالث:- على تقدير ثبوت هذه اللفظة لا تستلزم ثبوت الشخصية لله إذ لا يلزم أن يكون المفضل عليه من جنس المفضل ونظيره ما قلت لكم ، أن يقول قائل لا رجل أقوى من الفيل فإنه لا يستلزم أن يكون الفيل رجلا وبهذا يزول الإشكال ، لكن إذا إنتفى الإجماع وصحت اللفظة ولم يتوجه قولنا أنه لا يلزم أن يكون المفضل والمفضل عليه من جنس واحد وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم وصف الله بأنه شخص فالأمر في هذا سهل جداً ، ما هو إلا أن تقول هو شخص ليس كالأشخاص لقوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾ ولا شك أن الله جلا وعلا ذات قائمة بنفسها لا شك في هذا ، لكن هل هو من جنس الذوات الأخرى؟ لا ، له ذات تختص به لا يعلم كيفيتها إلا هو عز وجل .

حدثنا موسى ابن اسماعيل التبوذكي حدثنا أبو عوانة حدثنا عبد الملك عن وارد كاتب المغيرة عن المغيرة قال:- "قال سعد ابن عباد لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتعجبون من غيرة سعد والله لأنا أغير منه ، والله أغير مني ، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا أحد أحب إليه العذر من الله ، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والنذرين ، ولا أحد أحب إليه المدحة من الله ومن أجل ذلك وعد الله الجنة" وفي الحديث من المسائل:-

بيان غيرة سعد ابن عباد وهو سيد الخزرج وسعد ابن معاذ سيد الأوس ، فالسعدان سيدان ، والخزرج أكبر من الأوس وأشد في الحروب لكن لكل قبيلة منهما خصائص ، سعد ابن عباد رضى الله عنه عنده غيرة شديدة ، حتى قيل أنه إذا طلق امرأة لم يتزوجها أحد بعده لشدة غيرته ، فالله أعلم بصحة هذا لكن هذا الحديث يدل على شدة غيرته يقول: "لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح" يعني لا أضربه بصفحته بل بحده وإذا ضربه بحده يعني أنه قتله ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال "أتعجبون أو تعجبون من غيرة سعد" والمعنى فيهما واحد لأن همزة الإستفهام قد تحذف من الجملة ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ام اتخذوا آله من الأرض هم ينشرون﴾ والتقدير أهم ينشرون ، ولهذا ينبغي لك إذا قرأت ﴿ام اتخذوا آله من الأرض﴾ أن تقف لأنك لو واصلت لفهم من وصلك أن جملة هم ينشرون صفة لآلهة فيتغير المعنى ، لكن معنى أهم ينشرون يعني أيقدر هؤلاء على نشر الموتى؟ لا ، فهنا أتعجبون إن كانت باللفظ فالأمر واضح وإن حذفت الهمزة فللدليل عليها .

وقوله "والله لأنا أغير منه والله أغير مني" إختلف العلماء في هذا الكلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أهو إقرار أو إنكار؟ يعني هل الرسول صلى الله عليه وسلم أقر سعد على ما حكم به من أنه لو وجد رجلا مع امرأته لضربه بالسيف ، أو هو إنكار منه؟

فعلى الأول يكون قوله صلى الله عليه وسلم والله إنني لأغير منه والله أغير مني يكون ثناء على سعد ولكنه ليست غيرته أعظم من غيرة الله ورسوله . وعلى الثاني يكون المعنى أني أغير منه والله أغير مني ومع ذلك لم يشرع هذا الفعل الذي عزم عليه سعد .

والأقرب عندي الأول ، أن ذلك إقراراً لأنه لو كان إنكاراً لبينه النبي صلى الله عليه وسلم بيّناً ثنائياً -
، فإن الأمر خطير لأن الأمر هو قتل نفس فلو كان قتل هذه النفس بغير حق لبينه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويدل على هذا القصة التي وقعت في عهد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنه رفع إليه رجلاً قتل شخصاً وجده على إمراته فضربه بالسيف فقطعه نصفين ، فارتفع الأمر إلى عمر فقال الرجل أنا لا أضرب إلا ما فوق فخذى إمراتي فإن كان فوق فخذيتها أحد فقد ضربته ، فقال لأوليائه ما تقولون؟ قالوا لا نقول شيئاً فأخذ عمر السيف فهزه وقال له إن علدوا فعد ، فهذا إقرار ولا شك أن هذا هو الحكم وليس هذا من باب دفع الصائل لأنه لو كان من باب دفع الصائل لكان الواجب على الزوج أن يقول له يا فلان إتق الله ، كيف تفعل الفاحشة بأهلي فإذا أبى أن يقوم جره فإن عجز عنه فله أن يقتله ولكن هذا ليس من باب دفع الصائل بل منعوبة المعتدي ، فإن قال قائل وهل لهذا نظير في الشرع؟

الجواب نعم لو أن رجلاً نظر إليك من ثقب الباب فإنه يجوز لك أن تأخذ المدة وتفقأ عينه بدون إنذار حتى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ المدة وجعل عني يمشي ببطء من أجل ألا يحس به ولو كان هذا من باب دفع الصائل لتكلم عليه أولاً وقال إتق الله وإنصرف عن الباب ، ثم إذا أصر يعامله بما يعامله به .

فالظاهر لي أن قول الرسول صلى الله عليه وسلم "أتعجبون من غيرة سعد" أن هذا من باب الثناء على سعد والإقرار على ذلك ، ولكن لو إدعى أحد هذه الدعوى أنه وجد هذا القتل على أهله وأنكر أولياء القتل فماذا نصنع هل نقول للقاتل إئتني ببينة لأن البينة على المدعي واليمين على من أنكر ، أو نقول أنه صادق لأنه إقامة البينة على مثل هذه القضية صعبة ومتعذرة ، لو ذهب يأتي بأربعة شهداء لكان هذا الرجل قضى حاجته وولى ولهذا كان سبب كلام سعد ابن عباد رضي الله عنه سبب أن الله أنزل ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ قال هل أراك على أهلي وأذهب أثني بأربعة شهداء والله لو رأيته لأضربه بالسيف غير مصفح بإقامة البينة متعذرة لكن قبول الدعوة أيضاً مشكلة لأن كل إنسان يستطيع أن يدعوا شخصاً إلى بيته وهو يريد قتله فيقتله ويدعي هذه الدعوة ، فالحاصل أن ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هو الحق في هذه المسألة ، ثم قال في الحديث "ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن" ظهر بماذا؟ ظهر فحشه وخفي ، أو ظهر الناس واشتهر أو خفي عنهم أو الأمران جميعاً .

وقوله "ولا أحد أحب إليه العذر من الله ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين" يعني الرسل لإقامة العذر كما قال الله تعالى ﴿رسلنا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ استدل بهذه الآية أهل السنة على طائفة منحرفة في باب القدر من الجهمية بأنهم كانوا جيرية لأنه لو ثبت الجبر لكان حجة حتى لو جاء الرسل وقالوا الإنسان أنه مجبر على المخالفة فهو حجة .

وقوله "ومن أجل ذلك لا أحد أحب إليه الملاح من الله ومن أجل ذلك وعد الجنة" لمن مدح وأنشئ عليه وقام بعبادته .

باب "قل أى شئ أكبر شهادة قل الله"

فسمى الله تعالى نفسه شيئاً ، وسمى النبي صلى الله عليه وسلم القرآن شيئاً وهو صفة من صفات الله وقال ﴿كل شئ هالك إلا وجهه﴾ .

يعني فالوجه شئ لأن لفظة الإستثناء الإتصال ، هذا أيضاً لفظ الشئ هل يطلق على الله؟ فيقال له شئ يخبر به عن الله ولا يسمى الله به؟ وقول البخاري رحمه الله سمي الله نفسه شيئاً المراد أنه وصف نفسه بشئ وإلا فليست الشئ من أسماء الله عز وجل لقول الله تبارك وتعالى ﴿والله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ فلا بد أن تتضمن أسماء الله معاني حسني ، لكن يصح أن يخبر عنه بالشئ والموجود وما أشبهه ، وعلى هذا فيقال إن الله شئ لكنه شئ كامل ولا نقول شئ على سبيل الإطلاق فقط يعني ليس مطلق بل هو شئ كامل سبحانه وتعالى في أسمائه وصفاته ، واستدل البخاري رحمه الله على جواز تسمية الله بالشئ بأدلة:-

أولاً:- قوله تعالى ﴿قل أى شئ أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم﴾ فبما جاءت الشئ غير مطلقة بل الشئ في كمال الشهادة قل الله ، الله أكبر شهادة من كل شاعر قال تعالى ﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً﴾ فسمى الله نفسه شيئاً فقال قل الله يعني الشئ الذي هو أكبر شهادة هو الله واستدل أيضاً بأن النبي صلى الله عليه وسلم سمي القرآن شيئاً وذلك من حيث سأل ، حيث قال "أمعك من القرآن شئ" وهو صفة من صفات الله لأنه كلامه وكلام الله تعالى صفة من صفاته ولهذا قال العلماء إن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق فهو صفة والدليل على أنه غير مخلوق قول الله تعالى ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ والقرآن هل هو من الخلق أو من الأمر؟ من الأمر وقوله تعالى ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾ وعلى هذا يكون القرآن غير مخلوق وقال تعالى: ﴿كل شئ هالك إلا وجهه﴾ يعني إلا وجه الله وسبق أن التعبير هنا بالوجه يراد به الذات مع ثبوت الوجه ووجه الدلالة من الآية أن الأصل في الإستثناء الإتصال ، فما معنى الإتصال؟ أن المستثنى من جنس المستثنى منه وقد قال تعالى: ﴿كل شئ هالك إلا وجهه﴾ فيكون الوجه من الأشياء ولهذا أستثنى منها ولعلكم تعرفون أن الإستثناء المنقطع هو أن يكون المستثنى من غير المستثنى منه فماذا تقولون في قوله تعالى ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ أهو منقطع أو متصل؟ ليس من جنسه لأن عباد الأولى عباد الموصوفون بأنه ليس للشیطان سلطان عليهم ، ومن اتبعه من الغاوين له عليهم سلطان لكن لما قال ليس لك عليهم سلطان علمنا أن المراد بالعباد هنا من العباد بالمعنى الشرعي ، إذا نسمي الله تعالى شيئاً خيراً؟ ما الذى يمنع من التسمية؟ قوله تعالى ﴿والله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ وهنا لرد دعونا بالشئ ماذا يكون؟ أقول يا شئ اغفر لنا ، ما يستقيم وعلى هذا فيصح أن يخبر عن الله بأنه شئ ولكن لا يدعى به ولا يسمى به .

حدثنا عبد الله ابن يوسف أخبرنا مالك عن أبي حازم "عن سهل ابن سعد قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل: أمعك من القرآن شئ؟ قال نعم ، سورة كذا وسورة كذا لسور سماها"

الشاهد منه قوله "أمعك من القرآن شئ" فسمى ما معه من القرآن شيئاً ، ولهذا أجاب سورة كذا وكذا وحديث سهل ابن سعد في قصة المرأة التي جاءت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ووهبت نفسها له

وكأنه صلى الله عليه وسلم لم يرغب فيها فقام رجل من الصحابة وقال يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها فقال أمعك شيء يعني تصدقها قال معي أزارى ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم كيف ذلك إزارك إن أعطيتها إياه بقيت بلا إزار وإن بقي الإزار عليك بقيت بلا مهر ، إلتمس فذهب الرجل فقال ما وجدت شيئاً قال: إلتمس ولو خاتماً من حديد فلم يجد ولا خاتماً من حديد فقال أمعك شيئاً من القرآن قال نعم ، سورة كذا وكذا فقال زوجتكها بما معك من القرآن فجعل النبي صلى الله عليه وسلم مهرها تعليمه إياها القرآن

الدرس الثامن عشر:-

باب ﴿وكان عرشه على الماء ، وهو رب العرش العظيم﴾

قال أبو العالية: استوى إلى السماء: إرتفع . فسواهن: خلقهن ، وقال مجاهد استوى: علا على العرش ، وقال ابن عباس الجيد: الكريم ، والودود: الحبيب ، يقال: حميد مجيد ، كأنه فعيل من ماجد محمود من حمد .

قال البخاري رحمه الله باب وكان عرشه على الماء هذا الباب فيه عدة مسائل:

أولاً:- إثبات العرش لله عز وجل لقوله تعالى ﴿وكان عرشه على الماء﴾ والعرش هو أعظم المخلوقات التي نعلمها وأكبرها وأوسعها ولا نعلم من أين هو ولا عن كيفيته لكنه ذو قواعد ثبت في الحديث الصحيح فإذا موسى أخذ بقائمة العرش لكن من أين هو؟ الله أعلم من نور من ماله أخرى الله أعلم لكن تؤمن أن الله تعالى عرشاً عظيماً وصفه الله تعالى بالعظمة وهو أكبر المخلوقات وقد جاء في بعض الأحاديث أن السموات السبع والأرضين السبع بالنسبة للكرسي كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض ، وأن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحلقة ، وهذا أمر لا يحيط به الإنسان من عظمتها وأصل العرش في اللغة العربية هو السرير الخاص بالملك فيكون أعظم السرر الموجودة في مكانه وزمانه لأنه عرش الملك ، وأن ما ذكره المؤلف عن العرش توطئة لذكر الإستواء .

ثم قال أبو العالية وهو أحد التابعين المعروفين بالفقه والعلم والعبادة قال "استوى إلى السماء" ارتفع يشير إلى قوله تعالى في سورة البقرة ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات﴾ وقوله تعالى في سورة فصلت ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾ فما معنى استوى إلى السماء؟ قال أبو العالية ارتفع إلى السماء وإذا قيل ارتفع إليها فإنه يقتضي أن يكون قبل ذلك دونها ، ولهذا لم يتفق السلف على تفسير استوى إلى السماء إرتفع إلى السماء ، بل ذكر كثير من المفسرين أن المراد بالاستواء هنا القصد بالإرادة التامة فاستوى إليها أى اتجه إليها وقصد إليها بإرادة تامة ، وأصل ذلك أن هذه المادة استوى في الأصل يدل على الكمال ثم هي في اللغة العربية تستعمل على وجوه ويتغير معناها بحسب تلك الوجوه فتستعمل مطلقة وتستعمل متعددة بالام وتستعمل متعددة بعلی وتستعمل مقرونة بالواو .

الأول:- إذا أستعملت مطلقة فهي بمعنى الكمال ومنه قوله تعالى ﴿ولما بلغ أشده واستوى﴾ استوى كمل يقول العامة استوى الطعام أى كمل نضجه .

الثاني:- إذا عدت بالام صار معناها القصد والإنتهاء أى إنتهى قصده إلى ما بعد الحرف ومنه قوله تعالى -
﴿استوى إلى السماء﴾ أى قصد قصداً تاماً بإرادة تامة متنهاها السماء.

الثالث:- المعداة يعلى فمعناها العلى والإستقرار لكنه ليس بالنسبة للإستواء على العرش ليس هو العلو العام
كما سنوضح إن شاء الله.

الرابع:- أن تكون مقرونة بالواو وفي هذه الحالة يكون معناها التساوي كقولهم استوى الماء والخشبة ذكر
ذلك النحويون في باب المفعول معه أى تساويها يعنى صار الماء على حذاء الخشبة فهذه هى استعمالات
الإستواء في اللغة العربية والصحيح في قوله تعالى ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ أى أنه عز وجل قصد إليها بإرادة
تامة لأنه سبحانه وتعالى فوق السماء وليست السماء فوقه في يوم من الأيام أو لحظة من اللحظات فيكون
المراد بالإستواء كما قرره كثير من المفسرين ومنهم ابن كثير رحمه الله في التفسير معناها القصد مع تمام
الإرادة وعليه فيكون في قوله تعالى ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ للعلماء قولان:-

الأول:- أنه بمعنى ارتفع والثاني بمعنى قصد قصداً تاماً وقوله ﴿فسواهن﴾ قال خلقهن وفي هذا التفسير
قصور لأن التسوية أمر زائد على الخلق لقوله تعالى ﴿هو الذي خلق فسوى﴾ ولو جعلنا التسوية بمعنى الخلق
لكان معنى الآية: والذي خلق فخلق وهذا لا يستقيم فالعطف يقتضى هذا ، والتسوية تمام الخلق يعنى خلقهم
على وجه مستو تاماً ، هذا هو معنى قوله فسواهن ، وقال مجاهد استوى علا على العرش ، ومجاهد إمام
المفسرين في التابعين لأنه أخذ التفسير عن عبد الله ابن عباس رضى الله عنه يعرض القرآن من أوله إلى آخره
يقف عند كل آية ويسأله عن معناها ، وقوله استوى علا على العرش يعنى قول الله تبارك وتعالى: ﴿إن ربكم
الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ استوى يقول علا على
العرش ، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في النونية وغيرها أيضاً أن استوى على العرش وردت فيها أربع عبارات
عن السلف:

علا وارتفع وصعد واستقر ، لكن علا وارتفع وصعد معنى الثلاثة متقارب أو واحد ، واستقر الاستقرار أمر
ذائد على مجرد العلو وكأن الذين فسروه بالاستقرار أخذوه من قوله تعالى: ﴿لنستوي على ظهوره ثم
تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه﴾ أى إذا استقرتم عليه وهذا ليس ببعيد وإن كان الأحوط أن لا نفسر
استوى على العرش إلا بعلا على العرش لأن هذا الفعل عدى بعلا فنقتصر على معنى العلو فيه ، ولكن لا
مانع أن نقول استقر وإن كان أمراً زائداً على العلو لأن هذا هو معناه في اللغة العربية.

هذا العلو هل هو العلو العام على جميع المخلوقات أو هو علو خاص بالعرش؟

الجواب الثاني علو خاص بالعرش لأنه لو كان هو العلو العام لزم أم يجوز قول القائل استوى على الأرض
واستوى على الجبال واستوى على الشجر ، والإنسان لأنه عال عليه بالمعنى العام لكن هذا علو خاص
بالعرش ولهذا قيده الله خلق السموات والأرض في ستة أيام وهو عال عليهن لكن ثم استوى على العرش فهذا
علو خاص ويتضح بالمثل الفرق بين العلو العام والخاص:-

لو وضع لك سرير على سطح فجلست عليه لكنت عالياً عليه وعلى ما تحت السطح ، لكن ما هو -
العلو الخاص المباشر للسرير الذي علوت عليه؟ هو علوك على السرير ولهذا يقال استوى على السرير في هذا
المثال ولا يقال استوى على السطح لكن يقال علا عليه ، نقول الإستواء على العرش علو خاص ولهذا نبحت
مسألة الإستواء من عدة وجوه:-

أولاً:- ما معنى قوله استوى على العرش؟ نقول علا على العرش هذا هو المعنى لا يحتمل غيره ودليل ذلك
قوله تعالى ﴿وإنه لتنزِيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي
مبين﴾ واللسان العربي المبين يدل على أن معنى قوله استوى على الشيء أى علا عليه ولا يجوز لنا العدول
عما يقتضيه عما يقتضيه اللسان العربي إلا بدليل من الكتاب أو السنة أو الإجماع ، ولا هناك دليل من
الكتاب ولا السنة ولا اللغة ولا الإجماع على مخالفة هذا التفسير أن استوى بمعنى علا فإن قال قائل ماذا
تقولون في قول من قال استوى على العرش استولى على العرش نقول هذا قول باطل لأنه لا دليل له من اللغة
ويلزم عليه لوازم باطلة ، فليس له دليل إيجابي ولا تنفي عنه الموانع ، فإن قيل قولكم لا دليل عليه في اللغة
منعقد فقد قال الشاعر:-

استوى بشر على العراق من غير سيف أو دم مهراق

وبشر هو بشر ابن مروان ومعنى استوى على العراق أى استولى عليه؟ فالجواب عن هذا من وجوه:

الوجه الأول:- القائل والناقل عنه مجهول فهو ظلمات بعضها فوق بعض .

الوجه الثاني:- لو سلمنا أن القائل معلوم فهل هو قبل تغير اللسان فيكون من العرب الأتقاح أو بعد تغير
اللسان فلا يحتاج به؟ الثاني ، لماذا؟ لأن الفتوحات قد كثرت في هذا الوقت وانتشرت واختلط العجم بالعرب
وتغيرت المسائل .

الوجه الثالث: لو فرض أن هذا الرجل لم يتغير لسانه فإن قوله قد استوى بشر على العراق لا يتعين أن يكون
المراد به استولى ، إذ أنه يجوز أن يكون المراد استوى علا على العراق علواً معنوياً لا حسيماً لأن كونه يستولي
عليه يعملوا عليه علواً حسيماً ممتنع لكن يعلو عليه علواً معنوياً .

والمعنى قد كمل استيلاؤه عليه وسيطرته عليه لأن الاستواء أصله من الكمال وحيث لا دليل لقول
هذا القائل ، أما ما يلزم عليه من اللوازم الباطلة إذا فسرنا استوى على العرش استولى عليه فهي:-

أولاً:- يقتضي أن يكون العرش قبل استواء الله عليه مملوكاً لغير الله ، فمن الذي ملك غير الله؟ لا أحد .

ثانياً:- يقتضي أن يكون هناك معاملة للإستيلاء عليه لأن الاستواء لا يكون إلا بعد عراك ومقاتلة وأخذ ورد
فمن الذي قاتل الله؟ لا شيء .

ثالثاً:- نقول إذا قلت استوى بمعنى استولى لزمه أن يصح قوله إن الله استوى على الأرض واستوى على البعير
لأنه مستولى على هذا .

فهذه اللوازم الباطلة تبطل تحريف من حرف الاستواء إلى الاستيلاء والحمد لله أن الأمر واضح فإن
قال قائل إذا قلت استوى على العرش أى علا عليه لزمه أن يكون جسماً محدوداً ، ولما جاءت إمراة جهنم ابن

صفوان إلى الكوفة أو إلى البصرة واجتمع الناس عليها يناقشونها قالت إنها تكفر بمحدود على محدود والعرش - محدود وهي تقول إذا كان مستو على محدود لزمه أن يكون محدوداً فما هو الجواب على ذلك؟ الآن قلنا يلزمه أن يكون جسماً محدوداً نقول إذا لزمه أن يكون جسماً فليكن ذلك ونحن نؤمن به ولكننا نقول إنه ليس كأجسام المخلوقين وإن لم يلزم ذلك فلا يلزمنا أن نلزم به ولا يكون قولنا باطلاً بهذا الالتزام الباطل.

ثم نقول ماذا تعنون بالجسم أتصفون بالجسم الشيء المركب من لحم وعظم ودم وما أشبه ذلك فهذا ممنوع ، أم تريدون بالجسم الشيء القائم بنفسه الفاعل لما يريد الذي يأتي ويتكلم ويسزل ، إن قالوا نريد هذا فنحن نلتزم به ونقول إن الله هو هذا وليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، أما كلمة محدود فإنها كلمة كالجسم لم ترد في القرآن ولا في السنة ولا في كلام الصحابة لا نفيّاً ولا إثباتاً وردت عن بعض الأئمة بالإنكار ووردت عن بعض الأئمة بالإقرار ، يعني أن بعض الأئمة قالوا إن الله محدود وبعضهم أنكر ذلك والحقيقة أن الخلاف لفظي عند التحقق لأنه إن أريد به الحد أن شيئاً يحده الله فهذا متفني مطلقاً لأن ما فوق المخلوقات هو الله سبحانه وتعالى ، وإن أريد بالحد البينونة عن الخلق فهذا هو معنى قول السلف أنه بائن عن خلقه ، ولهذا إنكار الحد مطلقاً أو إثباته مطلقاً فيه نظر بل ثم نقول قولكم إنه يلزم من كونه على العرش أن يلزم من كونه على العرش أن يكون محدوداً على محدود ، أما كونه على محدود فهذا نسلم به العرش مخلوق له حد ولكن لا يلزم من استوائه على هذا المخلوق المحدود أن يكون هو أيضاً محدوداً لأنه لا يوجد شيئاً فوق يحده ولهذا بطلت اعتراضاتهم وتبين أنهم أرادوا أن يحكموا على الله بعقولهم لا أن يحكموا الله تعالى بعقولهم ، والفرق بينهما واضح لأن العقل يقتضي أن تحكم الله لأنه هو الحكم وإليه الحكم فتبين الآن أن استواء الله على العرش بمعنى علا على العرش ولا يحتمل غير هذا المعنى .

البحث الثاني:- هل استواء الله على العرش من الصفات الفعلية أم من الصفات الذاتية؟ الجواب الأول أنه من الصفات الفعلية بناء على الضابط الذي ضبطه أهل العلم فقالوا كل ما يتعلق بمشيئة الله فهو فعلي والاستواء متعلق بمشيئته ، والدليل أنه قال خلق ثم استوى إذاً فالاستواء حدث بعد الخلق ، فإن قال قائل أنا لا أقر بالصفات الفعلية وأرد الصفات الفعلية إلى القدرة الأزلية؟ قلنا هذا خطأ عظيم بأنك إذا حولت استوى على العرش ثم قدر على استواء العرش لزم من ذلك أن يكون قبل هذا عاجز فوقعت في شر مما فررت منه بل نقول قيام الأفعال في الله عز وجل وكونه يفعل ما يشاء هذا من كماله أن يفعل ما يشاء وأن تقوم به الأفعال الاختيارية ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ فإن قال الحوادث لا تقوم إلا بحادث فما الجواب؟ الجواب هذا أكذب القواعد ، من قال هذا؟ من قال إن الحوادث لا تقوم إلا بحادث ومن قال إن الفعل لا بد أن يكون مقارناً للفاعل وإلا بطل إثباته من قال هذا؟ الإنسان نفسه يحدث الفعل يقوم بعد إن كان قاعداً ويقعد بعد أن كان قائماً ولا يلزم من حدوث هذا القيام المعين ولا القعود المعين أن يكون سابقاً لهذا الفاعل بمعنى أن الفاعل يفعل بوجودهم سابقاً على فعله ، فما المانع أن يقع من الله عز وجل فعل حادث مع كونه هو أزلياً؟ ما المانع إذا كان الإنسان المحدث يفعل الفعل الحادث وهو سابق عليه؟ نوح عليه السلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً فهل الفعل الذي فعله في آخر وجوده في قومه يلزم أن يكون موجوداً معه حين ولد؟ لا

يلزم ، فبين أن هذه القاعدة باطلة وفاسدة وأن من كمال الله سبحانه وتعالى أن يكون فعالاً لما يريد **﴿وَمَنْ** - جملة ذلك الإستواء على العرش والتزول إلى السماء الدنيا والضحك والفرح والغضب وما أشبهه ، وذكرنا قبل هذا الدرس أن كل صفة لها سبب فهي صفة فعلية لأنها متعلقة بمشيئته ، فبين الآن أن الاستواء على العرش صفة فعلية ، العلو العام هل هو صفة فعلية أو ذاتية؟ ذاتية لأن الله لم يزل ولا يزال عالياً فوق المخلوقات لأن الاستواء علو خاص .

ثم قال البخاري رحمه الله وقال ابن عباس "المجيد الكريم" وهذا القول عن ابن عباس معلق ولا ندري من وصله إلا من عند ابن حجر ، قوله المجيد الكريم هو عندنا مرفوع ويقتضي أن يكون المراد بذلك الرب عز وجل ، وفي الآية الكرمة **﴿ذو العرش المجيد﴾** قرأتان ذو العرش المجيد و ذو العرش المجيد ، فأما على القراءة الأولى فهي اسم من أسماء الله وتعود الصفة فيها إلى الله ولهذا جاءت مرفوعة ، وأما على قراءة الجر فهي صفة للعرش ، والقول بأنها صفة للرب وأنها كسرت للمجاورة قول بعيد جداً ، فالصواب أنها على قراءة الرب من أسماء الله والمجد صفة الله وعلى قراءة الجر تكون صفة للعرش فأما على قراءة الجر فلا بأس أن تفسر بالكريم لأن الله تعالى قال: **﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾** الكريم بالكسرة فيكون المجد بالنسبة للعرش هو الكرم والكرم في كل موضع بحسبه ، ليس الكرم هو كثرة العطاء لأن العرش لا يعطي لكن يراد به البهاء والحسن والجمال والكمال على حد قول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ ابن جبل "فإن أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم" جمع كريم وليس المراد بكرائم الأموال أنها تعطى لكونها الجميلة البهية الكاملة ، فإذا كانت القراءة للمجيد بالجر صفة للعرش صح أن نفسرها بالكريم لأن العرش وصف بذلك ، أما إذا كانت المجيد بالرفع صفة للرب عز وجل فلا يصح أن نفسرها بالكريم بل نفسرها بذي العظمة والسلطان الكامل ودليل ذلك قوله تعالى **﴿مَالِكُ يَوْمَ الدِّينِ﴾** حيث كان الله يجيب القائل أو القارئ فيقول مجدي عبدي لأنه في يوم الدين يكون تمام الملك لله عز وجل مكانه الآن الكريم حتى تفسر المجيد بها إذا كانت صفة من الصفات التامة كما سمعتم الدليل على ذلك ، وأما الودود ففسره بالحبيب لقوله **﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾** فالحبيب فعيل بمعنى ولكن تفسر الودود بالحبيب تفسير تقريبي لأن الودود أخص من الحبيب ، المودة وصف زائد على مطلق المحبة فهي المحبة الخالصة يعني التي ليست مشوبة بكرة ، فتفسر الودود بالحبيب تفسير تقريبي وإلا فإن المعنى الأدق أن تقول الودود ذو المحبة الخالصة وليست مطلق المحبة .

والودود من أسماء الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى **﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾** وهي بمعنى الواد ، فجمع الله تعالى بين هذين الإسمين الكريمين لأن بالمغفرة تكفير السيئات وبالود حصول المحبات ، فيجمع الإنسان في تلاوة هذين الإسمين بين الخوف والرجاء ، الخوف من الذنوب فيسأل الله المغفرة والرجاء لقوله الودود لأن الودود لا شك أنه سيكون كثير العطاء .

ثم قال البخاري "يقال حميد مجيد كأنه فعيل من ماجد محمود من حمد"

في العبارة لف ونشر غير مرتب يقول محمود كأنه فعيل من حامد ، مجيد يقول كأنه فعيل من ماجد ، ماجد اسم فاعل ومجيد اسم فاعل لكن فيه مبالغة كما هو معلوم في علم النحو أن أمثلة البالغ منها فعيل

فيكون بحمد بمعنى ماجد لكن فيه مبالغة ، وما هو المجد؟ المجد سبق أنه السلطان التام الذي تكون به السيطرة-
التامة وأما حميد فيقول محمود من حمد ، إذاً بحمد بمعنى الفاعل ، أم المفعول بمعنى الفاعل؟ حميد يقول البخاري
أنه بمعنى المفعول من حمد فهو محمود وهذا صحيح والله سبحانه وتعالى حميد بمعنى محمود أى محمود حمداً
يستحقه ولهذا جاءت بصيغة المبالغة حميد ، وتحتل معنى آخر أن يكون حميد بمعنى حامد لأنه سبحانه وتعالى
يحمد من يستحق الحمد من أوليائه ، يحمد الأنبياء والأولياء والصديقين والشهداء ويثنى عليهم وهذا حمد فهو
حميد بمعنى حامد وحميد بمعنى محمود يكون للمعنيين جميعاً وجاء الجمع بينهما في القرآن والسنة فقال تعالى في
قصة إبراهيم ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم لما
علمنا من الصلاة عليه كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العلمين إنك حميد مجيد .

حدثنا عبدان عن أبي حمزة عن الأعمش عن جامع ابن شداد عن صفوان ابن محرز عن عمران ابن
حصين قال: "إني عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه قوم من بني تميم فقال: اقبلوا البشرى يا بني
تميم ، قالوا: بشرتنا فأعطنا ، فدخل ناس من أهل اليمن فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها
بنوا تميم قالوا قبلنا ، جئناك لتتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان ، قال: كان الله ولم يكن
شيئ قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والأرض ، وكتب في الذكر كل شيء ، ثم أتاني
رجل فقال يا عمران أدرك ناقتك فقد ذهبت ، فانطلقت أطلبها فإذا السراب ينقطع دونها وأيم الله
لوددت أنها قد ذهبت ولم أقم"

الشاهد من هذا الحديث قوله:- "وكان عرشه على الماء" هذا شاهد الترجمة فيه مما ينبغي الكلام عنه
جاءه قوم من بني تميم قال "إقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا بشرتنا فأعطنا" ناس يريدون الدنيا بشرتنا وعرفنا
ما عندك لكن أعطنا ولهذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم هذا رداً منهم للبشرى ، لما دخل أهل اليمن قال
"إقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنوا تميم" وأنهم قالوا بشرتنا فأعطنا فكأنهم جاؤا للعطايا والماء ،
ولكن لا يعني هذا أنه لا يوجد خير في بني تميم ، بني تميم فيهم خير لو لم يكن منهم إلا أنهم أشد الناس على
الدجال كما قال النبي صلى الله عليه وسلم "أشد أمتي على الدجال بنو تميم" وكل قبيلة وكل أمة فيها خير
وشر ، والخير قد يكون عاماً وقد يكون خاصاً وكذلك الشر ، ثم قال "قالوا قبلنا" رضى الله عنهم ، قالوا
قبلنا البشرى ، جئناك لتتفقه في الدين ولم يقولوا جئناك للعطاء ، جاؤا للعلم "ولنسألك عن أول هذا الأمر
ما كان ، كيف نشأت السموات والأرض أخبرنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن شيء
قبله" وهذا أمر معلوم ، وقوله كان الله هذه مسلوقة الدلالة على الزمنية يعني ليس المعنى كان فمبان بل هو
عز وجل لم يزل ولا يزال موجوداً ، والعقل لا يدرك كيف كان لأنه أزلي لا نهاية لأوله ولا غاية هو الأول
الذي ليس قبله شيء ولا تحمل فكرك فوق هذا ، إن حملت فكرك ستصل إلى نقطة بين النبي صلى الله عليه وسلم
وسلم علاجها حيث أخبر أن الناس يقولون من خلق كذا من خلق كذا حتى يقولوا من خلق الله وحيتئذ
يجب أن تقف وتقول الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وتستعيز بالله من الشيطان
الرجيم وتنتهي عن هذه التقديرات كلها . قال:- "وكان عرشه على الماء" قبل خلقه السموات أم بعد؟ قبل

خلق السموات ، ثم خلق السموات والأرض وخلقها مبين في القرآن جملاً ومفصلاً وكتب في الذكر^٨ كل شيء ، الذكر اللوح المحفوظ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ وقوله كل شيء الظاهر لى أنه ليس على عمومه لأن الله قال للقلم أكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فكتب القلم ما هو كائن إلى يوم القيامة ، وعلى هذا يكون المراد بالعموم أو العام ، الخاص أى ما يكون إلى يوم القيامة .

يقول عمران ابن حصين "ثم أتاني رجل يقول يا عمران أدرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت أطلبها فإذا السراب ينقطع دونها وأيم الله لوددت أنها قد ذهبت ولم أقم" جاءه رجل يقول أدرك ناقتك ، وهذا التنبيه من هذا الرجل هل هو واجب أم سنة؟ واجب لأنه من حفظ مال أخيك ، والظاهر والله أعلم أن عمران ظن أنها قرية فذهب يعقلها ويرجع ليستمع إلى ما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لكنه يقول "فإذا السراب ينقطع دونها" إذا هى بعيدة وراء السرب لكنه لم يتركها لأن النفس تتعلق بالمال في مثل هذا الحال إذ يشق عليه أن يرى بعيره وهى راحلته من المدينة إلى أهله ، وراحلته لقضاء حاجاته أن يراها بعيدة ثم يرجع ، فذهب لكن يقول لوددت أنها قد ذهبت ولم أقم ، وفي هذا دليل على حرصه رضى الله عنه على العلم وأنه يفضل العلم على المال وهذا هو الذي يعرف قدر العلم .

الدرس التاسع عشر:-

حدثنا علي ابن عبد الله حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام حدثنا أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "إن يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم ينقص ما في يمينه وعرشه على الماء ويده الأخرى الفيض أو القبض يرفع ويخفض"

هذا الحديث سبق الكلام عليه ، وبيننا معنى قوله "فإنه لم ينقص ما في يمينه" من هذا الإنفاق ، وأن التقدير أن الإنفاق كان على أمر خارج ، فإنه لو كان على أمر خارج فإنه لم ينقص الله شيئاً ، مع أن كلا في ملك الله عز وجل ، وإنما قلنا ذلك لألا يقول قائل معلوم أنه لم ينقص ما في يمينه إذا أنفق لأنه إنما ينفق في ملكه فهو كما لو أن الإنسان أخرج الدراهم من حجرة وجعلها في حجرة أخرى أو من دولاب وجعلها في دولاب آخر معلوم أنه لم يخفى عن ملكه وإن كان يقال في هذا نقص ، لكن هو على تقدير أن الإنفاق كان خارجاً ومع ذلك لم ينقص ما في يمينه ، والشاهد للباب في هذا الحديث قوله "عرشه على الماء" .

حدثنا أحمد حدثنا محمد ابن أبي بكر المقدمي حدثنا حماد ابن زيد عن ثابت عن أنس قال "جاء زيد ابن حارثة يشكو فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول اتق الله وأمسك عليك زوجك" قال أنس قالت عائشة لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتماً شيئاً لكتم هذه ، قال فكانت زينب تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات .

وعن ثابت ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس﴾ نزلت في شأن زينب وزيد ابن

حارثة .

حدثنا خلاد ابن يحيى حدثنا عيسى ابن طهمان قال "سمعت أنس ابن مالك رضى الله عنه يقول -
 نزلت آية الحجاب في زينب بنت جحش ، وأطعم عليها يومئذ خبزاً ولحماً" وكانت تفخر على نساء النبي
 صلى الله عليه وسلم ، وكانت تقول "إن الله أنكحني في السماء"

الشاهد من هذا قوله من فوق سبع سموات وذلك أن العرش فوق السموات فيكون الله عز وجل
 فوق السموات لأن الله فوق العرش ولنعلم أن هناك استواء وعلواً فالاستواء سبق الكلام عليه وبيننا أنه من
 الصفات الفعلية المتعلقة بمشيتته أما العلو فإنه من الصفات الذاتية للزمنة له فهو دائماً أزلاً وأبداً فوق كل شيء
 وليس فوقه شيء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وهذا الحديث في قصة
 زينب بنت جحش وزيد ابن حارثة رضى الله عنه فيها روايات كثيرة رويت حول هذه القصة ضعيفة لا
 تصح عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا تليق بمقامه صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم نصح
 زيد ابن حارثة أن يقيها عنده وإن كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو شار عليه هذه المشورة ، في قلبه
 أشياء الله أعلم بها فلعله خاف أن يطلقها ثم يتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون في هذا إشكال
 عند الناس لأنهم يرون أن ابن النبي لا يجوز أن يتزوج امرأة من تبناه ولكن الله عز وجل أراد أن يبين للخلق
 أن ابن النبي يجوز أن يتزوج من يتبناه قال: ﴿فلما قضى زيد منها وتراً زوجنكها لى لا يكون على المؤمنين
 حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وتراً وكان أمر الله مفعولاً﴾ فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم
 بعد أن طلقها زيد ابن حارثة وبذلك زالت هذه المشكلة هذا كالأول فيه إثبات علو الله سبحانه وتعالى وأهل
 السنة والجماعة يثبتون علو الله بذاته وصفاته ويقولون إن العلو نوعان علو ذات وعلو صفة:-

١- علو الذات:- فهو أنه سبحانه وتعالى فوق عباده . ٢- علو الصفة:- فهو أن جميع صفاته عليها ليس فيها
 نقص بوجه من الوجوه ، أهل التعطيل أنكروا الأول وقالوا إن الله ليس عالياً بذاته ثم اختلفوا فقال بعضهم
 إنه جل وعلا بذاته في كل مكان في الأرض في السماء في البر في البحر وفي الجو والمساجد والبيوت هو حال
 في كل شيء وهذا مذهب الجهمية الخلوية الذين يقولون إن الله معنا بذاته في أى مكان كنا .
 والقسم الثاني: الذين أنكروا العلو قالوا إن الله تعالى لا يوصف بأنه فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا
 منتصف ولا منفصل ولا مبالي ولا محاييد ف قيل لهم هذه الأوصاف للمعدوم لو قيل لنا صفوا لنا المعدوم بأبلغ
 من هذه الأوصاف ما وجدنا إلى ذلك سبيلاً مع أنه كما ترون أوصاف سلبية وأهل التعطيل يصفون الله
 بالأوصاف السلبية دون الإيجابية أما أهل السنة والجماعة فقالوا إن الله فوق كل شيء فوق عباده ، وقالوا إن
 الأدلة على علو الله سبحانه متنوعة وأن أصولها وجميع الأدلة تشهد بذلك الكتاب والسنة وإجماع السلف
 والعقل والفطرة خمسة أنواع من الأدلة وكل هذه الأدلة تدل على أن الله سبحانه وتعالى فوق عباده ففي
 القرآن الكريم ما لا يحصى من الأدلة على علو الله على وجوه متنوعة قال تعالى ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾
 ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ ﴿تخرج الملائكة والروح
 إليه﴾ والآيات في هذه كثيرة ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده﴾ لأن النزول يكون من أعلى إلى أسفل
 أما السنة فكذلك جاء في السنة بأنواعها الثلاثة - بالقول والفعل والإقرار .

أما القول:- فإن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يسبح الله تعالى في سجوده ويقول سبحان ربي الأعلى -
والأحاديث عنها في إثبات ذلك كثيرة.

وأما الفعل:- فإنه لما استشهد الأمة على إبلاغه في حجة الوداع وهو يخاطب الناس ويقول ألا هل بلغت؟
قالوا نعم ، فرفع رأسه إلى السماء ويقول اللهم إشهد هذه إشارة إلى أن الله في العلو وكذلك مد يديه إلى
السماء حينما استسقى ، هذه دلالة بالإشارة على أن الله تعالى فوق .

وأما الإقرار:- فهو أقر الجارية التي سأها أين الله قالت في السماء قال أعتقها فإنها مؤمنة .

وأما إجماع السلف:- فقد قال شيخ الإسلام رحمه الله أنه طالع ما أمكنه من كسب السلف فلم أجد عن
واحد منهم أنه قال أن الله ليس في السماء أو أنكر الفوقية والعلو .

وأما العقل:- فإننا نقول هل العلو صفة كمال أو السفل؟ هو صفة الكمال الأول فإذا كان العلو صفة الكمال
وكان السفل صفة نقص لزم أن يكون الله متصفاً بالكمال عقلاً وأما الفطرة فظاهرة فإن الإنسان حينما
يذكر ربه بقلبه يجد قلبه يتطلع إلى الله ويرتفع إلى السماء بفطرته بدون أن يلزم أو يدرس حينما يقول يا رب
يجد في قلبه ضرورة بطلب العلو وهذا يدل على أن الفطرة تدل على علو الله عز وجل. ويقال أن أبا المعال
جويني الملقب بإمام الحرمين كان يقرر فيقول كان الله ولم يكن شيئاً قبله أو كان الله ولا شيء وهو الآن
على ما كان عليه يريد بهذا أن ينكر استواء الله على العرش لأنه إذا كان الله قبل كل شيء وكان الآن على
ما هو عليه لزم من ذلك أن لا يستوي على العرش وهو يريد أن يقرر ما وراء ذلك أيضاً أن الله لا يوصف
بأنه فوق فقال له أبو العلاء الهمداني يا شيخ دعنا من ذكر العرش يعني أن الاستواء على العرش دليله في
السمع لا تقتضيه الفطرة ولولا أن الله أخبرنا أنه استوى على العرش ما علمنا بهذا ولكن أخبرنا عن هذه
الضرورة ما قال عارف قط يا الله إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو العام . هل يوافقون أبا العلاء أو لا
يوافقونه؟ يوافقونه كلهم ، ما قال الإنسان يا رب إلا وجد إلى السماء فصرخ أبو المعارف وجعل يضرب
على رأسه ويقول حيرني الهمداني يعني أنه لم يستطع أن يجيب على هذه الفطرة فتبين الآن أن أدلة العلو خمسة
أنواع ، الكتاب والسنة وإجماع السلف والعقل والفطرة .

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج "عن أبو هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال: إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي" .

كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي وهذه كتابة فرضها الله تعالى على نفسه كما قال
تعالى: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ وفي الحديث الشاهد قوله "عنده فوق عرشه" وفيه من الصفات
الرحمة والغضب ، واعلم أن الرحمة المضافة إلى الله تنقسم إلى قسمين رحمة مخلوقة ورحمة هي صفته ، وهي
غير مخلوقة:-

فالرحمة المخلوقة:- سميت بذلك لأنها من آثار الرحمة وهي محل الرحمة ومسكن الرحماء وتلك هي الجنة حيث
قال الله تعالى لها أنت رحمتي أرحم بكى من أشاء هذه الرحمة التي أضافها الله إلى نفسه رحمة مخلوقة .

الرحمة التي هي صفته:- وهي غير مخلوقة تنقسم أيضاً إلى قسمين عامة وخاصة:-

فالرحمة العامة:- هي الشاملة لجميع الخلق حتى الكافر يدخل في رحمة الله يرزقه الله عز وجل معاشاً ومسلماً ومنكحاً وقوة في بدنه وفي عقله كل هذا من الرحمة ينعم عليه بأنواع النعم من إنزال المطر وإنبات النبات وما أشبه ذلك ، هذه رحمة عامة تكون للمؤمنين والكافرين ، وهي رحمة دنيوية قاصرة في ذاتها وفي زمنها وفي موضعها .

والرحمة الخاصة:- خاصة بالمؤمنين وهذه رحمة تتصل بها رحمة الآخرة أى يرحم المؤمنين في الدنيا والآخرة ، فإن قال قائل هذه الرحمة التي جعلها الله عز وجل في قلوب المخلوقات نجد أن الإنسان يرحم الضعيف من الصغار والشيوخ والعجائز والمرضى والدواب والبهائم فنقول هذه الرحمة صفة للراحم من هو الراحم؟ المخلوق ، والمخلوق وصفاته مخلوق ، الرحمة التي وضعها الله في قلوب البشر وغير البشر هذه رحمة مخلوقة ، لأنها وصف لا لله ولكن للراحم ولهذا جاء في الحديث " الراحمون يرحمهم الله ومن لا يرحم لا يرحم " لكن هذه رحمة مخلوقة لا تتعلق بصفة الله عز وجل وإنما هي من خلق الله في عباد الله وفي الحديث إثبات الغضب والغضب وصف يحصل لفعل ما يكرهه الغاضب حيث يشعر بالقدرة على الانتقام ، والحزن قريب منه لكنه يحصل من الحازن بعدم قدرته على الانتقام فالفرق الآن بين الحزن وبين الغضب ، الغضب أن الغاضب يشعر بالقدرة على الانتقام والحزن أو الحازن لا يشعر بذلك بل يشعر بالضعف وعدم القدرة ولهذا لا يوصف الله بالحزن ولكن يوصف بالغضب وغضب الله عز وجل هو صفة من صفاته الفعلية لأنه يتعلق بمشيئته وقد سبق لنا القول بأن كل صفة ذات سبب فإنها من الصفات الفعلية وهو حقيقي لكن أهل التعطيل أنكروا هذه الصفة لأنها صفة فعلية وقد سبق أنهم ينكرون جميع الصفات الفعلية بحجة أن الصفات الفعلية حادثة والحادث لا يقوم إلا بحادث وقد بينا بطلان ذلك ، هم أيضاً أنكروها من وجه آخر قالوا إن الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام والله منزّه عن ذلك فنقول هذا الغضب الذي وصفتموه بهذا الوصف غضب من؟ غضب المخلوق ، أما غضب الخالق فإنه لا يماثل غضب المخلوق ، يقولون نحن نفرس الغضب بأحد أمرين:

الأول:- إما بارادة الانتقام . الثاني:- أو بالانتقام نفسه .

صح لهم أن يفسروه بإرادة الانتقام لأنهم يثبتون الإرادة لله ، أو بالانتقام نفسه لأن الانتقام فعل منفصل إنتقام عداء منفصل عن الله ليس من صفاته حاصل من الإرادة والقدرة لأن المريد القادر هو الذي يقدر على أن ينتقم فلهذا فسروه إما بارادة الانتقام أو بالانتقام نفسه وسبق لنا بيان بطلان هذا التفسير وقلنا إن قوله تعالى ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾ ترد هذا التفسير لأنه جعل الانتقام غير الأسف والأسف هنا بمعنى الغضب ثم نقول لهم إن إرادة الانتقام إنما تكون عند القدرة على الانتقام وبذلك يحصل الغضب في الغالب فما المانع من أن يوصف الله بذلك وهو صفة كمال إذا وجد سببه .

حدثنا إبراهيم ابن المنذر حدثني محمد ابن فليح قال حدثني أبي حدثني هلال عن عطاء ابن يسار "عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من آمن بالله ورسوله ، وأقام الصلاة ، وصام رمضان ، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها ، قالوا يا رسول الله أفلا ننبئ الناس بذلك ، قال: إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ، كل

درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتهم الله فسلوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة"

الشاهد من هذا قوله "أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن" وفي رواية فوقه بلفظين فوق عرش الرحمن ومنه أي من الفردوس تفجر أنهار الجنة هذا الحديث فيه فوائد فقهية وفوائده عقائدية .

الفوائد الفقهية:-

١- قوله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ، ولم تذكر الزكاة والحج مع أنهما من أركان الإسلام ولا بد منهما ومن لم يتركهما فإنه على خطر وإن كان الصحيح أنه لا يكفر لكنه على خطر وكذلك الحج ذهب كثير من العلماء إلا أنه من لم يحج مع قدرته فهو كافر لقوله تعالى ﴿ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ فلعل الراوي نسي فحذفهما وإلا فلا بد من ذكرهم .

٢- وكذلك من المسائل الفقهية أن الإنسان إذا كان في بلد كفر وقدر على أن يقوم بدينه فإنه لا يحب عليه الهجرة لكن إذا لم يدر على إظهار دينه وجب عليه أن يهاجر وهذا هو الصحيح أن الهجرة باقية إلى أن تقوم الساعة لقول النبي صلى الله عليه وسلم "لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة" ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها وأما من قال من أهل العلم إن الهجرة إنقطعت بفتح مكة لقول النبي صلى الله عليه وسلم "لا هجرة بعد الفتح" وقال إن هذا ثابت في الصحيحين بخلاف الأول فيقال إننا لا نحتاج إلى الترجيح إلا حيث يتعذر الجمع فإذا أمكن الجمع علمنا بالدليلين جميعاً ويكون معنى قوله لا هجرة بعد الفتح أي من مكة ولكن جهاد ونية أما من غير مكة فماذا وجد السبب الموجب للهجرة فإن الهجرة تجب . وفيه من المسائل العقائدية:-

١- أن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ، وهل هذا الحديث يدل على أنه ليس في الجنة إلا مائة درجة؟ لا ، يدل على أن في الجنة مائة درجة للمجاهد في سبيل الله على حسب مراتبهم كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض وما أعظم ما بين الدرجتين مائة ما بين السماء والأرض تبلغ عدداً كبيراً لكن الجنة واسعة وعميقة ، وما يستفاد من الحديث أن الإنسان إذا سأل ينبغي له أن يسأل الأكمل والأعلى ، لأن فضل الله واسع ولا يحقرن نفسه فيقول لست بأهل لذلك بل يسأل متغياً رغبته ويأخذ بالأكمل فالأكمل لقوله "سلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة" ومنه أن الجنة مثل الخيمة وذلك لأن الفردوس وسط الجنة وأعلى الجنة ولا يكون وسطاً وأعلى إلا إذا كان مثل القبة لأنه لو كان مسطحاً لم يكن وسط الجنة فليكون أعلى الجنة أو فوق الجنة ولكنه ليس هو الوسط ، الوسط الأعلى لا بد أن يكون مثل القبة وكما جاء في الحديث أن "عرش الله عز وجل على سمواته مثل القبة" وبه يتبين أن هذا الكون السموات والأرضين أنها مكورة يعني أن بعضها محيط بالثاني من كل جانب .

٢- ومن فوائد الحديث أن عرش الله عز وجل هو سقف هذه الدرجة أو هذا المكان من الجنة الذي هو الفردوس ، لأن قوله وفوقه عرش الرحمن لولا أنه هو السقف لكان الذي فوقه هو سقفه ولا سيما على رواية

السقف فوقه عرش الرحمن فهو صريح لأن عرش الرحمن بمنزلة السقف للفردوس ، حيث الشاهد قوله ^{٣١} تسجد - يعني تذهب تستأذن للسجود فيؤذن لها" وكأنها إلى آخره في بعض الروايات تسجد تحت العرش ، والبحاري لم يأتي بهذا اللفظ وهذا من تصرفاته الكبيرة رحمه الله أنه يأتي بالحديث وإن لم يوجد فيه الشاهد لأجل أن يعتني الطالب بالبحث عن اللفظ الذي فيه ذكر ما يكون شاهداً للباب أحياناً يكون الحديث قد ورد في الصحيح نفسه وكأنه يقول إرجع إلى بحث في الصحيح حتى تجد اللفظ الذي يكون شاهداً للترجمة ، وأحياناً لا يكون في الصحيح لأنه ليس على شرطه وهذا رحمه الله من حسن تصرفه في التأليف ، لأن هذا يشد الطالب على البحث والمناقشة .

٣- وفي هذا الحديث دليل واضح على أن الشمس هي التي تجري في الأفق وتدور على الأرض لأنه قال أين تذهب فأسند الذهاب إليها والأصل أن إسناد الفعل لمن قام به على وجه الحقيقة لا على وجه المجاز وكذلك في القرآن ﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وذات الشمال﴾ فهذه أربعة أفعال كلها مضافة إلى الشمس إذا طلعت تزاور ، إذا غربت تقرر ، وكذلك قوله تعالى ﴿حتى توارت بالحجاب﴾ أي تقطعت به كل هذه النصوص ظاهرها أن الشمس هي التي تدور على الأرض وهذا ما تعتقده إلى الآن ولم يبين لنا شيء نستطيع أن ندفع به هذه الظواهر ويكون حجة لنا عند الله عز وجل فالواجب علينا أن نأخذ بهذه الظواهر وإن كان عند بعض الناس ما هو كالحسوس بأن الشمس لا تدور على الأرض وأن تعاقب الليل والنهار إنما هو بدوران الأرض يرون ذلك عندهم في الأمور اليقينية التي لا إشكال فيها ، فنحن نقول يجب أن تشمل بظواهر القرآن والسنة حتى يبين لنا أن الأمر ، على خلاف مما يسوغ لنا أن نخرج النصوص عن ظواهرها إلى هذا المعنى التي تيقناه ، لأن دلالة ظواهر النصوص على الحكم دلالة ظنية لا شك ، ولهذا نقول ظاهر القرآن وظاهر السنة ما هو صريح ، لكنه ظاهر قوي كالصريح فلو فرض أن الأمر تبين الناس أن الشمس ليست هي التي تدور على الأرض ويحصل به اختلاف الليل والنهار قلنا إنه يمكن أن تصرف هذه الظواهر إلى معنى لا يخالف الواقع ، فنقول إذا طلعت في رأى العين ، إذا غربت في رأى العين ، تزاور في رأى العين ، تقرر في رأى العين ، تذهب في رأى العين ، إنما الواجب علينا الآن ما دامت المسألة لم تكن يقينية ، الواجب أن نأخذ بظواهر الكتاب والسنة .

حدثنا يحيى ابن جعفر حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم - هو التميمي - عن أبيه عن أبي ذر قال "دخلت المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فلما غربت الشمس قال: يا أبا ذر هل تدري أين تذهب هذه؟ قال: قلت الله ورسوله أعلم ، قال: فإنها تذهب تستأذن في السجود فيؤذن لها وكأنها قد قيل لها ارجعي من حيث شئت ، فتطلع من مغربها ، ثم قرأ ﴿ذلك مستقرها﴾ في قراءة عبد الله .

في المسألة هذه إشكال لأن الشمس تغرب في الأفق في كل لحظة ، أليس كذلك؟ لأنها تدور ، إذا غربت عنا في الحال غربت عن من بعدنا فهي دائماً طالعة غاربة فمتى يكون السجود؟ قلنا الواجب علينا أن نؤمن بما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم ولا نقول كيف ، لما لا نقول الله أعلم ، وجائزاً أن يكون

دائماً في سجوده كما قال تعالى ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ -
وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدُّوَابُّ﴾ جائزاً أن تكون دائماً في السجود ما المانع من ذلك؟ إذا كان الملائكة يسبحون
الليل والنهار لا يفترون فلا غرابة أن تكون الشمس دائماً في سجود أو يقال إنها تسجد إذا غابت عن هذه
المنطقة من الأرض التي حدد فيها الرسول صلى الله عليه وسلم فقط ، وأما السجود إذا غابت عن بقية
الأراضي فالله أعلم ، وبهذا نتخلص من هذا الإشكال الذي طعن فيه العقلاء أو العقلايين كما يقولون في
هذا الحديث لأن الذين يرجعون إلى عقولهم يسهل عليهم جداً أن يردوا النصوص إن كان مما يمكن الطعن فيه
رأساً ، وردوه وقالوا هذا خير آحاد ، فلا يمكن أن يحكم على العقل وإن كان مما لا يمكن رده مثل القرآن أو
التواتر من السنة حرفوه إلى معنى آخر يوافق ما يدعون أنه العقل وهذا خطأ عظيم لأن الأمور الغيبية أكبر من
أن يدركها العقل وإذا لم نسلم حصل لنا إشكالات كثيرة ، أرايتم الشمس يوم القيامة تدنو من الخلائق قدر
ميل ويعرف الناس وهم في مكان واحد على قدر أعمالهم منهم من يبلغ العرق إلى كفيه ومنهم من يبلغ العرق
إلى ركبته ومنهم من يبلغ إلى حنجرته ومنهم من يرميه العرق ، هل هذا يمكن في الدنيا أن يكون الناس في
مكان واحد ويكون العرق يبلغ بهم هذا المبالغ المتفاوت؟ لا ، لا يمكن لكن أمور الغيب ليس فيها إلا التسليم
فقط نقول سمعنا وأطعنا وصدقنا وليس هذا شيء أماناً حتى نعرف هذا شيء غيبي إذا أخبر به الصادق وجب
قبوله والاستسلام له .

حدثنا موسى عن إبراهيم حدثنا ابن شهاب عن عبيد الله ابن السباق أن زيد ابن ثابت ، وقال
الليث حدثني عبد الرحمن ابن خالد عن ابن شهاب عن ابن السباق أن زيد ابن ثابت حدثه قال . أرسل إلى
أبو بكر فتبعت القرآن حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره
﴿لقد جائكم رسول من أنفسكم﴾ حتى خاتمة براءة .

حدثنا يحيى ابن بكر حدثنا الليث عن يونس بهذا ، وقال مع أبي خزيمة الأنصاري .

قال تعالى ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ هذا
هو الشاهد في الحديث ، وزيد ابن ثابت رضى الله عنه أحد الأشخاص الذين كلفهم أبو بكر وعمر أن
يتبعوا القرآن ويجمعوه ، وهذا هو الجمع الأول للقرآن الذي في عهد أبي بكر رضى الله عنه ، أما جمع
عثمان رضى الله عنه فإنما كان جمعه على حرف واحد وبلغه قريش ، وكان في الأول يقرأه الناس بلغاتهم
وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم "أنزل القرآن على سبعة أحرف" فلما كان في عهد عثمان رضى الله
عنه واتسع في الآفاق ، وانتشر المسلمون في كل مكان وصار بعضهم يقرأ بهذا وبعضهم يقرأ بهذا ، خاف
عثمان ومن معه من الصحابة أن تقع فتنة بين المسلمين فاستشار الصحابة وجمعهم على حرف واحد ، وهو
لغة قريش وليست القراءة السبعة من الحروف السبع بل هي كلها على حرف واحد وهو لغة قريش ،
فاجتمع المسلمون والله الحمد على ذلك وحصل بهذا خير كثير ، ولكن إذا قال قائل هذه الآيات التي في آخر
سورة التوبة مع
وهو واحد فكيف اعتمد الصحابة على نقل واحد وهو القرآن
كلام الله عز وجل قانا إعتقد على ذلك لماذا؟ الجواب على هذا أن
رضى الله عنه جاء

عن النبي صلى الله عليه وسلم أن شهادته بشهادة رجلين في قصة غريبة وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم ابتاع فرساً من أعرابي ، وقال له إتبعني أعطك الثمن والأعراب كما تعلمون عندهم طمع ، فكلمه بعض الناس وزاد في الثمن ولم يعلموا أن النبي صلى الله عليه وسلم اشتراه ، والأعرابي ما قال إنني قد بعته فلما إنتهى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قال له هل لك به حاجة يعني زود ، فقال إنك قد بعته هذا ، قال من يشهد لك وعنده الصحابة لم يشهد منهم أحد إلا باعه عليك بالثمن الذي قال به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فاستسلم الأعرابي فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيف تشهد وأنت لم تحضر قال يا رسول الله نصدقك بخبر السماء ولا نصدقك بخبر الأرض ونحن الآن نشهد أن الرسول قد اشتراه والأعرابي منكر ، اشتراه بالثمن الذي قال ويجب على كل مسلم أن يشهده هذه الشهادة وإن لم يعلم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين هذه واحدة .

الشيء الثاني:- أن تلقي الصحابة له بالقبول كاف في ثبوته والصحابة تلقوه بالقبول وإعتمدوه قرآنًا .
الشيء الثالث:- أن الله عز وجل قال في كتابه ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ ومحال أن يزداد في القرآن شيء أو ينقص منه شيء ولم يبينه الله بأى وسيلة فكون هذه الآيات تكون عند وتلقاهما الصحابة بالقبول ولم يظهر لهم ما ينكره من عند الله عز وجل فهي على ثبوت ذلك ولهذا تعرف ما ذكره بعض أهل العلم أن من أنكر حرفاً من القرآن فهو كافر لأنه مكذب لقول الله تعالى ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ وكذلك يخالف سبيل المؤمنين فقد قال الله تعالى ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾ فالقرآن والله الحمد محفوظ ولم ينقص منه شيء ولم يزد فيه شيء ، يوجد في بعض القراءات السبعة وهذا لا يضر ، لأن المسلمين اتفقوا على تلقي هذه القراءات بالقبول حتى ما عرف منها حرف ، لكن ما أجمع القراء عليه فإنه لا يجوز إنكار شيء منه أبداً .

الدرس العشرون:-

حدثنا معلى ابن أسد حدثنا وهيب عن سعيد عن قتادة عن أبي العلية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند الكرب ، لا إله إلا الله العليم الخليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم" الشاهد من الحديث قوله "رب العرش العظيم" وقوله "رب العرش الكريم" فقد وصف العرش بوصفين:- الأول:- العظم . الثاني:- الكرم .

وليس المراد بالكرم البذل والعطاء ، لأن العرش لا يذل ولا يعطي ، لكن المراد به الحسن والبهاء ، وهذا في قول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ ابن جبل حينما بعته لليمن قال "ياك وكرائم أمواتهم" يعني الحسن منها ، يعني لا تأخذ في الزكاة الحسن من المال ، بل خذ من صفة المال ، ولا تأخذ من الحسن ، وعلى هذا فيكون العرش عظيماً في حجمه وكرماً في صفته ومنظره ، وهذا الدعاء يقوله الإنسان إذا أصابه كرب

سواء من الدنيا أو الآخرة ، يعني من أعمال الدنيا أو من أعمال الآخرة ، إذا أصيب الإنسان بكرب قلبدل - بهذا الدعاء كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو به وفوائده أنه يزيل أو يخفف الكرب .

حدثنا محمد ابن يوسف حدثنا سفيان عن عمرو ابن يحيى عن أبيه عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم "قال النبي صلى الله عليه وسلم يصعدون يوم القيامة فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش" .

وقال الماجشون عن عبد الله ابن الفضل عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "فاكون أول من بعث ، فإذا موسى أخذ بالعرش"

الشاهد من هذا قوله "بقائمة من قوائم العرش" فهذا يدل على أن العرش ذو قوائم ، وعليه فيكون العرش محدوداً لكنه ليس صغيراً ، لكنه كبير وعظيم كما وضع الله سبحانه وتعالى بذلك .

باب قول الله تعالى ﴿تخرج الملائكة والروح إليه﴾ وقوله جل ذكره ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ وقال أبو حمزة عن ابن عباس "بلغ أبا ذر مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فقال لأخيه اعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء" وقال مجاهد: "العمل الصالح يرفع الكلم الطيب" يقال ذى المارج: الملائكة تخرج إلى الله .

هذا الباب ذكره بعد ذكر الإستواء على العرش لأن الإستواء على العرش علو خاص وهذا الباب للعلو العام الشامل لكل شيء ، فالله جل وعلا عال على كل شيء علواً عاماً شاملاً ، والعلو له أدلة أشرنا إليها فيما سبق منها ما ترجم به البخاري رحمه الله لقوله تعالى: ﴿تخرج الملائكة والروح إليه﴾ الملائكة جمع ملك وأصله ملك وأصل الملك مألوك فهي حوت عدة مرات لأنه مشتق من الألوك وهى الرسالة ، والملائكة رسل كما قال تعالى: ﴿جاعل الملائكة رسلاً ألي أجنحة﴾ ففيها أولاً قلب أصل الملك مألوك لأنه من الألوك فاهزمة مقدمة ثم حذفت تخفيفاً فقليل ملك ونكرت حركتها إلى اللام والجمع ملائكة ، والملائكة عالم غيبي خلقهم الله سبحانه وتعالى من نور وجعل وظائفهم متنوعة مختلفة وهم صمد لا يحتاجون لطعام ولا لشراب ولا يتبولون ولا يتغوطون لأنهم صمد ليس لهم أجواف كما أقر ذلك أهل العلم وأما قوله ﴿تخرج الملائكة والروح﴾ فالمراد تصعد إلى الله لأن العروج معناه الصعود والصعود لا يكون إلا من أسفل إلى أعلى ، ففي هذا دليل على علو اللع عز وجل وفيه دليل على كمال ملكوته وعظيم سلطانه حيث كان هؤلاء الرسل الملائكة العظام يصعدون إلى الله سبحانه وتعالى وأما قوله الروح فيحتمل أن يكون المراد بها جبريل كما قال تعالى: ﴿قل نزل روح القدس من ربك﴾ وقال ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾ ويحتمل أن يراد بها أرواح بني آدم تخرج إلى الله عز وجل بعد الموت ، ثم إن كان مؤمناً فتحت له أبواب السماء وإن كان غير ذلك أغلقت دونها وطرحت على الأرض والعياذ بالله وقوله جل ذكره أى عظم ذكره ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ إلى الله يصعد الكلم الطيب ، الكلم إسم جمع للكلام والمراد به كل كلام يقرب إلى الله عز وجل فهو كلم طيب أعظمه كلام الله ثم الذكر ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا نستطيع أن نرتبها لكن المراد بالكلم الطيب كل كلام يقرب إلى الله عز وجل فهو يصعد إلى الله ولا

يكون كلاماً طيباً إلا إذا كان مبنياً على الإخلاص والمتابعة لأن مالا لإخلاص فيه فليس بطيب ومالا متابعة إليه -
 فليس بطيب أيضاً وقوله والعمل الصالح يرفعه إختلف العلماء في فاعل يرفع ، فقيل الفاعل هو الله يعني أن
 الله يرفع العمل الصالح وقيل أن المراد به أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب فيكون فاعل الرفع هو العمل
 الصالح ، والأقرب الأول أن الله سبحانه وتعالى يرفع العمل الصالح فإنه لما ذكر القول أنه يصعد إلى الله عز
 وجل بين أن العمل الصالح أيضاً يُرفع عند الله سبحانه وتعالى ويجزيه يوم القيامة الحسنة بعشرة أمثالها . ثم
 ذكر أثر أبي ذر رضى الله عنه أنه قال لأخيه "اعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخير من
 السماء" من هذه ، لإبتداء الغاية يعني من السماء إلى الأرض ، والخير الذي يأتي إلى الرسول صلى الله عليه
 وسلم هو الوحي فإذا كان من السماء كان الموحى به في السماء ، فيكون هذا دليل على علو الله سبحانه
 وتعالى ، وقال مجاهد "العمل الصالح يرفع الكلم الطيب" وهذا أحد التفسيرين في الآية وعليه يكون فاعل
 الرفع العمل الصالح ثم قال ذي المعارج "الملائكة تعرج إلى الله" يشير إلى آية في سورة المعارج ﴿ليس له
 دافع من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح إليه﴾ فهذا معنى قوله ذي المعارج أى أن الملائكة تعرج إلى
 الله سبحانه وتعالى وهذا نظير قوله: ﴿رفيع الدرجات ذو العرش﴾ يعني أن الله عز وجل رفيع الدرجات
 نفسه ، ومن قال إن معناها رفع الدرجات فقد أخطأ لأن هذه صفة مشتبهة أضيفت إلى الفاعل يعني أن
 درجاته رفيعة سبحانه وتعالى .

حدثنا إسماعيل حدثني مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضى الله عنه "أن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال: يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر
 وصلاة الفجر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول كيف تركتم عبادي فيقولون
 تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون" .

الشاهد من هذا الحديث قوله "ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم - يعني الله عز وجل - وهو
 أعلم بهم" في هذا الحديث إشكال لغوي وهو قوله "يتعاقبون فيكم ملائكة" والمشهور في لغة العرب أن
 علامة الجمع لا تلحق العقل إذا كان الفاعل ظاهراً ، فيقال في هذا يتعاقب فيكم ملائكة ، هذه اللغة الفصحى
 ، والواو هنا في قوله يتعاقبون حرف دال على الجمع وليس فاعلاً ، بل الفاعل ملائكة ، وقد اختلف
 النحويون في تخريج هذه اللغة فقيل إنها شاذة وهذا إختيار ابن هشام رحمه الله ، قال وشذ يتعاقبون فيكم
 أو مخرجي هم والشاذ يقول العلماء أنه يحفظ ولا يقاس عليه ، بمعنى نحفظه من كلام العرب ولكن لا نتكلم
 بمثله لأنه شاذ ، وقيل بل هي لغة رديئة وقليلة ، وعلى هذا فيمكن أن يتحدث بمثلها لكن بقول للمتحدث بها
 أن هذه اللغة رديئة ، وقيل بل الفاعل هو الضمير يتعاقبون وما بعده بيان أو بدل فأبهمه أولاً ثم أظهره ثانياً ،
 لأن البيان بعد الإبهام يأتي إلى القلب وهو متطلع لمعرفة هذا المبهم ، فمثلاً إذا قال يتعاقبون فيكم ، من هؤلاء
 الذين يتعاقبون؟ فإذا قيل الملائكة بين بعد الإبهام ، صار هذا أوقع في نفس السامع ، ولعل هذا أقرب ما يقال
 أن الواو فاعل وملائكة عطف بيان أو بدل ، ونظيرها قوله تعالى ﴿فعموا وسموا ثم عموا وسموا كثيراً
 منهم﴾ فقال عموا وسموا على سبيل الإبهام ثم قال كثيراً منهم لئلا يظن أنهم كلهم عموا وسموا .

في هذا الحديث أن هؤلاء الملائكة يجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ، ولهذا حث الرسول ﷺ -
الله عليه وسلم على المحافظة عليها وقال "من صلى البردين دخل الجنة" وقال حين تحدث عن رؤية المؤمنين
لربهم قال "فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا" فهاتان
الصلاتان في طرفي النهار وفيها فضائل:-

١- منها أن الملائكة الموكلين بنا يجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر .

٢- التنويه لهؤلاء المصلين بفضل هاتين الصلاتين ، لأن سؤال الله للملائكة ليس سؤال استفهام للعلم ، بل
هو سبحانه وتعالى أعلم ، لكن هو سؤال استفهام للرفع من شأنهم .

وقال خالد ابن مخلد حدثنا سليمان حدثني عبد الله ابن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة قال:
"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يصعد إلى الله إلا
الطيب ، فإن الله يتقبلها يمينه ثم يريها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل" ورواه
ورقاء عن عبد الله ابن دينار عن سعيد ابن يسار "عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: ولا
يصعد إلى الله إلا الطيب"

هذا أيضا فيه ذكر العلو المستفاد من قوله "ولا يصعد إلى الله إلا الطيب" والصعود يكون من أسفل
إلى أعلى ، وهذا الحديث روى بهذا اللفظ كما قال رحمه الله وروى "من تصدق بعدل تمرة من كسب
طيب ولا يصعد إلى الله إلا الطيب" أيهما أعم؟ من طيب ، لماذا؟ نقول الشيء قد يكون خبيثا بكسبه وقد
يكون خبيثا بصفته ، فلو تصدق الإنسان بكأس من خمر فهنا نقول هذا تصدق بشيء غير طيب ، لا من
كسبه ، تعني هو اشترى العنب بكسبه الطيب ثم خمره فعلى هذا يكون قوله "من طيب" أعم من قوله من
كسب طيب ليشمل ما كان طيبا في كسبه وما كان طيبا في عينه ، وقوله "لا يقبل الله إلا الطيب" ظاهره أن
الله لا يقبل إلا الطيب ، ولو كان الإنسان جاهلا به وهو كذلك ، لكن الإنسان يثاب على نيته ، وفي هذا
الحديث أيضا إثبات صفة اليمين لله "فإن الله يتقبلها يمينه" .

حدثنا عبد الأعلى ابن حماد حدثنا يزيد ابن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أبي العالية "عن أبي -
عباس أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهم عند الكرب: لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله
إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب العرش الكريم"

هنا قال العظيم الكريم، وهناك قال العليم الحكيم، والشاهد من هذا قوله "رب العرش العظيم"
لأن العرش فوق المخلوقات.

حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن أبيه عن ابن أبي نعم - أو أبي نعم - شك قبيصة عن أبي سعيد
قال "بعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال بذهبية فقسمها بين أربعة" وحدثني إسحاق ابن نصر حدثنا
عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن أبيه عن ابن أبي نعم عن أبي سعيد الخدري قال: بعث على وهو في اليمن
إلى النبي صلى الله عليه وسلم بذهبية من تربتها فقسمها بين الأقرع ابن حابس الحنظلي ثم أحد بني
مجاشع وبين عينة ابن بدر الفزاري وبين علقمة ابن علاثة العامري ثم أحد بني كلاب وبين زيد الخيل
الطائي ثم أحد بني نبهان فغيطت قريش والأنصار فقالوا يعطيه صناديد أهل نجد ويدعنا، قال: إنما
أتألفهم، فأقبل رجل غائر العينين ناتي الجين كثر اللحية مشرف الوجنتين مخلوق الرأس فقال يا محمد اتق
الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فمن يطيع الله إذا عصيته فيأمني على أهل الأرض ولا تأمنوني،
فسأل رجل من القوم قتله، أراه خالد ابن الوليد، فمنعه النبي صلى الله عليه وسلم، فلما ولي قال النبي
صلى الله عليه وسلم إن من ضئضئ هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام
مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لأن أدركتهم لأقتلهم قتل عاد.

الشاهد من هذا قوله "فيأمني على أهل الأرض ولا تأمنوني" فبعض ألفاظه ألا تأمنوني وأنا أمين من
في السماء وكعادة البخاري رحمه الله يذكر سياقاً يشير به إلى سيق آخر والشاهد من هذا قوله "وأنا أمين
من في السماء" أهل السنة والجماعة يقولون إن الله في السماء أي فوق السماء وأهل التعطيل يقولون في
السماء ملكه وسلطانه، فيفسرون قول الله تعالى: ﴿أمنتم من في السماء﴾ على النحو التالي ءأمنتم من في
السماء ملكه وسلطانه ولا شك أن هذا خروج عن ظاهر اللفظ وأنه يؤدي إلى معنى فاسد، وهو أنه لا ملك
ولا سلطان لله في الأرض مع أن الله تعالى ملكه في السماء والأرض كما قال تعالى: ﴿وهو الذي في السماء
إله وفي الأرض إله﴾ أي إله لمن في الأرض وهو إله لمن في السماء، وسبق لنا الجواب على إشكال أورده
بعضكم وهو كيف نخرج قوله في السماء هل نجعل في للظرفية أو نجعلها بمعنى على وذكرنا عن ذلك
جوابين.

الجواب الأول:- أن نجعل السماء هنا بمعنى العلو وحيث نجعل في للظرفية.

الجواب الثاني:- أن نجعل السموات التي هو السقف المحفوظ وحيث يتعين أن تكون في بمعنى على.

وفي هذا دليل على أن الخروج على الإمام من دأب الخوارج لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر
بأنه يكون من ضئض هذا الرجل أي من صفته وشكله، قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من
الإسلام مروق السهم من الرمية، ومروق السهم من الرمية يكون سريع جداً السهم إذا قرب الرمية خرقها ثم

خرج من الجانب الآخر بسرعة فهؤلاء كذلك ، يرقون بالإسلام كما يرق السهم من الرمية ثم ذكر وصفهم -
العدواني أنهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ، وهذا هو الذي حصل في صدر هذه الأمة أن
هؤلاء كفروا الناس أعني الخوارج ، واستباحوا دماءهم وأموالهم ولم يذهبوا يقاتلون في أرجاء الأرض صاروا
يقاتلون ولاية الأمور ومن ساعدتهم ولا يقاتلون في مشارق الأرض ومغاربها أهل الكفر والأوثان ، وفي
وصف الرجل الذي أقبل دليل على أن الراوي قد ضبط القضية حتى أدرك أوصاف الرجل الذي خرج على
النبي صلى الله عليه وسلم في قسمته وقال له يا محمد اتق الله ، ولم يقل يا رسول الله وهذه من علامات
الخوارج أنهم يحطون من رتبة من له رتبة ولا يخاطبونه بمقتضى رتبته ، بل ينزلونه وهنا يقول "اتق الله" ولا
شك أن الرسول صلى الله عليه وسلم لن يغضب إذا قيل له اتق الله فإن الله قد قال له: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ
اللَّهَ﴾ وقال: ﴿اتَّقِ اللَّهَ وَتُخَفِّي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ لكن لما كان وراء هذه الكلمة ما وراءها تكلم النبي
بهذا الكلام وقال "فمن يطيع الله إذا عصيته" إذا كان الرسول يعص الله فمن الذي يطيعه وفي لفظ آخر قال
ويحك من يعدل إذا لم أعدل ، وهذا هو الحق إذا كان الرسول لا يعدل فمن الذي يعدل إذا كان الرسول لا
يتق الله فمن الذي يتق الله .

حدثنا عياش ابن الوليد حدثنا وكيع عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال
سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ قال: مستقرها تحت العرش .
الشاهد من هذا الحديث قوله "تحت العرش" ولا شك أن الشمس عالية جداً فإذا كانت تحت العرش
لزم من هذا أن يكون العرش عالياً عظيماً .

باب قول الله تعالى: ﴿وَجْهَ يَوْمَئِذٍ نَاضِرٌ إِلَى رَبِّهَا نَاضِرٌ﴾

عقيدة أهل السنة والجماعة إثبات النظر إلى وجه الله عز وجل ، وهو الذي ترجم فيه البخاري رحمه
الله وترجمه بالآية كما أسلفنا في أول الكلام على كتاب التوحيد ، قلنا إن المؤلف رحمه الله صدر كثيراً من
أبواب التوحيد بالآيات وليس هذا من عادته في الصحيح لكن ليدفع قول أهل البدع إنه لا يحتج بخبر الآحاد
في باب العقائد فإذا صدر الحديث بآيات من القرآن انقطعت هذه القاعدة من أصلها .

وقوله تعالى: ﴿وَجْهَ يَوْمَئِذٍ نَاضِرٌ إِلَى رَبِّهَا نَاضِرٌ﴾ يومئذ متى؟ ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ
الْآخِرَةَ﴾ وجه يومئذ يعني في الآخرة ﴿نَاضِرٌ إِلَى رَبِّهَا نَاضِرٌ﴾ وجه يومئذ باسرة ﴿أَي كَالْحَةِ﴾ تظن أن
يفعل بها فافرة ﴿أَي تَهْلِكُهُمْ وَتَقْطَعُ فِقْرَهُمْ﴾ وجه يومئذ ناظرة ، انظروا إلى كتابة الكلمتين ناضرة
إلى ربها ناظرة تجد بينهما فرقاً فالأولى بالضاد والثانية بالطاء فلماذا؟ لأن الأولى مأخوذة من النضارة وهي
الحسن والثانية من النظر وهو الرؤية بالعين ، وجه يومئذ ناضرة أي حسنة ، إلى ربها ناظرة يعني إلى الله
ناظرة بالعين ، ويتعين أن يكون ذلك بالعين لأنه أضافه إلى الوجه التي هي محل الأعين والآية واضحة
وصريحة ولها شواهد من القرآن مثل: -أولاً:- قوله تبارك وتعالى ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ حيث
فسر النبي صلى الله عليه وسلم الزيادة بأنها النظر إلى وجه الله .

ثانياً:- مثل قوله تبارك وتعالى: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ فإن نفى الإدراك يدل على وجود أصل الرؤية ، ولو كان أصل الرؤية غير موجود لكان النفي يسلب عليه فيقال لا تراه الأبصار فلما قال لا تدركه علم أنها تراه لكن بدون إدراك .

ثالثاً:- قوله تبارك وتعالى ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ فإن قوله مزيد يحمل على قوله تعالى ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ ومن ذلك قوله تعالى ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ ينظرون من؟ الله عز وجل لقوله في نفس السورة عن الفجار ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَجُوبُونَ﴾ فيكون النظر إلى الله عز وجل وإن كان اللفظ أعم من ذلك ليشمل النظر إلى وجه الله وإلى كل ما أعد الله لهم من النعم ، لكن الذي يظهر أن المراد ينظرون إلى الله .

رابعاً:- قول الله تبارك وتعالى ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَجُوبُونَ﴾ يعني الفجار فإذا كان الفجار محجوبين عن الله دل ذلك على أن الأبرار ينظرون إلى الله ولو كان النظر ممتنعاً على الأبرار لكان لا فرق بين الأبرار وبين الفجار . فهذه آيات من القرآن كلها تدل على ثبوت رؤية الله عز وجل ، ولهذا قال بعض السلف من أنكر رؤية الله فإنه كافر ، لأن الآيات الواردة فيها لا تحتمل التأويل وإذا كانت لا تحتمل التأويل صار تأويلها بمنزلة الحمد لها ، وقد مر علينا شيء أن النصوص إذا لم تحتمل التأويل فأولها الإنسان فهذا يعني أنه ردها ، إذ التأويل إنما يكون عذراً حيث كان النص يحتمل ذلك ، أما مع عدم الإحتمال فلا تأويل ، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ، وأنكر ذلك الأشاعرة والمعتزلة ونحوهم وقالوا لا يمكن أن يرى الله لأنك إذا رأيت الله فقد حدثه وجعلت له حداً ، وهذا ممنوع فيقال سبحانه الله ، الرب عز وجل يثبت أنه ينظر إليه ورسوله كذلك وأنتم تقولون لا ، فتقدمون القياس على النص ، قال العلماء وأول من قدم القياس على النص هو إبليس ، فيكون من قدم القياس على النص من جنود إبليس ، كيف يقول الله ﴿وَجْهَهُ يَوْمَئِذٍ نَّابِضَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ ويقال لا ، ما تنظر إلى الله لأن هذا يقتضي أن يكون الله محدوداً ولا شك أن هذا كما قلت قياس في مقابلة النص فيكون فاسد الاعتبار ، ولما قيل لهم عن ماذا تجيئون الآيات الواضحة الصريحة قالوا نقول إن قوله إلى ربها ناطرة أى إلى ثواب ربها ، فهو من مجاز الحذف وعندهم أن المجاز أنواع ، منها مجاز الحذف بأن يحذف من الكلام ما يعلم وقد قال ابن مالك رحمه الله حذف ما يعلم جائز ، فنقول إذا قالوا إلى ثواب ربها هذا معنى جديد يخالف الظاهر ، فمن قال إن الله أراد ما قلتم؟ الأصل أن اللفظ يراد به ظاهره لا يراد به سواه ومن ادعى خلاف الظاهر فعليه الدليل وكيف نعدل عن الظاهر مع أنه مؤيد بآيات أخرى ومؤيد بأحاديث صريحة لا تحتمل التأويل بوجه من الوجود وعلى هذا فنقول إن من عقيدتنا أن نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى يرى يوم القيامة ، ولكن من الذي يراه؟ ومتى يرى؟ فنقول الذي يراه رؤية رضاء هم المؤمنون ، هم الذين يرون الله ، ويرونه في عرصات القيامة ويرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله ، وأما الكفار الخالص فلا يرون الله لقوله ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَجُوبُونَ﴾ وأما المنافقون فيرون الله عز وجل في عرصات القيامة ثم يحجبون عنه فلا يرونه ، وهذا أشد مما لو لم يكونوا رأوه من قبل ، يعني كونهم يرون الله

ثم يحجب عنهم أعظم مما لو لم يكونوا رأوه أصلاً ، ولهذا كان عذاب المنافقين بحجبهم عن رؤية الله أشدّ لمن -
عذاب الكافرين الذين لم يروه .

هذا بيان من يرى الله ومتى يرى الله ، أما لو قال قائل كيف يرى الله؟ فهذا هو الذي يجب
الإمتناع عنه وأن نقول إن صفات الله ليس فيها كيف نقول هو على كيفية الله أعلم بها نحن لا ندري ،
نقول إن الله يُرى أما كيف يُرى فإن هذا علمه عند الله عز وجل .

حدثنا عمرو ابن عون حدثنا خالد أو هشيم عن إسماعيل ابن قيس عن جرير قال: "كنا جلوس
عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر
لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس
فافعلوا"

حدثنا يوسف ابن موسى حدثنا عاصم ابن يوسف اليربوعي حدثنا أبو شهاب عن إسماعيل ابن أبي
خالد عن قيس ابن أبي حازم عن جرير ابن عبد الله قال: "قال النبي صلى الله عليه وسلم إنكم سترون
ربكم عياناً"

حدثنا عبده ابن عبد الله حدثنا حسين الجعفي عن زائدة حدثنا بيان ابن بشر عن قيس ابن أبي
حازم "حدثنا جرير قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة البدر فقال: إنكم سترون ربكم
يوم القيامة كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته"

صريح إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ، وهم يرون القمر رؤية صريحة واضحة والتشبيه
هنا ليس تشبيه للمرئي بالمرئي ولكنه تشبيه للرؤية بالرؤية أى أنها رؤية حقيقية كما يُرى القمر ، والدليل على
أنها تشبيه للرؤية بالرؤية أن (ما) في قوله كما ترون مصدرية فإذا حولنا الفعل بعدها إلى مصدر صار تقدير
الكلام إنكم سترون ربكم كرؤية هذا القمر ، هذا من حيث اللفظ .

من حيث المعنى قوله تعالى قوله تعالى ﴿ليس كمثله شئ وهو السميع البصير﴾ فلا يمكن أن يكون
الله تعالى مثل القمر ، وقوله "لا تضامون في رؤيته" فيها عدة روايات منها هذا اللفظ لا تضامون أى لا
يلحقكم ضيم وضيق ، ومنها لا تضامون يعني لا يضم بعضكم بعضاً ليريه الآخر ، لأنه الشئ الخفي إذا تراءه
الناس تجد كل واحد يقول تعال ثم يحسك بأخيه يضمه إلى نفسه ويقول له هنا أو هنا ، ومنها من ألفاظه لا
تضارون في رؤيته يعني لا يضر بعضكم بعضاً في الرؤية بل كل إنسان يراه بدون غيم ولا مضامه ولا ضرر ،
كل يراه في مكانه كالقمر ، القمر يراه الناس في البلد ويراه الإنسان في البر ويراه أهل البحر في البحر ويراه
أهل الجبل في الجبل وكل واحد يراه منفردة ، وفي هذا الحديث دليل على فضيلة صلاة الفجر والعصر ، فصلاة
العصر هي الصلاة الوسطى كما دل على ذلك الحديث الصحيح حينما قال النبي صلى الله عليه وسلم في
غزوة الخندق شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ، وصلاة الفجر مشهودة كما قال تعالى: ﴿وقرآن
الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ .

حدثنا يوسف ابن موسى حدثنا عاصم ابن يوسف الربوعي حدثنا أبو شهاب عن اسماعيل ابن أبي خالد عن قيس ابن أبي حازم عن جرير ابن عبد الله قال: "قال النبي صلى الله عليه وسلم إنكم سترون ربكم عياناً"

عياننا مصدر عاين يعاين عياناً ، كجاهد يجاهد جهاداً والمصدر الثاني لعاين معاينة والمراد بذلك رؤية بالعين يقول رأيت معاينة أى بعيني .

الدرس الحادي والعشرون:-

حدثنا عبد العزيز ابن عبد الله حدثنا ابراهيم ابن سعد عن ابن شهاب عن عطاء ابن يزيد الليثي "عن أبي هريرة أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا لا يا رسول الله ، قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا لا يا رسول الله ، قال فإنكم ترونه ، كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها شفعاؤها أو منافقوها ، شك إبراهيم ، فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى تأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم ، فيقولون أنت ربنا فيتبعونه"

هذا الحديث طويل نأخذه قطعة قطعة:- أولاً:- سؤال الصحابة رضى الله عنهم "هل نرى ربنا" يوم القيامة هذا السؤال منهم شوقاً لله عز وجل فهو كقول موسى ﴿رب أرني أنظر إليك﴾ فسألوا هل يكون فيها يوم القيامة هذا النعيم؟ فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بأن هذا حاصل وأنهم كما لا يضارون في رؤية القمر ليلة البدر كذلك لا يضارون في رؤية الله يوم القيامة ، وقد سبق لنا أن رؤية الله عز وجل دل عليها الكتاب والسنة المتواترة وأن السلف أجمعوا على ذلك ، ولا يخالف هذا إلا من يخشى أن يحرمه الله منها يوم القيامة لأنه لم يصدق بها ، وفي هذا الحديث أنه يقال للناس كل أمة تتبع من كانت تعبد إداًل لهم وإظهاراً لباطلهم لأن هؤلاء المعبودين يذهبون بهم إلى النار ، فيتبين بذلك أن معبوديهم يخذلونهم في أحوالهم يكونون إليهم ولهذا يقول "يتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ومن كان يعبد القمر القمر ، ومن كان يعبد الطواغيت الطواغيت" حتى يرسلونهم إلى النار والعياذ بالله ، وقوله: "تبقى هذه الأمة" المراد من كان على ملة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولهذا يكون فيهم المنافقون فيأتيهم الله عز وجل فيقول أنا ربكم ولكنهم يقولون مكانهم ، وإنما يقول أنا ربكم لأن الأمم السابقة كانت تتبع من تعبدوه وترى أنه ربها فيقول أنا ربكم ولكنهم يقولون ولا يتحركون ، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون ، والصورة التي يعرفون هي مما عرفوه من وصف الله تعالى بالجلال والإكرام وبما وصفته به الرسل ، فيأتيهم على الصورة التي نعتهم فيها أنزل الله على رسوله ، ثم يقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيعرفونه ، ومعلم أنه سبحانه وتعالى سيدهم على كل رحمة وهي الجنة .

"ويضرب الصراط بين ظهري جهنم ، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها ، ولا يتكلم يومئذ إلا -
الرسول ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم ، وفي جهنم كالليب مثل شوك السعدان ، هل رأيتم
السعدان؟ قالوا نعم يا رسول الله ، قال فإنها مثل شوك السعدان ، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله
تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموقى ببقى بعمله ، ومنهم المخردل أو المجازى أو نحوه"

المقطع الثاني:- أنه يضرب الصراط بين ظهري جهنم يعني فوقها ، الصراط الذي يمر الناس عليه في عرصات
القيامة إلى الجنة ، لأن الجنة فوقه فيضرب هذا الصراط على النار ويعبره من هو من أهل الجنة ، وإخيلف
العلماء في هذا الصراط هل هو طريق واسع أو هو كما جاء في صحيح مسلم بلاغاً أنه أدق من الشعر وأحد
من السيف ، فذهب إلى الأول جماعة واستدلوا بهذا الحديث بأن عليه مثل شوك السعدان لكن لا يعلم
عظمها إلا الله ، واستدلوا أيضاً بأن هذا الطريق وصف بأنه ضحض ومزلة أى زلق يزلق الناس فيه ويزلون ،
والحديث الذي في مسلم بلاغ والبلاغ قد ثبت وقد لا يثبت ، فعلى كل حال إذا ثبت أنه أدق من الشعر
وأحد من السيف فإن العبور عليه غير ممتنع عقلاً لأنه إذا كانت الملائكة تطير في الهواء فإن الناس يمكنهم أن
يسيروا على هذا الصراط ، وأحوال الآخرة لا تقاس بأحوال الدنيا ، وعلى كل حال فهذا الصراط خطير جداً
لأنه على جهنم والرسول وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام كل واحد منهم يقول اللهم سلم اللهم سلم ،
وأول من يجوز هذا الصراط محمد صلى الله عليه وسلم وأمته ، لأنهم كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال "نحن الآخرون الأولون يوم القيامة" فني جميع مشاهد القيامة هذه الأمة هي أول
الأمم ، وفي هذا الحديث أيضاً أن هؤلاء الذين يعبرون الصراط لا ينجون كلهم ، منهم من يخطف ويلقى في
جهنم ومنهم من يسلم ، لكن الذي يخطف ويلقى في جهنم لا يخلد فيها لأنه لا يعبر هذا الصراط إلا من كان
من أهل الجنة إلا أنه قد تحطفه النار ويعذب على قدر أعماله ثم يخرج منها ، وهذا العبور هو معنى قوله
تبارك وتعالى ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً﴾ وقيل أن الورود الدخول فيها وأن كل
الناس يدخلونها لكن المؤمن ينجو منها ، وتكون عليه مثل نار إبراهيم ، وأما الكافر أو من يستحق العذاب
بقدر عمله فإنه لا تكون برداً وسلاماً عليه والله أعلم .

"ثم يتجلى حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار
أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله أن يرجه ممن يشهد أن لا إله إلا
الله فيعرفونهم في النار بأثر السجود ، تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود ، حرم الله على النار أن تأكل
أثر السجود ، فيخرجون من النار قد أمتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فيبتون تحته ، كما تبت الحبة في
حميل السيل ، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار
دخولاً الجنة ، فيقول أى رب اصرف وجهي عن النار ، فإنه قد قشني ريحها وأحرقني ذكاؤها ، فيدعوا
الله ما شاء أن يدعوه ثم يقول الله: هل عسيت إن أعطيت ذلك أن تسألني غيره ، فيقول: لا وعزتك لا
أسألك غيره ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء ، فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل على الجنة
ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت ، ثم يقول أى رب قدمني إلى باب الجنة ، فيقول الله له أأنت قد

أعطيت عهودك وموائيقك أن لا تسألني غير الذي أعطيت أبداً ، ويلك يا ابن آدم ما أغدرك ، قيقول :-
 أى رب ويدعوا الله حتى يقول هل عسيت إن أعطيت ذلك أن تسأل غيره ، فيقول لا وعزتك لا أسألك
 غيره ، ويعطي ما شاء الله من عهود وموائيق فيقدمه إلى باب الجنة ، فإذا قام إلى باب الجنة إنفهب له
 الجنة فرأى ما فيها من الحرية والسرور ، فيسكت ما شاء الله أن يسكت ، ثم يقول : أى رب أدخلني
 الجنة فيقول الله أألسنت قد أعطيت عهودك وموائيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت فيقول : ويلك يا ابن
 آدم ما أغدرك ، فيقال أى رب لا أكون أشقى خلقتك فلا يزال يدعوا حتى يضحك الله منه ، فإذا
 ضحك منه قال له ادخل الجنة ، فإذا دخلها قال الله له تمته فسأل ربه وتمنى ، حتى أن الله ليذكره يقول :
 كذا وكذا حتى انقطعت به الأمانى ، قال الله ذلك لك ومثله معه .

قال عطاء ابن يزيد وأبو سعيد الخدري مع أبو هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئاً حتى إذا حدث
 أبو هريرة أن الله تبارك وتعالى قال ذلك لك ومثله معه قال أبو سعيد الخدري : وعشرة أمثاله معه يا أبا
 هريرة ؟ قال أبو هريرة : ما حفظت إلا قوله ذلك لك ومثله معه ، قال أبو سعيد الخدري أشهد أني حفظت
 من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ذلك لك وعشرة أمثاله ، قال أبو هريرة فذلك الرجل آخر أهل
 الجنة دخولا الجنة .

هذا كما عرفتم فيه أن الناس يرون الله عز وجل على صورته التي يعرفون وهى رؤية حقيقة كما
 سبق ، وهذه العهود والموائيق التي يعطيها هذا الرجل هى عهود بينه وبين الله سبحانه وتعالى فلذلك ينقضها
 طمعاً في فضل الله كما لو كان بينك وبين أخيك عهد مما يختص به ثم أدليت عليه بأن يسامح أو يتجاوز عن
 هذا العهد فإنه لا بأس به ، كذلك هذا الرجل ويقول إن العهود بينه وبين الله سبحانه وتعالى وهى حق لله
 فإذا عاد وطلب فكأنه يدلي على الله عز وجل بأن يعفوا عنه ويسامحه ويضع عنه هذا العهد ولهذا كان في
 النهاية أن الله يضحك له ثم يدخله الجنة .

وفي هذا الحديث أيضاً دليل على عظم نعيم الجنة وسعة منازل أهلها أن له مثل الدنيا وعشرة أمثالها
 ، وهذا ليس بغريب لأن أدنى أهل الجنة منزلاً من ينظر في ملكه مسيرة ألفى عام ينظر أقصاه كما ينظر أدناه
 فالمسألة أعظم مما نتصور ولهذا قال تعالى ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ﴾ وفي هذا ورع الصحابة رضى الله عنهم حيث امتنع أبو هريرة أن يقول غير ما حفظ وهو قوله
 "لك هذا ومثله معه" لكن أبا سعيد رضى الله عنه جزم بأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "عشرة أمثاله
 معه" .

حدثنا يحيى ابن بكير حدثنا الليث ابن سعد عن خالد ابن يزيد عن سعيد ابن أبي هلال عن زيد
 ابن عطاء ابن يسار "عن أبي سعيد الخدري قال : قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل
 تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كان صحواً ؟ قلنا لا ، قال : فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ
 إلا كما تضارون في رؤيتهما " إلى آخر الحديث .

قوله "فيقال اشربوا فيتساقطون" وهذا صريح في أن أهل النار لا يعرفون الصراط لأنه قال بعد ذلك - ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم ، وهذا الحديث بمعنى الحديث السابق وإن كان يختلف عنه بعض الشيء وقوله "لكم ما رأيتم ومثله معه" يدل على أنهم يعطون مثل ما رأوا ومثله معه ، لكن سبق أن أبا سعيد رضى الله عنه وهو راوي هذا الحديث بهذا السياق قال "وعشرة أمثاله معه" فيحتاج إلى التحقيق في اختلاف هذا اللفظ مع الذي سبق في حديث أبي هريرة .

وقال حجاج ابن منهال حدثنا همام ابن يحيى "حدثنا قتادة عن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهملوا بذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيربحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأسكنك جنته ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء ، لتشفع لنا عند ربك حتى يربحنا من مكاننا هذا قال: فيقول لست هناك إلى آخر حديث الشفاعة

هذا الحديث ليس فيه اشكال إلا قوله "أستأذن على ربي في داره" فيقال إن دار الله عز وجل التي جاءت في هذا الحديث لا تشبه دور البشر ، تكنه من الحر ومن البرد ومن المطر ومن الرياح ، لكن هي دار الله أعلم بها ولعلها والله أعلم حجب النور التي إحتجب بها الله عز وجل كما جاء في الحديث الصحيح حجاب النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه .

حدثنا عبيد الله ابن سعد ابن إبراهيم حدثني عمي حدثنا أبي عن صالح عن ابن شهاب قال: "حدثني أنس ابن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة وقال لهم إصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فإني على الخوض"

هذا أيضاً مما استدل به أهل السنة على رؤية الله عز وجل من قوله "حتى تلقوا الله ورسوله" قال ولا لقاء إلا برؤية وهو يخاطب الأنصار رضى الله عنهم ، وهم من أهل الرؤية لأنهم مؤمنون وأما قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ فهذه والله أعلم للملاقة العامة لأن كل إنسان يكسح إلى الله وسيلاقيه يوم القيامة وعلى هذا يكون هناك ملاقة عامة بجميع بني الإنسان بدليل أن الله قسمهم إلى قسمين من أوتى كتاب يمينه ، ومن أوتى كتابه بشماله ، وملاقة خاصة وهي التي ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم التي ذكرها في هذا الحديث وهي التي استدل بها العلماء على رؤية الله عز وجل .

.. حدثني ثابت ابن محمد حدثنا سفيان عن ابن جريج عن سليمان الأحول عن طاووس عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا تهجد من الليل قال: اللهم ربنا لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ولك الحمد ، أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، أنت الحق ، وقولك الحق ووعدك الحق ، ولقاؤك الحق ، والجنة حق ، والنار حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك خاصمت ، وبك حاكمت ، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وأسرت وأعلنت وما أنت أعلم به مني لا إله إلا أنت"

قال أبو عبد الله قال قيس ابن سعد وأبو الزبير عن طاوس: قيام ، وقال مجاهد: القيوم القائم^٧ على كل شيء ، وقرأ عمر القيام وكلاهما مدح .

يعني بقوله "أنت قيوم السموات" في لفظ أنت قيام السموات وكلاهما مدح ، والقيوم هو الذي قام بنفسه وقام على غيره قال تعالى ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ يعني كمن لا يملك ذلك ، والذي يقوم على كل نفس بما كسبت هو الله ، وقد سبق الكلام على بقية الحديث وبيننا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول ذلك في تهجده وأنه يحتمل أن يكون في السجود أو بعد التشهد الأخير أو في حال القيام من الركوع وكل هذا موضع دعاء .

حدثنا يوسف ابن موسى حدثنا أبو أسامة حدثني الأعمش عن خيثمة عن عدى ابن حاتم قال: "قال الرسول صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه" .

الشاهد من قوله "ولا حجاب يحجبه" وفي هذا الحديث رد على القائلين بالكلام النفسي ووجهه أن الله يحدث القول في تلك الساعة ، يكلم هذا الذي خلا به ، والقائلون بالكلام النفسي يقولون الكلام النفسي هو أزلي ، ولكن الله تعالى يخلق أصواتاً في الوقت الذي يريد أن يسمع من شاء يعبر عن الكلام النفسي ، ولهذا قال بعض الأذكياء إن مذهب الأشاعرة في الكلام هو مذهب الجهمية بل هو أردء منه ، لأن هؤلاء يقولون إن الذي يسمع والمكتوب في المصاحف إنه مخلوق يعبر به عن كلام الله أما كلام الله فهو الذي في نفسه لا يسمع ولا يحدث ، وأما الجهمية يقولون إن الذي يسمع هو كلام الله حقيقة وإنه مخلوق ، فأيهما أقرب للصواب؟ الجهمية ، ولهذا قالوا إن قول الأشاعرة في الكلام أردء من قول الجهمية وأن حقيقة الأمر أنه لا فرق بينهم وبين الجهمية ، لأنهم متفقون على أن ما سمعه محمد وما سمعه موسى وما يسمع في المستقبل كله مخلوق ، لكن الأشاعرة قالوا إنه عبارة عن الكلام النفسي وهؤلاء قالوا هذا مخلوق خلقه الله ، خلق أصواتاً تسمع وأضافها لنفسه على سبيل التشريف والتعظيم . فهذا الحديث يرد رداً واضحاً على من يزعمون أن كلام الله هو المعنى القائم بنفسه الأزلي ، فيرون أن الكلام مثل العلم مثل الإرادة .

حدثنا علي ابن عبد الله حدثنا عبد العزيز ابن عبد الصمد عن أبي عمران عن أبي بكر ابن عبد الله ابن قيس عن أبيه "عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن" .

الشاهد قوله "وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء" وفي هذا إثبات لرؤية الله عز وجل بعد إزالة رداء الكبر ، وكأن البخاري رحمه الله يشير إلى لفظ آخر أصرح من هذا أما هذا فليس صريحاً لإثبات الرؤية .

الدرس الثاني والعشرون:-

حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عبد الملك ابن أعين وجامع ابن أبي راشد عن أبي وائل "عن عبد الله رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتطع مال امرئ مسلم يمين

كاذبة لقى الله وهو عليه غضبان قال عبد الله ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه من -الحجاب-
الله حل ذكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أَلَيْسَ لَكَ لَا خَلَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ، وَلَا
يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾

قال البخاري رحمه الله: -"من اقتطع مال إمريء مسلم يمين كاذبة لقى الله" الشاهد قوله "لقى
الله" فقد استدلل بها كثير من العلماء على رؤية الله عز وجل ، قال لأن اللقاء لا يكون إلا برؤية وقد سبق
أن اللقاء عام وخاص:- فاللقاء الخاص:- هو أن يخلوا الله عز وجل بعبد المؤمن ويقرره بذنوبه .

واللقاء العام:- يكون لجميع الخلق ، وفي هذا التحذير من انقطاع مال المسلم باليمين الكاذبة ولها صور:-
الصورة الأولى:- منها أن يدعى شخص على آخر بألف درهم وليس عند المدعي بينة فهنا توجه اليمين على
المدعى عليه فيحلف أنه ليس للمدعي شيء مع أن له شيئاً فهنا اقتطع شيئاً من ماله كاذباً فيلقى الله وهو عليه
غضبان .

الصورة الثانية:- أن يدعى شخص ويأتي بشاهد واحد وفي هذا الحال لا يحكم له بالألف إلا إذا حلف فيأتي
بالشاهد ويحلف معه ثم القاضي يحكم له على المدعي عليه بالألف فيكون هنا اقتطع مال إمريء مسلم يمين
كاذبة فيلقى الله وهو عليه غضبان فإن اعتدى على المسلم بغير المال ادعى عليه مثلاً بجرائم أو غيرها وحلف
فهل تكون مثل المال أو دونه أو أعظم منه؟ الظاهر أنها تكون أعظم لأن العدوان على البدن أشد من العدوان
على المال ولكن مع ذلك لا تجزم بهذا لأن مسائل الوعيد قد تكون لإختصاصها في الصورة التي جاءت بها أمر
لا تعلمه يمتنع القيلس حيث وفي استدلال الرسول صلى الله عليه وسلم بالآية الكريمة دليل على أن العموم
حجة على كل فرد من أفرادها لأن الآية عامة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أَلَيْسَ لَكَ لَا
خَلَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ هذا عام ، يدخل فيه الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أى ما يقتطعون من
الأموال فيكون هذا عاماً ويكون هذا فرداً دخل في العموم ومر علينا أيضاً شاهد مثل ذلك وهو قول النبي
صلى الله عليه وسلم إنكم إذا قتلتم "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين" فقد سلمتم على كل عبد صالح
في السماء والأرض ، ما معنى قول الله تعالى ﴿لَا خَلَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ أى لا نصيب .

حدثنا عبد الله ابن محمد حدثنا سفيان عن عمرو عن أبي صالح "عن أبي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم: رجل حلف على سلعة لقد أعطى
بها أكثر مما أعطى وهو كاذب ، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقطع بها مال إمريء مسلم ،
ورجل منع فضل ماء فيقول الله يوم القيامة: اليوم أمنعك قضلي ، كما منعت فضل مالم تعمل يداك"

الشاهد قوله:- ﴿لَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ رجل حلف على سلعة ، هذا طريق
من طرق أكل المال بغير حق ، أن يقول إنه أعطى بهذه السلعة أكثر مما أعطى وهو كاذب ، لأنه في هذا
الحال يخدع الآخرين فيظنون أنه صادق فيعطون مثل ما أعطى أو يزيدون ، وهذه تقع من بعض الناس بحاجي
بها صديقه ، يقول سميت هذه السلعة مائة وهو لا يسمها ، من أجل أن الآخرين يقولون نحن نأخذها بمائة

وعشرين مثلاً وكذلك العكس أن يخلف أنه أعطى فيها أكثر مما أعطى مثل أن تسام منه بعشرة فيقول **أهل** -
سيمت بعشرين ويخدع الناس بذلك ، فكل هذا من أكل المال بغير حق .

والثاني:- حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقطع بها مال إمري مسلم وسبق ذكره .

والثالثة:- من منع فضل ماء فيقول الله عز وجل يوم القيامة اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل مالم تعمل يدك وهذا من غير المال الذي ملكه أما المال الذي ملكه فهو ملكه له أن يمنع وله بيعه لكن الماء الذي لم يملكه مثل رجل عنده غدير في أرضه ، والغدير مجمع ماء السيول فصار لا يمكن الناس من أخذه إلا بعوض هذا منع فضل الماء وكرجل آخر عنده بئر فيها ماء لا يحتاج إليه بل هو زائد عن حاجته فيمنع الناس من أن يأخذوا منها بدون ضرر عليه هذا أيضاً حرام عليه لأن الذي أنبع الماء من السماء هو الله وفي قوله مالم تعمل يدك دليل على أن ما عملت يده بأن ملك ووضعه في أبنية واستخرج من البئر وصبه في بركته فإن له الحق في أن يمنع منه من أراد الأخذ إلا بعوض .

حدثنا محمد ابن المثني حدثنا عبد الوهاب حدثنا أيوب عن محمد عن أبي بكرة "عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة إثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ، ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان ، أى شهر هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال أليس ذا الحجة ، قلنا بلى ، قال أى بلد هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال أليس البلدة ، قلنا بلى ، قال: فأى يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال أليس يوم النحر؟ قلنا بلى ، قال: فإن دماءكم وأموالكم - قال محمد : وأحسبه قال وأعراضكم - عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا ، في شهركم هذا ، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض ، ألا ليبلغ الشاهد الغائب ، فلعن بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه" فكان محمد إذا ذكره قال صدق النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال: ألا هل بلغت ، ألا هل بلغت .

قال بعض العلماء المعنى أن قريشاً كانوا يقولون بالنسئ ، والنسئ زيادة في الكفر يقل به الذين كفروا يخلونه عاماً ويحرمونه عاماً ، من الأشهر الحرم أحياناً تؤجل قريش شهر المحرم تجعله في صفر وشهر صفر تجعله في محرم بمعنى أنها تخل شهر المحرم ، وتحرم شهر صفر وأن السنة التي حدث بها النبي صلى الله عليه وسلم وافق أن التحريم لشهر المحرم لا لشهر صفر فاستدار الزمان كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وقال بعض العلماء المعنى أن الزمان استدار كهيئته أى في تساوي الليل والنهار وأن الرسول صلى الله عليه وسلم حدث بهذا الحديث في وقت تساوى فيه الليل والنهار في فصل الربيع وعلى كل حال هذا أو هذا المقصود أن الرسول بين أن السنة إثني عشر شهراً هلالية وهذه السنة مواقيت لجميع الناس للمسلمين والكفار لهذه الأمة ولغير هذه الأمة وهذا كان اليهود يصومون عاشوراء في شهر المحرم ويؤتونها بهذه الشهور فهذه الشهور كما قال الله تعالى ﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾ هي

مواقيت للناس عموماً والحج ، وقال تعالى في العمرة ﴿وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ هذا هو التوقيت الذي جعله الله تعالى للعباد لكنه تواتت الأمور والأحداث وغلب النصراري على بعض البلاد الإسلامية وحولوا التوقيت إلى التوقيت غير العربي وغير المهجري وغير ما جعله الله عز وجل للناس بأشهر لا نعلم ما أصل هذه الأشهر . "يقول منها أربعة حرم" متواليات ذو القعدة وذو الحجة والحرم والحكم من ذلك والله أعلم. من أجل أن يسير الناس إلى بيت الله في أمن لأن هذه الأشهر الحرم يحرم فيها القتال وفيما سبق لا يصل الناس في مكة في أيام الحج إلا من شهر أو أكثر الذين في أقصى الجزيرة ولذلك جعل الله عز وجل للحج حرماً في الزمان كما جعل له حرماً في المكان هذه الأشهر الثلاثة ذو القعدة شهر قبل ذي الحجة محرم شهر بعد ذي الحجة حتى يأمن الناس في ذهابهم وإيابهم إلى بيت الله والرابع يقول ورجب مضر ، القبيلة المعروفة من أكبر قبائل العرب وأضيف إليها لأنه معلوم عندها ويعرف بهذه النسبة رجب مضر قال الذي بين جمادى وشعبان ، هذا أيضاً من الأشهر الحرم وهو شهر فرد قال بعض العلماء وذلك لأن العرب كانوا يأتون إلى العمرة في هذا الشهر في رجب ولا يمكن أن يعتمروا في أشهر الحج أبداً ، يرون أن الإعتصار بأشهر الحج من أكبر الكبائر ويقولون إذا عفى الأثر وبرأ الدبر ودخل صفر حلت العمرة لمن اعتمر ، ما معنى عفى الأثر؟ يعني إمتح أثر الحاج وبرأ الدبر يعني القروح التي تكون على ظهور الإبل من الحمل ، ودخل صفر يعني بعد الحج بشهر ، حلت العمرة لمن اعتمر ، أما قبل ذلك فلا تل ولهذا اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم جميع عمره في أشهر الحج حتى بعض العلماء تردد هل العمرة في أشهر الحج أفضل أو في رمضان أفضل؟ ثم قال صلى الله عليه وسلم "أى شهر هذا ، قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه" لماذا قالوا الله ورسوله أعلم وهم يعلمون أنه الشهر؟ لأنهم استعظموا أن يسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن اسم الشهر مع أنه معلوم لا إشكال فيه فظنوا أنه سيسميه بغير اسمه ، إذا قولهم الله ورسوله أعلم يعود إلى تسمية الشهر لا إلى نفس الشهر ، فالشهر معلوم عندهم ولا إشكال فيه ، لكن ظنوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم استفهم عن اسمه لا عن عينه ولهذا يقول "فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه" وهذان أسلوبان قوله: أى شهر والسكوت ، أسلوبان من الأساليب التي توجب إتيان الإنسان أليس كذلك؟ يعني لو أن الإنسان ألقى الحديث مرسلًا يفهم أو لا يفهم؟ لكن يتبته الناس له مثل ما يتبتهون له إذا سأل هذه واحدة.

الثاني السكوت:- السكوت يوجب الإتيان السكوت في أثناء الكلام يوجب الإتيان ولهذا نجد أن المحاضر أو الخطيب أو المدرس إذا سكت إشرأت الأعناق والتفتت العيون إليه ما الذي حدث؟ فاستعمل النبي صلى الله عليه وسلم هذين الأسلوبين.

وقوله "قلنا أليس ذا الحجة قلنا بلى قال أى بلد هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه فقال أليس البلدة" والبلدة اسم من أسماء مكة ولها أسماء كثيرة عند الذين يتكلمون عن مكة وحرما قلنا بلى "قال فأى يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال أليس يوم النحر؟ قلنا بلى" يوم النحر يعني يوم عيد الأضحى ، وسمى يوم النحر لأنه تنحر فيه الهدايا

والضحايا "قال فإن دماءكم وأموالكم قال محمد وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومئكم - هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا" إذا أراد النبي صلى الله عليه وسلم من الاستفهام عن الشهر والمكان واليوم أراد تأكيد تحريم هذه الثلاثة وحم الدماء والأموال والأعراض وفي الحديث لف ونشر غير مرتب ، لأنه بدأ باليوم وهو الأخير ثم بالمكان ثم بالزمان .

ثم قال عليه الصلاة والسلام "وستلقون ربكم" وهذا هو الشاهد من الحديث "فيسألكم عن أعمالكم" وقد ورد أن صفة هذا اللقاء أن الله سبحانه وتعالى يخلوا بعبده المؤمن ويقرره بذنوبه يقول فعلت كذا فعلت كذا حتى إذا أقر قال قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، ثم قال "ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالاً ، وفي رواية ظلاماً" ولا منافاة بينهما لأن كل كافر فهو ظالم والعكس وعلى هذا فيكون المراد بالضلال هنا ضلال الكفر يضرب بعضكم رقاب بعض وهنا قد يسأل النحوي لماذا قال يضرب بالرفع مع أنها بعد النهي فلا ترجعوا ، ومعلوم أن فاء السببية إذا حذفت بعد النهي أو الأمر فإن الفعل يحزم تقول الجواب على هذا أن يضرب ليست جواباً لترجعوا ولكنها بيان للضلال أو الكفر فهي جملة استثنائية تبين ماذا يحصل به الكفر أو ماذا يحصل به الضلال يضرب بعضكم رقاب بعض ألا ليلغ الشاهد الغائب لإكرارها مرتين وقوله ليبيّن ، اللام للأمر والفعل بعدها مجزوم ولكنه حذف بالكسر لماذا؟ للقاء الساكنة فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى من بعض من سمعه هذا يفسر قوله رب مبلغ أوعى من سامع يعني أن بعض من يبلغه أوعى من بعض من سمعه وليس كل من يبلغه أوعى من كل من سمعه وهذا من الإحتراس في القول وينبغي للإنسان في مثل هذا التعبير أن يحترس بدلاً أن يقول مثلاً الناس فعلوا يقول بعض الناس فعلوا الناس يفعلون يقول بعض الناس يفعلون حتى يكون كلامه محرراً قال ما كان محمد إذا ذكر قال صدق النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ألا هل بلغت؟ فالجواب أنه قد بلغ ، بلغ البلاغ المبين صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله وإقراره وترك أمته على محجة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ومن خفي عليه شيء من السنة فهو لأحد أسباب ثلاثة:-

إما نقص علمه ، وإما قصور فهمه ، وإما سوء قصده

أما الأول وهو نقص العلم فواضح ، أما الثاني وهو قصور الفهم فواضح أيضاً ، لأن بعض الناس يحفظ كثيراً ولكن لا يفهم لا يفوته من العلم بقدر ما فاته من الفهم .

وأما الثالث وهو سوء القصد:- فإن الإنسان يحرمه العلم ولو كان عنده حفظ كثير وفهم ، يحرمه بسبب سوء القصد والعياذ بالله ومن سوء القصد أن لا يريد الإنسان إلا الدنيا ومن سوء القصد أن لا يريد الإنسان إلا أن يتعصب لشيخه ومدفوعه والواجب على الإنسان أن يريد الوصول إلى الحق وإذا علم الله من الشخص أنه يريد الوصول إلى الحق سهله له ويسره له سواء في المراجعة أو في المناقشة لأن الله يقول ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ فإذا علم الله منك أنك تريد الحق يسره لك ، الظاهر من هذا أن البخاري رحمه الله يشير إلى لفظ آخر في الحديث .

باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾

حدثنا موسى ابن اسماعيل حدثنا عبد الواحد حدثنا عاصم عن أبي عثمان أن أسامة قال: كان ابن - بعض بنات النبي صلى الله عليه وسلم يقضي فأرسلت عليه أن يأتينا ، فأرسل: إن الله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل إلى أجل مسمى ، فلتصبر ولتحتسب فأرسلت إليه أن ، فأقسمت عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقمت معه ومعاذ ابن جبل وأبوي بن كعب وعبادة بن الصامت ، فلما دخلنا ناولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبي ونفسه تقلقل في صدره حسبه قال كأنها شنة ، فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سعد ابن عبادَة أتبكي ، فقال: إنما يرحم الله من عباده الرحاء .

حدثنا عبيد الله ابن سعد بن إبراهيم حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن صالح بن كيسان عن الأعرج "عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اختصمت الجنة والنار إلى ربهما ، فقالت الجنة: يا رب ما لها لا يدخله إلا ضعفاء الناس وسقطهم ، وقالت النار يعني أوثرت بالتكبرين ، فقال الله تعالى للجنة: أنت رحمتي ، وقال للنار: أنت عذابي ، أصيب بك من أشياء ، ولكل واحدة منكما ملؤها ، قال فأما الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحداً وأنه ينشئ للنار من يشاء فيلقون فيها فتقول هل من مزيد ثلاثاً ، حتى يضع فيها قدمه فتمتلئ ، ويرد بعضها إلى بعض وتقول قط قط قط "

هذا الباب أحذه البخاري رحمه الله لإثبات رحمة الله عز وجل وقد سبق التفصيل في الرحمة وذكرنا أنها تنقسم إلى قسمين:-

رحمة مخلوقة ورحمة غير مخلوقة وأن غير المخلوقة تنقسم أيضاً إلى قسمين:- رحمة عامة ورحمة خاصة وسبق الكلام على هذا وبيان أن أهل التعطيل أنكروا أن يكون لله رحمة ، بمعنى ما أراده الله ورسوله ، وقالوا المراد بالرحمة ما يترتب عليها من ثواب وإنعام وما أشبه ذلك وقوله تعالى ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فيها الحس على الإحسان وأنه كلما كان الإنسان أكثر إحساناً كان أقرب إلى رحمة الله عز وجل لأنه يكون رحيماً بذلك والله تعالى يرحم من عباده الرحاء ثم ذكر حديث الصبي الذي لإحدى بنات الرسول صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام عليه ، ثم ذكر حديث أبي هريرة وفيه "اختصمت الجنة والنار إلى ربهما ، فالجنة قالت يا رب لا تدخلني إلا الضعفاء والنار قالت إنها أوثرت بالتكبرين" وفي قول الراوي وقالت النار يعني أوثرت دليل على أنه لم يثبت اللفظ ولكن ما ذكره صحيح وفي الحديث أن الله قال للجنة أنت رحمتي ، من أي نوع؟ يعني الأقسام المخلوقة ، وقال للنار أنت عذابي أصيب بك من أشياء ولكل واحدة منكما ملؤها قال: "فأما الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحداً وأنه ينشئ للنار من يشاء" وهذا لا شك أنه منقلب على الراوي إنقلاباً واضحاً والصواب فأما النار فإن الله لا يظلم من خلقه أحداً وأما الجنة فإنه ينشئ لها من يشاء وهذا قد مر علينا على الوجه الصحيح فالحديث منقلب وعليه فيكون وأما الجنة فينشئ لها من يشاء وأما النار فإنه لا يظلم من خلقه أحداً فيلقون فيها إلى آخره ، وقوله "حتى يضع فيها قدمه فتمتلئ" هذا مما استدل به أهل التعطيل على أن المراد بالقدم من يقدمهم الله إلى النار لقوله فتمتلئ وسبق لنا أن اللفظ الصواب فيتزوي بعضها إلى بعض وتنضم من وضع الرب عليها قدمه وهذا هو الصواب ويحمل قوله

فتمتلى ، إن كان محفوظاً على أنه إذا انضم بعضها إلى بعض لم يعد فيها مكان لأحد لأنه إذا انزوي بعضها ٣ إلى - بعض إمتكت ، فيحمل على هذا المعنى والشاهد من هذا قوله "أنت رحمتي" .

حدثنا حفص ابن عمر حدثنا هشام عن قتادة "عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ليصين أقوامن سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته ، يقال لهم الجهنميون" وقال همام حدثنا قتادة حدثنا أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم .
هذا سبق ما يدل عليه في حديث أبا سعيد وغيره .

باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾

حدثنا موسى حدثنا أبر عوانة عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: "جاء خبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إن الله يضع السماء على أصبع ، والأرض على أصبع ، والجبال على أصبع ، والشجر والأنهار على أصبع ، وسائر الخلق على أصبع ، ثم يقول بيده أنا الملك ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: وما قدر الله حق قدره" .

هذا أيضاً سبق الكلام على مثله وقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ فيها بيان الإمساك أى القبض وقد سبق أن الله قال ﴿وَالْأَرْضَ جَمِيعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه﴾ وقد قال تعالى في آيات أخرى ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ فالله تعالى يمسك السماوات والأرض أن تزول ولئن زالتا إن أمسكهما أحد من بعده ، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه لأن السماء فوق الأرض فلو لا إمساك الله تعالى لها لوقعت على أهل الأرض .

الدرس الثالث والعشرون:-

باب ما جاء في تخليق السماوات والأرض وغيرها من الخلائق وهو فعل الرب تبارك وتعالى وأمره ، فالرب بصفاته وفعله وأمره ، وهو الخالق ، هو المكون غير مخلوق ، وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه ، فهو مفعول ومخلوق ومكون .

قال البخاري رحمه الله باب ما جاء في تخليق السماوات والأرض ، تخليق مصدر خلق فيجوز خلق وتخليق ، وفي القرآن قوله تعالى ﴿مَخْلُوقَةٍ وَغَيْرِ مَخْلُوقَةٍ﴾ مشتقة من التخليق تخليق السماوات والأرض وغيرها من الخلائق ، وغيرها أعاد الضمير على السماوات والأرض بإعتبار الجنس ، وإلا فقال وغيرهما ، لكن السماوات جمع ، قال "وهو - أى التخليق - فعل الرب تبارك وتعالى وأمره" التخليق يكون بأمرين بالأمر والفعل لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فلا يتم الخلق إلا بالأمر ، والأمر هذا مسبوق بالإرادة ، وإنما بوب البخاري رحمه الله بهذا لأن من أهل البدع من يقول إن الرب ليس له فعل وأن المراد بفعله مفعوله ، لماذا؟ لأنه لو قام الفعل بالخالق لكان محلاً للحوادث ولا يكون محلاً للحوادث إلا الحادث ، وسبق أن هذه القاعدة فاسدة وباطلة وأن الرب عز وجل لم يزل ولا يزال خلاقاً ، والمخلوق هو الذي يتجدد والفعل المقارن للخلق كذلك أيضاً يتجدد ولكن لم يزل ولا يزال خلاقاً ، فعلى هذا نقول البخاري رحمه الله سلك في هذا مسلك السلف الصالح وهو أن الفعل غير المفعول ، الفعل صفة قائمة بالرب والمفعول مخلوق

بائن عن الرب ، وغرضه بذلك الرد على من زعم أن فعل الله هو مفعوله وليس لله فعل يقوم به ، ولذلك - قال رحمه الله "وهو فعل الرب تبارك وتعالى وأمره" فعل الرب واضح أن الخلق هو فعل الرب ، أمره يعني الكائن بأمره لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يقول للسماوات كن فتكون ﴿قَالَ إِنِّي أَتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ وهكذا كل المخلوقات حتى الذرة إذا أراد أن يخلقها عز وجل يقول لها كوني فتكون ، وسبحان الله الذي وسع هذه الخلائق العظيمة ، كم يخلق في اللحظة من المخلوقات أم لا يحصيها إلا الله وهو عز وجل كلها يقول لها كن فتكون ، وإذا كان عز وجل وسع الأصوات كلها ، كل مصلى يقول الحمد لله رب العالمين فالرب عز وجل يقول له حمدي عبدي ، كل مصلي في أى مكان ولو إتحد الزمان فإن الله يقول حمدي عبدي ، وهذا يدل على سعة الله ، ولهذا قال ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ يحيط بكل شئ علماً سبحانه وتعالى ، وعلى هذا فنقول قول المؤلف رحمه الله "وأمره" يعني الكائن بأمره ، الخلق فعل الرب وأمره يعني بأمره ، بأمره الكوني أم الشرعي؟ الكوني ، قال "فالرب بصفاته وفعله وأمره" يعني الرب رب بصفاته فالصفات لا تنفصل عن الموصوف وبصفاته أزلي أبدي جل وعلا ، الأول الذي ليس قبله شئ والآخر الذي ليس بعده شئ ، وهذا أيضاً رد على من قال إن الصفة غير الموصوف ، يقولوا "الرب بصفاته" فأنت إذا دعوت الله هل دعوت ذاتاً مجردة عن الصفات؟ فأنت لو قلت يا رب فأنت تسأل الله وأنت تستحضر جميع صفاته التي تحيط بها يعني يا ربي بالصفات الكاملة والأسماء الحسنى فهو عز وجل بصفاته وكذلك بأسمائه لكن لم يذكر الأسماء لأن في الخلق ، والخلق صفة فالرب بصفاته ، الجار والجرور بصفاته خبر الرب يعني الرب رب بصفاته وفعله وأمره ، وأشار البخاري رحمه الله بقوله "الرب بصفاته وفعله" إلى القول الراجح في تسلسل الحوادث ، إذا كان الرب بفعله لازم من هذا أن يكون الفعل قديماً أزلياً وهو كذلك ، لكن المفعول هو الحادث والفعل المقارن للمفعول حادث ، ولهذا نقول فعل الله الذي هو فعله من حيث الجنس أزلي لم يزل عز وجل فعلاً ، والفعل المقارن للمفعول حادث كالكلام سواء ، أصل الكلام أزلي وما يتكلم به عز وجل حين يتكلم فهو حادث ولا مانع أن نقول بهذا ، أليس الله يقول ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ متى كان الكلام؟ حين المجيء لم يكن من قبل ، فالأمر في هذا واضح والحمد لله ، والبخاري رحمه الله أشار بهذا إلى أن أفعال الله لازمة له وهذا هو الحق ، ومن تأمله وجد أنه لا يمكن العدول عنه خلافاً لمن شنع على شيخ الإسلام رحمه الله بقوله بهذا القول ، والإنسان يستغرب كيف يشنع به؟ لأننا إذا قلنا إنه ليس هناك تسلسل وأن الله في الأول كان لا يفعل نقول لماذا لا يفعل؟ هل هو عاجز؟ إن قالوا نعم كفر وإن قالوا بلى قلنا إذا كان كذلك فما الذي يمنعه أن يفعل ، فجواز تسلسل في الأزل كجوازه في المستقبل ولا فرق هو الأول بصفاته وأفعاله الذي ليس قبله شئ والآخر بصفاته وأفعاله الذي ليس بعده شئ وقوله بأمره الأمر الذي يكون به الفعل كن هذا أمر فهو لم يزل عز وجل بصفاته وفعله وأمره "وهو الخالق هو المكون" أراد المؤلف رحمه الله بقوله هو المكون أن يفسر معنى الخالق ، لا أن يثبت أن المكون من أسماء الله ، ولهذا ليس من أسماء الله المكون ، لكن هو فسر الخالق والخالق من أسماء الله الخالق البارئ ،

المكون يعني تفسير للخالق وإن شئت فقل تفسير للمصور كما قال تعالى ﴿الخالق المصور﴾ أى المكون للشيء -
على الصورة التي أرادها .

قال "غير مخلوق" وإن حدثت منه الأفعال فإنه ليس بمخلوق ، لأن الله هو الخالق وما سواه مخلوق
ثم قال "وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول" ففرق رحمه الله بين الفعل والفاعل والمفعول ،
فهذه ثلاثة أشياء كل واحدة منها لها حقيقة فاعل وفعل ومفعول ، أيها الأول؟ الفاعل ثم الفعل ثم المفعول ،
هذا إذا قلنا الفاعل الذي يريد أن يفعل ، أما إذا قلنا الفاعل الذي قام به الفعل فالفعل سابق على الفاعل لأنه
لا يصدق عليه أنه فاعل حقيقة إلا بعد وقوع الفعل ، الأصل أنه لا فعل إلا بفاعل ، فإذا قلنا لا فعل إلا
بفاعل لزم أن يسبق الفاعل للفعل ولا مفعول إلا بفعل ، لكن إذا أريد بالفاعل حقيقة الفعل فهذا يجب أن
يسبق الفعل الوصف بالفاعل ما يكون فاعل حتى يفعل ، أنا مثلاً ناطق حقيقة أو فعلاً؟ لا أكون ناطق حقيقة
حتى أنطق ، لكن قبل أن أنطق أكون ناطق حكماً ولا يمكن نطق إلا بوجودي ، فالناطق سابق على النطق
والمنطوق به متأخر عن النطق لكن إذا أردت حقيقة وصفه بالفعل فإنه لا يمكن أن يكون فاعلاً حتى يفعل .

وقوله "وما كان بفعله وأمره وتخليقه فهو مفعول" عائد على بفعله ، مخلوق عائد على تخليقه وأمره
والحاصل من هذه الترجمة أن المؤلف رحمه الله أراد أن يبين أن ما سوى الله مخلوق وأن الله وحده هو الخالق
وأنه عز وجل رب بفعله ووصفه بأفعاله وصفاته فلم يزل فعلاً ولم يزل موصوفاً بصفاته الكاملة وأن الخلق
حادث .

حدثنا سعيد ابن أبي مريم قال أخبرنا محمد ابن جعفر قال أخبرني شريك ابن عبد الله ابن أبي عمر
عن كرين عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما "قال بت في بيت ميمونة ليلة والنبي صلى الله عليه وسلم
عندها لأنظر كيف صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع
أهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الآخر أو بعضه قعد فنظر إلى السماء فقرأ ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ إِلَى قَوْلِهِ لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ ثم قام فتوضاً واستن ثم صلى إحدى عشرة ركعة ثم أذن بلال بالصلاة
فصلى ركعتين ثم خرج فصلى للناس الصبح"

ما هي صلاة ميمونة بآب ابن عباس؟ حالته أخت أمه وابن عباس رضى الله عنه ذكي عاقل حريص على
العلم حتى إنه كان يأتي إلى الرجل من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم في القيلولة ويضع رداءه
يتروسه ينام على العتبة حتى يخرج صاحب البيت ويقول له حدثني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فيقول له يا ابن عم رسول الله لماذا لم تقيمي؟ قال أنا صاحب الحاجة وفهمه وعقله وفقهه رضى الله عنه
معروف ، أحب أن ينظر كيف يصنع الرسول صلى الله عليه وسلم في أهله وكيف يصلى في الليل فدخل
النبي صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العشاء وتحدث مع أهله ساعة يعني ستين دقيقة أو ساعة يعني وقت من
الزمن؟ الثاني يمكن ستين دقيقة أو أكثر أو أقل ، لكن معروف أن الرسول صلى الله عليه وسلم يكره الحديث
بعد صلاة العشاء فيكون هذا الحديث الذي تحدث به حديثاً يحصل به الإيناس للأهل لأن الرسول صلى الله
عليه وسلم يقول خيركم خيركم لأهله ومعلوم أن الرجل لو جاء لأهله ودخل عليهم ثم انصرف إلى الفراش

ونام والمرأة نامت لا يكون من الألفة شيء وهذا سبب للقطيعة ، ولكن إذا تحدث مع أهله ساعة يؤنسهم ويدخل السرور عليهم فهذا من هدى الرسول صلى الله عليه وسلم ثم رقد فلما كان ثلث الليل الآخر أو نصفه قام صلى الله عليه وسلم ﴿إِنْ رَبِّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾ حسب نشاطه صلى الله عليه وسلم أما إذا مضى ثلث الليل أو نصفه أو ثلثه يقول فقعد فنظر إلى السماء نظر تفكر وإيقاظ بما فيها من الآيات العظيمة فقرأ ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ - إِلَى قَوْلِهِ - لِأُولَى الْأَبَابِ﴾ إن في خلق السموات والأرض أى تخليقهما وما أودع الله فيهما من الأغراض وبدأ الصنعة ، وإختلاف الليل والنهار بالطول والقصر والحر والبرد والحرب والسلام والصحة والمرض والعز والزل ذلك كله فيه آيات لأولى الأبواب ﴿وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولَى الْأَبَابِ﴾ آيات جمع آية وهى العلامة الدالة على ما الله تعالى من الحكمة والرحمة وغير ذلك مما تقتضيه هذه الإختلافات وقوله لآيات هل المعنى في كل واحدة منها آيات أو آيات موزعة على الجمع السابق؟ الأول ، كل شيء من هذه فيه آيات عظيمة فمثلا النجوم فيها آيات في عظمها وكبرها ونورها وحركاتها وسكناتها ولونها بعض النجوم تحرى وتتحرك وتلمع وبعضها ساكن وبعضها أبيض وبعضها يميل للحمرة وبعضها صغير وبعضها كبير كلها فيها آيات ، وهكذا القمر والشمس فيهما آيات لكن لأولى الأبواب لأصحاب العقول ، أما الغافلون فلا يتبهون بهذه الآيات ، ثم قام فتوضأ واستن ثم صلى إحدى عشرة ركعة توضأ واستن يعني استاك وكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك هكذا قال حذيفة رضى الله عنه يعني بذلكه دلکاً لأن الفم يتغير بالنوم ، واستدل بهذا الحديث على أن القرآن يجوز قراءته لغير المتوضئ لأن النبى صلى الله عليه وسلم قراء قبل أن يتوضأ وهو كذلك ، لكن للإستدلال على هذا بهذا الحديث فيه نظر وذلك لأن نوم النبى صلى الله عليه وسلم لا ينقض الوضوء حيث تمام عيناه ولا ينام قلبه وهو صلى الله عليه وسلم فيما يظهر قد نام على وضوء فيكون قد قام على وضوء ، ثم أذن بلال بالصلاة فصلى ركعتين ثم خرج فصلى بالناس الصبح ، في هذا أيضاً دليل على أن الإمام ينبغي لم أن يصلي الرواتب في بيته لا في المسجد وأنه إذا دخل المسجد أقيمت الصلاة هذا في الصلوات الخمس أما في الجمعة فهو أوكد وبه تعرف أن ما يفعله بعض الأئمة من التقدم يوم الجمعة والصلاة والجلوس حتى يأتي وقت خروج الإمام ثم يقوم فيصعد المنبر هذا خلاف السنة ، هو يريد أن يحصل على أجر التقدم في الجمعة فنقول له أجر إتيان السنة أكثر من أجر التقدم فلا تتقدم ولا تأتى إلا وقت صعودك إلى المنبر وكذلك بقية الصلوات لا ينبغي للإمام يعني السنة للإمام أن يتأخر في بيته فإذا جاء أقيمت الصلاة ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تقوموا حتى تروني مما يدل على أنه يأتي ثم تقام الصلاة فوراً .

وقوله فصلى للناس اللام قيل إنها بمعنى الباء أى صلى بالناس الصبح وقيل صلى لهم لأنه إمامهم فاللام للتعليل وليس المعنى أنه صلى تقرباً للناس ، ولكن صلى ليكون إماماً لهم ، الشاهم من هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم حين قرأ هذه الآية بل الشاهد قراءته هذه الآية ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من خلقهما؟ الله .

باب ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾

حدثنا اسماعيل قال حدثني مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه -
"أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت
غضبي"

قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِن جُنَدُنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾
قوله سبقت كلمتنا دليل على أن كلمات الله عز وجل فيها سابق ومسبوق وهو كذلك لأن الله يتكلم متى
شاء .

وفي قوله "لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي" هذا أيضاً مما سبق
من كلماته عز وجل ، ما كتبه في أن رحمته سبقت غضبه ومعنى الحديث أنه إذا حصل فعل يكون سبباً
للرحمة وسبباً للغضب ، فإن الرحمة تسبق الغضب ويرحم الله سبحانه وتعالى بها من شاء .

حدثنا آدم قال حدثنا شعبة قال حدثنا الأعمش قال سمعت زيد ابن وهب أنه قال "سمعت عبد الله
ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق إن
خلق أحدكم ، يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً وأربعين ليلة ثم يكون علقه مثله ، ثم يكون مضغاً مثله
، ثم يبعث إليه الملك فيؤذن بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ، ثم ينفخ فيه
الروح ، فإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب
فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينهما وبينه إلا
ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها"

هذا الحديث كالأول ، فيه بيان حدوث الكلام ، يقول ابن مسعود "حدثنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو الصادق المصدوق" فيما أخبر به يعني ما كُذِبَ ولا كُذِبَ ، بخلاف الكهان ، فالكهان
كاذبون مكذوبون لأن الشياطين التي تلقي إليهم السمع تكذب مع الصدق مائة كذبة وهم يكذبون أيضاً ،
أما النبي صلى الله عليه وسلم فهو الصادق المصدوق ، صادق فيما أخبر به ، مصدوق فيما أخبر به ،
فالوحي الذي أوحاه الله إليه صدق وإخباره إيانا صدق ، وإنما قدم ابن مسعود هذه المقدمة لأنه سيتحدث
عن أمر غيبي لا يعلمه إلا الله عز وجل ولا سيما في ذلك الوقت ليس هناك طب متقدم يعرف الناس كيف
يتطور الجنين ، قال "إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً وأربعين ليلة" يجمع الجمع ضد التفريق
وذلك أن الحيوانات المنوية فالنطفة الواحدة كثيرة جداً تجمع هذه لمدة أربعين يوماً ونطفة وأربعين ليلة ثم بعد
ذلك يكون علقه مثله يتحول هذا المنى إلى علقه والعلقة دودة دقيقة خمراء يكون هذا الحيوان المنوي علقه مثله
أي أربعين يوماً ثم يكون مضغاً مثله أي أربعين يوماً والمضغة القطعة من اللحم بقدر ما يعضفه الإنسان في
الأكل ولكن لا تظنوا أن هذا التحول يحدث طفرة واحدة بمعنى يبقى أربعين يوماً منياً ثم في تمام الأربعين
ينقلب أحمر ثم ينقلب مضغاً وهو يتكون شيئاً فشيئاً لكن يغلب عليه في الأربعين الأولى أن يكون نطفة
الأربعين الثانية يكون علقه وفي الأربعين الثالثة يكون مضغاً ويتكون بإذن الله العظم واللحم كل شيء ثم
يبعث إليه الملك الملك إسم جنس يراد به الملائكة الموكلون بما في البطون فيؤذن بأربع كلمات بكسب رزقه

وأجله وعمله وشقي أم سعيد يكتب الملك هذه الأشياء الأربعة الرزق ولكن يكتب الرزق بأسباب الرزق^{١٣٨} -
 أين يأتيه؟ بيع شراء إرث هبات يكتب الرزق ، الأجل طويل أو قصير العمل يكتب العمل صالح أو فاسد ،
 الشقي أو السعيد المثال للشقاء أو السعادة ، كل هذا يكتب ولكن نسأل هل نحن عندنا علم بالمكروب؟ لا
 ليس عندنا علم بما يكتب الملك الموكل بذلك عنده علم حتى يموت هذا الرجل وكيف عمله ورزقه ، لكن
 نحن ليس عندنا علم ، ولهذا لا يمكن لأحد أن يحتج بهذا الحديث وما شابهه على معصية الله ، لأننا نقول لو
 احتج ما الذي أعلمك أنك من الأشقياء ، ما الذي أعلمك أن عملك سيئ ، أنت الذي إخترت وأنت لا
 تعلم أن عملك شيء إلا بعد أن تفعل ، ثم ينفخ فيه الروح ، الروح من الأشياء التي لا تقنى ، إذا خلقها الله
 عز وجل فإنها لا تقنى لأنها عند الموت تخرج من الجسد فقط وتنعم أو تعذب ويوم القيامة ترد إلى الجسد ،
 فهي من المخلوقات الدائمة التي خلقها الله عز وجل للبقاء ، ولذلك ليست من العناصر المعروفة يعنى ليست
 من حديد ولا من خشب ولا من طين ، من عنصر الله أعلم به كما قال تعالى ﴿ويسألونك عن الروح قل
 الروح من أمر ربي وما أتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ ولهذا تجدونها تتخلل البدن وتخرج منه في النوم من غير أن
 يشعر الإنسان وترجع عند اليقظة من غير أن يشعر بشيء دخل فيه أو خرج منه مع أنها لا شك تخرج زلذلك
 يفقد الإحساس وتعود ولذلك يعود الإحساس ، فلهذا أمرها عجيب ومن ثم قطع الله عز وجل علينا
 الوصول إلى حقيقتها فقال ﴿قل الروح من أمر ربي وما أتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ .

يقول في الحديث "ثم ينفخ فيه الروح" والنفخ معروف والنافخ الملك ، كيف ينفخ الملك وهو داخل
 في الرحم؟ نقول هذا ليس لنا أن نسأل عنه لأن هذا أمر غيبي وإذا كان الشيطان وهو عدو للإنسان يجري من
 ابن آدم يجري الدم ، فالملك الذي يسير بأمر الله من باب أولى ، والشيطان كذلك يسير بأمر الله لكنه إبتلاء
 وإمتحان ، وقوله "فإن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه
 الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه إلا
 ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعما أهل الجنة فيدخلها" هاتان الجملتان من أشد ما يكون إخافة للإنسان
 الذي يعمل بعمل أهل الجنة ، لأنه لا يدري ماذا يحتم له ، قد يعمل بعمل أهل الجنة حتى يكاد يصلها لا يبقى
 بينه وبينها إلا ذراع وقد كتب شقياً من أهل النار فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار ، والثاني يعمل
 بعمل أهل النار حتى يكون ما بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ولكن
 قد ثبت في صحيح البخاري في قصة الرجل الذي كان في غزاة مع الرسول صلى الله عليه وسلم وكان
 مقدماً شجاعاً لا يدع للعدو شاذة ولا فاذة إلا قضى عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا من أهل
 النار ، فعظم ذلك على الصحابة وكبر عليهم فقال أحدهم والله لألزمته حتى أنظر ماذا يكون أمره ، ألزمه
 وأنظر ماله ، يقول فأصابه سهم من العدو فحز فوضع ذبابة سيفه على صدره واتكئ على السيف حتى
 خرج من ظهره فقتل نفسه ، فحاء الرجل في الصباح إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أنك رسول
 الله ، قال وبما؟ قال الرجل الذي قلت فيه كذا وكذا هذا ما فعل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن
 الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يدور للناس وهو من أهل النار فهذا الحديث يقيد حديث ابن مسعود

فيكون قوله "حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع" أى حتى يقرب أجله وهو يعمل بعمل أهل النار أو بعمل أهل الجنة فيكون قد سبق عليه الكتاب فإذا قال قائل ما هو السبب؟ أليس الله سبحانه وتعالى قد سبقت رحمته غضبه؟ أليس الله تعالى قال ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾؟ فهل من شكر الله أن يعمل له هذا الرجل إلى أن يبقى بينه وبين الموت هذا القدر ثم يخذله الله ، أين الشكر؟ نقول والله إن الله لشكور عليم لكن هذا الرجل فلبه سر هو الذي أهلكه إما مراعاة الناس أو أحقاد أو كراهة لبعض ما أنزل الله وما أشبه ذلك ، هذا السر الذي لا يدو للناس هو الذي خانه أحوج ما يكون إليه فأودى به إلى الهلاك ، ولهذا يجب علينا يا اخواننا أن نظهر قلوبنا دائماً وأن نحافظ على سلامتها وطهارتها أكثر مما نحافظ على ركن من أركان الصلاة أو شرط من شروط الصلاة ، يعني الإنسان منا لا يكاد يفرط في ركن من أركان الصلاة

ولا تنقلها ولا نطهرها وهذا يخشى علينا منه . وبهذا الحديث الذي سقناه في قصة الرجل يرتاح الإنسان ويحافظ على قلبه وعلى سلامته حتى يوافق ظاهره باطنه ويسلم من سوء الخاتمة ، أما العكس الذي يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فهذا كثير ، ما أكثر الذين أسلموا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ثم ماتوا قريباً من إسلامهم ، ومنهم الأصميرم رجل من بني عبد الأشهل كان كافراً معادياً للدعوة الإسلامية فلما سمع بالخروج يوم أحد ألقى الله في قلبه الإسلام ، وخرج مع الناس للغزو في سبيل الله فقتل ، فلما تتبع الناس قتلاهم بعد إنتهاء المعركة وجدوا الأصميرم ، قالوا ما الذي جاء بك ونحن قد عهدناك تكره هذا الأمر أحذب على قومك أم رغبة في الإسلام قال بل رغبة في الإسلام ، هذا هو حسن الخاتمة ، وبلغوا عني رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام وأخبروه ، ثم مات من حينه ، فهذا الرجل كان يعمل بعمل أهل النار حتى لم يسبق بينه وبينها إلا ذراع أو أقل ، فخرج وقتل شهيداً في سبيل الله ، فنسأل الله لنا ولكم حسن الخاتمة وأن يظهر قلوبنا وأن يجعل بواطننا خير من ظواهرنا إنه على كل شيء قدير .

الدرس الرابع والعشرون:-

حدثنا خلاد ابن يحيى قال حدثنا عمر ابن ذر قال سمعت أبي يحدث عن سعيد ابن جبير "عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا جبريل ما يمنعك أن تزونا أكثر مما تزونا ، فنزلت ﴿وَمَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ الآية قال كان هذا الجواب لمحمد صلى الله عليه وسلم"

هذا الحديث فيه اشتياق النبي صلى الله عليه وسلم إلى زيارة جبريل ، لأن الملائكة عباد الله عز وجل فيجب علينا أن نجيبهم الله قال تعالى ﴿لأنهم عباد ، عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾ فعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم قال "ألا تزورنا وفي لفظ ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا" فنزلت هذه الآية ﴿وَمَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ قال هذا كان جوابه لمحمد صلى الله عليه وسلم ، جواب من الله عن قول الرسول صلى الله عليه وسلم لجبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ، والشاهد من هذا الحديث أن

قوله "وما نتزل" كلام ، فهو كلام الله عز وجل حصل بعد أن قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام "ما منك أن تزورنا أكثر مما تزورنا".

حدثنا يحيى قال حدثنا وكيع عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله رضي الله تعالى عنه "قال كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرث بالمدينة وهو متوكأ على عسيب ، فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح ، وقال بعضهم لا تسألوه فسألوه عن الروح فقام متوكأ على العسيب وأنا خلقه فظننت أنه يوحى إليه فقال ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسألوه".

هؤلاء اليهود يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم تعتاً وتطعاً ، لا أنهم يريدون أن يرجعوا إلى حكمه لقوله تعالى ﴿وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بمؤمنين﴾ فهم لا يحكمون الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يسألونه إلا تعتاً ، ولهذا اختلفوا هل يسألونه عن الروح أم لا؟ فقال بعضهم سلوه وقال بعضهم لا تسألونه ، والمراد بالروح هنا نفس الإنسان ، وهى الروح التي في البدن وهى من أمر الله عز وجل لا يمكن للإنسان أن يدرك كنهها وحقيقتها لكن يعرف ذلك بآثارها ، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الروح تقبض وتكفن وأن الميت يراها يتبعها بصره إذا توفي ، وهذا يدل على أنها ذات جرم وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في الروح ، أنها جسم لطيف لا يشبه هذه الأجسام وليس من مادة منها هذه الأجسام والله أعلم بكيفيتها وحقيقتها.

وقال بعض المتكلمين إن الروح صفة من صفات البدن كالمرض والصحة والقوة والنشاط والضعف وما أشبه ذلك وقال بعضهم هى الدم ، وقال بعضهم هى البدن واضطربوا فيها وسبب اضطرابهم أنه لم يبلغهم ما جاء في الكتاب والسنة عن هذه الروح وقالت الفلاسفة الروح شئ ليس داخل العالم ولا خارجه ولا متصل بالبدن ولا منفصل عنه ولا مباين للبدن ولا محايد ولا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ، وصفوها بالعدم كما وصفوا الله تعالى بالعدم ، ولهذا قال شيخ الإسلام رحمه الله المتكلمون بالنسبة للروح ممثلة والفلاسفة معطلة وصدق رحمه الله ، هؤلاء أحقوها بالأجسام وهؤلاء وصفوها بالعدم المحض ، أما نحن فنقول هى من أمر الله وأمرها عجيب ولا يمكن إدراك حقيقتها ولا كنهها ، ونعلم أنها ليست من المادة التي خلق منها الجسد وليس لنا أكثر من ذلك . وقوله تعالى: ﴿وما أتيتم من العلم﴾ الخطاب للناس كلهم ما أوتوا من العلم إلا قليلاً وكان في هذا توبيخاً لهم ، يعني كأنه يقول ما فاتكم من العلم إلا الروح تسألون عنها ، فاتكم شئ كثير ما أتيتم من العلم إلا قليلاً ، وصدق الله ، ما أكثر ما يخفى علينا مما هو بين أيدينا ، الكتاب والسنة الآن بين أيدينا ويخفى علينا شئ كثير من أحكامها نحن نعيش في وسط مجتمع ويخفى علينا كثير من المجتمع بل الإنسان يعيش في أهله في عيش محصور ومع ذلك يخفى عليه شئ كثير من أهله ، إذا ما أوتينا من العلم إلا قليلاً كما قال ربنا عز وجل ، وقوله "قال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسألوه" وكأنهم تنادوا فيما بينهم لأنهم يفسرون الروح بغير ذلك ، هذا هو الذي يظهر .

الذي يسأل تعتنا هل تجب إجابته؟ لا ، لأن الله تعالى خير النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ جَاؤُكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ فإذا علمنا أن الرجل لا يسأل إلا تعتنا يعني يريد الإشفاق على المسئول فإنه لا يجاب ، فإن الإنسان بالخيار وإلا فالأصل أن من سألك عن علم وجبت عليك إجابته لأن كتمان العلم من كبائر الذنوب .

حدثنا إسماعيل قال حدثني مالك عن أبي الزناد عن الأعرج "عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه إلا الجهاد في سبيله ، وتصديق كلماته بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة" .

قوله "تكفل" بمعنى ضمن ، ضمن الله لمن جاهد في سبيله بهذا الشرط لا يخرجه إلا الجهاد في سبيل الله وتصديق كلماته ، كلماته الشرعية بأن من قاتل في سبيل الله ثم قتل فله الجنة وقوله "إلا الجهاد في سبيله" ما هو الجهاد في سبيل الله؟ هو القتال لتكون كلمة الله ، فمن قاتل حمية أو قاتل شجاعة أو قاتل رياء فليس ذلك في سبيل الله ، من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ، فهذا ضمن الله له أن يدخله الجنة ، أو يرجعه إلى مسكنه إذا لم يقتل الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة ، من أجر إذا كان قصده أن تكون كلمة الله هي العليا ، أو غنيمة إن كان فيه رياء ، ولكن هذا التقدير يشكل لأنه يعارض أول الحديث ، أول الحديث يقول "لا يخرجه إلا الجهاد في سبيله" فكيف يقال من أجر أو غنيمة؟ لهذا قال بعض العلماء أن أو هنا بمعنى الواو أى من أجر وغنيمة ، من أجر في الآخرة وغنيمة في الدنيا .

يعني أو هنا مانعة الخلو لا مانعة الجمع ، وهذا الكلام يشبه قول النحويين إن أو تأتي للتخيير أو للإباحة ، والفرق بينهما أن التخيير يمتنع فيه الجمع بين المخير فيه وفيه والإباحة يجوز فيه الجمع ، فإذا قلت تزوج هند أو أختها ، فهذا تخيير وإذا قلت كل خبزاً أو أرزاً مثلاً هذا إباحة ، ويمكن أن نجمع بينهما ، إذا من أجر أو غنيمة يعني إما أجر وحده أو غنيمة وحدها أو هما جميعاً ، لكن الغنيمة وحدها يشكل عليها ما ذكرنا .

حدثنا محمد ابن كثير قال حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه "قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل رياء فأى ذلك في سبيل الله؟ قال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله" .

الشاهد من هذا قوله "لتكون كلمة الله هي العليا" فأثبت الله كلمة ، وكلماته عز وجل كونه شرعية .

فالكونية هي المتعلقة بالخلق والتكوين ، والشرعية هي المتعلقة بالتكليف أى ما جاءت به الرسل ، هذه كلمات شرعية كالقرآن ، وكلمات كونية ما يتعلق بالخلق والتكوين وهي مثل قوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فقوله ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ هذه كلمات كونية ، وقوله ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ هذه شرعية .

باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾

قوله ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ لا يخفى ما في هذا التعبير من التعظيم والعظمة والسلطان ، لأن الله سبحانه وتعالى لا يرد شئ ، إذا أراد شيئاً فلا مانع له ولهذا عظم نفسه قال إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ، يعني كن على مرادنا فيكون على مراد الله عز وجل ، والشاهد في هذا إثبات القول لله عز وجل ، والله سبحانه وتعالى يقول ويتكلم كما جاء في القرآن الكريم .

حدثنا شهاب ابن عباد قال حدثنا إبراهيم ابن حميد عن اسماعيل عن قيس عن المغيرة ابن شعبة رضى الله تعالى عنه "قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال من أمتي قوماً ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر الله"

حدثنا الحميدي قال حدثنا الوليد ابن مسلم قال حدثنا ابن جابر قال حدثني عمير ابن هانئ أنه سمع معاوية رضى الله تعالى عنه "قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من كذبهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ، فقال مالك ابن يخامر سمعت معاذ يقول وهم بالشام فقال معاوية هذا مالك يزعم أنه سمع معاذاً يقول وهم بالشام"

هاذان الحديثان فيهما الشاهد من الباب قوله "حتى يأتي أمر الله" المراد بأمر الله هنا الأمر الكوني يعني أمر الله تعالى بموتهم وهلاكهم وفي حديث آخر حتى تقوم الساعة والجمع بينهما أن يقال إما أن يراد بالساعة الساعة العامة التي تقوم على جميع الخلق ويكون معنى قوله "حتى تقوم الساعة" أى حتى يقرب قيامها ، وذلك لأن قيام الساعة لا يكون إلا على شرار الخلق ، لا تقوم الساعة وعلى الأرض من يقول الله الله ، وإما أن يراد بالساعة أى ساعتهم وهو موتهم لأن من سات فقد قامت قيامته ، ولهذا يقال القيامة قيامتان ، قيامة صغرى وهى قيامة كل إنسان بحسبه ، وقيامة كبرى وهى القيامة العامة وفي قوله صلى الله عليه وسلم "لا يضرهم من خذلهم" من كذبهم ولا من خالفهم بشرى لهذه الطائفة أن الله سبحانه وتعالى سينصرها وأنه سيكون لها من يقاوم ويكون لها من يكذب ويكون لها من يخالف ولكن يثبتون على ما هم عليه ويقومون بأمر الله واللفظ الأول يقول "ظاهرين على الناس" أى عالين عليهم ، وهل العلو علو السلطة وأنهم يكونون هم الخلفاء عليهم ، أو المراد علو القول بمعنى أن الناس يحاولون إضلالهم ولكنهم يقون ظاهرين قائمين وهذا أولى لأنه قد لا يكون لهم السلطان بل يكون به الناس ، لكنهم ظاهرون لا يضرهم من خالفهم ولا من كذبهم وهم قائمون بأمر الله عز وجل ، أما قوله وهم بالشام فهذه تحتاج إلى تحرير لأن رواية معاوية ليس فيها ذكر الشام ولكن مالك يقول عن معاذ رضى الله عنه أنه سمعه يقول وهم بالشام ، فينظر هل هذه الكلمة مقوفة على معاذ أو مرفوعة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم .

حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن عبد الله ابن أبي حسين قال حدثنا نافع ابن جبير "عن ابن عباس رضى الله قال: وقف النبي صلى الله عليه وسلم على مسيلمة في أصحابه فقال: لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتها ولن تعدوا أمر الله فيك ، ولئن أدبرت ليعقرنك الله"

كلام قوى لأنه كلام حق أمام مبطل ، مسيلمة الكذاب ويقال كذاب اليمامة كان ذا شرف في قومه وذا سلطان حتى إنهم يطلقون عليه رحمن اليمامة ولما أخذ هذا الاسم من أسماء الله أذاقه الله الذل ، فأذله

وكذبه عز وجل ، ادعى الرسالة فى آخر حياة النبی صلى الله عليه وسلم ، وتبعه فقام من الناس من أقواله ،
 ووفد إلى النبی صلى الله عليه وسلم في نحو سبعين رجلاً من أصحابه وأتى إليه النبی صلى الله عليه وسلم
 ووقف عليه وخاطبه مسيلمه وقال أقر لي بالرسالة ولك الحجاز وما حوله ولي اليمامة وما يتبعها ، وكان مع
 النبی صلى الله عليه وسلم قطعة من جريد فقال له لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها ، كيف أعطيتك
 اليمامة ولم تعدو أمر الله فيك هذا هو الشاهد أمر الله فيك أى أمره بهلاكك وهو الأمر الكوني "ولئن
 أدبرت ليعقرنك الله" ولكن الرجل أدبر فعقره الله والله الحمد ، قتل في عهد أبي بكر رضى الله عنه في
 يمامته في حصنه قتل الصحابة رضى الله عنهم وتبين بذلك كذبه ، وقد أعطاه الله تعالى آيات لكنها تدل على
 كذبه لا على صدقه حدثناكم بها سابقاً وذكره المؤرخون ، أنه أتى إليه بصبي في شعره تمزق خالف بعضه
 فطلب منه أن يمسح على الرأس ليخرج بقية الشعر فمسح عليه فأراه الله آية تدل على كذبه وهى تساقط
 الشعر الباقي ، كانوا يريدون أن يخرج الشعر التالف ولكن الأمر كان بالعكس والقصة الثانية قريبة من هذا
 أيضاً جاء أصحاب بئر وقالوا إن البئر نقصت وطلبوا منه أن يفعل كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم في
 بئر الحديبية حيث نزل على بئر غائرة الماء فأخذ ماءً فتمضمض وبخه فيها فطاشت البئر بالماء وروى الناس ،
 فجئ بهذا الكذاب وطلب منه أن يفعل كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم فأخذ ماءً في فمه فتمضمض
 به ثم بخره في البئر فغار الماء الموجود وهذه شهادة فعلية من الله على كذبه لأن فعل الله عز وجل الذي يكون
 شهادة إما أن يكون تأييداً وهو شهادة من الله على الصدق ، أو تنفيداً وهو شهادة من الله على الكذب .

الشاهد من هذا الحديث قوله "ولن تعدو أمر الله فيك" وهذا هو الذي وقع فإن هذا الرجل الكذاب
 لم يعدو أمر الله فيه وأهلكه الله على يد أصحاب النبی صلى الله عليه وسلم ، وفي هذا دليل على أن أفعال
 الله سبحانه وتعالى لا تنحصر بشئ معين وأن كل ما صح أن يضاف إلى الله وإن لم يرد به نصاً فهو جائز ،
 وهنا قال "ليعقرنك الله" فأثبت الله العقر ولا شك أن المراد إذا عقره أى عقر إهلاك كما قال تعالى
 ﴿فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذمهم فسواها ولا يخاف عقباها﴾ .

حدثنا موسى ابن اسماعيل عن عبد الواحد عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة "عن ابن مسعود
 قال بينا أنا أمشي مع النبی صلى الله عليه وسلم في بعض حرث المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه
 فمررنا على نفر من اليهود ، فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح فقال بعضهم لا تسألوه أن يجيئ فيه
 بشئ تكرهونه فقال بعضهم لنسأله فقام إليه رجل منهم فقال يا أبا القاسم: ما الروح؟ فسكت عنه النبی
 صلى الله عليه وسلم ، فعلمت أنه يوحى إليه فقال: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما
 أوتوا من العلم إلا قليلاً﴾ قال الأعمش هكذا في قراءتنا .

الشاهد من هذا قوله ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ أى من أمره الكوني ، فهو سبحانه وتعالى يخلق ما
 يشاء ، كما قال تعالى ﴿وربك يخلق ما يشاء﴾ يخلق ما يشاء من أى مادة شاء وعلى أى صفة شاء ، لأن
 الأمر كله لله قل إن الأمر كله لله ، فهو يخلق ما يشاء ، وفي هذا دليل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم
 لا يتكلم بما لا يعلم ، وأن الأمور الغيبية يسكت عنها ، حتى ينزل عليه وحى ، أما الأمور الحكيمة فإنها

يتكلم فيها ثم إذا لم ينزل وحى بنقضها صار بمنزلة الموحى ، فيكون وحى إقرار من الله عز وجل وإن نزل ما-
يخص ما قاله أو يقيده أو ما أشبه ذلك عمل به ، وقوله "هكذا في قراءتنا" لكن القراءة هذه ليست سبعية ،
قراءة ابن مسعود رضى الله عنه ، وبعد أن وحد عثمان رضى الله عنه المصحف صارت القراءة وما أوتيت
من العلم إلا قليلا .

باب قول الله تعالى ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي
ولو جئنا بمثله مديدا﴾ ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر عده من نعه سبعة أبحر ما نفدت
كلمات الله﴾ ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي
الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب
العالمين﴾ سخر: ذلل .

هذه الترجمة في عدة مسائل ولكنها كلها تعود إلى كلمات الله عز وجل ، هل كلمات الله محصورة؟
هل أفعال الله وخلقه محصور؟ لا ، وهو كل ما خلق شيئا قال له كن فيكون ، فكل شيء مخلوق فإنه مسبوق
بكلمة كن ، إذا لا حصر في كلماته ، ولهذا قال الله تعالى مينا ذلك ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات
ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مديدا﴾ لو كان البحر حيرا ، المدد الحير الذي
يكتب به ، لو كان مدادا لكلمات الله لنفد قبل أن تنفذ كلمات الله ، لأنها لا تحصى كما لا تحصى أفعاله
لا تحصى أقواله عز وجل ﴿لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مديدا﴾ لو جئنا بمثله مددا له
لنفد قبل أن تنفذ كلمات الله وقوله تعالى ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ (ما) في قوله ولو أن ما
إسم أن (ما) إسم أن في محل نصب وأقلام خير أن وتقدير الآية في المعنى لو كان ما في الأرض من الأشجار
أقلاما ، يعني لو جعلت كل الأشجار أقلاما والبحر عده من بعده سبعة أبحر تكون الجميع ثمانية أبحر على هذا
البحر العظيم وكل ما في الأرض أقلام وكتب بها يقول عز وجل ما نفدت كلمات ربي ، إذا تأمل الإنسان
هذه الآية عرف عظمة الله عز وجل ، وأنه كما وصف نفسه واصف في كل صفاته وفي كل أفعاله لا يمكن
أن تحصى أبدا .

ثم ساق المؤلف آية ثالثة ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على
العرش﴾ وسبق الكلام على هذا كله أن الله خلقها في ستة أيام الأربعة الأولى للأرض واليومان المتمان
للسنة أيام للسماء ، ثم استوى على العرش أى بعد أن كمل الملك استقر وعلا عز وجل على عرشه لكمال
عظمته وسلطانه ، وقوله ﴿يغشى الليل النهار﴾ يغشى أى يغطي الليل بالنهار والنهار بالليل ، يطلبه حثيثا أى
سريعا فلا فاصل بينهما ، ولذلك نرى أن الليل يبين في الأفق قبل أن تغيب الشمس ، تجد سواد الليل في الأفق
الشرقي وأنت تشاهد الشمس لم تقرب كأنه يسابقه ويلاحقه لا يتأخر وتعاقب الليل والنهار من آيات الله
عز وجل التي لا يستطيع البشر أن يقوموا بها ، يقول تعالى ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى
يوم القيامة من لغير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون ، قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى
يوم القيامة من لغير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون﴾ فالليل والنهار يتعاقبان يطلب كل

واحد منهما الآخر حثيثاً والشمس والقمر هذه معطوفة على قوله السموات ، يعنى وخلق الشمس والقمر^{٤٥} ، وذكر الشمس بأنها آية النهار والقمر لأنه آية الليل ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة﴾ والنجوم يعنى وخلق النجوم مسخرات بأمره ، مسخرات حال من النجوم ، وقوله مسخرات أى مذلات بأمره ، أمره الكوني أم الشرعي؟ الكوني ، أمرها عز وجل أن تكون على ما أراد فكانت على ما أراد وقوله ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ ألا أداة استفتاح يؤتى بها للتنبيه والتحقيق ، وقوله له الخلق جملة مكونة من مبتدأ وخبر قدم فيها الخبر للاختصاص ، يعنى ألا له وحده الخلق والأمر ، فهو الخالق وحده وهو الأمر وحده فهو ذو السلطان وحده قال ابن عمر من كان له شئ فليدعه مدام الخلق والأمر لله ، كل شئ لله عز وجل ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العلمين﴾ تبارك قال العلماء أى أن البركة تكون باسمه عز وجل وذكره ، ولهذا تجدون الإنسان إذا سمى على الذبيحة حلت ، وإذا لم يسم عليها لم تحل ، هذه من البركة إذا سميت الله على الطعام نزلت فيه البركة وعجز الشيطان أن يتناول منه ، وإذا لم تنسم نزل فيه الفشل وشارك الشيطان فيه ، إذا سميت عند آتيان الأهل نزلت البركة ولم يصب الشيطان ما يقدر بينكما بضرر ، وإذا لم تفعل فإنه على خطر ، فهو عز وجل تنال البركة بذكر اسمه ، وقوله ﴿تبارك الله﴾ هى الخير الثابت الواسع وأصلها من البركة وهى حوض الماء الكثير الذى يجتمع فيه الماء وقوله ﴿رب العالمين﴾ العالم كل من سوى الله عز وجل ، فهو عالم وجمع بإعتبار الأجناس ويفرد بإعتبار الجنس فيقال العالم كله ويقال العالمون والعالمين بإعتبار الأجناس ومعنى كونه ربهم أنه الخالق لهم المالك لهم المدبر لأموالهم ، لأن هذا هو معنى الربوبية .

الشاهد في هذه الآية قوله تعالى ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ لأن الأمر لا يكون إلا بالكلمات ، ومذهب أهل السنة والجماعة في كلام الله عز وجل أنه صفة من صفاته ذاتية بإعتبار صفة فعلية بإعتبار:-
أما كونها ذاتية بإعتبار فهو بإعتبار أنه ام يزل ولا يزال متكلماً تكون الصفة بهذا الإعتبار ذاتية ملازمة للذات ، لم يأت عليه وقت يكون غير متكلم بل هو متكلم دائماً دوام الفعل ودوام الخلق ، ويكون صفة فعل بإعتبار آحاده التي تكون عند فعل مراده أو عند نزول شرعه تكون عند فعل مراده إذا أراد أن يخلق شيئاً قال له كن أو عند نزول شرعه إذا أراد عز وجل أن ينزل ما شاء من الشرع تكلم به ، إذا تكلم الله بلا وحى إحتجبت السماء وصعقت الملائكة ، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ، وهو بحرف وبصوت ودليل ذلك أن كل الكلمات التي يطلق الله عليها كلمات هى بالحرف ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ هذه الجمل حروف ﴿وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس﴾ هذه أيضاً حروف ويكون كذلك بصوت لأنه يسمع سمعه جبريل وسمعه محمد صلى الله عليه وسلم وسمعه موسى قال الله تعالى ﴿ونادينا من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً﴾ والنداء يكون بصوت عالي والناجاة تكون بصوت أخف والمناداة والمناجاة وصف للصوت ، وثبت في الصحيحين "أن الله تعالى يقول يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار فيقول يا رب ما بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون ألف إلا واحد" كلهم في النار من بنى آدم نسأل

الله أن ينحينا وإياكم منهم ، فهذا صريح في أنه عز وجل ينادي بصوت وهو مذهب أهل السنة والجماعة -
وقالت الأشاعرة إن كلام الله تعالى هو المعنى النفسي أى الذي في نفسه وهو غير مسموع وليس بحرف
وليس بصوت ومن زعم أنه بحرف وصوت فإنه بحسب مشبه ضال .

فهذا صريح في أنه عز وجل ينادي بصوت وهو مذهب أهل السنة والجماعة وقالت الأشاعرة إن
كلام الله تعالى هو المعنى النفسي أى المعنى الذي في نفسه وهو غير مسموع وليس بحرف وليس بصوت ومن
زعم أنه بحرف وصوت فإنه مشبه ضال إذا كيف سمع موسى كلام الله ؟ وأنتم تقولون إنه صفة نفسية أزلية
وكيف سمع محمد صلى الله عليه وسلم كلام ربه وهو يفرض عليه الصلوات الخمس فوق السموات السبع
كيف ذلك؟ قالوا خلق صوتاً سمعه موسى إما من الشجرة أو من الوادي أو من أى شئ المهم أنه خلق صوتاً
سمعه موسى وخلق صوتاً سمعه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فيكون الصوت المسموع الذي يلقى إلى
جبريل أو إلى موسى أو إلى محمد أو إلى غيرهم ممن كلمهم الله يكون مخلوقاً ، هل هذا الصوت المخلوق هو
كلام الله؟ قالوا لا عبارة عن كلام الله ، أما كلام الله فهو معناه قائم بالنفس وبهذا التقدير يبين تماماً أن
مذهبهم فيما يسمعون كمذهب الجهمية تماماً لأن الجهمية يقولون ما سمعه موسى أو محمد صلى الله عليه وسلم
أو جبريل فإنه مخلوق ، هؤلاء يقولون أيضاً ما سمعه محمد أو موسى أو جبريل فإنه مخلوق ، فاتفق الجميع على
أنه مخلوق ، لكن كان المعتزلة أقواماً منهم حيث قالوا إنه كلام الله وهؤلاء قالوا إنه عبارة عن كلام الله ،
فالجميع على هذا متفقون على أن ما في المصحف مخلوق لكن الجهمية قالوا مخلوق تماماً وهو نفس الكلام ،
وهم قالوا مخلوق عبارة عن كلام الله وليس هو كلام الله ، فبين أن قول الجهمية أفسد من قول الأشاعرة
وأن هذا القول لا صحة له لغته ولا عرفاً ولا شرعاً والعجب أن الأشاعرة تركوا جميع لغات العلم وجميع
عقول العلم وجميع المحسوس لدى العالم واستدلوا بقول رجل نصراني هو الأخطل حيث قال:-

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً :

فقالوا إنه قال الكلام في الفؤاد أى في القلب وهذا هو معنى قولنا الكلام هو كلام النفس واللسان دليل يعبر
فيقال:- أولاً:- كيف نترك العالم كله ونأخذ بقول واحد . ثانياً:- من القائل؟ نصراني كذاب .
ثالثاً:- على فرض التسليم لهذا نقول إن المراد بقوله إن الكلام لفي الفؤاد ، الكلام الرصين الذي يرى الإنسان
أن نفسه محاسبة عليه هو الكلام الذي في الفؤاد .

أما الكلام اللغو فهذا في اللسان ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿لَا يُؤْخَذُكُمْ بِاللُّغُو فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ
يُؤْخَذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ والآية الأخرى ﴿لَا يُؤْخَذُكُمْ بِاللُّغُو فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُمْ بِمَا
كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ فالكلام الحقيقي الموزون الرصين الذي يستحق أن يسمى كلاماً هو الصادر من القلب
المعبر عنه باللسان ، أما ما كان من اللسان فقط فهو لغو من القول ولهذا لا يؤخذ الله عليه ، هذا إذا سلمنا
جدل أن لهذا الكلام وجهاً من الصحة ، فالآن نأخذ هذه الطرق الثلاثة في كلام الله:-

مذهب السلف ومذهب الأشاعرة ومذهب الجهمية ، هناك مذاهب أخرى تصل إلى ثمانية مذاهب
بعضها قد يمكن أن يجعله فرعاً من فروع هذه الأصول الثلاثة وبعضها من الفلاسفة الذين لا يؤمنون

بالرسالات ، ولكتنا نقول إن الذي يشهد له الحس واللغة هو أن الكلام ما كان بحرف وصوت ، فإن قال -
 قائل إن الله قد أطلق على القول ما كان في النفس فقال تعالى ﴿ويقولون في أنفسهم﴾ فأثبت قولاً في النفس
 نقول إن هذا حجة عليكم وليس حجة لكم لأن هذا ليس قولاً مطلقاً بل هو قول مقيد وهذا كقول الرسول
 صلى الله عليه وسلم "إن الله تجاوز عن أمي ما حدثت به نفسها" الإنسان يحدث نفسه لا شك ويقول في
 نفسه ويقدر في نفسه ، لكن لا يقال إنه قول على وجه الإطلاق أبداً بل لابد أن يكون مقيداً وأحياناً نرى
 بعض الناس تشاهده أمامك ، ما معناه يتكلم على نفسه تشعر أنه يتحدث بنفسه حديثاً واضحاً ، لكن هل
 تسمع له قولاً؟ لا تسمع له قولاً ، هل يقال إن هذا الرجل قال؟ إن أردت أن تقول أنه قال فقل قال في نفسه
 فهو قول مقيد وليس قولاً مطلقاً.

الدرس الخامس والعشرون:-

حدثنا عبد الله ابن يوسف أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج "عن أبي هريرة أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال: تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا الجهاد في سبيله وتصديق
 كلمته أن يدخله الجنة أو يرده إلى مسكنه بما نال من أجر أو غنيمة"
 هذا الحديث تقدم الكلام عليه وبيننا فيه اشكال في قوله "من أجر أو غنيمة" وقلنا أن أو هنا مانعة
 خلو بمعنى أنه يمكن أن يجتمع الأجر والغنيمة أو ينفرد بالأجر وحده وأما انفراد الغنيمة وحدها في رجل جاهد
 في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا فهذا لا يمكن.

باب في المشيئة والإرادة وقول الله تعالى ﴿تؤتي الملك من تشاء - وما تشاءون إلا أن يشاء الله -
 ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله - إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من
 يشاء﴾

قال سعيد ابن المسيب عن أبيه نزلت في أبي طالب ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾

هذا الباب باب مهم المشيئة والإرادة مشيئة الله وإرادة الله والبحث فيهما من وجوه:-

الأول:- هل هما مترادفتان أو متباينتان؟ يعني هل المشيئة هي الإرادة أو غير الإرادة؟ نقول المشيئة معناً من
 معاني الإرادة ليست مرادفة للإرادة أي أن الإرادة تأتي بمعنى المشيئة والمشيئة ما شاء الله كان ولا بد وقد
 أجمع المسلمون على هذه الكلمة ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، فما شاء الله عز وجل كان سواء
 كان مما يحبه الله أو مما لا يحبه الله وسواء كان مما يلائم طبائع البشر كسعة الرزق أو مما لا يلائم طبائعهم
 كضيق الرزق فالمشيئة عامة في كل شيء قال الله تعالى ﴿ولو شاء الله ما اقتل الذين من بعدهم من بعد ما
 جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا﴾ ومعلوم أن الاقتال
 بالنسبة للبشر لا يلائم طبائعهم وقال الله تعالى ﴿ولو شاء ربك ما فعلوه﴾ ﴿ولو شاء الله ما فعلوه﴾ من
 منكراتهم وهذا مما يكرهه الله.

إذاً للمشيئة لا ترادف الإرادة بل هي بعض من معانيها كما سيأتي في الإرادة فهي عامة في كل شيء
 وما شاء الله كان لا بد من وقوعه ولا يمكن أن يمنعه أحد سواء كان الذي أشاء مما يحبه كالإيمان والعمل

الصالح أو مما لا يحبه كالكفر وعمل السيئات وسواء كان الذي شاءه مما يلائم طبيعة البشر كسعة الرزق أو -
مما لا يلائم طبيعة البشر كضييق الرزق.

البحث الثاني:- هل مشيئة الله شاملة لفعله وفعل العباد؟ أو هي خاصة بفعله؟ والجواب أن أهل السنة والجماعة يقولون إنها عامة فيما يتعلق بفعله وفيما يتعلق بفعل العباد ، فيما يتعلق بفعله كإنزال المطر وإخراج النبات وإماتة الأحياء وإحياء الأموات وما أشبهها وكذلك بفعل العباد كصلاح العبد وفساد العبد قال الله تعالى ﴿لَمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ففعل الإنسان بمشيئة الله إذا فمشيئة الله شاملة لما يقوم به جل وعلا ولما يقوم به العباد والدليل على هذا قوله تعالى ﴿لَمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ وقوله ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وفائدة الإيمان أعني إيمان العبد بأن فعله واقع بمشيئة الله فائدته عظيمة وهو أنه يوجب اللجوء إلى الله في إصلاح العمل واجتناب الفساد لأنك إذا علمت أن ما شاء الله كان وأنه إذا شاء الله أن تهتدي إهتديت فإنك سوف تضطر إلى طلب الهداية ممن بيده الهداية من الله .

ثانياً:- من فوائد ذلك أنك إذا حصلت لك نعمة أو فعلت عملاً صالحاً فإنك لا تنسبها إلى نفسك ولا تدل بها على ربك لأن الذي جلب لك النعمة ويسر لك العمل الصالح هو الله إذا تضرع من حولك وقوتك إلى مشيئة الله عز وجل وتعلم أنه هو الذي قدر لك هذا وهو الذي شاء لك هذا وهاتان فائدتان عظيمتان:-

الفائدة الأولى:- اللجوء إلى الله عز وجل والتعلق به سبحانه وتعالى .

الفائدة الثانية:- ألا تعجب بنفسك ولا تدل بعملك على الله عز وجل .

أما الإرادة فهي تنقسم إلى قسمين:- إرادة كونية تتعلق بالخلق والتكوين ، وإرادة شرعية تتعلق بالحكم بين الناس والشرع . أما الأولى فهي بمعنى المشيئة تماماً ولهذا قال تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ أى ما يريد بالإرادة الكونية ، فالإرادة الكونية مرادفة للمشيئة تماماً ، أراد الله كذا شاء الله كذا معناه واحد ، إذا الإرادة الكونية تتعلق بما أراده الله سواء كان هذا المراد محبوباً إلى الله أو مكروهاً إليه وسواء كان هذا المراد مما يلائم طبيعة البشر أو مما لا يلائم طبيعتهم ، فإذا قال قائل هل أراد الله المعاصي في الإرادة الكونية؟ نقول نعم ، كما أنه إذا قال هل شاءها الله؟ نقول نعم ، إذا الإرادة الكونية بمعنى المشيئة تماماً ، أما الإرادة الشرعية التي تتعلق بما شرعه فإنها بمعنى المحبة فتعلق بما يحبه الله عز وجل سواء وقع أم لم يقع وعلى هذا فالإيمان والعمل الصالح من مراد الله شرعاً والكفر وعمل السيئات ليس مراداً لله شرعاً لأن الله لا يحبه .

فصار هناك فرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية ، فإذا قال قائل هل المعاصي مرادة لله؟ قلنا أما قدرأ فنعم وأما شرعاً فلا ، فإذا قال قائل إذا كانت المعاصي غير مرادة لله شرعاً فكيف يريد بها قدرأ؟ وهل أحد أجبره على أن يريد ما لا يحب وما لا يرضى؟ قلنا ما يكرهه الله عز وجل إذا أراده فهو مراد لغيره وليس مراداً لذاته ، فالأعمال السيئة والكفر مراد لله شرعاً لغيره لا لذاته ، ويكره الكفر ويكره المعاصي لكنه يريد بها

لما يترتب عليها من المصالح فهي مكروهة إليه من وجه ومحبوبة إليه من وجه آخر ، لأنه لولا الكفر والمعاصي - ما عرف الإيمان ولا عرف العمل الصالح ، لو كان الناس كلهم مؤمنين وكلهم يعمل العمل الصالح ما حصل تمييز ولا عرف قدر الإيمان والعمل الصالح ولهذا يقولون بضدها تبين الأشياء ، لولا الكفر هل يقوم الجهاد؟ لا ، لولا المعاصي هل يكون هناك أمر بالمعروف أو نهى عن المنكر؟ لا ، لولا ذلك هل يكون دعوة إلى الخير؟ لا ، لأن الناس كلهم على خير ، فيفوت مصالح كثيرة إذا لم تقع هذه المعاصي التي يكوها الله شرعاً ويريدها قدرأً وكوناً .

ولهذا قال الله تعالى في الحديث القدسي "ما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وأكره إسأته ولبد له منه" فهنا الرب عز وجل يتردد لا لجهله بما ينفع أو يضر هو يعلم بذلك لكن لرحمته لعبده المؤمن ومحبتة لما يحبه عبده المؤمن يكره المؤمن الموت والله يكره إسأته لكن لابد له منه ، الحكمة تقتضي أن يموت حتى ينتقل إلى الجزاء والثواب والنعيم الذي هو أضعاف أضعاف ما في الدنيا فالؤمن يكره الموت لكن ينتقل إلى خير من حياته لقوله تعالى ﴿لَبِئْسَ تَوَكُّلاً عَلَى اللَّهِ﴾ والآخر خير وأبقى ﴿فهي كراهة موقته ينتقل بعدها الإنسان إلى نعيم أنعم بما في الدنيا وما فيها ، فالحاصل أن نقول إن المعاصي مكروهة لله من وجه لكنها محبوبة إليه من وجه لما يترتب عليها من المصالح ، الجذب وهو أن الأرض لا تنبت ، والقحط وهو أن السماء لا تمطر ، والخوف وما أشبه ذلك هل الله يحب ذلك لعباده؟ لا ، لكنه يريد عز وجل كوناً لما يترتب عليه من المصالح فهو محبوب إليه من وجه ومكروه إليه من وجه آخر ولكن المصالح العظيمة تجعله محبوباً إلى الله عز وجل ، يقول تعالى ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾ ﴿ولنبليوكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾ هذا ليس عقوبة هذا ابتلاء ، ظهور الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدينا هذا عقوبة لئلا يرجع إلى الله لكن الذي في سورة البقرة ابتلاء قد يتلبي الله المؤمن وهو لم يعمل عملاً شيئاً يخطئ ويرجع إلى الله بالتوبة لكن يتلبي الله من أجل أن ينال درجة الصابرين ولهذا قال ﴿وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ الحاصل أنما يقع من المعاصي مراد الله كوناً غير مراد له شرعاً لكن الله قدره لما يترتب عليه من المصالح ، ونظير ذلك في الشيء المحسوس لو كان لك ولد مريض فقال الأطباء إنه لابد من كيه بالنار فإنك توافق على هذا وتمسك بولدك ليكويه الطبيب ، أنت الآن كاره هذا الشيء تكره أن يكرى ولدك بالنار لكن تحبه لما يترتب عليه من المصالح ، يشق بطن ابنك أمامك لاستخراج الزائدة منه أو أى عضو مريض يشق بطنه أمامك وترى أمعاءه أمامك ، هل أنت تحب ذلك؟ لا ، لكن نظراً لما يترتب عليه من المصالح أحبه ، فصار هذا محبوباً مكروهاً ، كذلك السيئات والكفر هو محبوب مكروه ، فما يترتب عليه من المصالح العظيمة يريد الله عز وجل لهذا لا لأنه يحبه .

فإذا قال قائل ما الفرق بين الإرادتين الكونية والشرعية؟ فالجواب أن الفرق بينهما من وجهين:-

الوجه الأول:- الإرادة الكونية لبد فيها من وقوع المراد ، فإذا أراد الله شيئاً كوناً وقع ولا بد ، **والإرادة** الشرعية لا يلزم منها وقوع المراد يعني قد يقع وقد لا يقع ، مثال ذلك الإيمان مراد الله شرعاً فهل يلزم من كونه مراداً لله شرعاً أن يؤمن الناس؟ لا ، ولهذا فالناس كافر ومؤمن ، أما الإرادة الكونية فلا بد من وقوع المراد لأنها بمنزلة المشيئة وما شاء الله كان .

الوجه الثاني:- أن الإرادة الشرعية لا تكون إلا فيما يحبه الله ، والإرادة الكونية تكون فيما يحبه وفيما يكرهه ، فالمعاصي الواقعة من الإنسان مرادة لله كوناً لأنها وقعت ، غير مرادة لله شرعاً لأنه لا يحبها .

قول الله تبارك وتعالى ﴿وَلَكِنْ يَرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ من أى الإرادتين؟ الشرعية لأن من الناس من لم يتطهر وقوله تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ إرادة شرعية وقوله تعالى ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ إرادة شرعية ، لأن الجرج كوناً يقع كأن الإنسان يقع في حرج وضيق وشدة لكن هذا كوناً أما شرعاً فإن الله لا يريد منا أن يجعل علينا حرجاً ، وقوله تعالى ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ﴾ إرادة كونية ، الله تعالى لا يريد إغواء الخلق لو أراد أن يغوى الخلق ما أرسل إليهم الرسل ولا أنزل عليهم الكتب ، جعلهم يعمهون في ضلالهم لكن يحب من عباده الهداية ، أما الإغواء فلا فقوله ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ هذه الإرادة كونية ، الآن نطبقها على الواقع ، ما تقولون في إيمان أبو رضى الله عنه؟ كوناً لأنه وقع وشرعاً لأن الله يحبه ، ما تقول في كفر أبا طالب؟ مراد كوناً لا شرعاً .

وقوله تعالى ﴿تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ﴾ الشاهد في هذه الآية قوله من تشاء وتزعم الملك من تشاء وتعز من تشاء وتزل من تشاء ، الله تعالى يؤتي الملك من يشاء ولكن هل إتيانه الملك من يشاء بمجرد المشيئة بل هل فعله من يشاء بمجرد المشيئة؟ ذهب بعض العلماء إلى أن فعل اللع عز وجل ما يشاء بمجرد المشيئة أى يشاء الوجود أو العدم بدون مرجح ولكن بمجرد المشيئة لأنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فله أن يشاء بدون مرجح ولكن هذا القول قول ضعيف بل باطل لأنه يستلزم إنتفاء حكمة الله في فعله هذا من جهة الدليل العقلي ، الدليل السمعي قوله تعالى ﴿وَمَا تَشَاوُنْ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ فختم هذا بقوله إن الله عليمٌ حكيمٌ يدل على أن مشيئته تابعة لحكمته وعلى هذا فقيده بذلك كل آية فيها إطباق المشيئة. قيدها بالحكمة فقوله ﴿تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ﴾ ليس بمجرد مشيئة أنه يؤتي هذا الملك ، لا ولكن يؤتيه لأن حكمته إقتضت أن يأخذ الملك كذلك قوله ﴿تَزْعُ الْمَلِكُ مِنْ تَشَاءُ﴾ نزع الملك ممن يشاء إما بحوته أو بأن يغلب أو بأن يفسد تدبيره أو ما أشبه ذلك اللهم أنه يتزع الملك ممن يشاء لحكمة أو لغير حكمة؟ لحكمة إذا المشيئة لا بد أن تكون مقرونة بالحكمة ، والله عز وجل ليس يفعل الشيء بدون مرجح إطلاقاً وإذا كان تصرف الواحد منا بالشيء وترجيحه بأحد الأمرين بدون مرجح يعد سفهاً فما بالك بفعل اللع عز وجل ، الذي فعله في غاية الحكمة وأما قوله تعالى ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ فالمعنى أن له الملك التام وأن فعله على أتم وجه هذا يتوجه إليه سؤال لأنه على أتم وجه أما أفعالنا فإنها ناقصة لا نسأل عنها فالله لا يسأل

عما يفعل لتتمام سلطانه وكمال فعله وأنه تام لا يحتاج أن نسأل عنه ثم إنه يجوز أن تسأل عن فعل الله -
إستشاداً وطلباً للحكمة لا إعتراضاً.

ثم قال البخاري رحمه الله: - بل ساق الآية الثانية ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾
الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام لأن قريشاً سألوه فقال أخبركم غداً إعتماً على نزول الوحي وكان
الرسول عليه الصلاة والسلام يسأل فيأتيه الوحي في الحال كما مر علينا في سؤال اليهود له عن الروح فيأتيه
على العسير ونزل عليه الوحي فقال لهم أخبركم غداً ولم يقل إن شاء الله فبقى الوحي خمسة عشرة يوماً لم
ينزل عليه شيء فضايق النبي صلى الله عليه وسلم ولكن تأخر الوحي فيه مصالح عظيمة منها أن يعرف
الإنسان قدر نفسه وأن الأمر بيد الله ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم صادق فيما ينزل عليه من الوحي
لأنه لو كان كاذباً لأفتعل ما يفتعل وأتى به في الوقت الذي حدده لكن لما بقي حتى نزل عليه الوحي دل
ذلك على صدقه.

ثالثاً:- أن يشتد اشتياق النبي صلى الله عليه وسلم إلى الوحي وترقبه له إلى غير ذلك من المصالح ، فقال ﴿ولا
تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً﴾ إني فاعل ، إنبه لكلمة فاعل ، فاعل أى موقن للفعل إلا مقروناً بمشيئة
الله لأجل أن تفوض الأمر إليه لأنك لا تدري ما بعدد لك وكم من إنسان قال إني فاعل ذلك غداً ولكن
يوجد موانع تمنعه من فعله فإذا قال إن شاء الله وفوض الأمر إلى الله تيسر له الأمر وما قصة سليمان بخافية
عليكم حين قال والله لأطوفن الليلة على تسعين امرأة تلد كل واحدة منهن غلاماً يجاهد في سبيل الله فقبل له
قل إن شاء الله فلم يقل إعتماً على ما في نفسه من العزيمة فطاف على تسعين امرأة فلم تلد إلا واحدة منهن
شق إنسان ليس إنساناً كاملاً ليريه الله عز وجل أن الأمر أمره وأنت لا تتألى على الله كل الأمر إليه قال النبي
صلى الله عليه وسلم لو قال إن شاء الله لكان دركاً لحاجته ولقاتلوا في سبيل الله لو قال إن شاء الله لولدت
كل واحدة غلاماً يجاهد في سبيل الله فهنا يقول له الرسول عليه الصلاة والسلام لا تقولن لشيء إني فاعل
ذلك غداً إلا أن يشاء الله ولكن هنا سؤال هل يجوز أن تخبر عما في نفسك من العزيمة دون أن تريد أنك
ستفعل يعني تخبر عما في نفسك من العزيمة غير مقونة بالمشيئة دون أن تريد إيقاع الفعل ، الجواب نعم ،
وذلك لأن إخبارك عما في نفسك من العزيمة إخبار عن شيء حاضر لا شيء مستقبل مثال ذلك أن تقول
لصاحبك سأسافر غداً إلى الرياض مثلاً إن أردت أنك ستسافر بالفعل فهذا لا بد أن تقرنه بالمشيئة وإن أردت
الإخبار عما في قلبك من العزيمة فهذا إخبار عن شيء حاضر لا شيء مستقبل فلا حرج عليك إذا لم تقرنه
بالمشيئة وهذا فرق دقيق قد يخفى على كثير من الناس الفرق عن الإخبار عما في القلب من العزيمة وبين
الإخبار عن الفعل أى وقوعه فعلاً ، الثاني يحتاج إلى قرنه بالمشيئة والأول لا يحتاج لأنه إخبار عن شيء واقع
وهو العزيمة التي في قلبك وفائدة القرن بالمشيئة عظيمة.

الأول:- تفويض الأمر إلى الله . الثاني:- تسهيل الأمر . الثالث:- أنك لو أقسمت لم تخنث ﴿ولا تقولن
لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ لو قال إني فاعل ذلك الليلة الساعة الثانية عشر فماذا تقولون؟
لماذا قال غداً؟ لأن هذا هو الذي وقع من الرسول علسه الصلاة والسلام ، قال أخبركم غداً والتقيد في

السؤال تبعاً للجواب لا يعتبر وهذه القاعدة مفيدة لكم في أصول الفقه تقييد الجواب لما في السؤال لا يعتبر -
 قيدا قال العلماء ومن ذلك إختلاف الروايات في سفر المرأة لا تسافر امرأة يوماً وليلة إلا مع ذي محرم مسيرة
 ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم لا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم فالتقييدات إختلفت مسيرة يوم وليلة مسيرة ثلاثة أيام
 ، والمطلق لم يقيد بشيء فهل نعتبر المقيدات أو نعتبر المطلق؟ الصحيح أننا نعتبر المطلق لأنه لما إختلفت المقيدات
 فإنها تكون جواباً للسؤال كأن سائل قال أرأيت لو سافرت المرأة يوماً وليلة بلا محرم يقال لا تسافر امرأة
 يوماً وليلة إلا مع ذي محرم ولهذا دائماً يقول العلماء في النص المقيد وقع هذا جواباً لسؤال فهذه الآية تنطبق
 على هذا القائل ﴿لا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ وكذلك لو قلت إني فاعل ذلك
 بعد الساعة إثنين أو ثلاث قل إلا أن يشاء الله وتقييدها بالغد بناءً على جواب الرسول عليه الصلاة والسلام
 لهم قال غداً أخبركم وقال تعالى ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ قال ما الشاهد من الآية قوله إلا أن يشاء الله
 أى إثبات المشيئة لله عز وجل مع أنه فعله ﴿إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ فهو فعله ومع ذلك نقول
 لا بد أن يكون مقروناً بمشيئة الله عز وجل قال وقوله ﴿إنك لن تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من
 يشاء﴾ إنك الخطيب للرسول عليه الصلاة والسلام لا تهدي من أحببت هداية توفيق يعني لا توفقه للهدايو
 حتى يهتدي وقواه ﴿من أحببت﴾ هل المعنى من أحببت هدايته أو من أحببته؟ أيهما أشمل؟ إنك لن تهدي من
 أحببت هداية لأنك تحب الهداية للإنسان وإن كان لا تحبه هو بنفسه فتكون أشمل ﴿إنك لا تهدي من
 أحببت﴾ يعني من أحببته أو من أحببت هدايته ﴿ولكن الله يهدي من يشاء﴾ ولن يقل ولكن الله يهديه
 فالعامة قال يهدي من يشاء ليشمل من أحب ومن لم يحب فالهداية بيد الله عز وجل وهذه الآية نزلت تسلياً
 للرسول صلى الله عليه وسلم في عمه أبي طالب عمه أبو طالب إعتنى به ورباه ودافع عنه دفاعاً عظيماً
 وقصائده في ذلك مشهورة ولا سيما الإلمية التي تبلغ خمسين بيتاً أو أكثر والتي قال عنها ابن كثير إنها جديرة
 بأن تكون من المعلقات أتعرفون المعلقات؟ المعلقات سبع قصائد أعجبت العرب فعلقوها في وسط الكعبة
 تعظيماً لشأنه فسميت المعلقات السبع فإن كثير يقول إنها جديرة بأن تكون من المعلقات بل هي أعظم منها
 وكان يقول فيها لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا وهذا يفيد الحنو والعطف والفخر بالإنتساب إليه لقد
 علموا أن ابننا يعني محمد صلى الله عليه وسلم لا مكذب لدينا ولا يعنى بقول الأباطل السحرة أو غيرهم من
 الكذبة لا يعنى بذلك بل هو صدوق ويقول:

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية ديناً

لولا الملامة أو حذار مسبة لرأيتني سمح بذلك مبيناً

يعني يكاد يؤمن لكن لم يحصل منه القبول والإنعام يعني حصل منه التصديق ولكن لم يحصل منه القبول
 والإنعام فخذل والعياذ بالله ومات على الشرك وكان آخر ما قال إنه على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا
 إله إلا الله مع آل الرسول عنده عليه الصلاة والسلام يقول ياعم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند
 الله ولكنه أبى أن يقول ذلك قد سبقت له من الله السابقة والعياذ بالله ﴿إن الذين حققت عليهم كلمة ربك
 ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم﴾ ولكن شكر له جميله فأذن للرسول صلى الله عليه وسلم أن

يشفع فيه مع أن الكفار لا يشفع فيهم فشفع فيه فكان من ضحضاح من نار وعليه نعلان من نار يغلي منهما^{١٥٣}-
دماغه أبد الأبدين فحزن الرسول عليه الصلاة والسلام فأنزل هذه الآية تسيية له ﴿إِنَّكَ لَنْ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ
وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ فماذا تكون حالة الرسول عليه الصلاة والسلام حينما نزلت عليه هذه الآية
فيقول رضيت بالله وسلمت له لأن الأمر يرجع إلى الله ولكن الله يهدي من يشاء فإن قال قائل كيف
تجمعون بين هذه الآية وبين قوله تعالى ﴿وَأَنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وبين الله في الآية الثانية هذه أن
الرسول يهدي إلى صراط مستقيم وأكد ذلك بأن واللام قلنا الجمع أن الهداية نوعان:-

هداية دلالة ، وهداية توفيق ، فالثابتة للرسول عليه الصلاة والسلام هي هداية الدلالة يبدل الناس
والخاصة بالله هداية التوفيق فإن قال قائل أليس الله تعالى قد قال ﴿إِن عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ فأوجب على نفسه
الهدى وهنا يقول ولكن الله يهدي من يشاء فما الجمع بينهما قلنا أن الجمع بينهما قوله ﴿إِن عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾
أى للبيان فهي هداية البيان والإرشاد فالله عليه البيان سبحانه وتعالى أوجبه على نفسه هذا قال بعدها مباشرة
﴿وَأَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ نحن نبين ولكن الحكم لنا من شئنا وفقناه للهداية ومن شئنا لن نوفقه نسأل الله
أن يوفقنا وإياكم للهداية وإلى صراط مستقيم إذا تبين أنه ليس بين الآيات والحمد لله لإختلاف ولا تعارض
وهكذا كل ما جاء في القرآن أو السنة الصحيحة فإنه لا يمكن أن يقع فيه تعارض وإن أوهم التعارض
فلقصورنا نحن في الفهم أو لنقصنا في العلم أو يكون الإنسان سيئ الإرادة لا يريد إلا جمع المتعارضات ولهذا
أنا أنصحكم أن لا يكون همكم جمع المتعارضات لأن بعض الطلبة تشعر منه كلما سألك ما الجمع بين كذا
وكذا كأنه موكل بأن يتبع الأشياء التي ظاهرها التعارض من أجل أن يريد على نفسه ويحصل له بذلك
الشك فإعراض الإنسان عن ذلك هو الأول لكن إذا وقع فليستعن بالله وليتدبر إذ مر بآية وأشككت عليه
فليستعن بالله وليتدبر مرة بعد أخرى حتى يهدي إليه أما أن يكون ليس له هم إلا أن يجمع الآيات التي
ظاهرها التعارض أو الأحاديث التي ظاهرها التعارض ثم يريد على نفسه أولاً فيقع في شك وحيرة ثم
يريدها على من يهديها من الناس فهذا ليس من شأن طالب العلم لكن إذا قدر أن يكون هناك ذلك وسيكون
لأنه ليس الإنسان محيطاً بكل شئ فحيث يستعن بالله وقرر في نفسك قبل كل شئ أنه لا تعارض بين كلام
الله تعالى بعضه مع بعض ولا بين كلام الله وما صح عن رسوله صلى الله عليه وسلم قرر هذا بنفسك وأنت
إذا بنيت على هذا الأساس سهل عليك الجمع أما إذا كان شبه التعارض أمامك وهو الذي بنيت عليه فإنك
قد تحرم الوصول إلى الجمع قال في الآية الأخيرة ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ هذه الإرادة
هذه ذكرها الله عز وجل في آيات كثيرة قال ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى
سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ومن هنا نعرف أن الإرادة هنا شرعية
ولا بد وليست إرادة كونية لأن الإرادة الكونية قد تكون في أمور قد تعثر عليك لكن هي إرادة شرعية وما
أجما هذه الآية وأحسنها ، أن يكون مراد الله بنا عز وجل في شرعه هو اليسر ولهذا قال النبي عليه الصلاة
والسلام "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا" وقال "إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين" هذه القاعدة
إجعلها عندك وقد بنى عليها بعض العلماء مسألة وهي إذا اختلف العلماء على قولين ولم يتبين للإنسان

الراجح منها فهل يأخذ بالأشد أو بالأسير أو بخير؟ يؤخذ بالأسير ، الدليل قوله تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ - ولا يريد بكم العسر﴾ وبعض العلماء يقول خذ بالأشد لأنه أحرط وأبرء للذمة وبعض العلماء يقول بخير لأنه لم يترجح عندك شيء والله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها لكننا نأخذ بالأسير وهذا هو الأرجح عندنا ، وقوله تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ولا يريد بكم العسر﴾ وهذا فرد من أفراد لا تحصى داخلته تحت قوله تعالى "إن رحمتي سبقت غضبي" فمنها أن الله يريد بنا اليسر ثم قال عز وجل ﴿ولا يريد بكم العسر﴾ الجملة الثانية تعتبر تأكيداً للأولى ، لأن قوله ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ منطوقها يريد اليسر مفهومها لا يريد العسر لكن صرح بالمفهوم فكان عدم إرادته العسر بنا كان مذكوراً في هذه الآية مرتين مرة بطريق المفهوم ومرة بطريق المنطوق .

الدرس السادس والعشرين:-

حدثنا مسدد حدثنا عبد الوارث عن عبد العزيز "عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعوتكم الله فاعزموا في الدعاء ، ولا تقولن أحدكم إن شئت فأعطني ، فإن الله لا مستكره له" الشاهد من قوله إن شئت فأنبت الله المشيئة وي هذا الحديث أدب عظيم في الدعاء وهو أن الإنسان إذا دعى الله سواء باستغفار أو بغير إستغفار وهذا اللفظ أعم من الحديث لا يقول أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت هذا أعم يشمل أى دعاء لا تقل اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني اللهم علمنى إن شئت اللهم ارزقنى إن شئت كل الدعاء لا تقل إن شئت بل أعزم قل اللهم اغفر لي اللهم ارحمنى اللهم ارزقنى اللهم علمنى بدون أن تقول إن شئت ، لماذا؟ قال فإن الله لا مستكره له يعني لا أحد يكرهه حتى تقول إن شئت أعطنى وإن شئت لا ، وفي هذا من سوء الأدب في الدعاء أولاً أنه يشعر بأن الداع يرى بأن الله له مكروه فكانه يقول إذا أكرهت فإن شئت افعل وإن شئت لا تفعل .

أنه يشعر باستغناء الداعي عن الله لأنك لو قال لك قائل تريد كذا وكذا فقلت إن شئت معناه أنني مستغنى إن شئت أعطنى وإن شئت فلا يهمني أن تحرمني .

ثالثاً:- أنه قد يشعر بأن هذا عظيم على الله كبير عليه فيقول إن شئت ولهذا جاء في اللفظ الآخر "وليُعظم الرغبة" يعني يسأل الله عز وجل أعظم ما يكون فإن الله لا يتعاطمه شيء أعطاه لذلك نهى الإنسان أن يقول اللهم إعطني إن شئت سواء كان للمغفرة أو غير المغفرة ، فإن قال إن شاء الله كما يرجد عند كثير من العامة يقول الله يغفر له إن شاء الله الله يعافيه إن شاء الله فهذه إن قصد بها التبرك فلا بأس ، وإن قصد بها الشرط فإنه ينتهى عنها ولكنها أقل من قوله إن شئت لأن إن شئت صريحة في خطاب الله عز وجل إن شاء الله جاءت بلفظ الغائب والمحابة بالسوء أعظم من التكنية عنها بالغائب ، ولهذا قال العلماء إن قوله تعالى ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ أهون مما لو قال عبست وتوليت أن جاءك الأعشى لأن الثانية صريحة في مواجهة المخاطب فإذا كان قول القائل في الدعاء إن شاء الله أو إن شئت قبيحاً وسوء أدب مع الله كان قبيحاً إذا جاء بصيغة المخاطب أشد لأنه صريح بالمخاطبة بخلاف التكنية عن ذلك بالغائب فإنها أهون ، فصار إن شاء الله تختلف عن إن شئت من وجهين:- الوجه الأول:- أنه قد يراد بها التبرك .

الوجه الثاني:- أنها أقل بشاعة مما يجيء بلفظ المخاطب لأنها تكون بلفظ الغائب وهو أهون . - ١٥٥ -

ومن الأشياء التي سمعناها حديثاً قول بعضهم اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه ، فإن هذا لا يجوز لأنه قد جاء في الحديث "لا يرد القدر إلا الدعاء" ثم إن قولك لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه كأنك ترى أن هذا أمر كبير على الله أن يرد القضاء بدعائه .

الوجه الثالث:- أن قولك لا أسألك رد القضاء كأنك تقول لا يهمني أن تقضي على بالفقر أو مرض أو غير ذلك لكن ألطف فيه هذا أيضاً خطأ لكن أعظم الرغبة فالله سبحانه وتعالى أوسع مما في قلبك ، لكن نجد إنسان يطلق ألفاظ لها رونق مزخرفة فيتلقاها الناس من غير روية وغمشي على الناس ، وإلا لو تأمل الإنسان هذا الدعاء لوجده خطأ واضحاً .

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري ح ، وحدثنا إسماعيل حدثني أخي عبد الحميد عن سليمان عن محمد ابن أبي عتيق عن أبي شهاب عن علي ابن حسين أن حسين ابن علي عليهما السلام أخبره أن علي ابن أبي طالب أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقة وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقال ألا تصلون قال علي فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك ولم يرجع إلى شيئاً ، ثم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه ويقول: وكان الإنسان أكثر شئياً جدلاً

الشاهد قوله "إذا شاء أن يبعثنا بعثنا" وفيه دليل واضح على أن أفعال العباد تقع بمشيئة الله مع أن فعل النائم وهو إستيقاظه ليس بإختياره فتقد يقال إن الاستدلال بهذا لا يتم ، لكن مر علينا في الدرس الماضي آيات متعددة تدل على أن أفعال العباد تقع بمشيئة الله ﴿ولو شاء الله ما فعلوه﴾ ﴿ولو شاء ربك ما فعلوه﴾ ﴿ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد﴾ وهذا الحديث قد تقدم الكلام عليه .

حدثنا محمد ابن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال ابن علي عن عطاء ابن يسار "عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: مثل المؤمن كمثل خامة الزرع يفي ورقه من حيث أتتها الريح تكفئها فإذا سكنت إعتدلت ، وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ، ومثل الكافر كمثل الأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله إن شاء"

هذا مثل من أمثال الرسول صلى الله عليه وسلم ، والأمثال في القرآن والسنة تقرب المعقول إلى العقول لأنها تضرب المحسوس مثلاً ، وتصور الإنسان بالمحسوس أقرب من تصوره بالمعقول قال الله تعالى ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ وفي ضرب الأمثال فائدة أصولية فقهية وهي أن كل مثل ضربه الله عز وجل أو رسوله فهو دليل على ثبوت القياس لأن المقصود به تمثيل هذا بهذا فيكون مثبِتاً للقياس ، أما المثل الذي ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم هنا فالمراد مثل المؤمن بالنسبة لقضاء الله وقدره كمثل خامة الزرع ورق الزرع تأتيه الرياح العاصفة وتميله يمينا ويساراً لكنه باق لا ينكسر وإذا سكنت الريح عاد إلى وضعه فهو لين لا يتكسر المؤمن كذلك في قضاء الله وقدره إذا أصابته الضراء صبر وإن أصابته السراء

شكر فهو مع الله عز وجل في قضائه وقدره دائماً منبسط في الدراء وفي السراء ، لكن الكافر كمثل الأرز - شجرة الأرز صلبة مستقيمة صماء يعني لا تلين ، فإذا جاءتها الريح العاصف تكسرهما ويخضمها الله عز وجل ، والشاهد من هذا قوله إذا شاء فإذا قيل كيف المثل بالنسبة للكافر قانا الكافر إذا جاءه القضاء على غير ما يريد ارتد كما قال تعالى ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمئن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة﴾ فتجده إذا أصيب بما يكره من قضاء الله يتسخط ويكره قضاء الله بل ويكره الله والعياذ بالله ، أما المؤمن فلا راض بقضاء الله عز وجل صابر محتسب فهو وإن أصابته عواصف القضاء الشديدة لا يتأثر .

حدثنا الحكم ابن نافع أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرنا سالم ابن عبد الله "أن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم على المنبر يقول: إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس ، أعطى أهل التوراة فعملوا بها حتى إنتصف النهار ثم عجزوا فأعطوا قيراطاً قيراطاً ثم أعطى أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا به حتى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطاً قيراطاً ثم أعطيت القرآن فعملتم به حتى غروب الشمس فأعطيتم قيراطين قيراطين ، قال أهل التوراة ربنا هؤلاء أقل عملاً وأكثر أجراً قال: هل ظلمتكم من أجركم من شيء؟ قالوا: لا ، فقال: فذلك فضلي أوتي من أشياء"

الشاهد قوله "من أشياء" فأثبت المشيئة وهى مشيئة في فعله لا في فعل العبد ، وهذا متفق عليه ، حتى عند المعتزلة الذين هم القدرية يثبتون مشيئة الله في فعله ، وفي هذا الحديث دليل على فضيلة هذه الأمة ، وفيه دليل على أن من منع فضله فإنه لا يؤاخذ ولا يلام إذا كان قد أعطى ذا الحق حقه ، فهؤلاء الأجراء الأول من أول النهار إلى إنتصاف النهار عاملهم على قيراط ، والثاني من إنتصاف النهار إلى صلاة العصر عاملهم أيضاً على قيراط برضاهم ، والثالث من صلاة العصر إلى الغروب عاملهم على قيراطين قيراطين فهل يبقى حجة للأولين؟ لا ، لأنهم لم يمنعهم حقهم ، فإذا زاد أحد فإنه لا يقال إنه ظلم ما دام الأولون قد أعطوا حقهم الذي رضوا به ، فإن قال قائل: وهل يجري ذلك فيما لو أعطى أولاده شيئاً على درهم ودرهم ورضوا به ثم زاد أحدهم شيئاً؟ لا ، لأن أصل العطية للأولاد يجب أن تكون بالسوية بين الذكور وعلى النصف في الإناث أن يعدل بينهم للذكر مثل حق الأثنين .

حدثنا عبد الله المسندي حدثنا هشام أخبرنا معمر عن الزهري عن أبي إدريس عن عبادة ابن الصامت قال: بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط فقال: أبايكم على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا بيهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فأخذ به في الدنيا فهو له كفارة وظهر ، ومن ستره الله فذلك إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له .

.. هذه البيعة تسمى بيعة النساء والبيعة هى العهد والميثاق وسمى بيعة لأن كل واحد منهما يمد باعه إلى الآخر لإثبات هذا العهد فيقول مثلاً مد يدك لأبايعك على كذا وكذا وهى بيعة النساء المذكورة فى قوله

تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبِيَعْنَكَ عَلَىٰ آلَا يَشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ الآية ، والشاهد من هذا الحديث قوله فذلك إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له وفي هذا الحديث من الفوائد أن من أصاب شيئاً من هذه القزورات كالزنا مثلاً أو قتل أولاد فأخذ به في الدنيا فهو كفارة له وعلى هذا فالحدود كفارات لأصحابها فالزاني إذا زنى إذا رجم أو حُد فإن ذلك يكون كفارة له لا يعاقب عليه في الآخرة ولا يشكل على هذا أى على أن الحدود كفارات إلا قصة العرنيين الذين يسعون في الأرض فساداً قال تعالى ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فأنبت لهم عقوبتين عقوبة في الدنيا وعقوبة في الآخرة فإما أن يقال إن هؤلاء لعظم جرمهم وفسادهم لم يكن الحد مكفراً عنهم وصاروا يحدون في الدنيا تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ولهم في الآخرة عذاب عظيم فعلى هذا يكون مستثنى من بقية الحدود وإما أن يقال إن هذا منسوخ وأن الحدود بعد صارت كفارة لأصحابها ولكنكم تعلمون أن النسخ يحتاج إلى تعذر إمكان الجمع فإذا أمكن الجمع فإنه لا نسخ وإن كان الجمع هنا سهلاً ما هو أن نقول هذا مستثنى الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً يستثنى من بقية الحدود .

حدثنا معلى ابن أسد حدثنا وهيب عن أيوب عن محمد عن أبي هريرة أن نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام كان له ستون امرأة فقال: لأطوفن الليلة على نساءي فلتحملن كل امرأة ولتلدن فارساً يقاتل في سبيل الله ، فطاف على نسائه فما ولدت منهن إلا امرأة ولدت شق غلام قال النبي صلى الله عليه وسلم: لو كان سليمان استثنى حملت كل امرأة منهن فولدت فارساً يقاتل في سبيل الله .

هذا الحديث الشاهد منه قوله: لو كان سليمان استثنى والمراد بالمستثنى قوله "إن شاء الله" وسياق الحديث باللفظ الآخر وسياق الحديث باللفظ الآخر وهو أن النساء كن تسعين امرأة لا ستين امرأة . وأنه قيل له قل إن شاء الله فلم يقل إن شاء الله والبخاري كما عرفت يسوق الحديث بلفظ لا يطابق الترجمة بناء على لفظ آخر يطابقها إما أنه ذكره في محل آخر وإما أنه جاء في رواية ليست على شرط وقلنا لكم إن هذا فيه فائدة وهو حمل الإنسان على البحث في الحديث هل هو على شرطه أو لا؟ والبحث عن مكان الحديث في الصحيح .

حدثنا محمد حدثنا عبد الوهاب الثقفي حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة "عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أعرابي يعود ، فقال: لا بأس عليك طهور إن شاء الله ، قال: قال الأعرابي طهور بل هو حي تفور على شيخ كبير تزيه القبور ، قال النبي صلى الله عليه وسلم: فنعم إذاً"

رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجو له الخير ويقول "لا بأس عليك طهور إن شاء الله" لكن كأن الحمى كانت عليه شديدة فقال الأعرابي "طهور" وهنا الجملة استفهامية يعنى أيكون هذا طهور بل هي حمى تفور على شيخ كبير تزيه القبور فقال النبي صلى الله عليه وسلم فنعم إذاً ، والظاهر أنها أزرته للقبور لأن

الرسول قال فنعلم إذا فحرم هذا الرجل بركة دعاء الرسول عليه الصلاة والسلام بسبب أن في قلبه شيء من - ١٥٨ -
الغضب علي ما حصل له .

حدثنا ابن سلام أخبرنا هشيم عن حصين عن عبد الله ابن أبي قتادة عن أبيه حين ناموا عن الصلاة "قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها حين شاء ، فقصوا حوائجهم وتوضؤوا إلى أن طلعت الشمس وابتضت فقام فصلى"

الشاهد من هذا قوله: "قبض أرواحكم حين شاء وردها حين شاء"

حدثنا يحيى ابن قزعة حدثنا إبراهيم عن ابن شهاب عن أبي سلمة والأعرج ، وحدثنا إسماعيل حدثني أخي عن سليمان عن محمد ابن أبي عتيق عن ابن شهاب عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن وسعيد ابن المسيب أن أبا هريرة قال "استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً على العالمين في ثسم يقسم به ، فقال اليهودي والذي اصطفى موسى على العلمين ، فرفع المسلم يده عند ذلك ، فلطم اليهودي فذهب اليهودي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بالذي كان من أمره وأمر المسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تخبروني على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق ، فإذا موسى باطش بجانب العرش ، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله"

الشاهد قوله: "أو كان ممن استثنى الله" لأن الله سبحانه وتعالى استثنى هذا بالمثيئة فقال فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وفي هذا دليل على تواضع النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال "لا تخبروني على موسى" كما قال أيضاً لا تخبروني على يونس ابن متى وذلك من تواضعه عليه الصلاة والسلام ومعنى لا تخبروني يعني لا تقولوا هو خير من كذا وهذا من التواضع وإلا فلا شك أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو خير الأنبياء ﷺ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات".

قال البخاري رحمه الله:-

حدثنا اسحاق ابن أبي عيسى أخبرنا يزيد ابن هارون أخبرنا شعبة عن قتادة "عن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المدينة يأتيها الدجال فيجند الملائكة يحرسونها فلا يقربها الدجال ولا الطاعون إن شاء الله"

الشاهد قوله: "إن شاء الله" وفي هذا بشرى لأهل المدينة أن الدجال لا يدخل عليهم المدينة وأن الطاعون أيضاً لا يقع فيها ولكن قول الرسول عليه الصلاة والسلام "إن شاء الله" يحتمل أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله تبركاً وتحقيقاً ويحتمل أنه قاله تردداً وتعليقاً وأنه يمكن أن يأتيها الطاعون ، أما الدجال فقد جاء في أحاديث كثيرة بدون استثناء أنه لا يدخلها ولكن لا يعني ذلك أن كل من فيها يسلم من فتتها ، لأن المدينة حين إذا ترجف ثلاث رجفات فيخرج منها من كان منافقاً أو كافراً أو ما أشبه ذلك .

الدرس السابع والعشرين :-

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري حدثني أبو سلمة ابن عبد الرحمن "أن أبا هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة فأريد إن شاء الله أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة"

الشاهد من هذا الحديث قوله "فأريد إن شاء الله أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة" وهذا من فضلة صلى الله عليه وسلم على أمته ، أنه أختبئ دعوته المستجابة لهذه الغاية ، أن تكون شفاعة لأمته يوم القيامة .

حدثنا يسرة ابن صفوان أن جميل اللخمي حدثنا إبراهيم ابن سعد عن الزهري عن سعيد ابن المسيب "عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما أنا نائم رأيتني عن قليب فنزعت ما شاء الله أن أنزع ، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع ذنوباً أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ، ثم أخذها عمر فاستحالت غرباً فلم أرى عبقرياً من الناس يفري فريه حتى ضرب الناس حوله بعطن"

هذه أولت بالخلافة ، والضعف الذي حصل لأبي بكر رضي الله عنه زال اللوم عنه بقول النبي صلى الله عليه وسلم "والله يغفر له" وهو أيضاً ضعف نسبي بالنسبة لما حصل من عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، لأن الفتوحات في عهد عمر رضي الله عنه أكثر بكثير من الفتوحات في عهد أبي بكر ، فإن أبا بكر رضي الله عنه اشتغل بحروب الردة وبأشياء داخلية ولم تنتشر الفتوحات في عهده كما إنتشرت في عهد عمر رضي الله عنه ومع ذلك فإن الرسول صلى الله عليه وسلم بادر وقال "والله يغفر له" بحيث يندفع اللوم ويتم التقص الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم ، الشاهد من هذا الحديث قوله فنزعت ما شاء الله أن تنزع ، إثبات المشيئة .

حدثنا محمد ابن العلاء حدثنا أبو أسامة عن بريد عن أبي بردة "عن أبي موسى قال: كان النب صلى الله عليه وسلم إذا أتاه السائل ، وربما قال جاءه السائل أو صاحب الحاجة قال اشفعوا فلتؤجروا ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء"

الشاهد قوله: - "على لسان رسوله ما شاء" وفي الحديث دليل على استحباب الشفاعة لصاحب الحاجة ، وهذا مشروط بما لم يكن في ذلك مفسدة فإن كان في ذلك مفسدة فإن الشفاعة لا تستجيب ، لأن الشفاعة مصلحة محدودة ترجع إلى صاحبه الذي شفّع له فإذا كان ذلك يتضمن مفسدة عامة أو مفسدة خاصة على نفس المشفوع له فإنها لا تشرع فلو جاء شخص يسأل نفقة وأنا أعلم أنه إذا أعطى النفقة سوف يذرّها ويشترى بها ما يحرم من دخان أو غيره فحيث لا تشرع الشفاعة ، لأن هذه الشفاعة سوف تؤدي إلى شيء محرم وكذلك إذا كان يخشى من مفسدة عامة بحيث إذا شفعت له صار هذا وسيلة إلى أن يستعمل الناس الرشاوي والوسائط التي ليس لها حق فهذا أيضاً لا نشفع له أما إذا لم يكن في ذلك مفسدة فلا شك أن الشفاعة للناس وقضاء حوائجهم لا شك أنه يؤمر به شرعاً .

حدثنا يحيى حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام "سمع أبا هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال: لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت ، ارحمني إن شئت ، ارزقني إن شئت ، وليعزم مسئلته إنه يفعل ما يشاء لا مكره له

هذا الحديث سبق والشاهد منه قوله: "إن شئت" ولكنه سبق بلفظ أعم حيث قال إذا دعى أحدكم فيكون أعم من طلب المغفرة أو طلب الرحمة.

حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا أبو حفص عمرو حدثنا الأوزاعي حدثني ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود "عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه تمارى هو الحر بن قيس ابن حصن القزاري في صاحب موسى أهو خضر ، فمر بهما أبي بن كعب الأنصاري فدعاه ابن عباس فقال إني تماديت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل السيل إلى لقيه هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر سائته؟ قال نعم ، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: بينما موسى في ملاء من بني إسرائيل إذا جاءه رجل فقال هل تعلم أحداً أعلم منك؟ فقال موسى لا ، فأوحى إلى موسى بلى عبدنا خضر ، فسأل موسى السيل إلى لقيه فجعل له الله الحوت آية ، وقيل له: إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه فكان موسى يتبع أثر الحوت في البحر ، فقال فتى موسى لموسى: أ رأيت إذ أوتينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره قال موسى: ذلك ما كنا نبغي ، فارتد على آثارهما قصصاً ، فوجد خضراً وكان من شأنهما ما قص الله

الشاهد من هذا قوله: "ستجدني إن شاء الله صابراً" والمؤلف رحمه الله إختصرها في هذا المكان .

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الوهري ، وقال أحمد ابن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن "عن أبي هريرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: نزل غداً إن شاء الله بخيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر يريد الحصب"

هذا القول قاله الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ، والحصب سمي بذلك لأنه كثير الحصباء وهو محل في ظاهر مكة ، لما نزل النبي صلى الله عليه وسلم حين رمى الجمرات في اليوم الثالث عشر نزل هناك وصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم رقد ثم في آخر الليل إرتحل حتى وصل المسجد الحرام ثم طاف الوداع ثم صلى الفجر ثم انصرف راجعاً إلى المدينة ، والشاهد من هذا الحديث قوله نزل غداً إن شاء الله .

حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا ابن عينة عن عمرو عن ابن عباس عبد الله ابن عمر قال: حاصر النبي صلى الله عليه وسلم أهل الطائف فلم يفتحها فقال: إنا قائلون إن شاء الله ، فقال المسلمون ننقل ملم نفتح ، قال: فاغدوا على القتال فغدوا ، فأصابتهم جراحات ، قال النبي صلى الله عليه وسلم إنا قائلون غداً إن شاء الله فكان ذلك أعجبهم فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم

فكان رأيه الأول خيراً من رأيهم لكن هذه عادة الرسول صلى الله عليه وسلم يعطيهم بعض الشيء الذي يريدون حتى يعرفوا أن رأيه هو الصواب ، ومثل ذلك لما نهاهم عن الوصال فقالوا إنك تواصل فواصل

بهم يوماً ويوماً حتى دخل شهر شوال فقال لو تأخر الهلال لزدتكم ، فمكتهم من الوصال مع أنبيائه -
إياهم عنه حتى يتبين لهم بعد ذلك أن الحكمة فيما نهاهم عنه وهو الوصال ، فالحكمة في ترك الوصال ، هذا
أيضاً مثله لما قال إنا قافلون قالوا نقفل ولم نفتح فتركهم فلما أصيبوا بالجراح قال إنا قافلون فأعجبهم الأمر
فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وقفل .

باب قول الله تعالى: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا
قال ربكم؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾ ولم يقل ماذا خلق ربكم وقال جل ذكره: ﴿من ذا الذي يشفع
عنده إلا بإذنه﴾ ، وقال مسروق عن ابن مسعود: إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئاً ، فإذا
فزع عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنه الحق ، ونادوا ماذا قال ربكم قالوا الحق .

ويذكر عن جابر "عن عبد الله ابن أنيس قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: يحشر الله
العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما سمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان"

هذا الباب عقده المؤلف رحمه الله لبيان أن قول الله عز وجل يكون بصوت وهذا الذي عليه السلف
الصالح أن كلام الله تعالى بحرف وصوت ، والأدلة على هذا سبقت وقلنا إن قول الله تعالى ﴿وإذ قال الله يا
عيسى ابن مريم - وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ وأمثالها تدل دلالة واضحة على أنه يقول قولاً يسمع
بل إن الله فصل الصوت بأنه كان يكون رفيعاً ويكون دون ذلك كما قال تعالى ﴿ونادينا من جانب الطور
الأيمن وقربناه نجياً﴾ فالسلف يقولون إن الله يتكلم ويقول بكلام مسموع وبكلام يكون بحروف وهذه
الحروف متعاقبة وليست متقارنة فالباء في بسم الله الرحمن الرحيم سابقة والسين بعدها والميم بعدهما وهلم
جرى ، ولا يضر أن تحدث الحروف حرفاً بعد حرف لأنه كما سبق أن الله لم يزل ولا يزال فعالاً والذي
يحدث هو آحاد الكلام وهو من الكمال أن يكون متى شاء تكلم بما شاء ، وأما الصوت فظاهر أيضاً
﴿ونادينا من جانب الطور الأيمن﴾ هذا بصوت عالي ﴿وقربناه نجياً﴾ بصوت منخفض ، ثم الحديث "يقول
الله تعالى يا آدم فيقول ليك وسعديك فينادي بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار"
قال فينادي بصوت فأكد النداء بأنه بصوت مع أن النداء لا يكون إلا بصوت لكن هذا من باب التوكيد
كقوله تعالى ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ .

باب قول الله تعالى ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾ هذه الآية
يقية آية سبقت ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض
وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن شفع له﴾ فهذه الآية والتي
بعدها قطعت جميع ما يتعلق به المشركون وبينت أن أوثانهم وأصنامهم لا تستحق العبادة بأى وجه من
الوجوه أولاً يقول لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض يعني لا يملكونها استقلالاً مثلاً لا يملكون
الأرض لا يملكون السماء لا يملكون نجمة من النجوم لا يملكون شجرة من الأشجار لا يملكون ذرة من
الذرات من الأرض على وجه الاستقلال ، وقوله تعالى ﴿وما لهم فيهما من شرك﴾ يعني ولا يملكونها على
وجه المشاركة ، والفرق بين الاستقلال والمشاركة:-

الإستقلال مثلاً إذا قلنا أن هذه عشر من الغنم لى خمس معينات ولك خمس معينات فهذا ملك إستقلالاً! -
وإذا كانت العشر بيتنا ورثناها عن أبينا مثلاً فهذه مشاركة.

فهذه الأصنام لا تملك مثقال ذرة على وجه الاستقلال من السموات والأرض ولا تشارك أيضاً في ذرة واحدة من السموات والأرض ﴿وما لهم فيهما من شرك﴾ انتهى الآن الملك لا استقلالاً ولا مشاركة ، هل هذه الأصنام أعانت الله على خلق السموات والأرض؟ لا ، ﴿وما له منهم من ظهير﴾ لو كان له منهم من ظهير لقليل أن هذه الأصنام لها شئ من التعلق في السموات والأرض لكن حتى المساعدة والإعانة لم تساعد الله ولا تعينه في خلق السموات والأرض ، إذا ليس لها يد على شئ من السموات والأرض .

هل تشفع هذه الأصنام عند الله؟ لا ، ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ ومعلوم أن الله لا يأذن لهذه الأصنام لأنه لا يرضاها ولا يرضى من تشفع لهم وهم الكفار وبذلك إقطعت جميع العلائق التي يتعلق بها المشركون ، ثم قال مبيناً عظمة الله وأن هذه الأصنام ليست بشئ بالنسبة لعظمته ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم﴾ كلام الله عز وجل إذا تكلم صعدت الملائكة عسى عليهم من عظمة ما تسمع فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم وفي بعض ألفاظ الحديث أنهم يسألون جبريل لأنه أول من يفيق فيقولون ماذا قال ربكم فيقول قال الحق وهو العلى الكبير ، فمن هذه عظمته كيف يليق عقلاً أن يُشرك به من لا يملك شيئاً في السموات ولا في الأرض وليس له فيها شركة وما له منهم من ظهير وشفاعته لا تنفع عند الله ، وقوله تعالى ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾ فزع أى زال عنها الفزع ﴿قالوا ماذا قال ربكم﴾ ما إسم إستفهام وذا بمعنى الذي أى ما الذي قال ربكم ، قالوا الحق ، إذاً يكون الجواب قوله ماذا إستفهاماً كل الكلمتين وتكون منصوبة على أنها مقول القول ولهذا كان الجواب قالوا الحق ولم يكن الجواب قالوا الحق ، لأنه لو كان ذا إسماً موصولاً على إنها خبر لكان الجواب يطابق السؤال فيقول الذي قال الحق وهو العلى الكبير ، العلى بذاته وصفاته وعلو الصفات متفق عليه بين أهل القبلة حتى أهل البدع يثبتون لله علو الصفات على حسب مفهومهم في علو الصفات لأنهم قد يقولون في هذا علو صفة وهو نقص كقولهم مثلاً إن الله تعالى لا تقوم به الحوادث ولا يستطيع أن ينزل ولا يستطيع أن يستوي على العرش وما أشبه ذلك ، يرون أن هذا من باب الكمال ألا تقوم به الحوادث ، لكن على كل حال أهل القبلة أى من يتنسب للإسلام كلهم متفقون على أن الله عال علواً صفة حسب مفهومهم في علو الصفة ، أما علو الذات فإنه عند السلف فقط أما أهل التحريف والتعطيل أو أهل الحلول فلا ، لأن أهل الحلول من الجهمية وغيرهم يقولون إن الله في كل مكان ، وأهل التعطيل يقولون لا يوصف بأنه فوق العلم ولا تحته ولا يمين ولا شمال ولا متصل ولا منفصل وسبق الكلام على هذا وبيان أن العلى الذاتي قد دل عليه الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة وقوله تعالى ﴿وهو العلى الكبير﴾ أما الكبير فهو سبحانه وتعالى ذو الكبرياء والعظة ولم يقل ماذا خلق ربكم هذا رد على الجهمية الذين يقولون إن كلام الله مخلوق وربما نقول على الأشاعرة الذين يقولون إنما يسمع مخلوق لأن الأشاعرة يقولون ما يسمع من كلام الله ليس هو كلام الله ، كلام الله هو المعنى القائم بنفسه وما يسمع فهو مخلوق خلقه الله للتعبير عما في نفسه ، وقوله تعالى ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ يعني لا

أحد يشفع إلا بإذنه والإذن هو الأمر لمن طلب الشفاعة أن يشفع وهذا لا يكون إلا بالكلام ، وقال مسروق -
عن ابن مسعود رضى الله عنه "إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئاً فإذا فرغ عن قلوبهم وسكن
الصوت عرفوا أنه الحق ونادوا ماذا قال ربكم قالوا الحق" هذا القول عن ابن مسعود معلق في البخاري
لكنه مجزوم به وقد قال أهل الإصطلاح أن البخاري إذا روى شيئاً معلقاً مجزوماً به فهو عنده صحيح ولكن لا
يلزم من صحته عنده أن يكون صحيحاً عند غيره لكن هو يرى أنه صحيح ، وابن مسعود رضى الله عنه حين
تكلم بهذا الكلام يكون له حكم الرفع لأن هذا لا يقارب الرأى والاجتهاد حتى يكون له حكم الرفع ويذكر
عن جابر عن عبد الله ابن أنيس يذكر نقله بصيغة التمرىض فهو عنده ضعيف ، عن جابر عن عبد الله ابن
أنيس قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول "يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما
يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان" وهذا الحديث هو الحديث المشهور الذي إرتحل له جابر ابن عبد الله
مسيرة شهر حدث بهذا الحديث عن عبد الله ابن أنيس فذهب إليه مسيرة شهر لهذا الحديث وجده ، لماذا؟
قال أهل الإصطلاح لطلب علو السند وقال أصحاب الفقه للإستبانت والتثبت وبين القولين فرق الأولون
يقولون المقصود بذلك هو طلب علو السند لأن الحديث إذا روى عن ثلاثة ثم عن أربعة فعن ثلاثة يكون
أعلى ، فالأن جابر حدث بالحديث فكان بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الله ابن أنيس والواسطة
التي بينهما ، لكن إذا رواه عن عبد الله مباشرة فيكون بينه وبين الرسول واحد ، هذا علو سند ، وقال
الفقهاء بل هذا من أجل التثبت والإستبانت في الخبر ولو قال قائل بأنه للأمرين جميعاً لم يكن هذا بعيداً ، وإن
كان مسألة علو السند ونزول السند لم تكن معروفة في ذلك العهد تلك المعرفة التي يشار إليها ويرتحل إليها .
الشاهد من هذا الحديث قوله "ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب" إذا هر صوت
عظيم يبلغ الناس كلهم القريين والبعدين .

حدثنا علي ابن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة "عن أبي هريرة يبلغ به النبي صلى
الله عليه وسلم قال: إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاعاً لقوله كأنه سلسلة
على صفوان" قال علي وقال غيره: صفوان يتفذهم ذلك ، فإذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟
قالوا الحق وهو العلى الكبير

قال علي: حدثنا سفيان حدثنا عمرو عن عكرمة عن أبي هريرة بهذا

قال سفيان قال عمرو: سمعت عكرمة حدثنا أبو هريرة بهذا قلت لسفيان قال سمعت عكرمة قال
سمعت أبا هريرة قال: نعم قلت لسفيان إن إنساناً روى عن عمرو ابن دينار عن عكرمة عن أبي هريرة
يرفعه أنه قرأ: فرغ ، قال سفيان: هكذا قرأ عمرو فلا أدري سمعه هكذا أم لا؟ قال سفيان: وهي قراءتنا .

الدرس الثامن والعشرون:-

حدثنا يحيى ابن بكير حدثنا الليث عن عقيل ابن شهاب أخبرني أبو سلمة ابن عبد الرحمن "عن أبي
هريرة أنه كان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشئ ما أذن للنبي صلى الله عليه
وسلم يتغنى بالقرآن ، وقال صاحب له يريد أن يجهر به" .

الشاهد من هذا قوله "ما أذن الله بشئ ما أذن للنبي" ومعنى هذا الإذن الاستماع للشئ يعني ما-
استمع الله بشئ كاستماعه للنبي حسن الصوت في رواية أخرى "يتغنى بالقرآن" يعني يجهر به وهذا دليل
على أن الله سبحانه وتعالى يستمع إلى من يقرأ القرآن وكلما كان الإنسان أحسن صوتاً وأداءً كان الله إليه
أسمع ، وظاهر سياق البخاري رحمه الله أنه يرى أن المراد بالإذن الإذن الكوني يعني أنه عز وجل يأمر هذا
النبي فيتغنى بالقرآن لأنه ساقه في الأحاديث التي يتحدث فيها عن الكلام .

ويحتمل أن البخاري رحمه الله ساقه في هذا الباب لقوله "يتغنى بالقرآن" والقرآن سبق أنه كلام الله
عز وجل وهذا أقرب لأن المعنى الذي أشرنا إليه أولاً بعيد أن يكون من الإذن الذي هو الأمر .

حدثنا عمر ابن حفص ابن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا أبو صالح "عن أبي سعيد
الخدري رضى الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله يا آدم فيقول لبيك وسعديك
فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار" .

الشاهد قوله :- "فينادي بصوت" وقد روى "فينادي بصوت إن الله يأمرك" فأبطل من يقول إن الله
تعالى لا يتكلم بحرف وصوت أبطل الاستدلال بهذا الحديث على أن الله يتكلم بحرف وصوت وقال إن قوله
فينادي أى ينادي ملك من الملائكة بدليل قوله "إن الله يأمرك" حيث ساقه مساق الغائب ولكن هذا ضعيف
وإن كان له احتمال ، يضعفه أن الله يقول يا آدم فيقول لبيك وسعديك فكان مقتضى ذلك أن الذي يناديه
هو الله لأنه هو الذي قال له أولاً يا آدم ، فكيف يقول يا آدم فيقول لبيك وسعديك وكل ملكاً يكلمه هذا
بعيد من السياق وإنما الذي ناداه هو الله عز وجل بدليل الرواية الأخرى فينادي بصوت إن الله يأمرك وأما
إقامة الظاهر مقام المضمّر إني أملك يعني قال إن الله بدل إني أملك فيقال إن إقامة الظاهر مقام المضمّر هنا
إشارة إلى قوة سلطان الله عز وجل ، ودليل ذلك أنه قرن بالأمر إن الله يأمرك وهذا كما يقول الملك في
الدنيا إن الملك يأمرك أن تفعل كذا وكذا ، أو إن أمير المؤمنين يأمرك أن تفعل كذا وكذا ، وهو يعني نفسه
فهذا من باب التعظيم ، والإلتفات للتعظيم في اللغة العربية أسلوب متبع ومعروف ، وقوله ينادي بصوت"
تأكيد لقوله ينادي لأن المناداة لا تكون إلا بصوت وهو كقوله تعالى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ فإن
تكليماً هذه جاءت تأكيداً ولهذا تسمى عند النحويين مصدراً مؤكداً ، وفي هذا إثبات أن الله تعالى يتكلم
بصوت وهو كذلك ، ولهذا يخاطب موسى ويكلمه ويخاطب النبي صلى الله عليه وسلم ويكلمه ليلة المعراج
فهم يسمعون صوته ويردون عليه .

حدثنا عبيد ابن اسماعيل حدثنا أبو اسامة عن هشام عن أبيه "عن عائشة رضى الله عنها قالت ما
غررت على امرأة ما غررت على خديجة ولقد أمره ربه أن يشربها بيت في الجنة" .

الشاهد قوله "ولقد أمره ربه" لأن الأمر لا يكون إلا بالكلام وفيه إثبات أن الله سبحانه وتعالى
يتكلم وقد سبق الكلام على ذكر كلام الله عز وجل وأن أهل السنة والجماعة يقولون إن الله يتكلم بحرف
وصوت يتكلم بما شاء متى شاء كيف شاء هذا هو مذهب السلف وأهل السنة والجماعة .

باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة وقال معمر وإنك لتلقى القرآن - أى يلقى عليك -
وتلقاه أنت أى وتأخذه عنهم - ومثله ، فتلقى آدم من ربه كلمات

جبريل عليه الصلاة والسلام هو أشرف للملائكة وهو موكل بالوحي ينقله إلى من شاء الله سبحانه

وتعالى

وكلام الله معه هو كما قال الله عز وجل ﴿وَإِنَّا لَنَنزِيلُ رُبَّ الْعَلَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لَتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ ﴿وَإِنَّا لَنَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ أى يلقى عليك القرآن من لدن أى من عند حكيم عليم ، وقدم الحكمة هنا لبيان أن ما جاء به هذا القرآن فإنه مبني على الحكمة وكل ما في القرآن فإنه مطابق للحكمة تماماً سواء كان من الأحكام العملية أو الأخبار العلمية ، كله مبني على الحكمة .

حدثني إسحاق حدثنا عبد الصمد حدثنا عبد الرحمن - هو ابن عبد الله ابن دينار - عن أبيه عن أبي صالح "عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل أن الله قد أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى جبريل في السماء إن الله قد أحب فلاناً فأحبه فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في أهل الأرض"

هذا حديث عظيم ، فيه بيان الغاية العظيمة من محبة الله للعبد ، إذا أحب الله عبداً نادى جبريل والمناداة لا تكون إلا بصوت إن الله قد أحب فلاناً وهنا أتى بصيغة الغائب من باب التعظيم كما أسلفنا سابقاً "إن الله قد أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل" إمتثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى ومحبة لأحباب "الله ثم ينادى جبريل في السماء إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه أهل السماء" ويدخل ذلك بإسمه الخاص يحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في أهل الأرض فيقبله أهل الأرض ولا قبول إلا بعد محبة لأن من لا تحبه لا تقبل منه ، لكن يوضع له القبول في الأرض فيكون الرجل مقبولاً ، وفي هذا دليل على إثبات محبة الله للعبد وأهل السنة والجماعة يقولون إن الله يحب ويحب لقوله تعالى ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ ولكن أهل التحريف قالوا لا محبة من الله للعبد ولا من العبد لله ومنهم من يقول العبد يحب الله والله لا يحب العبد وحرفوا الآيات الكثيرة في المحبة إلى أن المراد بها الثواب ، فقالوا إن الله يحب المحسنين أى يشيهم ففسروها بشيء بائن منفصل أو يريد ثوابهم ففسروها بالإرادة التي هم يشتهونها ، ولكننا نقول المحبة شيء فوق الإرادة وفوق الإثابة وهى ثابتة لله حقاً ، فإن قال قائل وهل هناك طريقة يصل بها الإنسان لأن يحبه الله؟ قلنا نعم ، هناك طريق بينه اللع عز وجل في قوله ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ فالطريق إلى كون الله يحب العبد أن يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم وكلما كان الإنسان أتبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحب إلى الله وذلك أن الحكم إذا علق بعلّة قوى بقوتها وضعف بضعفها والحكم هنا حب الله للعبد علق بإتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإذا أردت أن الله يحبك فأتبع الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهراً وباطناً .

حدثنا كتيبة ابن سعيد عن مالك ابن أبي الزناد عن الأعرج "عن أبي هريرة أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم قال: يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة

الفجر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون تركناهم وآلهم يصلون وآتيناهم وهم يصلون".

هذا الحديث سبق الكلام عليه من باب العلو ، وأتى به هنا في باب الكلام إشارة إلى أن الله تعالى يكلم الملائكة ، وسبق الكلام على الإشكال النحوي في أوله وهو "يتعاقبون فيكم ملائكة" وبيننا جواب أهل النحو عليه ، وأن بعضهم قال إن هذه لغة معروفة عند العرب ويسمون بها لغة أكلوني البراغيث ، وبعضهم قال إن الواو فاعل وملائكة بدل من يتعاقبون ، وأن الفائدة من ذلك التفصيل بعد الإجمال لأن يتعاقبون الضمير مبهم لا يعلم مرجعه فإذا جاءت ملائكة صارت مبينة بعد الإجمال ، فصارت أوقع في النفس .

حدثنا محمد ابن بشار حدثنا غندور حدثنا شعبة عن واصل عن المغرور قال: "سمعت أبا ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أتاني جبريل فبشرني أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، قلت وإن سرق وإن زنى؟ قال وإن سرق وإن زنى".

قوله "من مات ولم يشرك بالله شيئاً دخل الجنة" استدل به من قال إن تارك الصلاة لا يكفر وقال إن تارك الصلاة ليس بمشرك فيدخل الجنة ، ولكننا نجيب عن هذا بأحد جوابين:-

الجواب الأول:- أن لا نسلم أن تارك الصلاة ليس بمشرك ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال "بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة".

الجواب الثاني:- أننا سلمنا أن ترك الصلاة ليس بشرك ولكن هذا عام وأدلة كفر تارك الصلاة خاصة والقاعدة أن العام يحمل على الخاص فيكون الخاص خارجاً من العموم .

باب قول الله تعالى: ﴿أَنْزَلَ بِعِلْمِهِ الْمَلَائِكَةَ يَشْهَدُونَ﴾

قال مجاهد: ينزل الأمر بينهن وبين السماء السابعة والأرض السابعة

قول الله تعالى ﴿أَنْزَلَ بِعِلْمِهِ﴾ الضمير يعود على القرآن لأن الله يقول ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ وسبق معنى قوله أنزله بعلمه ، أما قوله ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ يعني يشهدون أن الله أنزل هذا القرآن بعلمه .

وقال مجاهد: ينزل الأمر بينهن وبين السماء السابعة والأرض السابعة يشير إلى قوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ الأمر أمر الله ، بينهن يعني بين السماء السابعة والأرض السابعة ينزل أمر الله ، والسماوات سبع طباق والأرضون كذلك سبع طباق هذا هو الصحيح في الأرضين أنها سبع طباق لقوله ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ ولقول النبي صلى الله عليه وسلم "من اقتطع من الأرض شبراً طوقه يوم القيامة من سبع أرضين".

حدثنا مسدد حدثنا أبو الأحوص "حدثنا أبو اسحاق الهمداني عن البراء ابن عازب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فلان إذا أويت إلى فراشك فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وأجأت ظهري إليك ، رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا

منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت فإنك إن مت في ليلتك مت لئلا -
القطرة ، وإن أصبحت أصبت أجراً"

هذا الحديث تقدم الكلام عليه والشاهد منه قوله "كتابك الذي أنزلت" وسبق لنا أن البراء قال
برسولك الذي أرسلت فقال قل بنيك الذي أرسلت ، وسبق لنا لماذا قال قل بنيك الذي أرسلت وبيننا أنه
لوجيهين:-

الوجه الأول:- لو قال برسولك الذي أرسلت لكنت دلالتها على النبوة بطريق اللزوم .

الوجه الثاني:- لكن إذا قال بنيك الذي أرسلت كانت الدلالة على وجه المطابقة ، والدلالة في المطابقة أقوى
من الدلالة في اللزوم .

حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا سفيان عن اسماعيل ابن أبي خالد "عن عبد الله ابن أبي أوفى قال:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب: اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم
الأحزاب وزلزلهم"

زاد الحميدي حدثنا أبي خالد سمعت عبد الله سمعت النبي صلى الله عليه وسلم .

زاد الحميدي زيادة السمع ، وبهذا نعرف أن الزيادة تكون في الممن وتكون في السند والزيادة في
السند تكون من ميزة المتصف بالأسانيد وتكون من زيادة صيغة الأداء البخاري الآن قال إن هذه الزيادة زيادة
في صيغة الأداء ليست زيادة راوي محذوف من رواية أخرى وليست رواية ممن أو شئ في المتن فتبين بهذا أن
المحدثين رحمهم الله يتوسعون في بعض المصطلحات .

حدثنا مسدد عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد ابن جبير "عن ابن عباس رضى الله عنهما: ولا
تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ، قال: أنزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوار بمكة ، فكان إذا رفع
صوته سمع المشركون فسبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به ، وقال الله تعالى: ولا تجهر بصلاتك ولا
تخافت بها لا تجهر بصلاتك حتى يسمع المشركون ، ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم ، وابتغ بين
ذلك سبيلاً ، أسمعهم ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن ،

هذا تفسير ابن عباس رضى الله عنهما ، وابن عباس أعلم الصحابة بالتفسير ما عدا الخلفاء الراشدين
وكبار الصحابة لكنه هو من أعلم الصحابة في التفسير ، انظر إلى تفسيره قال: لا تجهر بصلاتك ولا تخافت
بها والمراد لا تجهر جهراً يسمعه المشركون فيسبون القرآن ومن أنزله وهو الله ومن جاء به ، وفي هذا إشارة
أو دليل إذا قلنا بأن قول الصحابي حجة على أن الإنسان إذا خاف إذا تكلم بموعظة أو قرأ قرآن أن يسب
القرآن أو تسب الموعظة فإن الأولى ألا يفعل ، وأن يجعل المسألة في وقت آخر وهذا من الحكمة ألا تضع
القرآن أو الموعظة بين يدي من يمتنعها ، ولهذا قال لا تجهر ولا تخافت وابتغ بين ذلك سبيلاً ، لا تخافت بها
لأنك لو خافت لم يسمع أصحابك قراءتك إذا فاجعل قراءتك وسطاً تجهر بها بحيث يسمع أصحابك وتخافت
بها بحيث لا يسمع المشركون . الشاهد من هذا قوله: "أنزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوار
بمكة" .

باب قول الله تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ إنه لقول فصل: حق ، وما هو باهزل:-

باللعب .

يقول تعالى: ﴿يَقُولُ الْمَخْلُقُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَاتِمٍ لِتَأْخُذُوا ذُرُونًا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ والمراد بالتبديل هنا تبديل معناه وحكمه لا أنهم يريدون تبديل لفظه لأنهم لا يستطيعون ذلك ، وهذا دليل على أن الذين يحرفون الكلم عن مواضعه مبدلون لكلام الله وكذلك الذين يصرفون النصوص عن ظاهرها مبدلون لكلام الله عز وجل لأن الكلام في الحقيقة يراد به معناه فإذا غير المعنى فإن الألفاظ قوالب يكون تغير اللفظ .

الشاهد قوله: "كلام الله" فدل ذلك على إثبات الكلام لله عز وجل ، وقال تعالى ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ لقول والقول لا يكون إلا كلاماً وقوله فصل: حق والصحيح أنه أعم من كلمة حق ، فصل: يفصل بين الحق والباطل وبين المسلمين والمشركين وفي كل شيء يحتاج إلى فصل ، وقوله ﴿وَمَا هُوَ بِأَهْزَلُ﴾ أى باللعب بل هو جد وحزم وقوة وعزة كل من تمسك بالقرآن فإنه سوف تكون حاله هذه الحال .

حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا الزهري عن سعيد ابن المسيب "عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر ، يبدى الأمر أقلب الليل والنهار"

الشاهد قوله "يبدى الأمر" فالأمر كله لله ولا يمكن أن يبدل كلام الله كما قال الله تعالى ﴿لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ فإذا كان بيده الأمر فإنه لا يجوز لنا أن نبدل كلماته لا باللفظ ولا بالمعنى ، وسبق الكلام على هذا الحديث وبيننا أن معنى قوله تعالى "وأنا الدهر" أى أنا مدبر الدهر وليس المعنى أن الله هو الدهر لأن الذين يسبون الدهر لا يريدون أن يسبوا الله وإنما يريدون أن يسبوا الدهر الذي هو الوقت والزمن ، فتجده يسب السنة يسب الشهر يسب اليوم وما أشبه هذا ، وبين الله عز وجل أن سب هذه المخلوقات هو في الحقيقة سب لله لأن الذي يدبر هذه المخلوقات هو الله أما هذه المخلوقات فلا تدبر نفسها .

الدرس التاسع والعشرين:-

حدثنا أبو نعيم حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله عز وجل: الصوم لى وأنا أجزي به ، يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي ، الصوم جنة ، وللصائم فرحتان فرحة حين يفطر وفرحة حين يلقى ربه ، ولخلاف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك .

ذكر البخاري رحمه الله الحديث القدسي في الصوم يقول الله عز وجل "الصوم لى وأنا أجزي به" قال العلماء معنى قوله الصوم لى أنه سر بينى وبين العبد لأن الصوم مركب من نية وترك ولا يعلم بالنية وترك إلا الله عز وجل ولهذا اختص الله به وأضافه إلى نفسه وقيل معناه أن الإنسان إذا كان عليه مظالم وأخذ من حسناته يوم القيامة فإنه يؤخذ من جميع الحسنات إلا الصوم فإنه لا يؤخذ منه شيء لأنه لله ، والمعنى الأول أصح أى أن الصوم لله ليس فيه رياء لأنه خلص له لبيل قوله وأنا أجزي به ، ثم بين حكمة إختصاص الله

تعالى به في قوله "يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي" يدع شهوته يعني النكاح الجماع ، وأكله وشربه من أجل الله عز وجل هذا الإخلاص وهذه الثلاثة هي التي نص الله عليها في القرآن في قوله تعالى ﴿فَالآنَ بَاشِرُوهُمْ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ وهي التي أجمع عليها المسلمون على أنها تفسد الصوم ، وقوله يدع شهوته ، هل نفسر ذلك بالجماع فقط ونقول لا تفطر بالمذي والمني والمباشرة؟ أو نقول إنها تشمل الجماع والإنزال؟ أما المباشرة فإنها لا تفطر الصائم بلا شك لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل وهو صائم ويأشهر وهو صائم ، وكذلك المذي ولو من شهوة لا يفطر الصائم لأنه ليس عليه دليل وليس فيه شهوة ، الشهوة بغيره لا به وأما المني فإن جمهور العلماء على أنه يفطر الصائم لأنه شهوة ودليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "وفي بضع أحدكم صدقة قالوا يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال نعم أرأيتم لو وضعها في الحرام أكان عليه وزر قالوا نعم ، قال فإذا وضعها في الحلال كان له أجر" والذي يوضع هو النطفة وهذا يدل على أن المني مفطر وهو الأصح وأما الجماع فبالإجماع فإنه مفطر وقوله تبارك وتعالى "الصوم جنة" الجنة ما يتقى به سهام الأعداء ، مأخوذ من الجنان وهو الخفاء لأن الإنسان يخفي به عن سهام الأعداء ، وهو مثل الصاج الكبير الذي يخبز عليه يحمله المقاتل فإذا رأى أحداً صوب إليه سهماً دفع السهم بهذا الترس الذي يسمى جنة ، والمراد بكونه جنة أنه جنة يستتر به الإنسان في الدنيا من قول الزور والعمل به والجهل وفي الآخرة يتقى به من النار ، ثم قال "وللصائم فرحتان فرحة حين يفطر وفرحة حين يلقى ربه" فرحه حين يفطر لأمرين:-

الأمر الأول:- تناول ما أحل الله له من طعام وشراب ونكاح فإن النفس إذا حبست عن ذلك ثم أذن لها حين فرحت .

والأمر الثاني:- فرحه بأداء هذه الفريضة إن كان صوم فرد أو تطوع إن كان صوم نفل الفرح الثاني فرحة حين يلقى ربه يوم القيامة يجد أجر الصوم موفراً عند الله سبحانه وتعالى ثم قال والخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك الخلوف هي الرائحة التي تبعث من المعدة عند خلوها وهي رائحة مستكرهة في مشام الناس لكنها عند الله أطيب من ريح المسك لأنها ناشئة عن طاعته وهذا يشبه قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في دم الشهيد أنه يأتي يوم القيامة وجرحه يثعب دماً اللون لون الدم والريح ريح المسك وكل هذه الجمل في هذا الحديث كلها تفيد الترغيب في الصوم والحث عليه وبيان فوائده في الدنيا وفي الآخرة والشاهد من هذا الحديث قوله يقول الله عز وجل ثم ذكر الحديث والحديث هذا الكلام نقول القول فدل ذلك على أن الله سبحانه وتعالى يتكلم بحروف تتلى وتقرأ .

حدثنا عبد الله ابن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: بينما أيوب يغتسل عرياناً حر عليه رجل جراد من ذهب فجعل يخي في ثوبه فناداه ربه ، يا أيوب ألم أكن أغنيك عما ترى قال بلى يا رب ، ولكن لا غني بي عن بركتك .

سبق الكلام على هذا الحديث والشاهد منه قوله "فناداه ربه" ويثقل عندي فنادي ربه بدون ضمير

ولكن المعنى واحد .

حدثنا اسماعيل حدثني مالك عن ابن شهاب عن أبي عبد الله الأغر "عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفري فأغفر له".

هذا الحديث في النزول وهو حديث عظيم وعظيم الفائدة وفيه قوة الرجاء وقد شرحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتاب مستقل بـشرحاً وافياً لكنه كما تعرفون طويل النفس رحمه الله تكلم بكلام طويل جداً يقول ينزل ربنا وفي لفظ ينزل ربنا تبارك وتعالى سبق معنى قوله تبارك أنه كثير البركة وتحل البركة باسمه وأما قوله تعالى أى تعالى عن كل عيب ونقص ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر ينزل ربنا ، النزول مضاف إلى الرب والفعل المضاف إلى الله يكون فعلاً واقعاً من الله كل فعل أضافه الله فعل واقع منه هذا واجب لأن هذا هو ظاهر اللفظ والناس في كلامهم إذا قالوا قال وفعل وذهب وجاء وركب ونزل إلى أى شيء تعود هذه الأوصاف إلى الفاعل الذي أضيفت له فإذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو أعلم الخلق بالله وأنصح الخلق لعباد الله وأفصح الخلق فيما يقول وأصدقهم فيما يخبر يقول ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا ما فيه مجال للتحريف وأن يقال إن المراد ينزل أمره أو تنزل رحمته أو ينزل ملك من ملائكته بل نقول ينزل الله نفسه ولكن كيف ينزل هنا نقف نقول الله أعلم النزول معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه وإذا نزل إلى السماء الدنيا هل يلزم أن يخلوا منه العرش نقول للسائل هذه بدعة هذا السؤال بدعة لو كان هذا من الدين أى لو كان علمنا بكونه يخلو منه العرش أو لا يخلو من الدين لكان ذلك ميئاً قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الله يقول اليوم أكملت لكم دينكم فقد أكمل الله الدين لنا عقيدة وقولاً وعملاً فإذا قال هل يخلو منه العرش نقف هذا بدعة وليس لك الحق أن تتكلم لأن علمنا بكون العرش يخلو منه أو لا لو كان من الدين ما مات النبي صلى الله عليه وسلم إلا وقد أعلمنا به ثم نقول أأنت أحرص على معرفة صفات الله من الصحابة؟ إن قال نعم ، قلنا كذبت وإن قال لا قلنا لماذا لم نسأل الرسول عليه الصلاة والسلام لماذا لم يسألوا الرسول؟ والجواب عن هذا سهل أن نقول لأن عندهم من تعظيم الله والأدب مع الله وعدم التقديم بين يدي الله ورسوله ما ليس عند هذا السائل هذا هو السبب أن يرد مثل هذا السؤال من الخلف من هذه الأمة ولم يرد من سلف هذه الأمة لأن في قلوب سلف الأمة من تعظيم الله والتأدب بين يدي الله ورسوله ما ليس عند خلف هذه الأمة ولذلك لا يسألون عن هذا الشيء ولو سأل سائل قال هل النزول إلى السماء الدنيا ينافي علوه؟ فالجواب لا ، لأن علوه وصف لازم له والوصف للزم لا يمكن أن يتحول أو يتغير فإذا قال إذا أثبت العلو فكيف ينزل نقول ، إن نزوله إلى السماء الدنيا أمر لا يحاط به ليس معني نزوله أن تكون السماء الثانية وما فوقها فوقه هذا شيء مستحيل وليس معنى نزوله أن السماء الدنيا تقل وما فوقها يظله فإن هذا من الظنون الكاذبة ولا يظن هذا الظن إلا من لم يقضي الله حق قدره فالله أعظم وأجل من أن تحيط به السموات أو يحيط به شيء من مخلوقاته ونحن ليس علينا إلا أن نسل حتى وإن حات عقولنا في كيفية هذا الشيء العقل قد يحار ويقول كيف يكون هذا فنقول الحيرة حدثت لعدم قدرتنا على الإحاطة بصفات الله عز وجل ولكن العقل لا يحيل ذلك بالنسبة لله لأن الله تعالى

ليس كمثلته شي في جميع صفاته وقوله "حين يبقى ثلث الليل الآخر" من أين تحتسب الليل؟ الليل لا شك ١٧ من - غروب الشمس بالنص والإجماع فإن قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَتَمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ يحصل بغروب الشمس بالاتفاق بل بالنص لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا أقبل الليل من هاهنا وأدبر النهار من هاهنا ويشير إلى المشرق والمغرب وغربت الشمس فقد أفطر الصائم وهذا هو معنى قوله تعالى إلى الليل إذا ابتداء الليل من غروب الشمس ولا إشكال فيه لكن إنتهاء الليل أبطول الفجر أو بطول الشمس فالجواب أما فلكياً فإن الليل ينتهي بطلوع الشمس لأن الشمس ما دامت مواجهة للأرض فهو نهار فإذا إختفت فهو ليل وأما شرعاً فالنهار من طلوع الفجر فهل نعمل هذا الحديث على المعنى الشرعي أو على المعنى اللغوي هذا ينبغي على قاعدة معروفة وهي أن خطاب الشرع يبني على المصطلح الشرعي أى على الحقيقة الشرعية فإن وافقت الحقيقة اللغوية فهذا واضح وإن خالفت الحقيقة اللغوية وجب الأخذ بالحقيقة الشرعية فإذا جاء في لسان الشارع أقم الصلاة هل نقول المعنى أقم الدعاء؟ لا مع أن الصائب في اللغة الدعاء لأن اصطلاح كل متكلم يحمل عليه كلامه فعلى هذا نقول الأقرب في هذا الحديث أن الليل المعتبر هو من غروب الشمس إلى طلوع الفجر ويدل لذلك أنه في بعض الألفاظ حتى يطلع الفجر وعليه يكون المعنى واضحاً فكيف نعرف ثلث الليل إقسم ما بين غروب الشمس إلى طلوع الفجر على ثلاثاً فما حصل فهو ثلث الليل فإذا بقي هذا المقدار فهذا وقت نزول الإله وهل يختلف هذا الثلث باختلاف الفصول وباختلاف الأماكن؟ الجواب نعم ، فالليل في أيام الصيف يكون قصيراً وفي أيام الشتاء يكون طويلاً الليل في الجانب الشمال من الأرض أو الجنوبي الذي حول القطب يكون طويلاً جداً في أيام الشتاء ربما يصل إلى أسبوع أو أسبوعين وكلما قربنا من خط الإستواء قرب التساوي بين الليل والنهار وعلى كل حال نحن نقسم ما بين غروب الشمس وطلوع الفجر على ثلاثة فما حصل بالقسمة فهو الثلث ومن فوائد هذا الحديث إثبات نزول الرب عز وجل في هذا الوقت من الليل وهو نزوله حق ولكن لا نعلم كيفية كسائر الصفات ولا يحل لنا أيضاً من أن نمثله بنزول الواحد منا من السطح إلى الأرض مثلاً لأن الله تعالى يقول ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ويقول ليس كمثلته شي وهو السميع البصير ﴿فَيَقْبَلُ﴾ "من يدعوني فأستجيب له" وفاء السبيبة تنصب الفعل المضارع إذا وقعت بعد سبعة أمور مجموعة في بيت مشهور بين طلبة العلم وهو قوله مر ، وادعوا ، وانتهى ، وسل ، واعرض لحظهم ثم وارجوا كذاك النفي قد كمل .

هذه سبعة أشياء متى سبقت فاء السبيبة نصب الفعل بأن مضرة بعد فاء السبيبة إذا فاستجيب له سبقها الإستفهام ، المراد بقوله وسل من يسألوني فأعطيه من يستغفري فأغفر له هذه ثلاثة أمور من يدعوني يقول يا رب فأستجيب له من يسألني يقول يا رب أعطني فيعطيه من يستغفري يقول اللهم اغفر لي فالله تعالى يغفر له الشاهد من هذا الحديث قوله فيقول من يدعوني فأثبت القول لله عز وجل وفي الأحاديث من صفات الله عز وجل النزول والكرم والسمع والعلم والقدرة كل هذه الصفات معروفة من الأحاديث لكن بعضها بالتضمن وبعضها بالإلتزام لننظر الآن من أجل أن تمرنوا على إثبات القول بالمطابقة أو بالإلتزام؟

بالمطابقة فيقول إثبات النزول بالمطابقة لإثبات المغفرة إثبات الاستجابة لإثبات العطاء كله بالمطابقة ، إثبات العلم باللزوم إثبات السمع والكرم والقدرة باللزوم وربما تجدون صفات أكثر في التأمل .

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد أن الأعرج حدثه "أنه سمع أبا هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: نحن الآخرون السابقون يوم القيامة" وبهذا الإسناد قال الله أنفق أنفق عليك .

الشاهد قوله "قال الله" وأصله قال الله يا ابن آدم أنفق أنفق عليك أنفق هذا الأمر يراد به الإنفاق الشرعي الذي أمر الله به أنفق عليك هذا مثل قوله تعالى ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ فإذا أنفق الإنسان ما أمر الله بإنفاقه أخلف الله عليه سواء والشاهد من هذا قوله قال الله "أنفق أنفق عليك" .

حدثنا زهير ابن حرب حدثنا ابن فضيل عن عمارة عن أبي زرعة "عن أبي هريرة قال: هذه خديجة أتتك ياناء فيه طعام أو إناء فيه شراب فأقرئها من ربها السلام وبشرها ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب"

الشاهد قوله "فأقرئها من ربها السلام" أن الله حمل جبريل عليه الصلاة والسلام أن يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأمانة "أقرئها من ربها السلام" أى قل لها إن الله يسلم عليك وهذه مرتبة عظيمة لخديجة رضى الله عنها أن الله سبحانه وتعالى من فوق سبع سمواته أقرعها السلام وهذا هو الشاهد لهذا الحديث .

حدثنا معاذ ابن أسد أخبرنا عبد الله أخبرنا معمر عن همام ابن منبه "عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" .

هذا أيضاً سبق الكلام عليه والشاهد منه قوله "أعددت لعبادي الصالحين" حيث أثبت القول لله فإن قال قائل لماذا إعتنى البخاري رحمه الله في هذه المسألة وساق فيها هذه الأحاديث المتنوعة قلنا لأن الحجة في الكلام على أشدها في زمنه رحمه الله فإذا قال قائل ما مناسبة هذه الأحاديث للترجمة أن يدلوا كلام الله قلنا إن الذين يقولون إن كلام الله مخلوق أو إن كلام الله هو المعنى القائم بالنفس هؤلاء قد بدلوا كلام الله أى جعلوه غير الواقع فإن الواقع أن كلام الله بحرف وصوت كما في هذه الأحاديث وهم جعلوه معنى قائم بالنفس أو جعلوه شيئاً مخلوقاً فهذا وجه إدخال هذه الأحاديث في الترجمة وإلا قد يدلوا للإنسان في أول وهلة أن المراد بتبديل كلام الله يعني تحريف الكلم بأن يأول مثلاً الإستواء بالإستيلاء واليد بالقدرة وما أشبه ذلك لكن المراد أن هؤلاء الذين أنكروا أن الله يتكلم وقالوا إن الكلام مخلوق أو أنه المعنى القائم بالنفس وما يسمع فهو عبارة عنه هؤلاء نعتبهم مبطلين لكلام الله حيث حملوه على ما لم يكن صواباً ، وقوله "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" هذا كقوله ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا لَا أُخْفِي لَهُمْ مَنقَرَةً أَعَيْنَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فإن قال قائل إذا كانت العين لم تره والأذن لم تسمعه والقلب لم يخطر عليه هذا فكيف نعرف النعيم؟ قلنا نعرفه: بالقدر المشترك بين ما في الدنيا وما في الآخرة وإن كان ما في

الآخرة يختلف إختلافاً عظيماً عما في الدنيا ولهذا قال ابن عباس ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء فقط ٢٣-
المسميات فإنها تختلف إختلافاً كبيراً.

حدثنا محمود حدثنا عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج أخبرني سليمان الأحول أن طائوساً أخبره أنه
"سمع ابن عباس يقول: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا تهجد من الليل قال: اللهم لك الحمد أنت نور
السموات والأرض ، ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض ، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض
ومن فيهن ، أنت الحق ، ووعدك الحق ، وقولك الحق ، ولقاؤك الحق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنيبون
حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك
حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت إلهي لا إله إلا أنت"

الشاهد من هذا الحديث قوله: "وقولك الحق" فقول الله هو الحق فيما يحكم به وهو الحق فيما يخبر
به فما حكم به فهو عدل أو فضل وما أخبر به فهو صدق كما قال تعالى ﴿وَوَقَّتْ لِرَبِّكَ صَدَقَاتٍ
وَعَدَلًا﴾.

حدثنا حجاج ابن منهال حدثنا عبد الله ابن عمر النمرى حدثنا يونس ابن يزيد الأيلي قال سمعت
الزهري قال "سمعت عروة ابن الزبير وسعيد ابن المسيب وعلقمة ابن وقاس وعبيد الله ابن عبد الله عن
حديث عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله مما قالوا وكل
حدثي طائفة من الحديث الذي حدثني عن عائشة ، قالت: ولكن والله ما كنت أظن أن الله ينزل براءتي
وحياً يتلى والثاني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر يتلى ، ولكني كنت أرجو أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يروني الله بها فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ جَاءَ بِالْإِفْكِ﴾ العشر
الآيات".

الشاهد قولها رضى الله عنها "أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر يتلى" فثبتت كلام الله عز وجل وفي
هذا دليل على تواضع عائشة رضى الله عنها وهكذا ينبغي للإنسان أن يحقر نفسه لا أن ينزلها بمنزلة عالية
فيغتر ويعجب ويتعظم ولهذا يقال رحم الله امرئ عرف قدر نفسه مع أن عائشة رضى الله عنها قدرها
عظيم ولا سيما أنها فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقدح فيها بهذا الأمر قدحاً برسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا كان إشاعة هذا الإفك من المنافقين ليس من أجل عائشة بنت أبي بكر هي
إمرأة من النساء يجوز عليها ما يجوز على النساء لكن من أجل أنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليتوصلوا
بالقدح فيها إلى القدح في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا عظم الله هذا الأمر ﴿وَإِذْ تَلَقَّوْنَهُ
بِالْسَّتْكُمْ وَتَقُولُونَ بَأْوَاهَكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ
قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ يَعِظُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ وَيَبِينَ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

فالشأن كل الشأن في هذه القصة هو تطهير فراش الرسول صلى الله عليه وسلم مما يروم هؤلاء
المنافقون وبراءة هذه المرأة الطيبة الطاهرة.

حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا المغيرة ابن عبد الرحمن عن أبي الزناد عن الأعرج "عن أبي هريرة" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يقول الله إذا أراد عبي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فإن عملها فاكتبوها بمثلها ، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة ، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها ، فاكتبوها له حسنة فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة".

هذا الشاهد منه قوله يقول الله "إذا أراد عبي أن يعمل سيئة" إلى آخره وفي ههنا الحديث بيان فضل الله عز وجل على عباده حيث إن الشيئة لا تكتب حتى يعملها فإن هم بها فتركها لله كتبت حسنة لأنه تركها لله السيئة إذا هم بها ولم يعملها كتبت حسنة لأنه هم بها فتكتب حسنة على هذا أهم فإن عملها كتبت عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة واعلم أن من هم بالسيئة فلم يعملها فلا يخلوا من ثلاث حالات:-

الحالة الأولى:- أن يهم بها ثم يدعها لله يخوف من الله ويتركها كما فعل الرجل الذي هم أن يقع بإبنة عمه وهو أحد الثلاثة الذين إنطبق عليهم الغار فلما جلس منها ما يجلس الرجل من إمرأته قالت يا هذا اتق الله ولا تفظ الخاتم إلا بحقه فقام عنها وهي أحب الناس إليه هذا ترك هذا الفعل لله هذا يكتب له حسنة وهذه الحسنات تتضاعف بقدر ما يحمله عليها فإذا كان تركها شديداً عليه كان أجرها أكثر.

الحال الثانية:- أن يهم بالسيئة ثم يدعها لا الله ولا لخوف من أحد ولكنه زالت همته فهذا ليس عليه ولا له .
الحال الثالثة:- أن يهم بالسيئة ولكنه يدعها عاجزاً عنها يعرف أنه لا يمكنه ذلك كرجل هم أن يسرق ولكن عرف أن رجال الأمن لا يمكنوه من ذلك فهذا يكتب له سيئة أما إذا عمل العمل لأجل الوصول إلى السيئة ولكن عجز فهذا يكتب له عقاب السيئة كاملاً ودليل هذا الأخير قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم "إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار" قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لأنه كان حريصاً على قتل صاحبه فيكتب عليه الوزر كاملاً أما الذي تركه عاجزاً ولكن لم يعمل فإن هذا يكتب له الوزر لكنه ليس كوزر من فعل بل دون ذلك.

حدثنا اسماعيل ابن عبد الله حدثني سليمان ابن بلال عن معاوية ابن أبي مزرد عن سعيد ابن يسار "عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فقال: مه ، قالت هذا مقام العند بك من القطيعة ، فقال: ألا ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب ، قال: فذلك لك ، ثم قال أبو هريرة: فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم؟"

الشاهد من هذا "قامت الرحم فقال مه" القائل من؟ الله عز وجل ثم قال ألا ترضين إلى آخره والقائل هو الله فدل ذلك على أن كلام الله مسموع وأنه مجرب وهذا هو الذي أراده البخاري رحمه الله تركيداً.

الدرس والثلاثون:-

حدثنا مسدد حدثنا سفيان "عن صالح عن عبيد الله عن زيد ابن خالد قال: مُطِرَ النبي صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم فقال: قال الله: أصبح من عبادي كافر بي ومؤمن بي"

هذا حديث مختصر من حديث مطول أن الرسول صلى الله عليه وسلم أصبح في الحديبية على إثر سماء كانت من الليل فقال "هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم ، قال: قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال مطرونا بفضل الله ورحمته فهذا مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال مطرونا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب" والشاهد من هذا الحديث قوله "قال الله" فأثبت لله تعالى قولاً .

حدثنا اسماعيل حدثني مالك عن أبي الزناد عن الأعرج "عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال الله: إذا أحب عبيدي لقائي أحببت لقاءه ، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه"

الشاهد فيه إضافة القول إلى الله عز وجل ، لو قال قائل كل آية في القرآن يمكن أن نستدل بها على إضافة القول لله؟ نعم ، ومن قال إن كلام الله مخلوق فقد بدل كلام الله .

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج "عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال الله أنا عند ظن عبدي بي" .

حدثنا اسماعيل حدثني مالك عن أبي الزناد عن الأعرج "عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال رجل - لم يعمل خيراً قط - إذا مات فحرقوه وأزروه نصفه في البر ونصفه في البحر ، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبه عذاباً لا يعذبه أحدٌ من العالمين ، فأمر الله البحر فجمع ما فيه ، وأمر البر فجمع ما فيه ، ثم قال: من خشيتك وأنت أعلم ، فغفر له" .

هذا الحديث فيه إشكال وهو أن ظاهره أن هذا القائل ظن أن الله لا يقدر عليه والشك في قدرة الله كفر ، فكيف غفر الله له؟ يقال إن هذا كان جاهلاً فظن أنه إذا فعل ذلك فإن الله تعالى لا يعثبه فلم يلحقه معرة من ذلك ، لكن ما في قلبه من خشية الله وخوفه منه هو الذي جعل الله تعالى يغفر له بسبب ما عنده من الخوف والخشية .

حدثنا أحمد ابن اسحاق حدثنا عمرو ابن عاصم حدثنا همام حدثنا اسحاق بن عبد الله سمعت عبد الرحمن ابن أبي عمرة قال: "سمعت أبا هريرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال: ان عبداً أصاب ذنباً - وربما قال أذنب ذنباً - فقال: رب أذنب ذنباً - وربما قال أصبت - فاعفر ، فقال ربه أعلم عبيدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي: ثم مكث ما شاء الله ، ثم أصاب ذنباً - أو أذنب ذنباً - فقال رب أذنب - أو أصبت - آخر فاعفوه ، فقال: أعلم عبيدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي: ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنباً - وربما قال أصاب ذنباً - فقال: رب أصبت - أو أذنب - آخر فاعفر لي ، فقال أعلم عبيدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي ثلاثاً فليعمل ما شاء" .

يعني فليعمل ما شاء من الذنب والتوبة منه فكلما أذنب الإنسان وتاب فإن الله يتوب عليه ، وإذا عاد إلى الذنب فإن التوبة الأولى لا تنخرم ولا تنهدم ، لكن يجب أن يجدد للذنب الثاني توبة فإذا جدد تاب الله عليه فقوله "فليعمل ما شاء" أى فليعمل ما شاء من المعاصي والذنوب ، والشاهد من هذا فقال علم عبيدي .

حدثنا عبد الله ابن أبي الأسود حدثنا معتمر سمعت أبي حدثنا قتادة عن عقبة ابن عبد الغافر "عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر رجلاً فيمن سلف - أو فيمن كان قبلكم - قال كلمة يعني أعطاه الله مالاً وولداً ، فلما حضرت الوفاة قال لبيته: أى أبكنت لكم؟ قالوا: خير أب . قال: فإنه لم يبتسر - أو لم يبتز - عند الله خيراً وإن يقدر الله عليه يعذبه ، فانظروا إذا مت فاحرقوني حتى إذا صرت فحماً فاسحقوني - أو فاسحقوني - فإذا كان يوم ريح عاصف فأذروني فيها . فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: فأخذ مواليقهم على ذلك وربي ، ففعلوا ثم أذروه في يوم عاصف ، فقال الله عز وجل كن . فإذا هو رجل قائم . قال الله: أى عبيدي ما حملك على أن فعلت ما فعلت؟ قال فخافتك - أو فرق منك - قال: فما تلافاه أن رحمه عندها ، وقال مرة: فما تلافاه غيرها فحدثت به أبا عثمان فقال سمعت هذا من سلمان غير أنه زاد فيه: أذروني في البحر أو كما حدث"

هذا كالأول لكنه يختلف عنه بعض الشيء ، والمقصود واحد وهو إثبات القول لله عز وجل .

حدثنا موسى حدثنا معتمر ، وقال: لو يبتسر ، وقال لى خليفة حدثنا معتمر وقال: لم يبتسر ، فسرره قتادة لم يدخره .

باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم

حدثنا يوسف بن راشد حدثنا أحمد بن عبد الله حدثنا أبو بكر بن عياش عن حميد قال: "سمعت أنسا رضى الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إذا كان يوم القيامة شفعت فقلت يا رب أدخل الجنة من كان في قلبه خردلة فيدخلون ، ثم أقول أدخل الجنة من كان في قلبه أدنى شيء ، فقال أنس كائني أنظر إلى أصابع الرسول صلى الله عليه وسلم"

الشاهد من هذا الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم تكلم مع الله .

حدثنا سليمان ابن حرب حدثنا حماد ابن زيد حدثنا معبد ابن هلال العنزي قال: اجتمعنا ناس من أهل البصرة فذهبنا إلى أنس ابن مالك وذهبنا معنا ب ثابت البناني إليه يسأله لنا عن حديث الشفاعة فإذا هو في قصره فوافقناه يصلى الضحى فاستأذنا فأذن لنا وهو قاعد على فراشه فقلنا لثابت لا تسأله عن شيء أول من حديث الشفاعة فقال يا أبا حمزة هؤلاء إخوانك من أهل البصرة جاءوك يسألونك عن حديث الشفاعة فقال: حدثنا محمد صلى الله عليه وسلم فقال: إذا كان يوم القيامة ماج الناس في بعض فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا إلى ربك فيقول لست لها إلى آخر حديث الشفاعة .

سياق حديث أنس جيد وفيه أيضاً فائدة وهو أنه لم يذكر أعداء الأنبياء التي إعتدوا بها ، لم يذكر عن آدم ، ولا عن نوح ، ولا عن إبراهيم ، ولا عن موسى ، لأن المقام يقتضي ذلك ، فإن أهل البصرة في

آخر عمره حصل منهم بدع منكورة منها بدعة الخوارج وبدعة المعتزلة ولهذا طوى ذكر الشفاعة العظمى مع ١٧٧-
أن المراجعة للأنبياء إنما هي من أجل الشفاعة العظمى أن يقضي الله بين العباد فيريحهم من الموقف ، ثم أتى
إلى ذكر الشفاعة فيمن دخل النار أن يخرج منها ، لأن المعتزلة والخوارج ينكرونها فأراد رضى الله عنه هو
وغيره من الذين حدثوا بأحاديث الشفاعة في من دخل النار أن يخرج منها أرادوا أن يقرروا أن عصاة المؤمنين
وإن دخلوا النار يخرجون منها .

حدثنا محمد ابن خالد حدثنا عبيد الله ابن موسى عن اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن عبيدة
عن عبد الله قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن آخر أهل الجنة دخولا الجنة ، وآخر أهل
النار خروجا من النار رجل يخرج حيا ، فيقول له ربه ادخل الجنة ، فيقول رب الجنة ملأى ، فيقول له
ذلك ثلاث مرات ، فكل ذلك يعيد عليه ، الجنة ملأى ، فيقول إن لك مثل الدنيا عشر مرار" .
الشاهد من هذا قوله "فيقول" وهذا الكلام يوم القيامة كما قال البخاري .

حدثنا علي بن حجر أخبرنا عيسى بن يونس عن الأعمش عن خيثمة عن عدي بن حاتم قال:
"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن
منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة"
قال الأعمش وحدثني عمرو ابن مرة عن خيثمة مثله وزاد فيه: ولو بكلمة طيبة
الشاهد قوله "إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان" .

حدثنا عثمان ابن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور عن ابراهيم عن عبيدة عن عبد الله رضى الله
عنه قال: جاء حبرة من اليهود فقال: إنه إذا كان يوم القيامة جعل الله السموات على اصبع والأرضين
على اصبع والماء والثرى على اصبع والخلاق على اصبع ثم يهزهن ثم يقول: أنا الملك أنا الملك ، فلقد
رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يضحك حتى بدت نواجذه تعجيباً وتصديقاً لقوله ، ثم قال النبي صلى
الله عليه وسلم "وما قدر الله حق قدره - إلى قوله - يشركون" .

حدثنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن صفوان ابن محرز "أن رجلاً سأل ابن عمر: كيف
سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى؟ قال: يدنوا أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه
فيقول: أعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم ، ويقول عملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم ، فيقرره ثم يقول إني
سرتها عليه في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم"

وقال آدم حدثنا شيبان قال حدثنا قتادة قال حدثنا صفوان عن ابن عمر رضى الله عنهما "قال سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم .

الشاهد من هذا قوله "يضع كنفه عليه" أى ستره "فيقول أعملت كذا وكذا فيقول نعم" وكما
رأيت البخاري رحمه الله أكثر من ذكر الأحاديث الدالة على كلام الله عز وجل وقوله لأنه في زمنه قد
اشتدت محنة القول بخلق القرآن ، فكان لابد من أن يكثر الأحاديث في ذلك ليتقرر القول الحق في هذا .

باب ما جاء في قول الله عز وجل: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾

حدثنا يحيى ابن بكير حدثنا الليث حدثنا عقيل عن ابن شهاب حدثنا حميد ابن عبد الرحمن عن أبي -
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: احتج آدم موسى ، فقال موسى: أنت آدم الذي أخرجت
ذريتك من الجنة ، قال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وكلامه ثم تلومني على أمر قد قدر
علي قبل أن أخلق ، فحج آدم موسى".

باب قول الله تعالى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ هذه الآية صريحة في أن الله سبحانه وتعالى يتكلم
كلاماً حقيقة ، وجه الدلالة أن الفعل أكد بالمصدر ، قال العلماء ومن فوائد التوكيد نفى احتمال المجاز ، فإذا
قلت مثلاً ضربت الرجل ضرباً فإن ضرباً تؤكد أن المراد بقولك ضربت الضرب الحقيقي ، كلم الله موسى
تكليماً كذلك تدل على أن الله سبحانه وتعالى كلم موسى تكليماً أى كلاماً حقيقة ، فالتوكيد ينفي احتمال
المجاز وأهل السنة والجماعة الذين بنوا عقيدتهم على عقيدة السلف نقول نؤمن بأن الله يتكلم كلاماً حقيقة
يسمعه من وجه الخطاب إليه ، لكن أهل التعطيل والإنكار يقولون إن الله تعالى لا يتكلم كلاماً حقيقة
ويقولون معنى هذه الآية ﴿كلم الله موسى تكليماً﴾ أى جرحه بمخالب الحكمة ، قالوا لأن الكلم بمعنى
الجرح ومنه قوله تعالى "ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلا إذا كان يوم القيامة جاء وكلمه ينعب دماً" أى
جرحه ، فيقال هذا التفصيل الذي ذكرتم بعيد عن المعنى بل ممتنع لأن الله يقول كلم الله موسى ، ثم قال
بعضهم القراءة الصحيحة وكلم الله موسى تكليماً ، فحرف اللفظ ، لماذا قال كلم الله موسى تكليماً؟
ليكون الكلام من موسى لله ، فقيل له ماذا تقول في قوله تعالى ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه﴾ هذه
لا يمكن فيها التحريف اللفظي ، فهت .

ثم ساق المؤلف رحمه الله حديث احتجاج موسى على آدم ، قال "أخرجت ذريتك من الجنة" لماذا؟
لأنه أكل من الشجرة بعد أن نهاه الله عن الأكل منها ، فلامه موسى لتسببه في إخراج الذرية من الجنة ،
ولكن آدم قال "أنت موسى الذي اصطفاك برسالاته وكلامه" هذا هو الشاهد "ثم تلومني على أمر قد قدر
علي قبل أن أخلق فحج آدم موسى" أى فعله في الحجة ، وهذا الحديث اختلف فيه الناس فالمعتزلة قالوا هذا
حديث لا يصح لأنه خبر آحاد وخبر الآحاد لا يقبل في العقائد وأفعال العباد ليست مكتوبة عند الله بل العبد
مستقل بعمله ، وأما الجبرية فتلقوا هذا الحديث بالقبول وقالوا إن آدم احتج بالقدر وخكم النبي صلى الله
عليه وسلم بصحة احتجاجه على موسى ، وأهل السنة والجماعة قبلوا الحديث لكنهم قالوا ليس فيه دليل
لمذهب الجبرية لأن آدم لم يحتج بالقدر على فعل المعصية وموسى أيضاً لم يحتج على آدم بفعل المعصية إنما
احتج على إخراجهم من الجنة ، فاحتج آدم بالقدر على المعصية التي حصلت بغير إختياره وإرادته لأن آدم لو
علم أنه سوف يخرج من الجنة ما أكل بدليل أن إبليس وسوس له وقال هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا
يبلى فيكون احتجاج آدم بالقدر على المصائب لا على المعائب ونظر ذلك أن يسافر شخص فيصاب بحادث
فيلومه لائم فيقول أنا ما سافرت من أجل أن يضيبي الحادث لكن هذا قضاء الله وقدره ، فآدم لم يأكل من
الشجرة من أجل أن يخرج من الجنة لكن صارت النتيجة التي لم يعلم بها من قبل هو أنه خرج من الجنة فصار
الإحتجاج هنا على المعصية لا على الفعل ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم "أحرص على ما ينفعك

واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء - أى بعد الحرص - فلا تقل لو أني فعلت كذا لكن قل قدر الله - حيثئذ احتج بالقدر ، وهذا الوجه كما ترون ظاهر في القوة لا سيما وأن موسى عليه السلام أعلم وأبر من أن يصم أباه يعقوب تاب منه وهده الله واجتبه بعده ، وخرج ابن القيم رحمه الله هذا الحديث تخريجاً آخر وقال إن آدم إنما احتج بالقدر على معصيته بعد أن تاب إلى الله وندم ، وليس كإحتجاج المشركين على شركهم الذي أبطله الله لأن إحتجاج المشركين على شركهم يريدون بذلك دفع اللوم عنهم واستمرارهم على شركهم ، فأما إذا احتج الإنسان بالقدر على معصيته بعد أن تاب ورجع إلى الله فإن هذا لا بأس به مثاله رجل فعل معصية وتاب وصلاح حاله فلامه بعض الناس فقال أفلت مني بقضاء الله وقدره وأنا أستغفر الله وأتوب إليه فهذا الإحتجاج على ما ذهب إليه ابن القيم إحتجاج صحيح واستدل له بحديث على الذي مر علينا حين جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت على فوجده نائماً هو وفاطمة فقال ما منعكما أن تقوما قال إن أنفسنا بيد الله ولكن ما ذهب إليه شيخ الإسلام رحمه الله بالنسبة لتخريج الحديث أولى أما بالنسبة لإحتجاج الإنسان بالقدر بعد فعل المعصية والتوبة منها فهذا لا بأس به .

حدثنا مسلم ابن ابراهيم حدثنا هشام حدثنا قتادة "عن أنس رضى الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيرجعنا من مكاننا هذا فيأتون آدم فيقولون له أنت آدم أب البشر خلقك الله بيده وأسجد لك الملائكة وعلمك أسماء كل شيء ، فاشفع لنا إلى ربك حتى يرجعنا فيقول لهم لست هناك ، فيذكر لهم خطيئته الذي أصاب ."

ذكر المؤلف هذا طرفاً من الحديث الطويل الذي فيه ذكر مرورهم على موسى وذكرهم أن الله كلمه .

حدثنا عبد العزيز ابن عبد الله حدثنا سليمان عن شريك ابن عبد الله أنه قال: سمعت ابن مالك يقول ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم ، فقال أحدهم خذوا خيرهم ، فكانت تلك الليلة فلم يرههم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عنه ولا ينام قلبه ، وكذلك الأنبياء تمام أعينهم ولا تمام قلوبهم ، فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بشر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه ، فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقي جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشوراً إيماناً وحكمة ، فحشا به صدره ولغاديدته - يعني عروق حلقه - ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا فضرب باباً من أبوابها " إلى آخر حديث المعراج .

انتبهوا إلى الحديث من مسجد الكعبة وهو نائم بالمسجد الحرام ، ولكن اشتهر عند الناس أن الرسول صلى الله عليه وسلم أسرى به من بيت أم هانئ ، والصواب أنه أسرى به من المسجد الحرام نفسه فإنه كان نائماً في الحجر فأسرى به من هناك ، وجمع بينهما بعض العلماء فقال إنه كان نائماً في بيت أم هانئ فأوقف ثم قام فنام في المسجد فكان ابتداء الإسراء من بيت أم هانئ ولكن حقيقته كانت من المسجد الحرام ، وفيه

أيضاً أن مسجد الكعبة هو نفس المسجد الذي هو موضع الصلاة وعلى هذا فيكون التفضيل الوارد في ٢٨- صلاة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم خير من ألف صلاة مما سواه إلا المسجد الحرام هذا لفظ الصحيحين ، ولفظ مسلم من حديث ميمونة قال إلا مسجد الكعبة يدل على أن المراد بالمسجد الحرام هو موضع الصلاة المكان الذي فيه الكعبة وليس المراد جميع الحرم حتى نقول إن التضعيف يكون في جميع مكة بل نقول أن التضعيف يكون في المسجد الذي فيه الكعبة فقط ، كما أن الذي تشد إليه الرحال هو مسجد الكعبة فقط فلا تشد الرحال مثلاً إلى مسجد في العزيزية أو مسجد في الأبطح أو ما أشبه ذلك .

والشاهد من هذا الحديث الكلام مع الله عز وجل في ليلة المعراج ، والمعراج والإسراء ثابتان في القرآن الكريم قال الله تعالى في الإسراء ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ وقال في المعراج ﴿والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى - إلى أن قال - لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ وهما على القول الراجح في ليلة واحدة ، والعروج كان بروحه وجسده وليس بروحه فقط وهو حقيقة وصاحبه فيه جبريل يصعد به إلى السماء الدنيا ثم الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة حتى يصل إلى السماء السابعة .

وفي هذا الحديث أن موسى في السابعة وأن إبراهيم في السادسة وهو خطأ ، فإن إبراهيم في السابعة وموسى في السادسة وهارون في الخامسة وإدريس في الرابعة ، وهنا ذكر أن إدريس في الثانية وهو غلط أيضاً وهذا السياق الذي ذكره البخاري رحمه الله هنا فيه شيء يحتاج إلى تحرير وعلى كل حال فإن الإسراء والمعراج لا يُعلم متى كانت ، وما اشتهر عند الناس أنه ليلة السابع والعشرين من رجب لا أصل له ، وأقرب ما يقال أنه كان في ربيع الأول قبل الهجرة بنحو ثلاث سنوات ، صلى النبي صلى الله عليه وسلم هذه الثلاث سنوات الرباعية ركعتين ولما هاجر إلى المدينة زيد في صلاة الحضر وأقرت صلاة السفر على الفريضة الأولى ، والمعراج من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرج بأحد من الأنبياء قبله .

الدرس الحادي والثلاثون:-

"باب كلام الرب مع أهل الجنة"

حدثنا يحيى ابن سليمان حدثني ابن وهب قال حدثني مالك عن زيد ابن أسلم عن عطاء ابن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال "النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة ، فيقولون ليك ربنا وسعديك ، واخير في يديك ، فيقول هل رضيتم؟ فيقولون وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك ، فيقولون يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً" .

هذا فيه إثبات كلام الرب مع أهل الجنة وإثبات الرضا لله وإتفاء السخط عن أهل الجنة ، أما القول فقد سبق الكلام فيه ، أما الرضا فهل هو من الصفات الذاتية أو الفعلية؟ من الصفات الفعلية ، لماذا؟ يتعلق بعشيتته ، وقد قلنا كل صفة ذات سبب فهي فعلية ، الرضا هل هو الإثابة والإعطاء أو هو شيء آخر؟ هو

شيء آخر ، ولا يحرفه إلى الإثابة أو الإعطاء إلا من لا يثبتون الصفات الفعلية لله عز وجل ، وبحالون -
الصفات الفعلية إلى القدرة أو الإرادة أو المفعول .

حدثنا محمد ابن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال عن عطاء ابن يسار "عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوماً يحدث وعنده رجل من أهل البادية أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع فقال: أولست فيما شئت؟ قال: بلى ولكني أحب أن أزرع ، فأسرع وتبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال فيقول الله دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شيء ، فقال الأعرابي لرسول الله لا تجد هذا إلا قرشياً أو أنصاريأ فإنهم أصحاب زرع فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع ، فضحك رسول الله .

هذا من الفلاخين يريد أن يزرع حتى في الجنة ولكنه كما سمعتم يتبادر الطرف نباته يعني مثل الطرف ينبت بسرعة ويستوي بسرعة ويستحصد ويكرم بسرعة فيحصل ما في نفسه لأن الله قال: ﴿وَلَهَا مَا تَشْتَهُهُ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ وإن كان ليس كزرع الدنيا يبقى ستة أشهر أو نحوها ، كنت أتوقع أن الأعرابي يسأل ويقول وهل في الجنة من إبل وأظنه ورد فيه هذا أن فيها نوقاً من الذهب لكن لا أذكره جيداً .
باب ذكر الله بالأمر ، وذكر العباد بالدعاء والتضرع والرسالة والبلاغ لقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكَرَكُم﴾ واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت ، فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون ، فإني توليتكم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين ﴿غمة: هم وضيق قال مجاهد: اقضوا إلى ما في أنفسكم ، افرق: اقض

وقال مجاهد: وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ، إنسان يأتيه فيسمع ما يقول ، وما أنزل عليه فهو آمن حتى يأتيه فيسمع كلام الله ، وحتى يبلغ مأمنه حيث جاء ، والنبأ العظيم: القرآن ، صواباً: حقاً في الدنيا وعمل به

يقول البخاري رحمه الله "باب ذكر الله بالأمر وذكر العباد بالدعاء والتضرع والرسالة والإبلاغ" يعني أن الله سبحانه وتعالى يكون كلامه المضاف إليه كلامه بنفسه وأما العباد فلهم الدعاء والتضرع والرسالة والإبلاغ يقول تعالى ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ كلام الله المبلغ من قبل التالي وليس كلام الله الذي هو فوق العرش عز وجل ، ثم ذكر الآيات قال لقوله تعالى ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكَرَكُم﴾ واشكروني ولا تكفرون ﴿حذف المؤلف آخر الآية مع أنه كان ينبغي أن يذكر لأن الشكر لله هو العبادة ، إذكروني أذكركم هذا شرط وجواب إذكروني أمر جوابه أذكركم وهذا التركيب عند علماء النحو فيه قولان:-

القول الأول:- أن أذكركم جواب الأمر . القول الثاني:- أن أذكركم جواب لشرط مقدر تقديره فأذكروني ، إن تذكروني أذكركم .

ولكن القول الأول أصح لأنه إذا دار الكلام بين التقدير وعدمه فالأولى عدم التقدير والكلام يستقيم - ١٨٢ -

بلا تقدير ، إذ كروني أذكركم ، إذ كروني بأى شئ؟ بنفوسكم والستكم وجوارحكم ، من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملئ ذكرته في ملئ خير منهم ، إذا فكونك ساعة من الليل تتأمل أو تتفكر في الرب عز وجل في أسمائه وصفاته وآياته الكونية والشرعية يعتبر هذا ذكراً ، وكونك تنطق بلسانك سبحان الله والحمد لله والله أكبر هذا ذكر ، وكونك تنفي على الله عز وجل بنعمه عند جماعة من الناس هذا أيضاً ذكر وكونك تقوم بطاعته بالجوارح بالركوع والسجود والقيام والقعود وغير ذلك هذا أيضاً ذكر ، فإله تعالى يقول ﴿فأذكروني أذكركم﴾ والجزاء من جنس العمل ، واتل عليهم يا محمد نبأ نوح إذ قال لقومه ، النبأ هو الخبر الهام نوح أول الرسل إذ قال لقومه ، إذ متعلقة بقوله تعالى اتل أو نبأ؟ هل تلاوته حين قال نوح لقومه؟ لا ، إذا لا تصح به اتل ولكن نبأه ، إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبير عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله يعني عظم عليكم وشق عليكم فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ، وهذه قوة عظيمة وتحدي عظيم ، يقول إن كان الأمر قد كبير عليكم وعظم مقامي بينكم وتذكيري إياكم بآيات الله فأنا متوكل على الله معتمد عليه واثق به جل وعلا وأنتم لا تهموني ، اجمعوا أمركم أى إعزموه وجدوا فيه واجمعوا شركاءكم ، ولهذا نقول الواو حرف عطف وشركاء مفعول لفعل محذوف تقديره واجمعوا شركاءكم ولا يصح أن يكون معطوفاً على أمر لأن المعنى يفسد ، ثم لم يكن أمركم عليكم غمة يعني ءاتوا إلى ببصرة تحذاهم بعدة أمور أولاً أن يعزموا بلا تردد يؤخذ من قوله أجمعوا أمركم ، الثاني أن يجتمعوا بلا تفرق من قوله وشركاءكم ، الثالث:- أن يتأنوا بلا عماء من قوله ثم لا يكن أمركم عليكم غمة يعني ءاتوا بتأني وتبصر ، ثم اقضوا إلى ولا تنظرون يعني إلتهوا بالقضاء حتى تصلوا إلى وتقضوا على ، سبحان الله وحيد يقول هذا الكلام لأنه آوى إلى ركن شديد إلى الله ، أول ما قدم توكلت على الله فعلى الله توكلت ، ثم اقضوا إلى ولا تنظرون أيضاً بسرعة وليكن قضاؤكم على بسرعة لا تمهلوني ، يقول بعض العلماء إن هذا يعتبر آية أوتيتها نوح لأن كونه يتحدى هذا التحدي لقومه وهو وحيد وعجزوا أن يدبروا ما تحذاهم به يعتبر آية لأنه لم يذكر له آية معينة ، صالح له آية معينة وكذلك عيسى وموسى لكن نوح ما في آية معينة تدل على ذلك ، لكن مثل هذا الكلام وصبره على قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يعتبر آية من آيات الله فإن توليتم فما سألتكم من أجر يعني إن توليتم فأننا لن أضيع لأنني لست أقول آمنوا بي وأعطوني دراهم ، إن توليتم فإن ذلك لا يضر بالنسبة لي لأن لإيمانكم بي لا يعني أنكم تعطوني أجراً ، إن أجرى إلا على الله أجره على الله وثواب الآخرة الذي هو خير من ثواب الدنيا ، وأمرت أن أكون من المسلمين أمر وهو نبى أن يكون من المسلمين ، والإسلام وصف يشترك فيه الأنبياء وأتباعهم بإحسان كلهم مسلمين لكن هناك فرق بين إسلام الأنبياء وإسلام الأتباع ، أيهما أقوى؟ إسلام الأنبياء لا شك لكن يشتركون في كون كل منهما مسلماً.

يقول غمة: ضيق يعني بذلك قوله ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ، والمعنى الذي ذكره له وجه ولكن الذي ذكرناه أحسن يعني لا يكمن أمركم فيه تعمية كما يقال غم الهلال إذا إستتر فلم يرى والمعنى ءاتوا على ببصرة وتأنى لكن ما قاله المؤلف لا بأس به .

قال مجاهد إقصوا إلى ما في أنفسكم وهو القضاء عليه أى إهلكوني أقتلونني لكن ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً يقال أفرق: إقص ، هو لو قال أفرق كما قال تعالى أفرق بيننا وبين القوم الفاسقين يعنى إفصل بيننا ، وقال مجاهد وهو إمام التابعين في التفسير وقد أخذ تفسيره عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنهما قال في قوله تعالى ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ إن أحد مشكلة كيف دخلت إن الشرطية على أحد وهى إسم؟ خرجها علماء النحو على الوجه التالية:-

الوجه الأول:- أنه لا مانع من أن يلي الإسم حرف الشرط ، وعلى هذا القول يكون قوله أحد مبتدأ واستجارك خبره ، فأجره جواب الشرط وهذا مذهب الكوفين ، ونظير ذلك قوله تعالى ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ يقولون السماء مبتدأ وإنشقت خبره .

الوجه الثاني:- أن أحد فاعل مقدم ، وأنه لا بأس بتقديم الفاعل ، وعلى هذا تكون الجملة فعلية ، والتقدير وإن استجارك أحد من المشركين ، لكن قدمت أحد فقيل وإن أحد من المشركين لكن قدمت أحد فقيل وإن أحد ، وهذا أيضاً مذهب الكوفين ، جواز تقديم الفاعل ، وعلى ذلك قولك زيد قام ، يقولون زيد فاعل مقدم ، وقام فعل ماضى وليس فيه ضمير .

القول الثالث:- قول البصريين وهم في الغالب متشددون يقولون أحد فاعل لفعل محذوف يفسره ما بعده والتقدير وإن استجارك أحد من المشركين ، والمبتدئون في طلب العلم يقولون التدير وإن استجارك أحد استجارك هذا غلط لأنه لا يجمع بين المنسّر والمنسّر فأنّت إذا أردت التّقدير تقول التدير وإن استجارك أحد .

على كل حال لدينا قاعدة دل عليها القرآن والسنة وهى أن تتبع الأيسر من أقوال النحويين لأننا لا نأثم بذلك ، الدليل من القرآن ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ الدليل من السنة "ما خير النبي صلى الله عليه وسلم بين شيئين إلا إختار أيسرهما بشرط ما لم يكن إثماً" ، استجارك أى طلب الجوار ، والجوار يعنى طلب المنع والحماية ، فأجره حتى يسمع كلام الله ، يعنى لو قال رجل من الكفار الحريين أجيروني حتى أسمع القرآن لعل ينتفع به فالواجب علينا أن نجبره حتى يسمع كلام الله فإذا سمع وكان له قلب وإن لم يكن مسلماً فسيتذكر لقوله تعالى ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ حتى يسمع كلام الله فإذا سمع كلام الله وقال أريد أن أرجع هل نقول له لا ترجع لا بد أن تؤمن وإلا قتلناك لأنك تلعب علينا؟ الجواب لا ، ثم أبلغه أمانة أنظر إلى معاملة الإسلام إلى غير أهله نرده إلى مأمته أى إلى المكان الذي يأمن فيه وهو أرض الكافر ولا نقول له أنت لعبت علينا سمعت كلام الله ولم تؤمن بل نقول نردك إلى مأمتك فإن اهتمت فسنجذك وإن لم تهتدي فالجرب بيننا وبينك ، يقول: يأتيه إنسان فيستمع ما يقول وما أنزل عليه فهو آمن حتى يأتيه فيسمع كلام الله وحتى يبلغ مأمته حيث جاءه أى من المكان الذي جاء منه .

ثم قال: النبأ العظيم: القرآن ، يشير إلى قوله تعالى ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ أو إلى قول الله تعالى ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ وسواء هذا أو هذا فالعني واحد ، النبأ العظيم الظاهر أنه يريد النبأ لقوله بعده صواباً حقاً ، إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً ، وهذه في النبأ

، حقاً قال في الدنيا وعمل به يعني يسمع القرآن في الدنيا ويعمل به أو قال صواباً يعني حقاً في الدنيا وعمل به -
أى بالحق في الدنيا لأنه إذا عمل حقاً في الدنيا فإنه يكون من أهل الشفاعة فيؤذن له .

على كل حال المؤلف ما ذكر حديثاً في هذا الباب ولعله لم يجد حديثاً على شرطه يتعلق بهذا الباب ،
والحاصل في هذا الباب أن الأمر من الله والدعاء والعبادة من المخلوقين والرسالة والإبلاغ على الرسل لقوله
تعالى ﴿ إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴾ ﴿ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِين ﴾ والعلماء ورثة الأنبياء يجب عليهم أن يبلغوا
ما وجب على الرسل ، أن يبلغوا ، وأما الهداية فيلإى الله ، تبلغ الشرع فإن إهتدى الناس فهذا لك ولهم ، وإن
لم يهتدوا فلك وعليهم .

باب قول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً ﴾

وقوله جل ذكره ﴿ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتُنَزِّلَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ ﴿
وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ ﴾

وقال عكرمة: وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ، ولئن سألتهم من خلقهم ومن خلق
السموات والأرض ليقولن الله فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره ، وما ذكر في خلق أفعال العباد
وأكسابهم لقوله تعالى ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾

وقال مجاهد: ما تنزل الملائكة إلا بالحق: يعني بالرسالة والعذاب ، ليسأل الصادقين عن صدقهم
المبلغين المؤدبين من الرسل ، وإنا له لحافظون عندنا ، والذي جاء بالصدق القرآن ، وصدق به المؤمن يقول
يوم القيامة هذا الذي أعطيتني عملت بما فيه .

قال المؤلف رحمه الله باب قول الله تعالى ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً ﴾ هذا الباب يتعلق بتوحيد الأسماء
والصفات ويتعلق بتوحيد العبادة ويتوحد الربوبية لا تجعلوا لله أنداداً أى نظراء ندأ لله فيكون فيه رد على
أهل التمثيل وهذا يتعلق بتوحيد الصفات ورد على عباد الأصنام وهذا يتعلق بتوحيد العبادة ورد على من
زعموا أن للعالم خالقين فيتعلق بتوحيد الربوبية فإن قال قائل هل في الآية رد على أهل التعطيل؟ فالجواب ،
نعم مع أن أهل التعطيل لا يمثلوا لكن نقول نعم فيها رد على أهل التعطيل لأن أهل التعطيل بنوا تعطيلهم على
فهم خاطئ وهو التمثيل فمثلوا أولاً وعطلوا ثانياً لأنه مثلاً فهموا من إثبات اليد أنها يد كأيدي المخلوقين هذا
تمثيل ثم قالوا وبناء على ذلك يجب أن تفسر اليد بالقدرة فعطلوا ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية كل واحد
من فريقى التعطيل والتمثيل جامع بين التعطيل والتمثيل ، المعطل يمثل معطل والممثل يمثل معطل ، كيف تمثيل
المعطل؟ قلنا أنه مثل أولاً وعطل ثانياً ، ونقول في الممثل إنك معطل لأنك عطلت النصوص الدالة على أن الله
ليس كمثله شئ ، كل نص يدل على نفي التمثيل فالممثل قد عطله ، الثاني أنك قد عطلت الله من كماله
الواجب لأن تمثيل الخالق بالمخلوق نقص ، الثالث: أنه عطل نفس النص الذي أثبت به الصفة لأن النص الذي
أثبت به الصفة لا يدل على أنه صفة ممثلة للمخلوقين يدل على صفة مضافة إلى رب لا يماثل المربوب ، وقال
جل ذكره ﴿ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ هذا معطوف على قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّكُمْ تَكْفُرُونَ

بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً﴾ وهو عز وجل لا تد له ذلك رب العالمين ، وأين النداء الذي -
يكون رباً للعالمين؟ لا يوجد ، إذاً فأنتم كاذبون في جعل الأنداد لله ، وقوله تعالى ﴿والذين لا يدعون مع
الله إلهاً آخر﴾ لا يدعون دعاء مسألة أو دعاء عبادة؟ الاثنين لا يدعون مع الله إلهاً آخر دعاء مسألة ولا دعاء
عبادة لكن دعاء المسألة فيما يمكن أن يجيب جائر ، لو دعوت إنسان وقلت له تعالى أحمل معي هذا المتاع هذا
جائر ، أما دعاء العبادة فلا يجوز بوجه من الوجوه إلا لله ، وقال تعالى ﴿ولقد أوحى إليك وإلى الذين من
قبلك إن أشركت ليحبطن عملك ولا تكونن من الخاسرين﴾ ولقد أوحى الجملة هذه مؤكدة بثلاثة
مؤكدات ، القسم المقدر واللام وقد ، وقوله ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ قوله لئن أشركت هل الموحى
لمن قبله أنه قيل له لئن أشرك محمد ليحبطن عمله؟ لا ، أوحى إلى كل واحد فقيل له لئن أشركت ليحبطن
عملك إذا فالجملة موزعة على كل واحد ما هي للرسول فقط بل لكل واحد أوحى إليه هذه الجملة لئن
أشركت ليحبطن عملك واتكونن من الخاسرين وهذه الآية فيها إشكال كيف يقال للرسول علبه الصلاة
والسلام لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فقال بعض العلماء أى لئن أشركت أمتك
ليحبطن عملك ما هو لا يشرك لكن المعنى لئن أشرك أحد من أمتك ليحبطن عمله وهذا نظير قول من قال
فاستغفر لذنبك أى بذنب أمتك وهذا كما ترون جواب ليس بصحيح لأن الخطاب نص لئن أشركت ليحبطن
عملك ولكن الجواب الصحيح أنه لا يلزم من تعليقه بالشرط أن يقع المشروط لا يلزم ، ونظيره قوله تعالى قل
إن كان للرحمن ولد فإنا أول العابدين وهل يمكن أن يكون للرحمن ولد؟ لا يمكن ، فالتعليق بالشرط لا يلزم
منه وقوع المشروط فهنا إن شرط والمشروط أشركت جواب الشرط ليحبطن عملك نعم إن أشرك حبط
عمله لكن هل معناه يشرك؟ لا ، نقول للإنسان إن قتلت زيداً قتلناك هل يلزم أن يقتل زيداً؟ لا يلزم بل قد
يكون ممتنعاً كما كان الشرك في حق الرسول ممتنعاً وهذا الجواب ما فيه اشكال ولا فيه أى تعقيب ، لئن
أشركت ليحبطن عملك ولا تكونن من الخاسرين بل الله فاعبد الشاهد قوله بل الله فاعبد حيث خص العباد
عن بالله ووجه الاختصاص تقديم المفعول ولهذا قال العربون في الفاء في قوله فاعبد إنها زائدة لتحسين اللفظ
وأن أصل التركيب بل الله اعبد لكن من أجل تحسين اللفظ زيدت الفاء كما زيدت في قولهم فقط بمعنى قط
فزادوا فقط الفاء لتحسين اللفظ أعطى فلاناً مائة درهم فقط كقولك أعطى فلاناً مائة درهم قط يعنى فحسب
لا تزد لكن زيدت الفاء لتحسين اللفظ وعلى هذا فإن الآية فيها دليل على أن الله وحده جل وعلا هو
المختص بالعبادة وأنه لا يعبد أحد سواه لا ملك مقرب ولا نبي محسن وكن من الشاكرين ، أى الشاكرين
الله على نعمه ومن أكبر النعم أن يوفقك الله عز وجل لعبادته وحده وقال عكرمة وما يؤمن أكثرهم بالله إلا
وهم مشركون ولئن سألتهم من خلقهم ومن خلق السموات والأرض ليقولن الله فذاك إيمانهم وهم يعبدون
غيره يعني أن عكرمة رحمه الله فسر هذه الآية تفسيراً واضحاً جداً وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون
ما هو الإيمان الذي آمنوه؟ هو الإيمان بالربوبية وما هو الشرك الذي أشركوا به هو الإشراك في الألوهية
واستدل عكرمة لكونهم مومنون بالربوبية لقوله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من خلق
السموات والأرض ليقولن الله .

والمؤلف ما ساق الآية على أنها آية بل هي من قول عكرمة يعني أن هؤلاء يقرّون بالربوبية وأن الخلق - السموات والأرض وخالقهم هو الله لكن هم يعبدون غيره وهذا شركهم فالآية إذاً واضحة جداً وما يؤمن أكثرهم بالله أي بربوبيته إلا وهم مشركون أي في ألوهيته كذلك أيضاً غيرهم يوجد من يؤمن بالله وهو مشرك من كان همه المال فهو مؤمن بالله مشرك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال "تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الحمصة تعس عبد الخميصة إن أعطى رضى وإن لم يعطى سخط" فسماه الرسول عبداً فالذي يؤثر المال على الأعمال الصالحة وإن عملها يعتبر مشركاً عابداً لها كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا نقول في حقه ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ إنسان تقلد وتراً علق قيمة محرمة نقول له وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون .

ثم قال البخاري وما ذكر في خلق أفعال العباد وأكسابهم لقوله تعالى ﴿ فخلق كل شيء فقدره تقديراً ﴾ وذكر هنا خلق الأفعال لأن من أهل القبله من أشرك في خلق الأفعال من؟ القدرية ، أشركوا في خلق الأفعال قالوا إن الإنسان خالق عمله وخالق كسبه فأخرجوا قسماً من الحوادث عن خلق الله عز وجل كل أفعال الناس والمواشى وغيرها كلها خارجة عن خلق الله ولهذا سماهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم مجوس هذه الأمة لمشابھتهم المجوس المشركين لأن المجوس المشركين يقولون إن الحوادث لها خالقان ظلمة ونور فالشر خالقه الظلمة والخير خالقه النور هؤلاء القدرية يقولون الحوادث التي تكون في الكون منها ما يخلقه الله وهو فعله ومنها ما يخلقه غير الله وهو فعل العباد ولهذا ذكر المؤلف هذه المسألة خلق أفعال العباد في باب لا يجعلوا لله أنداداً رداً على المعتزلة الذين قالوا إن الإنسان خالق عمله وكسبه فيكونون بذلك مشركين جاعلين لله أنداداً خلق أفعال العباد لو قال قائل ما هو الدليل على أن الله خالق أفعال العباد قالنا استمع إلى البخاري استدلل بقوله تعالى وخلق كل شيء فقدره تقديراً خلق كل شيء وهل أفعال العباد من الشيء أو لا؟ وهل تدخل في العموم أو لا تدخل؟ نعم ، تدخل في العموم وقوله فقدره تقديراً هل المراد بالتقدير التقدير الأول وهو القضاء أو المراد به التسوية خلق كل شيء أى سواه وجعله على قدر معلوم كقوله الذي خلق فسوى أو المراد التقدير الأول الذي قدره الله في الأزل إذا قلنا بالثاني أشكل علينا الترتيب لأننا على هذا التقدير تكون التسوية قبل الخلق وقوعاً وهى الآن بعد الخلق ذكراً فما هو الجواب؟ إذا قلنا فقدره تقديراً يعني قدره في الأزل قبل الخلق لأن الله كتب مقادير كل شيء قبل أن يخلق السموات بخمسين ألف سنة فإذا قلنا قدره تقديراً أى في الأزل فأيهما يسابق الخلق أو التقدير؟ التقدير ، هنا قال خلق كل شيء فقدره والفاء للترتيب فكيف يكون هذا قالوا إن هذا من باب الترتيب الذكري يعني آخر التقدير ذكراً وإن كان سابقاً واقعاً بحسب الوقوع التدبير قبل الخلق بحسب الذكر التقدير بعد الخلق وهذا يسمى الترتيب الذكري لا الواقعي والترتيب الذكري موجود في اللغة العربية وموجود في القرآن يقول الشاعر:-

إن من ساد ثم ساد أبوه ثم ساد من بعد ذلك جده

ومعلوم أن سيادة الجد سابقة على سيادة الجد وسيادة الأب سابقة على سيادة الابن لكن يكون هذا من باب الترتيب الذكري وقال تعالى ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم

فَسَجِدُوا ﴿﴾ ومعلوم أن تصويرنا وخلقنا بعد سجود الملائكة لآدم فهذه الآية أيضاً فيها ترتيب ذكرى إلّا المراد - بقوله خلقناكم أى خلقنا أباكم ثم صورنا أباكم فإن قيل هذا معناها فالترتيب على ما هو عليه القول الثاني أن التقدير هنا بمعنى التسوية خلق كل شئ فقدوه أى جعله على قدر معلوم وسواه لقوله تعالى ﴿وَالَّذِي خَلَقَ فَسُوَّى﴾ وعلى هذا الوجه يكون الترتيب واقعياً ولا إشكال فيه الشاهد أن الله تعالى خلق أفعال العباد لأنه خلق كل شئ وهنا قد يشكّل على الإنسان كيف يكون الله خلق أفعال العباد مع أن الفعل فعل العبد فالمصلي هو العبد والصائم هو العبد والقائم هو العبد والأكّل هو العبد والشارب والمتخلى هو العبد والمتوضي هو العبد كيف يكون هذا خلقاً لله عز وجل يقال وجه ذلك أن فعل البد ناشئ عن أمرين إرادة جازمة وقدرة إذ لولا الإرادة لم يفعل بعدم الإرادة ولولا القدرة لم يفعل للعجز فمن الذي خلق إرادته وقدّره؟ الله ، وخالق السبب التام خالق للمسبب فهذا وجه كونه كون أفعالنا مخلوقة لله أن أفعالنا ناشئة عن إرادة جازمة وقدرة والذي خلق الإرادة والقدرة هو الله فما نشأ عنهما فهو خلق الله لأن خالق السبب التام خالق للمسبب يبقى عندنا إذا كان هذا خلق الله فكيف يعذبنا الله على فعله ، نقول إن هذا خلق الله وليس فعله الفعل فعلنا فالأكّل نحن والشاب والمصلي والصائم نحن وهلم جرة فهو فعلنا ويضاف إلينا وهو خلق الله عز وجل فالمباشر إذاً من؟ الإنسان هو المباشر ولهذا يجازى على عمله لأنه مباشر له والخالق باعتبار السبب التام هو الله عز وجل وهذا أمر لا إشكال فيه لكن لما ذاق بطان القدرية وذاق بطان الجبرية عن الجمع بين المنقول والمعقول ذهبت الجبرية إلى المنقول وذهبت القدرية إلى المعقول ، الجبرية أخذوا بنصوص العموم في القضاء والقدر وقالوا ليس للإنسان أى قدرة وأى قوة وأى إرادة والإنسان مسكين مسير مكره مرغم فالذي ينزل من السطح بالدرج رويداً رويداً كالذي يلقى من السطح بغير اختياره ، هل هذا صحيح؟ عقلاً؟ لا ، لكن هم يقولون هذا شرعاً لأن الكل بقضاء الله وقدره والإنسان مجبور؟

قالوا لهم على تقديركم هذا يكون الله سبحانه وتعالى ظالماً لعباده حيث أجبرهم على فعل المعصية ثم عاقبهم عليها ، وهل هذا إلا عين الظلم ، تجبره على أنه يفعل ثم تعذبه ، لو قلت لولدك مثلاً كل هذه الخبزة والإدام ، وأنت قد هيأتها للضيوف فقلت قل هذه الخبزة والإدام ، قال يا أبتي هذا للضيوف يأتي الضيوف ولم يجدوا شيئاً قال كل وإلا ضربتك أو قطعت رأسك أجبره حتى أكل فلما أكل ضربه ، لماذا تأكل طعام الضيوف؟ هذا ظلم ولا عدل؟ ظلم واضح كأن يجبر في الأول ثم يعاقب على ما أجبر عليه ، فقبل لم إذا قتلتم أن الله يجزى الإنسان على عمله ثم يعمل المعصية قهراً ثم يعاقب عليها هذا ظلم قالوا ما شاء الله الملك لمن؟ الله ملك السموات والأرض ، والملك المطلق يتصرف في ملكه كما يشاء ولا يتصور الظلم في حقه لأنه تصرف في ملكه والمتصرف في ملكه ليس بظالم ، ولهذا قالوا إن الظلم في حق الله مستحيل لعينه ، قال ابن القيم في النونية: - والظلم عندهم المحال لذاته ، الظلم أن تتصرف في حق غيرك أما في حقك ما هو ظلم فماذا نقول مع هؤلاء؟ نقول إن هذا ظلم والله سبحانه وتعالى قد نقاه عن نفسه فقال ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ وقال ﴿ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد﴾ وقال في الحديث القدسي "حرمت الظلم على نفسي" وهذا يدل على أن الظلم ممكن في ذاته وأنتم تقولون مستحيل لذاته ، لأنه لولا إمكانه لذاته ما صح أن يتمدح

الله بانتفائه عنه ، فلو لا أنه قادر على الظلم لكن تركه لكمال عدله لم يكن في إنتفاء الظلم عنه مدح ، فالظلم -
ممكن عقلا في حق الله لكن شرعا لا يمكن ، وعقتضى عدله لا يمكن ، هذا هو الرد على الجبرية .

جاء القدرية وقالوا نحن أصحاب المعقول والقدرية هم المعتزلة ، والمعتزلة عند كثير من الناس هم أصحاب العقول وهم النظار أصحاب النظر ، قالوا نحن أسعد بالدليل من الجبرية ، كل إنسان يعرف أنه يفعل كما شاء كما قال تعالى ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ كل إنسان يعرف أنه يخرج إلى المسجد ويرجع إلى البيت يخرج إلى الدكان يبيع ويشترى لا يحس أن أحدا يكرهه إطلاقا ، ولو قال أريد أن أذهب إلى المكان الفلاني فليل له في المكان الفلاني سبع يأكل ، ماذا يقول؟ يقول عدلت ، هل أحد أجبره على الإرادة الأولى وعلى الإرادة الثانية؟ لا أحد ، وقالوا أننا إذا قلنا بذلك تبين كمال عدل الله عز وجل حيث عاقب من عصى ، لأن الذي يعصي يعصي بإختياره ومشيته وبه يتبين كمال العدل ، فنحن أصحاب العدل ولذلك هم عندهم أنهم هم أصحاب العدل ، وهذا في المعقول أقرب من مذهب الجبرية لا شك ، وهو في الحقيقة هو الذي يشكل على الإنسان الكل يعرف أنه يفعل بإختياره ولا إشكال فيه لكن المشكل هذا إذا قالوا أن الإنسان يفعل فعلاً مستقلاً ما لله دخل فيه ليس لله فيه دخل يعني ما شائه ولا قدره ولا خلقه كل منهما أى من الطائفتين عجز بطانه عن الجمع بين الشرع والعقل أما أهل السنة فقالوا كل منكم معه حق الجبرية معهم حق وهو أن كل شئ بقضاء الله وقدره وأن كل شئ مخلوق لله نوافق على هذا المعتزلة معهم حق في أن الإنسان يعمل بإختياره فعلاً وتركاً ولا أحد يجبره في ظاهر الحال هو مريد مختار فاعل ولهذا إذا جاء الفعل بغير إرادته فإنه يعفى عنه لو أكد على الفعل فلا حكم لهذا الفعل ولكننا نقول هذا الفعل الإختياري الذي يقع منا نعلم علم اليقين أن الله قدره سابقاً وأن الله خلقه لاحقاً وعرفتم وجه خلق الله له ما وجهه؟ أن فعل العبد ناشئ عن إرادة جازمة وقدره والإرادة والقدرة مخلوقة لله عز وجل وما نشأ عن السبب فله حكم المسبب أى أن ما نشأ عن القدرة والإرادة التي هي مخلوقة لله فإن خالق السبب التام خالق للمسبب ، وبهذا نجتمع بين الشرع والعقل لقوله تعالى ﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ وأكثر ضلال العالم إذا تأملته وجدت السبب فيه أنهم ينظرون إلى النصوص من زاوية واحدة ولو نظروا إليها من كل الزوايا لهدوا .

الدرس الثاني والثلاثون:-

وما ذكر في خلق أفعال العباد وأكسابهم لقول الله تعالى:- ﴿وخلق كل شي فقدره تقديراً﴾ وقال مجاهد: ما تنزل الملائكة إلا بالحق: يعني بالرسالة والعذاب ، ليسأل الصادقين عن صدقهم المبلغين المؤدين من الرسل ، وإنا له لحافظون عندنا ، والذي جاء بالصدق القرآن ، وصدق به المؤمن يقول يوم القيامة هذا الذي أعطيتني عملت بما فيه .

يقول المؤلف رحمه الله: وما ذكر في خلق أفعال العباد وأكسابهم لقول الله تعالى ﴿وخلق كل شي فقدره تقديراً﴾ وتكلمنا على خلق فقدر وقلنا أن المراد بالتقدير هنا التسوية ، وقال مجاهد:- ما تنزل الملائكة إلا بالحق ولفظ الآية الكريمة ﴿ما تنزل الملائكة إلا بالحق﴾ والمراد بالحق يقول بالرسالة والعذاب

الرسالة التي بها التكليف والعذاب الذي به بيان الجزاء ، ولهذا كان القرآن مشتملاً على الأحكام الشرعية -
وعلى العذاب لمن عصى وخالف ، ليسأل الصادقين عن صدقهم ليسأل الفاعل الله عز وجل ، الصادقين عن
صدقهم يعني هل ما صدقوا به مطابق لفعالهم أم لا؟ ومن الصادقين الرسل عليهم الصلاة والسلام كما قال
الله تعالى ﴿ فلنسالن الذين أرسل إليهم ولنسالن المرسلين ﴾ ولهذا قال المبلغين المؤدين من الرسل وهو
سبحانه وتعالى يسأل الرسل ويسأل المرسل إليهم ، المرسل إليهم يقول ﴿ ويوم نناديهم فيقولوا ماذا أجبتم
المرسلين ﴾ يا لها من كلمة عظيمة فكر في الإجابة عليها ماذا تقول يوم القيامة؟ هل تقول أجبته بالسمع
والطاعة والتصديق والقبول أم ماذا؟ أما الرسل فيسألهم هل بلغوا أم أم يبلغوا؟ فيشهدون بأنهم بلغوا ، قال
عيسى حينما سأله الله عز وجل ﴿ آتت قلت للناس إتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما
يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك
أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتني به ﴾ ، وقوله وإنا له حافظون ، ما الذي تكفل الله بحفظه؟
القرآن ، لقوله تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ أما أعمال بني آدم فقد قال الله تعالى ﴿ وإنا
عليكم لحافظين كراماً كاتبين ﴾ وقال تعالى: ﴿ إن كل نفس لما عليها حافظ ﴾ قال: والذي جاء بالصدق
أى القرآن ، وصدق به المؤمن يشير إلى قوله تعالى ﴿ والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ﴾
فيقول الصدق هو القرآن ، وعلى هذا يكون الذي جاء بالصدق الرسول عليه الصلاة والسلام لأنه هو الذي
جاء بالقرآن ، وصدق به المؤمن أى المرسل إليه وعلى هذا فيكون العطف هنا عطف مغاير على مغايره لأن
الذي جاء بالصدق هو الرسول والذي صدق به المؤمنون ، والضوابط أن مرجع الضميرين واحد وأن الذي
جاء بالصدق وصدق به هو الرسول عليه الصلاة والسلام وورثته من العلماء ، جاؤا بالصدق وصدقوا به ،
فهم آتون بالصدق من قبل أنفسهم وكذلك مصدقون لمن قامت البينة على صدقهم .

يقول يوم القيامة هذا الذي أعطيتني عملت به ، فيكون يوم القيامة يأتي بالصدق مصدقاً به
والشاهد من هذا كله يعود على ما ذكر من الإشارة إلى أن أفعال بني آدم مخلوقة لله ومنسوبة إليهم ، ولهذا
قال والذي جاء بالصدق .

حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا جرير عن منصور عن أبي وائل عن عمرو ابن شرحبيل "عن عبد الله
قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم أى الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك ،
قلت: إن ذلك لعظيم ، قلت: ثم أى؟ قال: ثم أن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك قلت ثم أى؟ قال: أن
تراني بحليلة جارك"

هذه الترتيبات الثلاث موافقة لآية الفرقان ﴿ والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ولا يقتلون النفس
التي حوم الله إلا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلقى أثاماً ﴾ إلى آخر الآيات ، فأعظم الذنب عند الله
أن تجعل لله نداً وهو خلقك ، الشاهد من هذا الحديث قوله "وهو خلقك" هذا أعظم الذنب عند الله ،
كيف تعبد من لم يخلقك؟ كيف تنيب إلى من لم يخلقك؟ وهكذا نقول في كل مشرك ، بعد ذلك أن تقتل
ولذلك ، الذكر أو الأنثى؟ يشمل الذكر والأنثى لأن ولد في اللغة العربية بمعنى مولود وهو صالح للذكر والأنثى

، وقوله "تخاف أن يطعم معك" فإن قتله كراهة له وبغضاً له؟ هل يدخل أو لا؟ يدخل في هذا بل قد يكون -
أولى لأنك إذا كنت تقتله إبقاء الإتفاق عليه فقتله غير هذا السبب من باب أولى ، وقوله "ثم أى قال: أن
تراني بحيلة جارك" تراني بها أى تدعوها إلى الزنى حتى توافق ، وإنما كانت المزانة بحيلة الجار أشد لأن
الجار في الحقيقة قد أمنك واطمئن إليك فإذا ختته في أهله كان هذا أعظم مما لو زنت بامرأة أجنبية ، هذا
أعظم الزنى أن تراني بحيلة جارك .

الدرس الثالث والثلاثون :-

باب قول الله تعالى: ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم
ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ﴾

باب قول الله تعالى ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ﴾
أى ما كنتم تستخفون بالمعاصي الشرك فما دونه خشية أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم
، أو ألا يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ، لأنكم لا تؤمنون بهذا ولكن ظننتم أن الله لا
يعلم كثيراً مما تعملون ، هذا الباب عقده المؤلف رحمه الله لإثبات علم الله سبحانه وتعالى بما خفى كعلمه بما
ظهر فهؤلاء يستخفون في بيوتهم ويبتون ما لا يرضى من القول لا ظناً منهم أنهم سيبعثون ويشهد عليهم
سمعهم وأبصارهم وجلودهم لأنهم لا يؤمنون بذلك ، لكنهم يظنون أنهم إذا استتروا عن أعين الناس استتروا
عن علم الله عز وجل .

الذي يظهر لي أن ما قاله الحافظ وما قاله ابن بطلال اظهار إثبات العلم ، أن المؤلف رحمه الله أراد
بذلك إثبات علم الله عز وجل بما خفى وما ظهر ، وأما كون الآية تنزل بعد الحادثة فقيها دليل على أن كلام
الله تعالى يتحدد فهذا له مناسبة لكنها غير واضحة وقد سبق لنا أن كلام الله في أصله من الصفات الذاتية
لكنه في آحاده من الصفات الفعلية يعني أن الله لم يزل ولا يزال يتكلم ، لكن كونه هذا الكلام المعين هذا هو
الذي يكون حادثاً يحدثه الله سبحانه وتعالى متى شاء ، وفي الصحيح من حديث ابن مسعود رضى الله عنه
أنه لما رجع من الحبشة وجد النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فلم عليه وكانوا يسلمون عليه فيرد عليهم
السلام حتى نزل قول الله تعالى ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ﴾ فأمروا
بالسكوت ونهوا عن الكلام ، فلم على الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليه السلام يقول فصار في
نفسى وأخذني ما قرب وما بعد ، وكان من عادته صلى الله عليه وسلم أن يرد عليهم السلام ، فلما سلم
قال: إن الله يحدث من أمره ما شاء وأن مما أحدثه ألا تتكلموا في الصلاة ، ومعلوم أن هذا الحكم ثبت بنزول
قوله تعالى ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ﴾ ويدل على هذا قوله تعالى ﴿
ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه ﴾ وليس المعنى أنه مخلوق بل محدث الكلام به ، فإله تعالى
يتكلم متى شاء وبما شاء .

حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا منصور عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله رضى الله عنه
قال: اجتمع عند البيت ثقفين وقرشي ، أو قرشيان وثقفي - كثيرة شحم بطونهم ، قليلة فقه قلوبهم ،

فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إذا جهرنا ، ولا يسمع إن أخفينا ، وقال -
الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا ، فأنزل الله تعالى: ﴿ وما كنتم تستترون أن
يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ﴾ .

في هذا الحديث قياس وجه ذلك لأنه إذا كان لا يمتعه بعده من سماع ما يجهر به فلن يمتعه بعده من
سماع ما نخفي ، لأن البعد بين الله عز وجل وبين الخلق لا يمكن قياسه ولا يعلمه الله عز وجل ، ومعروف أن
الصوت الخفى لا يسمع والذي يجهر يسمع ولكن في حدود معينة ، وسماعه لما يجهر به في غير الحدود المعروفة
، فإذا كان يسمع من هذا البعد ما يجهر فإنه يسمع أيضاً ما نسر ونخفي ، وفيه أيضاً إشارة إلى أن كثير شحم
البطن قليل الفقه وإن كان قد يقال إن كبر البطن يدل على كثرة الأكل وأن كثرة الأكل تبتت القلب وتكثر
الغفلة ، ولهذا ذكروا أن من فوائد الصيام أن الإنسان يتفرغ للذكر أكثر مما لو كان شاعراً ، لأن الشبع يكثر
الغفلة ، فإذا كان سيؤخذ من هذا الوجه فإنه يتبين حسن قول النبي صلى الله عليه وسلم " حسب ابن آدم
لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه " ولو أننا أخذنا بهذا
الطريق وبهذا التوجيه النبوي الطبي ما صار تتابنا هذه التغيرات في المعدة والأمعاء وغيرها لأن هذا هو حقيقة
الطب ، وقد سمعت أنهم في البلاد التي يدعون أنهم متحضرون يعملون هكذا ، يأكلون خمس مرات أو ست
مرات في اليوم والليل ، لكن الذي يأكل لا يأكل إلا يسيراً يقتصر على شيء يسير ثم يجوع سريعاً فيأكل
وهذا في الحقيقة أخذوه من هدى الرسول صلى الله عليه وسلم أما نحن فإنا مع الأسف إنعتمدنا على حديث
أبا هريرة رضى الله عنه في قصة اللبن حين يقى بقية قال اشرب فشرب فشرب حتى قال لا أجده له مساراً
يعني لا أجده مكاناً في البطن ، أبو هريرة جاءت هذه مرة واحدة في عمره أما نحن ماشاء الله كل يوم تأتي
قصة أبو هريرة .

المهم هل نأخذ من هذا الحديث أن كبر البطن يكون قليل الفقه؟ لا ، ولهذا يقال أن علي ابن أبي
طالب رضى الله عنه يوصف بأنه البطين أى كبر البطن مع أنه من أفقه الصاحبة رضى الله عنه ، حتى أنه
إشتهر المثل المعروف: - قضية ولا أبا حسن لها ، هذا جاء به النحويون .

باب قول الله تعالى ﴿ كل يوم هو في شأن وما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ وقوله تعالى ﴿
لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ﴾ وأن حدثه لا يشبه حدث المخلوقين لقوله تعالى ﴿ ليس كمثله شيء وهو
السميع البصير ﴾ وقال ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم: أن الله عز وجل يحدث من أمره ما
يشاء وأن مما أحدث أن لا تتكلموا في الصلاة .

البخاري رحمه الله ساق هذا الباب وهو مهم بالنسبة لأفعال الله عز وجل لإثبات أن الله تعالى
صفات هي أفعال يفعلها متى شاء ويصح أن نطلق عليها حادثة ، لكنها ليست كحدوث المخلوقين التي قد
يعتريها العجز وقد يعتريها الخفاء وما أشبه ذلك من نواقص حوادث المخلوقين .

يقول الله عز وجل ﴿ يسأله من في السموات والأرض ﴾ يسأله من؟ يسأل الله عز وجل ، كل من
في السموات والأرض يسألون الله مفتقرون إليه ﴿ كل يوم هو في شأن ﴾ سبحانه وتعالى كل يوم هو في

شأن يغني فقيراً ويفقر غنياً ويوجد معدوماً يعدم موجوداً ويعرض صحيحاً ويشفي مريضاً وهكذا ، كل يوم - هو في شأن وهذا الشأن ليس شأنًا واحدًا بل شئون عظيمة لا يحصيها إلا الله عز وجل ، لأن كل شيء لا يقوم إلا بأمره وهو قائم على كل نفس بما كسبت ، لو أردت أن تحصي أحناس المخلوقات ما استطعت فكيف بأنواعها؟ فكيف بأفرادها؟ الذرة في جحرها يدبرها الله عز وجل لقوله تعالى ﴿ ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ﴾ كل يوم هو في شأن عظيم من شئونه عز وجل ، يفعل ما يشاء ، وكونه سبحانه كل يوم هو في شأن يدل على أن الحوادث تكون بأمره عز وجل وأنه يحدث من خلقه ما شاء ويحدث من شرعه ما شاء وقت نزول الوحي أما بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه لا يمكن أن يحدث شيئاً في الشرع ولا يتغير

وقال تعالى: ﴿ وما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا سمعوه وهم يلعبون ﴾ فثبت عز وجل أن الذكر الذي يأتي من الله يكون محدث وقال تعالى: ﴿ لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ﴾ هذا في المطلقة إذا طلقت طلاقاً رجعياً يجب أن تبقى بالبيت لماذا؟ لأنه ربما تصلح الأحوال وينقلب بغض الزوج لها محبة وسخطه عليها رضا فراجعها وهي في البيت لا يعلمها أحد فلماذا قال لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً يعني المراجعة وإذا حدث ذلك لم يبق على ما حصل أحد وإن كان يجب أن يكون الطلاق بشهود وأن يكون الرجوع بشهود أو يستحب على خلاف في ذلك لكن هذا لا يمنع من أن تبقى الزوجة في البيت الشاهد قوله: يحدث بعد ذلك أمراً وهو رجوع الزوج إلى زوجته قال وأن حدثه لا يشبه حدث المخلوقين لقول الله تعالى: - ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ نعم لا يشبه حدث المخلوقين لا من جهة العلم ولا القدرة ولا الإحداث أيضاً حدثه للشيء بكلمة كن فيكون حدث المخلوقين فيه عمل ومعاونة وقد يحصل وقد لا يحصل أما الرب عز وجل فإن إحداثه لا يشبه إحداث المخلوقين واستدلوا بذلك أنه لا يشبه حدث المخلوقين بقوله تعالى ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ وقال ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم " إن الله يحدث من أمره ما يشاء وإن مما أحدث ألا يتكلم في الصلاة " وهذا إحداث شرعي والأول لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً إحداث قدري لأن مراجعة الزوج زوجته ليس وحياً ينزل أو حكماً يتجدد ولكنه حكم قدري يلقيه الله عز وجل في قلب الزوج ويراجع الزوجة إذا فالله تعالى يحدث من أمره الكوني ومن أمره الشرعي ما شاء لكن الأمر الشرعي انقطع الإحداث بالأمر الشرعي انقطع بماذا؟ بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يمكن أن يتجدد ولا يمكن أن يتغير هل خالف أحد في هذا؟ نعم ، خالف في هذا عامة المتكلمين من معتزلة وأشعرية وغيرهم وقالوا لا يمكن أن تقوم الحوادث بالله أبداً لأن قيام الحوادث به يستلزم أن يكون حادثاً بناءً على أن الحادث لا يقوم إلا بحادث فيقال لم من قال لكم هذا؟ من قال إن الحادث لا يقوم إلا بحادث؟ ومن أين أتيت بهذه القاعدة هل من الكتاب أو من السنة أو من العقل كل ذلك لم يكن فنحن نشاهد الآن بأنفسنا أنه تحصل حوادث لنا في هذا اليوم غير ما حصل باليوم الذي قبله وهل يلزم إذا قامت بنا الحوادث أن تكون موجودة بوجودنا؟ لا يلزم ، فالحوادث تتجدد من الحادث ومن غير الحادث بل إن قيام الحوادث به دليل على كماله وأنه يفعل ما يشاء متى شاء ولو قلنا أنه لا يستطيع أن يفعل

لكان في هذا نقص وصف لله تعالى بالنقص والله تعالى فعال لما يريد ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله﴾ يفعل ما يريد ﴿واقْتَالَ من حادث لا شك وهو من فعل الله أى من تقديره أن يفعل وهذا نص صريح في قيام الأفعال الحادثة به واستواؤه على العرش ونزوله إلى السماء الدنيا وتكرعه من يكلمه كل هذا يدل على قيام الحوادث به لكن لا يلزم أن يكون هو حادث وسبحان الله العظيم يعني لو رجعنا إلى الفطرة وسألنا عجزاً لم نعرف الكلام ولا أهل الكلام وقلنا هل الله يفعل متى شاء ماذا تقول؟ نقول نعم سبحانه يفعل ما يشاء أيهما أحسن رب لا يفعل أو رب يفعل؟ نقول رب يفعل الذي ما يفعل الجهاد لا يصح أن يكون رباً ولكن نسأل الله العافية لما دخلوا في علم الكلام وحكموا العقول ظلوا عن شيء تعرفه العجائز إذا إحداث الله عز وجل للفعل ليس كإحدائنا له لأنه يحدث ما شاء بكلمة كن فيكون ونحن لا نحدثه إلا بمعاناة وعمل ثانياً يحدثه من غير جهل سابق أو عجز مقارب وأما نحن فإننا نحدثه من جهل ليكون خائفاً علينا ثم يتبين لنا وجهه ثم إننا لا نسلم من عجز مقارب نعجز عن إكماله أما الله عز وجل فلا.

حدثنا علي ابن عبد الله حدثنا حاتم ابن وردان حدثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:- كيف تسألون أهل الكتاب عن كتبهم وعندكم كتاب الله أقرب الكتب عهداً بالله تقرأونه محضاً لم يشب.

سبق الكلام على هذا الحديث والشاهد منه قوله "أقرب الكتب عهداً بالله" وهذا في الوحى ولما نزل المطر حصل النبي صلى الله عليه وسلم عن ثوبه ليصبيه وقال إنه حديث عهد بربه من أين أحياه؟ من جهة الخلق لأنه خلق الآن فنزل حديث عهد بربه من جهة خلقه وتكوينه إذا عندنا قريب العهد من جهة التكوين والخلق قريب العهد من قبل الإنزال والوحى كما ذكر ابن عباس يعود إلى الإنزال والوحى والآية تشهد له ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربه محدث﴾ وأما التكوين والخلق هو حديث المطر أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحصل عن ثوبه ليصبيه ويقول إنه حديث عهد بربه.

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني عبيد الله ابن عبد الله أن عبد الله ابن عباس قال: يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله محضاً لم يشب وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا فكتبوا بأيديهم قالوا: هو من عند الله ليشتروا بذلك ثمناً قليلاً أولاً ينهاكم ما جاءكم من العلم عم مسئلتهم فلا والله ما رأينا رجلاً منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم.

مع أنهم أحق أن يسألونا عن ما أنزل عليهم وكان ابن عباس رضى الله عنه في زمن رأى من الناس من يذهب إلى بني إسرائيل ويسألهم فاشتد قوله في ذلك وعلى هذا يجب علينا نحن المسلمين إذا دعونا إلى أخلاق حسنة من وفاء بوعده وصدق في القول وعزيمة في القصد وما أشبه ذلك أن لا نقول هذا فعل الإنجليز أو الأمريكان أو فعل كذا لأن هذه الأخلاق الفاضلة مصدرها من الإسلام وهى في الإسلام وعجباً من بعض الناس ضعفاء العقول ضعفاء الدين إذا أراد أن يؤكد الوفاء بالوعد إنه وعد إنجليزي سبحانه الله قل إنه وعد مؤمن هذا هو الصحيح ، يعني الإنجليز أوفى بالوعد من المسلمين؟ أبداً فعلى كل حال هذا الذي رسمه ابن

عباس رضى الله عنهما ينبغي أن يكون نبراساً نمشي عليه أن لا يظهر الإفتقار لأهل الكتاب وإن كان الرسول -
رخص لنا في أن نقبل من حديثهم ما شهد له الشرع وما لم يشهد به الشرع ولا بخلافه لا نصدق ولا نكذب
وما شهد شرعنا بخلافه فإننا نكذبه .

باب قول الله تعالى ﴿ لا تحرك به لسانك ﴾ وفعل النبي صلى الله عليه وسلم حين ينزل عليه
الوحي وقال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى " أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت
به شفاته "

باب قول الله تعالى: ﴿ لا تحرك به لسانك ﴾ ترجم المؤلف البخاري من هذه الترجمة ليشرح إلى أن
القرأة بالقرآن من فعل الإنسان لأن قوله لا تحرك من الذي يحرك؟ القارئ وعلى هذا فتلفظ الإنسان بالقرآن
يعتبر مخلوقاً لأنه من فعله وفعل الآدمي مخلوق وهذه المسألة صار حولها جدل عظيم في فلة الجهمية في القول
بخلق القرآن حتى إن الإمام أحمد رحمه الله قال من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال غير مخلوق
فهو مبتدع وفي رواية عنه من قال لفظي بالقرآن مخلوق يريد القرآن يعني لا يريد القرأة فهو جهمي ومن قال
غير مخلوق فهو مبتدع لماذا أطلق في إحدى روايتين من قال لفظي بالقرآن فهو جهمي لأن الجهمية يموهون
على الناس ويقولون كل لفظ مخلوق وهم يريدون لفظي أى القرآن فيموهون على العمة والصحيح في هذه
المسألة تفصيل فيقال قرأة القارئ تشتمل على أمرين على مقروء وعلى قرأة أما المقروء فهو كلام الله عز وجل
غير مخلوق وأما القرأة فهي فعل الإنسان هو الذي يحرك شفثيه يحرك لسانه وهو الذي ينطق وهو الذي يخرج
الصوت من فمه وكل هذا مخلوق لأنه من صفات الإنسان وصفات الإنسان كلها مخلوقة فهذا مراد البخاري
رحمه الله بهذه الترجمة الإشارة إلى أن قارئ القرآن من فعله لأنه قال لا تحرك به لسانك وفعله مخلوق . قال
الله تعالى: " أنا مع عبدي حيث ما ذكرني وتحركت بي شفاته " مع الإنسان إذا ذكر الله يذكر أسماء الله
وأسماء الله غير مخلوقة ولكن نفس الحركة تكون مخلوقة وبهذا التفصيل الذي ذكرنا وهو الفرق بين الملفوظ به
وبين اللفظ فاللفظ حركة الإنسان وهي مخلوقة والملفوظ به إذا كان القرآن فإنه ليس كلام الله وليس
بمخلوق .

حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا أبو عوانة عن موسى ابن أبي عائشة عن سعيد ابن جبير عن ابن
عباس في قوله تعالى ﴿ لا تحرك به لسانك ﴾ قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة
وكان يحرك شفثيه فقال لي ابن عباس أحركهما لك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما؟
فقال سعيد أنا أحركهما كما كان ابن عباس يحركهما فحرك شفثيه فأنزل الله عز وجل: ﴿ لا تحرك به
لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه ﴾ قال جمعه في صدرك ثم تقرؤه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه قال:
فاستمع له وأنسط ، ثم إن علينا أن تقرأه ، قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه جبريل
عليه السلام استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما أقرأه .

هذه الآية آية عظيمة بل آيات عظيمة كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من الوحي شدة لأن الله
قال ﴿ إنا سنلقي عليك قولاً ثقیلاً ﴾ أحياناً إذا نزل عليه الوحي وهو على ناقته بركت ونزل عليه الوحي

مرة ورأسه على فخذ حذيفة رضى الله عنه فكادت تفطها وكان يأتيه الوحي في اليوم الثاني البارد فيتصيب -
 عرقاً من شدة ما يجد وكان لحرصه عليه الصلاة والسلام على القرآن يتعجل إذا قرأه جبريل تلقاه فوراً منه
 فيتعجل وربما يكون بتعجله هذا يفوته بعض الشيء فنهاه الله عن ذلك وقال ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به
 ﴾ والعجلة قد يكون فيها شيء من فوات المقصود ثم تكفل الرب عز وجل فقال إنا علينا جمعه وقرآنه نحن
 الذين نجمله في صدورك ونحفظه فيه ولا يفوتك شيء منه فإذا قرأناه أى قرأه جبريل وأسند الله قرأة جبريل إليه
 لأنه رسول رب العالمين وفعل الرسول فعل للمرسل فإذا قرأناه أى قرأه جبريل فاتبع قرآنه ولا تعجل تأخذه
 كلمة كلمة لا انتظر حتى يفرغ ثم اتبع قرآنه الكفالة الثانية التي بعد الجمع والقرآن ثم إن علينا بيانه تكفل
 الله عز وجل ببيانه بعباده بيانه لفظاً وبيانه معناً وما يفوت الناس من لفظه أو من معناه فهذا إما لقصور أو
 تقصير وإلا فإن الله قد تكفل ببيان القرآن لفظاً ومعناً لكن لا يلزم من هذا أن يكون مبيناً لكل واحد ولهذا
 نقول ليس في القرآن شيء يخفى على جميع الناس أبداً لا يمكن ، لأن الله قال ثم إن علينا بيانه ولو كان في
 القرآن حرف واحد يخفى على جميع الناس لم يكن للقرآن بياناً والله تعالى قال فيه ﴿ هذا بيان للناس ﴾ لكن
 الخفاء والظهور أمر نسبي بمعنى أنه قد يخفى على شخص ما ما يظهر لخص آخر بل إن الإنسان نفسه أحياناً
 يكون صافي الذهن فيظهر له من معاني القرآن والسنة ما لا يظهر له إذا كان مشوشاً وهذا شيء مجرد إذا
 فالحفاء والظهور أمر نسبي باعتبار الأشخاص وإعتبار الأحوال وإلا فإن الله قد تكفل ببيانه والحمد لله والأمر
 كذلك حفظ القرآن منذ نزل به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم وعرف معناه وتبين للناس إلى يوم من
 هذا والله الحمد .

باب قول الله تعالى ﴿ وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ، ألا يعلم من خلق
 وهو اللطيف الخبير ﴾ يتخافتون : يتسارون .

قوله تعالى ﴿ وأسروا قولكم اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ﴾ ولم يقل إنه عليم به أى بالقول
 الذي أسرتم وجهتم به لأن من علم بذات الصدور أى بالقلوب كان علمه بما أظهرته الألسن من باب أولى
 وهذا هو القياس الأول أسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور وسيعلم ما في الصدور وما
 تجهرون ثم قال ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ وهذا الإستفهام للتقرير وقوله من في إعرابها
 وجهان الوجه الأول أن تكون فاعلاً والوجه الثاني أن تكون مفعولاً به فإن كانت فاعلاً فالمعنى ألا يعلم
 الخالق وهو اللطيف الخبير والجواب بلى لا بد أن يعلم الخالق ما خلقه ولا يمكن أن يكون الخالق جاهلاً بما
 خلق وإذا كانت مفعولاً به ألا يعلم من خلق صار المعنى ألا يعلم مخلوقه والجواب بلى يعلم مخلوقه فإذا قال
 قائل لماذا عدل عن قوله ألا يعلم العلام أو ألا يعلم الله قلنا من أجل إقامة الحجة العقلية الملزمة لأن كونه يخلق
 يلزم عليه عقلاً أن يكون عالماً فإذا كان خاقاً لكل شيء كان عالماً لكل شيء أضف إلى ذلك أنه عز وجل
 لطيف خبير اللطيف الذي يعلم بسرائر الأمور والخبير كذلك العالم بيوطن الأمور واللطيف أخص من الخبرة
 والخبرة أخص من العلم فهناك علم وخبرة ولطف كل هذه ذكرت في الآية ألا يعلم من خلق العلم اللطيف
 وهو اللطيف الخبرة الخبير واللطيف تجدون أنه أرق من الخبير وأنه أدق حيث يعلم أشياء لطيفة لطيفة جداً لا

تدرك لكنه يدركها عز وجل يتخافتون يقول يتسارون وهذا مذكور في قوله تعالى ﴿فَانْطَلِقُوا فِيهِمْ﴾ يتخافتون ألا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ﴿من هؤلاء؟ أصحاب الجنة الذين أقسموا أن يصرموها صباحاً ولم يقولوا إن شاء الله وإنما اختاروا صرمها صباحاً ألا يأتي المساكين فيأكلوا منها فهم ذهبوا أقسموا ليصرمها مصبحين ولا يستثنون لم يقولوا إن شاء الله فطاف عليها طائف من الله فدمرها أصبحت كالصريم فلما أصبحوا تنادوا وذهبوا إليها فلما رأوها قالوا هذه ليست جنتنا إنما لظالون أى تائهون لم نهتدي إلى طريقها ثم تأكدوا فقالوا بل نحن محرومون فعرفوا أنهم حرموا وأن الله أتلف هذه الجنة لأن نيتهم كانت سيئة لا يريدون أن يطعموا منها المساكين ، وفي النهاية أقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا إنما كنا طاغين عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنما إلى ربنا راغبون ، وهذا من حكمة الله عز وجل أن الله قد يتلي الإنسان بفقد ما يجب لإسقامته دينه يقول تعالى ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا﴾ وهذا الإبتلاء قد يكون خيراً للإنسان وقد يكون شراً ، من الناس من إذا ابتلى بدينه قوى إيمانه ورجع إلى ربه وأتاب إلى الله يقول الله تعالى ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمئن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾

الدروس الرابع والثلاثون:-

باب قول الله تعالى : ﴿ وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ يتخافتون: يتسارون

هذا الباب لماذا عقده المؤلف في أثناء الكلام على كلام الله؟ ليعين أن لفظ الإنسان بكلام الله من فعله ، فانت إذا تكلمت بالقرآن إسراً أو جهراً فهو من فعلك وفعلك مخلوق ، وتعلمون أن البخاري رحمه الله أمتحن في مسألة اللفظ والملفوظ وهل اللفظ مخلوق أو غير مخلوق ، والملفوظ به مخلوق أو غير مخلوق ، فأكثر من صحيحه في سياق الأدلة الدالة على أن أقولنا من أفعالنا ، وأفعالنا مخلوقة ، وقوله: ﴿أسروا قولكم أو اجهروا به﴾ الإسرار والجهر صفة القول ، ومن الذي يسر أو يجهر؟ الإنسان المتكلم إذا فالإسرار والجهر من فعل الإنسان فيكون مخلوقاً ، وما يسر به أو يجهر به هو إما مخلوق وإما غير مخلوق ، فكلامي الآن معكم مخلوق حتى الملفوظ به ، لكن عندما أقرأ القرآن يكون قولي ولفظي مخلوقاً لكن القرآن غير مخلوق .

حدثني عمرو ابن زرارة عن هشيم أخبرنا أبو بشر عن سعيد ابن جبير " عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما في قوله تعالى ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾ قال: نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختلف بمكة فكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به ، فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجهر بصلاتك أى بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ، ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم ، وابتغ بين ذلك سبيلاً "

يعني أطلب سبيلاً بين الإخفات والجهر ، الشاهد من هذا الحديث أن الله تعالى قال ﴿لا تجهر بصلاتك﴾ أى بقراءتك القرآن في صلاتك ، ولا تخافت بها ومعلوم أن الجهر والمخافتة من فعل الإنسان ، وأن القرآن الذي يسر به أو يخافت هو كلام الله

حدثنا عبيد ابن اسماعيل حدثنا أبو اسامة عن هشام عن أبيه " عن عائشة رضى الله عنها قالت -
نزلت هذه الآية: ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾ في الدعاء "

أى فيكون معنى بصلاتك أى بدعائك ، ولا منافاة بين كلام عائشة وكلام ابن عباس ، وذلك لأن
قول الصحابي نزلت في كذا ، ليس صريحاً في أن هذا هو سبب النزول بل قد يكون مراده نزلت في كذا أى
في هذا المعنى ، أما لو قال قائل سبب نزولها أن النبي صلى الله عليه وسلم فعل كذا أو صار كذا فنزلت ،
فالأول صريح في سبب النزول والثاني ظاهر فيه ، وأما الذي في سياق ما ذكره البخاري فلا ، فالصور إذاً
ثلاثة الأول:- أن يقول الصحابي سبب نزولها كذا وكذا فهنا يكون سبب النزول صريحاً .

الثاني:- أن يقول كان كذا فنزلت وهذا ظاهر وليس بصريح .

والثالث:- أن يقول نزلت في كذا فهذا محتمل أن يكون المراد أن هذا سبب النزول أو أن هذا من معناه ،
وهنا نقول أن قول عائشة وقول ابن عباس ليس بينهما تنافي لأن المعنى أنها نزلت في كذا أى في هذا المعنى ،
وفي كذا أى في هذا المعنى .

حدثنا اسحاق حدثنا أبو عاصم أخبرنا ابن جريج أخبرنا ابن شهاب عن أبي سلمة " عن أبي
هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن وزاد غيره يجهر به "

هذا كالأول لأن تعني الإنسان بالقرآن أى جهره به لتحسين الصوت من فعله فيكون مخلوقاً ، أما
القرآن نفسه فإنه ليس بمخلوق ، وقد عرفت أن البخاري رحمه الله بفصل تفصيلاً بيناً في هذا ، وأن الإمام
أحمد رحمه الله قال من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي وفي رواية عنه من قال لفظي بالقرآن مخلوق
يريد القرآن ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع ، لأنه في زمن الإمام أحمد الحنة غير المحنة التي في زمن البخاري ،
الحنة في زمن الإمام أحمد: هل القرآن مخلوق أو غير مخلوق؟ والحنة في زمن البخاري: هل لفظ القرآن مخلوق
أو لا؟ وبينهما فرق ، فالإمام أحمد رحمه الله رأى الكف عن هذا ، قال لا تقل لفظي بالقرآن مخلوق ولا غير
مخلوق ، والبخاري أراد التفصيل والبيان .

باب قول النبي صلى الله عليه وسلم رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار
ورجل يقول لو آتيت مثل ما أوتي هذا فعلت كما يفعل ، فبين الله أن قيامه بالكتاب هو فعله وقال ﴿
ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ وقال جل ذكره: ﴿وافعلوا الخير
لعلكم تفلحون﴾

كل هذا يريد أن يثبت بأن قراءة القارئ مخلوقة وفعله ، يقول " رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به
آناء الليل والنهار " يعني يقرأه فيقوم به فأضاف القيام إلى القارئ وقال أيضاً ورجل يقول لو آتيت مثل ما
أوتي هذا فعلت كما يفعل فجعل قراءة القرآن فعلاً قال فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن قراءته الكتاب هو
فعله وبين أنه فعل لقوله فعلت كما يفعل لكن قد يكون فيها إشكال فبين الله لأن المبين هنا الرسول صلى
الله عليه وسلم لكن يقال إن بيان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أقره الله فهو كيان له الآية الثانية ﴿ومن
آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ اختلاف اللسان واللون ، أما اختلاف اللون

فهو من فعل الله ولا طاقة لنا به وأما إختلاف اللسان فهو من فعلنا ولهذا إذا عاش الإنسان في بيئة عربية صار لسانه عربياً وفي بيئة أعجمية صار لسانه أعجمياً وإذا شاء رفع صوته وإذا شاء لم يرفعه وإختلاف الألسن كثير منها اللغة ومنها الصوت ومنها البيان والفصاحة ومنها سهولة النطق كل هذا يدخل في قوله ﴿ وإختلاف ألسنتكم وألوانكم ﴾ وقال وإفعلوا الخير وقراءة القرآن من الخير وتكون مفعولة لكن القرآن المقروء ليس مخلوقاً .

حدثنا قتبية حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي صالح " عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار فهو يقول: لو أتيت مثل ما أوتي هذا فعلت كما يفعل ، ورجل آتاه الله مالاً فهو يتفقّه في حقّه فيقول لو أتيت مثل ما أوتي عملت فيه مثل ما يعمل "

الشاهد قوله: - " فهو يقول لو أتيت مثل ما أوتي هذا لفعلت كما يفعل " والأول ماذا يعمل؟ يتلوه آناء الليل والنهار فجعل النبي صلى الله عليه وسلم تلاوته للقرآن فعلاً وفعل العبد مخلوق وقوله " لا تحاسد إلا في اثنتين " والحسد نوعان:-

حسد غبطة ، وحسد عدوان

أما حسد الغبطة:- وهو أن يتمنى الإنسان مثل ما أعطى الآخر فهذا محمود إذا كان في الخير ، وقد أرشد الله إلى ذلك في قوله ﴿ ولا تمنوا ما فضل الله بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسئلوها له من فضله ﴾ يعني قولوا اللهم أعطنا مثل ما أعطيت فلان ولا تحسدوه .

أما حسد العدوان:- فقد فسره العلماء بأنه تمنى زوال نعمة الغير تمنى زوال نعمة الله على غيره قالوا هذا الحسد سواء تمنيت أن تزول منه إلى غيره أو أن تزول منه إلى غير أحد أو أن تزول منه إلى نفسك وقال شيخ الإسلام الحسد كراهة ما أعطى الله غيرك من النعم ، أن تكره أن الله يعطي هذا نعماً سواء تمنيت الزوال أم لم تمنه وهذا أقرب فإذا إغتممت بما يعطي الله غيرك من النعم فهذا هو الحسد وإذا فرحت بما أعطى الله غيرك من النعم وسألت الله أن يعطيك مثله فهذا هو حسد الغبطة إذا فالحسد نوعان حسد غبطة وحسد عدوان فحسد الغبطة محمود إذا كان في الخير وهو أن يتمنى الإنسان من الله مثل ما أعطى فلاناً ، وأما حسد العدوان فهو عدوان لا يجوز ، وهو من أخلاق اليهود ، كما قال الله تعالى ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم ﴾

حدثنا علي ابن عبد الله حدثنا سفيان قال الزهري عن سالم عن أبيه " عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالاً فهو يتفقّه آناء الليل وآناء النهار " سمعت من سفيان مراراً لم أسمعه يذكر الخير وهو من صحيح حديثه .

باب قول الله تعالى ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ وقال الزهري من الله عز وجل رسالة وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم البلاغ وعلينا التسليم ،

وقال تعالى ﴿لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ﴾ وقال تعالى ﴿أَبْلَغْكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي﴾ وقال كعب بن مالك حين تخلف النبي صلى الله عليه وسلم وسيرى الله عملكم ورسوله ، وقالت عائشة إذا أعجبك حسن عمل امرئ فقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ولا يستخفنك أحد ، وقال معمر : ذلك الكتاب : هذا القرآن ، هدى للمتقين : بيان ودلالة ، كقوله تعالى ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ﴾ هذا حكم الله ، لا ريب فيه : لا شك ، تلك آيات الله : يعني هذه أعلام القرآن ، ومثله : حتي إذا كنتم في الفلك وجرين بهم يعني بكم ، وقال أنس : بعث النبي صلى الله عليه وسلم خاله حراماً إلى قومه وقال أتؤمنوني أبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يحدّثهم "

هذا الباب أيضاً كما قلنا أولاً يريد أن يقرر بأن فعل العبد مخلوق لقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ولم يقل يا أيها النبي لأن المناسب للبلاغ الرسالة في وصف الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وذلك بأن تقرأه على الناس وإن لم تفعل فما بلغت رسالته فجعل إبلاغ الناس فعلاً وفعل العبد مخلوق وقال الزهري من الله الرسالة وعلى رسول الله البلاغ وعلينا التسليم كلمات جيدة وهذا من حسن الأدب مع الله حيث قال من الله الرسالة ولم يقل على الله الرسالة مع أن الله عز وجل قال ﴿إِنَّا عَلَيْنَا لِلْهُدَى﴾ فأوجب على نفسه الهداية ولا هداية إلا عن طريق الرسل عليهم الصلاة والسلام لكن هذا من الزهري رحمه الله على سبيل الأدب ، من الله الرسالة وعلى رسول الله البلاغ ، والبلاغ من فعله فيكون مخلوقاً وعلينا التسليم بما تقتضيه هذه الرسالة فيدخل في ذلك التصديق لأن التسليم للأوامر والنواهي والتصديق للأخبار وكلها واجبة علينا ، علينا أن نقبل وعلينا أن نسلم ولا نعترف ولا نقول لما بل نقول سمعنا وأطعنا وقال تعالى ﴿لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا﴾ وقال ليس يعود على الزهري بل يعود على الله سبحانه وتعالى وفيه إشكال من بعض الوجوه أنه عطف فعلاً على إسم باب قول الله إن قال وقال تعالى ولم يقل أيضاً قال الله لكن في مصغة وقال الله تعالى وحيث يزول الإشكال يقول وقال تعالى ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ﴾ الشاهد قوله ﴿أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ﴾ والإبلاغ فعل العبد فعل المبلغ وقال ﴿أَبْلَغْكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي﴾ والتبليغ فعله وقال كعب ابن مالك حين تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وسيرى الله عملكم ورسوله﴾ وقالت عائشة إذا أعجبك حسن عمل امرئ فقل ﴿اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ ولا يستخفنك أحد ومن العمل قراءة القرآن وقال مهمر ذلك الكتاب هذا القرآن هدى للمتقين بيان ودلالة ، والتفسير هنا فيه شيء من النظر لأنه فسر اسم الإشارة للبعيد باسم الإشارة للقريب وهذا يؤدي إلى إختلاف المعنى لأن قوله تعالى ذلك الكتاب مع أنه بين أيدينا قريب منا لا بد أن فيه بلاغة ، فما هي البلاغة؟ الإشارة إلى علو مكانه فهو لعلو مكانه كأنه بعيد ثم إن من عادة العرب أن الإشارة بالبعيد تفيد تعظيم المشار إليه فتقول مثل فلان ذلك الرجل الذي فيه كذا وكذا الصواب أن نقول ذلك الكتاب أى ذلك القرآن هدى للمتقين ، بيان ودلالة كقوله ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ﴾ هذا حكم الله يشير إلى أن هذه الإشارة لا تقتضي بعد المشار إليه عنا حساً لكنها تقتضي علوه معناً ، وقوله لا ريب ، لا شك ، فسر الريب بالشك وهذا تفسير مقارب لكن الريب أشد من الشك

قال شيخ الإسلام رحمه الله في مقدمة التفسير الرب أشد من الشك لأنه شك بخلق والشك شك بـ لا قلبي - لكن العلماء يفسرون الشيء بما يقرب إلى الأذهان وإن كان هناك خلاف يسير قال تلك آيات ، يعني هذه أعلام القرآن وتلك إشارة للبعد وهذه للقريب ومثله قوله تعالى: ﴿ حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم ﴾ يعني بكم ففيها إلتفات حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم وكان ظاهر السياق أن يقال وجرين بكم لكن فيه إلتفاتاً من الخطاب إلى الغيبة والإلتفات في القرآن موجود من الإلتفات إلى الغيبة ومن الضمير إلى الظاهر ومن الغيبة للمتكلم وفائدة الإلتفات العامة التي تشمل كل إلتفات هي تنبيه المخاطب لأن الكلام إذا كان على نسق واحد فربما ينام المخاطب ولا سيما إن طالت المدة لكن إذا اختلف النسق فكأنه يقرأه بدبوس يتبه ، لأنه إذا كان السياق جار على مجرى واحداً ما يحس الإنسان ، ينساب معه لكن حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم وهذا فيما إذا كان الإنسان يفهم المعنى أما من لا يفهم المعنى فكله سواء التفت أو ما التفت لكن إذا كان يفهم المعنى فسوف يقف عند ما يكون الإلتفات من أجل أن يتبه الفلك يقولون إنها كلمة يستوي فيها الجماعة والواحد وأعجبتني مرة في الفقه قال الفقهاء إذا كان الرجل أحذب فإنه ينوي الركوع بقلبه دون إحداث الفعل أتعرفون الأحذب؟ المنحني ظهره وهذا يكون غالباً في الكبر قال الأحذب ينوي الركوع بدون بدون إحداث فعل لأنه راعى قال ابن عقيل كفلك في العربية ما معنى كفلك في العربية ، فلك تصلح للجماعة والواحد إنحاء هذا الرجل يصلح للركوع والقيام ، انظر كيف جمع بين النحو والفقه ويقال إن الكسائي وأبا يوسف عند هارون الرشيد وكان الكسائي يقول إذا أتممت فناً من العلوم إستغنيت به عن غيره فاختره أبو يوسف وقال ما تقولوا إذا سهى الإنسان في سجود السهو قال أقول إنه إذا سهى في سجود السهو فلا سهو عليه قال ومن أين أخذت هذا من علمك قال أخذته من القاعدة أن المصغر لا يصغر وأن سجود السهو بالنسبة للصلاة مصغر ولكن هذه قد تكون صريحة وقد تكون غير صريحة فإن كانت صحيحة فهذا من باب فإن كانت صحيحة فهذه من ظرافة الكسائي وإلا فالواقع أن العلوم لا يغني بعضها عن بعض وإن كانت لا شك أن الذي يكون قوة في علم من العلوم يسهل عليه بقية العلوم الأخرى فلنرجع إلى كلام البخاري رحمه الله ، قال وجرينا به أى بكم يريد أن يضرب أمثلة لكون الكلام يجري على خلاف ظاهره لتفسير ذلك الكتاب أى هذا القرآن وقال أنساً بعثه إلى قومه وقال أتؤمنوني ، على كل حال أتؤمنوني أوضح في المعنى أتؤمنوني من آمنه لا من آمنه ، آمنه فتكون من غير المضعف وهى لغة صحيحة الشاهد من هذا قوله أبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها القرآن .

حدثنا الفصل ابن يعقوب حدثنا عبد الله ابن جعفر الرقي حدثنا المعتمر ابن سليمان حدثنا سعيد ابن عبيد الله الثقفي حدثنا بكر ابن عبد الله المزني وزياد ابن جبير ابن حية عن جبير ابن حية قال المغيرة " أخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة . "

قوله أخبرنا عن رسالة ربنا وخبره فعله فيها لا تريد كما يفعله الناس اليوم تريد إذا أعجبك حسن عمل امرئ منهم من هؤلاء الخوارج الذين خرجوا على عثمان ثم على علي فقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون فيكون تهديداً وليس ثناءً .

حدثنا محمد ابن يوسف حدثنا سفيان عن اسماعيل عن الشعبي عن مسروق " عن عائشة رضى الله عنها قالت من حدثك أن محمداً صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً ، وقال محمد حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا شعبة عن اسماعيل ابن أبي خالد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت من حدثك أن النبي صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً من الوحي فلا تصدقه إن الله تعالى يقول: ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ .

حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي وائل عن عمرو ابن شرحبيل قال: قال عبد الله قال رجل يا رسول الله: أى الذنب أكبر عند الله تعالى؟ قال: أن تدعوا الله نداً وهو خلقك ، قال: ثم أى؟ قال: ثم أن تقتل أولدك أن يطعم معك ، قال ثم أى؟ قال: أن تزاني حليلة جارك ، فأنزل الله تصديقها ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق آثاماً ، يضاعف له العذاب ﴾ الآية .

هذا كله تأكيد كما ذكرنا لأن أفعال الإنسان مخلوقة حتى ولو كان ينطق بالقرآن وعبد الله ابن مسعود رضى الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أى الذنب أعظم أو أكبر عند الله وسأله أى العمل أحب إلى الله ، مما يدل على حرص الصحابة رضى الله عنهم على معرفة الأحب إلى الله ، والأكبر عند الله من الذنوب حتى يفعل الأحب ويترك الأعظم ، وإن كانوا هم رضى الله عنهم يتركون من الذنوب ما هو أعظم وما هو دون ذلك ، لكن الأعظم يكونون أشد منه هرباً ، فأنزل الله تعالى تصديقها ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق آثاماً ، يضاعف له العذاب ﴾ الآية .

باب قول الله تعالى: ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم « أعطى أهل التوراة التوراة فعملوا بها ، وأعطى أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا به ، وأعطيت القرآن فعملتم به » سمي التمسك بالتوراة والإنجيل والقرآن سماء عملاً ، وسمى التوراة والإنجيل والقرآن إيتاءً ، وهذا كما ذكرنا يدل على أن ذلك من فعل العبد ، لأن العمل بالتوراة يشمل تلاوة التوراة ، وكذلك الإنجيل والقرآن ، وقوله تعالى ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ﴾ هذه الآية نزلت عند قوله تعالى ﴿ كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ، قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ﴾ والمقصود من ذلك تكذيب اليهود في منعهم النسخ ، فإن هذا صريح في النسخ ، كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ، فحرم على نفسه شيئاً ثم نزلت التوراة بحله ، وهذه يدل على أن النسخ جائز عقلاً وواقع شرعاً ، واليهود منعوا ذلك ليبرروا تكذيبهم لعيسى ثم تكذبتهم محمد عليهم الصلاة والسلام ، لأنهم قالوا الشرائع لا تنسخ ، والنسخ طعن في الله عز وجل ، لأنه يلزم عليه البدئ ، أى أنه بدئ له غير ما كان أولاً كما لو أمرت خادمك أن يفعل شيئاً ثم بدئ لك أنه ليس بمناسب فنهيت عنه ، فلهذا منعوا النسخ ، ولكننا نقول لهم إن النسخ ثابت حتى في التوراة وفي جميع الشرائع ولا يلزم منه البدئ على الله ، وهو الظهور بعد الخفاء ، لأن الله عالم بالحكم والناسخ والحكم والنسوخ ، لكن حكمة الله عز

وجل تقتضي أن يعمل بالنسوخ في وقته وبالناسخ في وقته ، والأمم تختلف حالها وتختلف أيضاً فيما بينها ، فقد يحرم على أمة ما يحلل لغيرها ، وقد يوجب عليها ما لا يوجب على غيرها ، ولهذا وصف الله النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه يحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم .

الدرس الخامس والثلاثون :-

باب قول الله تعالى ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم « أعطى أهل التوراة التوراة فعملوا بها ، وأعطى أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا به ، وأعطيت القرآن فعملتم به ، وقال أبو رزين : يتلونه حق تلاوته : يعملون به حق عمله يقال يتلى : يقرأ ، حسن التلاوة : حسن القراءة للقرآن ، لا يمسه : لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن بالقرآن ، ولا يحمله بحقه إلا المؤمن لقوله تعالى ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً ، بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾

التلاوة للقرآن تنقسم إلى قسمين :- تلاوة لفظية وتلاوة إتباع

أما التلاوة اللفظية فظاهر أن يقرأ الإنسان القرآن هذا يقال تلى قرآن .

وتلاوة التبعية :- هي أن يتبع القرآن تصديقاً لأخباره وإمثالاً لأحكامه ، وهذا هو الثمرة والغاية ، واستدل المؤلف لذلك بما ذكره عن أبا رزين يتلونه : يتبعونه ويعملون به حق عمله ، ثم استدل للمعنى الثاني التلاوة يعني القراءة يتلى : يقرأ ، حسن التلاوة : حسن التلاوة للقرآن لا يمسه :- لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن بالقرآن ولا يحمله بحقه إلا المؤمن لا يمسه إلا المطهرون الصحيح أن ضمير فيه يعود على الكتاب المكنون لا على القرآن ، لأن الضمير يعود إلى أقرب مذكور ، ولأن الجملة خبرية وليست طلبية ومعلوم أن القرآن يمسه المطهر وغيره ، وأما من قال أنه يتلوا القرآن وأن المراد لا يمسه إلا المطهرون الذين تطهروا فهذا ليس بصحيح ، لأنه لو كان الأمر كذلك لقال لا يمسه إلا المطهرون كما قال تعالى ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ وقال تعالى ﴿ وإن كنتم جناباً فاطهروا ﴾ فالضمير في يمسه يعود إلى الكتاب المكنون .

ثم إن المؤلف أشار إلى أن المس قد يكون حسياً باليد وقد يكون معنوياً بالقلب ، فلا يجد طعم الإيمان ولا يصل إلى عظمته ويتنفع به إلا من آمن به ، ثم قال لقول الله تعالى ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً ﴾ وهؤلاء هم اليهود ، حملوا التوراة ياتزالها عليهم وتعليمهم إياها ولكنهم لم يحملوها أى لم يقوموا بحققها ، فمثلهم كمثل الحمار يحمل أسفاراً أى يحمل كتاباً فإنه لا يتنفع بها وهؤلاء لما حملوا التوراة ولكن لم يعملوا بها صاروا كمثل الحمار ، وشبههم بالحمار لأن الحمار أبلد الحيوانات ، وقوله تعالى ﴿ بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ بئس هذه فعل جامد لإنشاء الذنب ومثل فاعل والمخصوص محذوف أى بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله مثلهم ، والله لا يهدي القوم الظالمين هذه الجملة فيها دليل على أنهم ظلموا أنفسهم فحرموا الهدى ، وفيها أيضاً تحذير الإنسان من الظلم ، وأن الإنسان إذا ظلم حرم الهدى والعياذ بالله ، وإذا إهتدى زاده الله هدداً .

والمقصود من هذا الباب أن قراءة القارئ من الأشياء المخلوقة لأنها فعله والإنسان وفعله مخلوق وأما المقروء فإنه كلام الله عز وجل غير المخلوق .

وسمى النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام والإيمان والصلاة عملاً وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم لبلال أخبرني بأرجى عمل عملته في الإسلام قال: ما عملت عملاً أرجى عندي أنى لم أتطهر إلا صليت ، وسئل: أى العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله ثم الجهاد ثم حج مرور .

كل هذا يدل على أن عمل العبد من فعله وكسبه وإذا كان كذلك فهو مخلوق يبقى علينا الإيمان يسمى عملاً قال الله تعالى ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ قال العلماء صلاحكم إلى بيت المقدس وهى عمل وسمى النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان عملاً إذا سئل أى العمل أفضل قال إيمان بالله ورسوله فسماه عملاً والإيمان لا شك أنه إقرار القلب وما يترتب على الإيمان من الرجاء والخوف فهو عمل القلب وهل نقول إن الإيمان مخلوق نقول الإيمان مخلوق لا شك لأنه إقرار القلب وإعتراف القلب فهو صفة في قلب المؤمن والمؤمن بصفاته مخلوق لكن ما يؤمن به ينقسم إلى مخلوق وإلى غير مخلوق فالرب عز وجل يؤمن به ، الإيمان بالله وهو سبحانه وتعالى بصفاته أزلي أبدي والخالق وما سواه مخلوق الملائكة يؤمن بهم وهم مخلوقون الرسل مخلوقون الكتب غير مخلوقة القدر الذي هو تقدير الله غير مخلوق لأنه من صفاته فالمهم أن الإيمان نفسه الذي هو إيمان لعبد مخلوق لأنه من صفته وأما المؤمن به فإنه ينقسم إلى مخلوق وغيره حسب ما تقتضيه الأدلة الشرعية .

حدثنا عبدان أخبرنا عبد الله أخبرنا يونس عن الزهري أخبرني سالم « عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إنما بقاؤكم فيمن سلف من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس أوتى أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فأعطوا قيراطاً قيراطاً ، ثم أوتى أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا به حتى صليت العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطاً قيراطاً ، ثم أوتيتم القرآن فعملتم به حتى غربت الشمس فاعطيتم قيراطين قيراطين ، فقال أهل الكتاب هؤلاء أقل من عملاً وأكثر أجراً ، قال الله: هل ظلمتكم من حقكم شيئاً قالوا: لا ، فقال: فهو فضلي أوتيته من أشياء » الشاهد من هذا قوله: - فعملوا بها أى بالتوراة ، وفي الإنجيل قال عملوا به ، وفي القرآن قال عملتم به ، ومن العمل به تلاوته ، فتكون التلاوة عملاً ، ويكون مثله كلام الله غير مخلوق .

باب وسمى النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عملاً ، وقال: لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب .

والفاتحة من الصلاة وهى ركن في الصلاة فتدخل في كون قراءة الفاتحة عملاً وهذا هو المقصود أن فعل الإنسان مخلوق وأما مفعوله فمنه مخلوق ومنه ما هو غير مخلوق .

حدثني سليمان حدثنا شعبة عن الوليد ، وحدثني عباد ابن يعقوب الأسدي أخبرنا عباد ابن العوام عن الشيباني عن الوليد ابن العيزار عن أبي عمرو الشيباني « عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رجلاً

سأل النبي صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أفضل؟ قال: الصلاة لوقتها ، وبر الوالدين ، ثم الجهاد في سبيل الله »

والسائل هو رضى الله عنه كما جاء مسطوحاً به قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم أى العمل أحب إلى الله قال الصلاة لوقتها قلت ثم أى قال بر الوالدين فقلت ثم أى قال الجهاد في سبيل الله وهذا السياق أتم مما ذكره المؤلف لكن الشاهد أن الرسول سمي الصلاة عملاً والصلاة فيها قرآن وما هو العمل من القرآن؟ هل هو المقروء أو القراءة؟ القراءة .

باب قول الله تعالى ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً ﴾ هلُوعاً: ضجوراً

قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً ﴾ الإنسان هنا إسم جنس بدليل قوله إلا المصلين خلق أى خلقه الله هلُوعاً أى غير صبور بل هو ضجور يتضجر إذا مَسَّهُ الشر جزوعاً وإذا مَسَّهُ الخير منوعاً إذا مَسَّهُ الشر يجزع ومن الشر الفقر وإذا مَسَّهُ الخير ومنه الغنى كان منوعاً فيتضجر من غيره ولا يتضجر من نفسه إذا مَسَّهُ الخير كان منوعاً إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون إلى آخر أوصافهم .

حدثنا أبو النعمان حدثنا جرير ابن حازم عن الحسن حدثنا عمرو ابن تغلب قال: « أتى النبي صلى الله عليه وسلم مال فأعطى قوماً ومنع آخرين فبلغه أنهم عتبوا ، فقال: إني أعطى الرجل وأدع الرجل ، والذي أدع أحب إلى من الذي أعطي ، أعطي أقواماً لما في قلوبهم من الجزع والهلوع ، وأكل أقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير ، منهم عمرو ابن تغلب ، فقال عمرو: ما أحب أن لي بكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حمر النعم »

هذا أحسن من كل مال أن الرسول شهد له بهذه الصفة الحميدة وهى ما جعل الله في قلبه من الغنى والخير وفى هذا الحديث دليل على كمال حكمة النبي صلى الله عليه وسلم في معاملة الخلق وأنه قد يعطي أقواماً ويدع آخرين وهذا موجود الآن حتى في عرف الناس تجده يعطي أحداً ولا يعطي الآخرين يكلهم إلى ما في قلوبهم وما في قلبه أيضاً لهم ولا يعدون ذلك نقصاً في حقه وهكذا ينبغي للإنسان في إعطائه ومنعه أن يراعي المصلحة حتى إذا رأى أن هذا الشخص لم يعطه أصيب بدينه فإنه يعطيه يكون هذا من باب التأليف ، والتأليف على الإسلام ابتداءً أو تقوية مما يجوز دفع الزكاة فيه فكيف بالصدقات والتبرع .

باب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، وروايته عن ربه .

حدثني محمد ابن عبد الرحيم حدثنا أبو زيد سعيد ابن الربيع الهروي حدثنا شعبة عن قتادة « عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه عز وجل قال: إذا تقرب العبد إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإذا تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً ، وإذا أتاني مشيئاً أتته هرولة »

حدثنا مسدد عن يحيى عن التيمي عن أنس ابن مالك عن أبي هريرة قال: ربما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إذا تقرب العبد مني شبراً تقربت منه ذراعاً ، وإذا تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً أو يوعاً »

وقال معتمر سمعت أبي قال سمعت أنساً عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه عز وجل: ٢٠ - حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا محمد بن زياد قال « سمعت أبا هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربكم قال: لكل عمل كفارة والصوم لي وأنا أجزي به ، ولخولف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك »

حدثنا حفص ابن عمر حدثنا شعبة عن قتادة ، ح وقال لي خليفة: حدثنا يزيد ابن زريع عن سعيد عن قتادة عن أبي العالية « عن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه قال: لا ينبغي لعبد أن يقول أنه خير من يونس ابن متى » ونسبه إلى أبيه

حدثنا أحمد ابن أبي سريح أخبرنا شعبة حدثنا شعبة عن معاوية ابن قرة المزني عن عبد الله ابن المغفل المزني قال: « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح على ناقه يقرأ سورة الفتح - أو من سورة الفتح - قال: فرجع فيها قال: ثم قرأ معاوية يحكي قراءة ابن مغفل وقال: لولا أن يجتمع الناس عليكم لرجعت كما رجع ابن مغفل يحكي النبي صلى الله عليه وسلم فقلت لمعاوية: كيف كانت ترجيعه قال: ثلاث ثلاث مرات »

وهذا الترجيع للكلمة ترجيع للكلمات الممدودة ، يرجعها حتى تكون كأنها مكررة ، الشاهد من هذه الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم يروي الأحاديث عن الله وهذه الأحاديث تسمى الأحاديث القدسية وهي أرفع من الأحاديث النبوية ودرج القرآن فهي في منزلة وسط ولهذا تضاف إلى الله فيقال الأحاديث القدسية ولكن لا يثبت لها أحكام القرآن فيجوز أن تنقل بالمعنى كما تنقل الأحاديث النبوية ويقرأها الجنب وغير الجنب ويمسها المتوضي وغير المتوضي ولا يتعبد بتلاوتها يعني لا يتقرب الإنسان إلى الله بلفظها وإن كان الإنسان الذي يحفظها أو يفظ غيرها من الأحاديث النبوية يشاب على ذلك ولا تقرأ في الصلاة ولا يحنث بها من حلف ألا يقرأ القرآن إلى غير ذلك من الأحكام التي تخالف فيها الأحاديث القدسية أحكام القرآن وهي نحو عشرة أحكام وهذا يدل على أنها ليست من كلام الله لفظاً ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أضافها إلى الله لأنه أوحى إليه بها على وجه يخالف ما يوحى إليه في الأحاديث النبوية ولهذا أضافها الرسول عليه الصلاة والسلام إلى ربه ولا يشكل على هذا أن يقول الرسول قال الله تعالى كذا وكذا لأن إضافة القول إلى القائل قد تكون بالمعنى وذلك أن كل قول قاله الأنبياء في القرآن فهو منقول عنهم بالمعنى بلا شك لأن لغتهم ليست اللغة العربية ثم إننا نجد أن الله سبحانه وتعالى يقول عنهم قال كذا ونبي آية أخرى يقول خلاف هذا ولكنه معناه مما يدل على أن الله تعالى نقل عنهم ما نقل بالمعنى وهذا لا إشكال فيه أما الحديث الأخير فهو عن الرسول عليه الصلاة والسلام وكان يقرأ سورة الفتح أو من سورتها حين دخل مكة إشارة إلى أن هذا الفتح المذكور هو فتح مكة وقد جاء ذكر الفتح في القرآن في عدة مواضع منها ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ والمراد به فتح مكة ومنها ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ والمراد به فتح مكة ومنها قوله تعالى ﴿ لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ﴾ والمراد به صلح الحديبية على القول الراجح والذي يعين المعنى هذا السياق أو الوقائع وفي هذا الحديث دليل على جواز ترجيع القرآن وهل هو سنة؟ قال

بعض العلماء إنه سنة وقال بعض العلماء إنه ليس بسنة وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرجع لأن الناقلة -
تمشي به فهو يهتزازه يحصل منه هذا الترجيع ولكن الظاهر هو الأول أنه يرجعه قصداً ، لا من أجل أن الناقلة
تهز به فيرجع قوله ، وإذا كان كذلك فهو دليل على جواز ترجيع القرآن .

وهل من ذلك ما يفعل الآن في بعض المساجد مما يسمى بالصدى؟ أنا لم أسمع القراءة بالصدى لكن
يقولون إن بعض الناس يجعلون صدى في مكبر الصوت إذا سمعته كأنه طبل يقرأ عليه ، فهذا الظاهر أنه يغير
تركيب القرآن ، ويحوله إلى أن يجعل القرآن أغاني .

باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها لقول الله تعالى: ﴿ قل فاتوا
بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾

باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها ، التوراة باللغة العبرية والإنجيل باللغة السريانية ، واللغة
العبرية قرية من اللغة العربية كما قال ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، ولهذا تعلمها زيد بن ثابت أي
تعلم العبرية في ستة عشر يوماً ، أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يتعلم لغة اليهود ليقراً كتبهم إذا وردت
إلى النبي صلى الله عليه وسلم وليكتب لهم ما يرد عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فعلمها في ستة عشر
يوماً قال شيخ الإسلام لأنها قرية من اللغة العربية وظاهر كلام الشيخ البخاري رحمه الله حيث قال وغيرها
من كتب الله بالعربية وغيرها أنه يجوز أن تفسر القرآن بغير العربية وهذا هو الترجمة المعنوية فترجمة القرآن
ترجمة معنوية جائزة بل واجبة لمن لا يفهمه إلا بذلك وأما ترجمة القرآن ترجمة لفظية فإن هذا لا يمكن فضلاً
عن كونه جائزاً أو غير جائز هو غير جائز لأنه يخرج القرآن عن كونه كلام الله لكن مع ذلك قالوا إنه لا
يمكن لماذا؟ لأن اللغة العربية تخالف غيرها من اللغات في الترتيب والبلاغة وغيرها فلا يمكن أن تترجم ترجمة
لفظية نذكر لهذا مثلاً في اللغة العربية المضاف سابق على المضاف إليه وفي غيرها بالعكس في اللغة العربية
الصفة متأخرة عن الموصوف وفي غيرها بالعكس ، يقال عندنا الآن في اللغة العامية مستودع الجاز يسمونه
عندنا قاز خانة في اللغة العرفية وأصله خانة قاز ، لأن الخانة بمعنى المستودع ، فإذا كان الأمر كذلك وفي اللغة
العربية حروف زائدة للتوكيد ، تقديم وتأخير ، لا توجد في اللغات الأخرى ، فالترجمة اللفظية ممتعة حساً
ممنوعة شرعاً ، أما الترجمة المعنوية فهي جائزة بل واجبة لمن يحتاج إلى تفهيم القرآن بالمعنى لأنه يجب علينا أن
نبلع القرآن ، فإذا وجب علينا أن نبلع القرآن وهناك قوم لا يعرفون اللغة العربية فإننا نترجمه معناً إلى لغتهم
حتى يفهموه ، وقال تعالى: ﴿ قل فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾ وجه الدلالة من هذه الآية قوله
فاتلوها إن كنتم صادقين ، وهم سوف يتلونها باللغة العربية حتى نفهم .

وقال ابن عباس أخبرني أبو سفيان ابن حرب أن هرقل دعا ترجمانه ثم دعا بكتاب النبي صلى الله
عليه وسلم فقرأه باسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل ، ويا أهل الكتاب
تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، الآية

الشاهد من هذا قوله دعا ترجمانه المترجم سترجم كل الكتاب بما فيه الآية ، لكنه يترجم معناها أما
لفظها فلا يمكن حساً ولا يجوز شرعاً .

حدثنا محمد ابن بشار حدثنا عثمان ابن عمر قال:- أخبرنا علي ابن المبارك عن يحيى ابن أبي كثير -
عن أبي سلمة » عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل
الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقلوا آمنا
بالله وما أنزل ، الآية »

هذا فيه دليل على أنه يمكن تحريف المعنى لقوله " يفسرونها بالعربية فقال لا تصدقوهم ولا
تكذبوهم " ومعلوم أن التوراة نازلة من عند الله حقاً يجب أن تصدق لكن أهل الكتاب حرفوا وبدلوا هذه
من جهة ، من جهة أخرى ربما يفسرون المعنى الحق بمعنى باطل فهنا يعتري إخبار هؤلاء عن التوراة باللغة
العربية يعتريها شيان:- الشئ الأول:- أنه ربما يكون النص المترجم إلى العربية محرفاً .
الشئ الثاني:- ربما يكون ربما يكون على ما هو عليه لكن يحرف المعنى ، فلهذا يجب أن يحترز الإنسان من
إخبار أهل الكتاب ، هذا وهم في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، واليوم أشد ، يجب أن نحترز من اليهود
والنصارى فيما يشونه من أفكار أو غيرها ، يجب أن نحترز منهم أشد من إحتراس الناس في عهد الرسول عليه
الصلاة والسلام .

حدثنا مسدد قال:- حدثنا اسماعيل عن أيوب عن نافع » عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: أتى
النبي صلى الله عليه وسلم برجل وامرأة من اليهود قد زنيا فقال لليهود ما تصنعون بهما؟ قالوا نسخم
وجوههما ونحزيمهما ، قال : فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ، فجاءوا فقال لرجل من يرضون يا
أعور: اقرأ فقرأ حتى إنتهى إلى موضع منهما فوضع يده عليه قال: ارفع يدك فرفع يده فإذا فيه آية الرجم
تلوح ، فقال: يا محمد إن عليهما الرجم ولكننا نتكاته بيننا فأمر بهما فرجما ، فرأيته يجاني عليها الحجارة »
الشاهد من هذا قوله:- " فأتوا بالتوراة فاتلوها " وهم سوف يتلونها علينا بماذا؟ بالعربية ، وكان
رجم الزاني حكماً شرعياً في التوراة لكن كثر الزنا فباشرافهم فشق عليهم أن يرحموا كل يوم شريف منهم
فقال لهم علماء الضلال لا حاجة للرجم ، سنضع لكم قانوناً جديداً وهو تسخيم الوجه ، وتسخيم الوجه
يعني تسويده ، والحزى قالوا إنهم يركبون الزاني والزانية على حمار ويجعلون وجه أحدهما إلى دبر الحمار
ووجه الثاني إلى وجه الحمار ويطوفون بهما في الأسواق ومعلوم أن هذا أهون من الرجم واستمروا على ذلك
وهم في قلق وخوف لأنهم يعلمون أنهم محرفون فاما بعث النبي صلى الله عليه وسلم وقدم المدينة جأوا إليه
وقالوا لعلكم تجدون عند هذا الرجل فرجاً وهم متلاعبون يريدون أن يأخذوا من الرسول ما يروق لهم والباقي
يدعونه وكان ممن أسلم من أحبار اليهود عبد الله ابن سلام رضى الله عنه ويألم أن الرجم واجب عليهم فدعا
بالتوراة أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤتي بالتوراة والظاهر أن هذا بمشورة من عبد الله ابن سلام لأنه
يعلم ، فلما أتوا بها قالوا للرجل عندهم أعور اقرأ يا أعور وهو عبد الله ابن سوريا وسبحان الله جاء القدر
مناسباً للشرع الأعور ما فيه خير فقرأ هذا الأعور ولهذا الدجال أعور وأكثر من يتبعه اليهود فاليهود كلهم
عور كلهم عيب كلهم خبث ، قرأ التوراة ووضع يده على آية الرجم من أجل أن لا يطلع عليه المسلمون ،
فقيل له إرفع يدك فلما رفع يده إذا آية الرجم تلوح ، واضحة بينة ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم برجمهما

فرجما فكان الرجل من شدة عشقه للزانية وحنانه عليها كان يدرء عنها الحجارة ، ينحني عليها من أجل ألا تصيبها الحجارة .

وفي هذا دليل على وجوب إقامة الحد على اليهود والنصارى ، لكن إن كان ذلك واجباً في شريعتهم وكان الشيء حراماً فيجب علينا إقامة الحدود عليهم فيما يعتقدون تحريمه دون ما يعتقدون حله ، فلو شربوا الخمر فإننا لا نخدمهم لكننا نمنعهم من إظهار شرب الخمر في بلاد المسلمين إنما لو كانوا في بيتهم يشربون لا نتعرض لهم لأنهم يعتقدون أنه حلال ، كذلك أيضاً إقامة الحدود عليهم واجبة فيما يعتقدون تحريمه لكن على حكمنا نحن إذا تراءفوا إلينا في معصية وهم يعتقدون أنها معصية فإننا نحكم عليهم بحكمنا لا بحكمهم ، قال الله تعالى ﴿ وَأَن احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتَوْكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ .

الدرس السادس والثلاثون :-

باب قول النبي صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع سفره الكرام البررة ، وزينوا القرآن بأصواتكم .

باب قول النبي صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع الكرام البررة جزم المؤلف رحمه الله بأن هذا قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم وللحديث بقية وهو والذي يقرأ القرآن ويتتبع فيه وهو عليه شاق له أجران أجر المعناة من التلاوة وأجر التلاوة أما الماهر الذي يسهل عليه القراءة ويؤديها بأداء جيد فإنه مع السفارة الكرام البررة الذين ذكرهم الله في قوله ﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ ذَكَرْهُ فِي صَحْفٍ مَّكْرَمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مَّطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كَرَامٍ بَرَّةٍ ﴾ وزينوا القرآن بأصواتكم قال بعض العلماء إن هذا الحديث على القلب والمعنى زينوا أصواتكم بالقرآن وذلك لأن القرآن زين سواء بأصوات جميلة أو بغير جميلة ويكون المعنى زينوا أصواتكم بالقرآن يعني إجعلوا أصواتكم بالقرآن حسنة جميلة في الأداء والنطق وغير ذلك ويحتمل المعنى زينوا القرآن بأصواتكم أى زينوا القراءة بأصواتكم .معنى أن تقرأوا بأصوات جميلة لأن القرآن إذا كان بأصوات جميلة يثلث الإنسان به أكثر مما إذا كان بالعكس .

حدثني ابراهيم ابن حمزة حدثني ابن أبي حازم عن يزيد عن محمد ابن إبراهيم عن أبي سلمة « عن أبي هريرة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما أذن الله لشئ ما أذن انبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به »

أذن .معنى استمع من الأذن وهو الإستماع يعني أن الله عز وجل لا يستمع إلى شئ مثل ما يستمع إلى نبي حسن الصوت يقرأ القرآن يجهر به فمن هذا النبي ؟ هل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم أو نبي آخر نقول العبارة نبي نكرة فيحتمل أنه الرسول صلى الله عليه وسلم ويحتمل أنه داوود أو غيرهم من الأنبياء الذين آتاهم الله صوتاً حسناً وعلى كل حال فهو يدل على أنه ينبغي للإنسان أن يحسن صوته بالقرآن لأنه كلما حسن صوته كان الله إليه أسمع والنبي جنس شائع في كل نبي فالمراد بالقرآن القرءة قال ولا يجوز أن يحمل الاسم مع الإصفاء إذ هو مستحيل على الله لكن قوله المراد بالقرءة فيه نظر وكما تعلمون نبي نكرة في

سياق الإثبات أو في سياق النفي لكنها لا تختص بالرسول صلى الله عليه وسلم إلا أن يقول أما في الحديث فلا يتصور هذا إلا بالنبي صلى الله عليه وسلم محمد لأن غيره من الأنبياء قد هلكوا أما في الجنة فيحتمل أن الله عز وجل يأمر نبياً حسن الصوت يقرأ بالقرآن فيستمعوا له .

حدثنا يحيى ابن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب أخبرنا عروة ابن الزبير وسعيد ابن المسيب وعلقمة ابن وقاص وعبيد الله ابن عبد الله عن حديث عائشة حين قال لها أهل الإفك ما قالوا وكل حديثي طائفة من الحديث قالت فاضجعت على فراشي وأنا حينئذ أعلم أنني بريئة وأن الله يبرئني ولكن ما كنت أظن أن الله ينزل في شأني وحياً يتلى ، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلى وأنزل الله عز وجل : ﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ﴾ العشر الآيات كلها

هذا من فضائل عائشة رضى الله عنها ثقتها بالله عز وجل ، وأن الله تعالى سيرؤها أولاً لأنها بريئة وثانياً من أجل الدفاع عن فراش الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا هو الذي وقع ، لكن ظننت أن الله تعالى يخبر نبيه ببرائتها دون أن ينزل فيها قرآن يتلى ، ولكن الله تعالى أنزل فيها القرآن الذي يتلى لأن الأمر عظيم ، والشاهد فيها قوله وحياً يتلى أى يقرأ والقرءة فعل القارئ .

حدثنا أبو نعيم حدثنا مسعر عن عدي ابن ثابت أراه « عن البراء قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في العشاء والتين والزيتون ، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً ولا قراءة منه »

الشاهد قوله أحسن صوتاً أو قراءة وأراه هنا للتنزيح رليس للشك يعني أن صوته أحسن الأصوات وأن قراءته أحسن القراءات وهنا صوت وقراءة ، القراءة هى حسن الأداء والصوت تحسين النطق بالقرآن وكما تشاهدون من الناس من يكون حسن الصوت والأداء ومن الناس من يكون حسن الأداء وليس حسن الصوت ومن الناس من يكون بالعكس حسن الصوت ضعيف في الأداء وخير الناس من كان حسن الصوت والأداء وهذا هو الذي حصل للرسول صلى الله عليه وسلم وهل نقول يؤخذ من هذا الحديث استحباب قراءة التين والزيتون في العشاء نقول لو واطب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لكانت سنة أما إذا لم يواظب فإنها جاءت إتفاقاً وما جاء إتفاقاً فإنه لا يعتبر مشروعاً بعينه ولكن مع هذا لو قرأها الإنسان وهو يشعر أنه بذلك متبع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحصل على خير .

حدثنا حجاج ابن منهال حدثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد ابن جبير « عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم متوالياً بمكة وكان يرفع صوته ، فإذا سمعه المشركون سوا القرآن ومن جاء به ، فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخاف بها ﴾

حدثنا اسماعيل حدثني مالك عن عبد الرحمن ابن عبد الله ابن عبد الرحمن ابن أبي صعصعة عن أبيه أنه أخبره أن أبا سعيد الخدري رضى الله عنه قال له : إني أراك تحب الغنم والبادية فإذا كنت في غنمك أو باديتك فأذنت للصلاة فأرفع صوتك بالنداء فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شئ إلا شهد له يوم القيامة ، قال أبو سعيد : سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم »

في هذا الحديث دليل على أن قراءة الإنسان مخلوقة لأنها فعله لقوله لإرفع صوتك بالنداء وفيه دليل - على استحباب النداء للواحد إذا كان في البادية فإنه يؤذن استحباباً لا وجوباً وفيه أيضاً أن ما يسمعه من الإنس والجن والشئ أى شئ يكون من شجر أو حجر أو مدر أو جبال أو رمال فإنه يشهد له يوم القيامة لقول الله تعالى ﴿يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها﴾ .

حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن منصور عن أمه « عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن ورأسه في حجري وأنا حائض »

الشاهد قوله يقرأ القرآن مع إضافة الفعل إليهم وفي هذا الحديث من الفقه دليل على جواز قراءة القرآن والإنسان متكئ أو مضجع لأنها في بعض ألفاظ الحديث كان يتكئ في حجري وكان يقرأ القرآن وفيه دليل على أن الحائض ليست بنجسة وفيه أيضاً دليل على جواز استماع الحائض لقراءة القرآن ولكن هل لها أن تقرأ القرآن؟ هي بنفسها في هذا خلاف بين العلماء وليس فيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سنة صحيحة صريحة تدل على تحريم قراءة القرآن على الحائض وعلى هذا فنقول الأفضل أن لا تقرأ القرآن طلباً للثواب وأن تقرأه لدفع السوء أو لحفظ ما حفظت وما أشبه ذلك يعني تقرأه عند الحاجة وهذا قول وسط بين من يقول إنه يجوز لها أن تقرأ من القرآن ما شاءت لعدم وجود دليل يدل على المنع وبين من يقول إنها لا تقرأ شيئاً من القرآن فالصواب أن هذا ينبغي أن يحتاط الإنسان فما احتاجت إلى قراءته لحفظ القرآن أو أوراد تقرأها في الليل أو في النهار أو لتعليم أبنائها أو لتعلمها فهذا لا بأس به أما مجرد الأجر والثواب فالأولى ألا تقرأ لأن فيه أحاديث لكنها ضعيفة .

باب قول الله تعالى ﴿فأقروا ما تيسر منه﴾

حدثنا يحيى ابن بكير حدثنا الليث عن عقيل ابن شهاب حدثني عروة أن المسور ابن محرمه وعبد الرحمن ابن عبد القارى حدثاه أنهما سمعا عمر ابن الخطاب يقول: سمعت هشام ابن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره في الصلاة فتصيرت حتى سلم فليته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: كذبت أقرأنيها على غير ما قرأت ، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرأنيها فقال: إقرأ يا هشام؟ فقرأ القراءة التي سمعته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك أنزلت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأ يا عمر؟ فقرأت فقال: كذلك أنزلت ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرأوا ما تيسر منه »

هذه القصة فيها فوائد عظيمة: - أولاً: - فيها قوة عمر رضى الله عنه . وثانياً: - أن إتفعال الإنسان في صلاته لشئ سمعه لا يؤثر في الصلاة .

يعني سمع شيئاً يفرح ففرح وهو في الصلاة سمع شيئاً يحزن فحزن وهو في الصلاة سمع شيئاً يغضب فغضب كل هذا جائز الدليل فكدت أساوره في الصلاة فتصيرت أساوره يعني أمسك به في الصلاة لكن

تصيرت حتى خلص وفيه أيضاً أنه لا ينبغي للإنسان أن يتسرع فيما دون الأهم لأن يقائه في صلاته أهم من مساورته إياه وفيه أيضاً دليل على توازي تليب الإنسان بردائه فيأخذ بلبته وينصرف به وفيه دليل على جواز الإنكار بالقول وبالفعل لقوله لبيته وقلت من أقرئك وفيه دليل على مسألة مهمة وهي أن إنكار شيء من القرآن جاهلاً لا يكفر به الإنسان لأن عمر أنكر القراءة التي قرأها هشام بل قال كذبت وهذه فرع من فروع المسألة السابقة التي بحثنا فيها وهي العذر بالجهل فإنه لو جاء أحد وأنكر شيء من القرآن وهو عالم فهذا كفر قال العلماء من أنكر حرفاً واحداً من القرآن وهو يعلم فإنه كافر وعمر أنكر عدة حروف لكنه كان جاهلاً لم يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم جازها وفيه دليل على حسن معاملة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث لم يؤاخذ هشاماً بمجرد قول عمر حتى استمع ما عنده واستمع أيضاً إلى ما عند عمر وفيه أيضاً دليل على إيقان الصحابة وإيمانهم فإن عمر رضى الله عنه لم يلحقه الشك حينما قال الرسول صلى الله عليه وسلم لهشام اقرأ فقال الرسول عليه الصلاة والسلام كذلك أنزلت ولا لعمر قال له كذلك أنزلت على خلاف ما أقرأ هشاماً ومع ذلك لم يحصل عنده ريب أو شك وأيضاً.

من فوائده:- أن القرآن أول ما نزل كان على سبعة أحرف أى كان موسعاً فيه حتى إنه يوسع لبعض الناس في لغتهم أى يقرأونه بلغتهم لكن بعد ذلك حصله الصحابة رضى الله عنهم على حرف واحد وهو لغة قريش خوفاً من الفتنة لأنه وقعت فعلاً ففي عهد عثمان رضى الله عنه كان الناس يقتلون حيث يقرأ بعضهم على حرف والبعض الآخر على حرف آخر ثم جاء إلى عثمان وشكى إليه الأمر فأقام اللجان المعروفة لجمع القرآن على حرف واحد وهناك فوائد أخرى لكن بعضها قد مر.

باب قول الله تعالى: ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم

« كل ميسر لما خلق له » ، يقال ميسر: مهياً

وقال مجاهد: يسرنا القرآن بلسانك: هونا قراءته عليك .

وقال مطر الوراق ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ قال: هل من طالب علم فيعان عليه .

قوله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر الجملة هذه مؤكدة بثلاث مؤكدات كما هو معروف القسم واللام وقد ، والتيسير: التسهيل والتهيئة ، يسرنا القرآن: هيأناه فسهلناه للذكر ، والذكر بمعنى التذكر بدليل قوله تعالى ﴿ فهل من مدكر ﴾ أى هل من متذكر فالإنسان إذا رجع إلى القرآن ليتذكر به فإن الله تعالى يسر له التذكر به ، وإذا أعرض عنه فإنه يحال بينه وبين التذكر به ، وقوله ﴿ فهل من مدكر ﴾ قال: هل من طالب علم فيعان عليه ، لأن طالب العلم إذا طلبه بصدق لا بد أن يتذكر ، وهنا يقول فيعان عليه لماذا؟ الجواب: الاستفهام .

حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث قال يزيد حدثني مطرف بن عبد الله عن عمران قال: « قلت

يا رسول الله فيما يعمل العاملون؟ قال: كل ميسر لما خلق له »

حدثني محمد ابن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن منصور والأعمش سمعا سعد ابن عبيدة عن

أبي عبد الرحمن عن علي رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان في جنازة فأخذ عواد

ونجعل ينكت في الأرض فقال: ما منكم من أحد إلا كتب مقعده من الجنة أو من النار ، قالوا: ألا تتكلل؟
قال: اعملوا فكل ميسر ﴿ فاما من أعطى واتقى ﴾ الآية

هذا أيضاً سبق ، والشاهد منه قوله فكل ميسر لما خلق له ، وفي لفظ آخر ميسر لما خلق له ، فأهل الجنة يسرون لعمل أهل الجنة ، وأهل النار يسرون لعمل أهل النار ، فإذا رأيت أن الله قد يسر لك العبادات وسهلها على نفسك ، فاعلم أن هذه بشرى وإذا رأيت من شخص أن الله قد عسر عليه العبادات فاعلم أن هذه بشرى سوء لأن أهل الشقاوة يسرون لعمل أهل الشقاوة .

باب قول الله تعالى ﴿ بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ﴾ ﴿ والطور وكتاب مسطور ﴾ قال قتادة: مكتوب ، يسطرون: يخطون في أم الكتاب ، جملة الكتاب وأصله: ما يلفظ من قول . ما يتكلم من شيء إلا كتب عليه وقال ابن عباس يكتب الخير والشر ، يحرفون يزيلون وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله عز وجل ولكنهم يحرفونه يتأولونه عن غير تأويله ، دراستهم: تلاوتهم ، واعية: حافظة ، وتعيها: تحفظها ، وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به: يعني أهل مكة ، ومن بلغ هذا القرآن فهو له نذير .
هذا الباب مشتمل على أشياء متعددة: -أولاً:- بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ، هذا آخر سورة البروج ، هذه السورة إذا تأملت من أولها إلى آخرها وإذا فيها الإشارة إلى القوة والعظمة والسلطة لأنها في التحدث عن قوم فتنوا للمؤمنين والمؤمنات وأحرقوهم ، فبين الله تعالى فيها أن الله أقوى من هؤلاء والسماء ذات البروج: جمع برج وهي المنازل العلية ، هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود وما حصل لهم من الإهانة ، ذو العرش المجيد فعال لما يريد وأشبه ذلك ، فكل السورة تجدها في بيان عظمة الله وسلطانه وقوته لأنها في التحدث عن الذين فتنوا للمؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا ، من ذلك قوله تعالى ﴿ بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ﴾ هو الضمير يعود على القرآن والمجيد ذو العظمة وإذا كان القرآن مجيداً فمن تمسك به نال المجد وقوله في لوح محفوظ: أى في اللوح المحفوظ عند الله عز وجل ، والطور وكتاب مسطور الطور: هو الجبل المعروف ، وكتاب مسطور: يعني مكتوب مأخوذ من السطر لأن الكتاب يكتب على وجه الأسطر ، وما المراد بهذا الكتاب المسطور؟ إما أنه اللوح المحفوظ ، وإما أنه القرآن ويؤيده قوله في رق منشور ، والرق: الجلد ، وكانوا في الأول يكتبون القرآن في الجلود ، في عسيب النخل ، في اللخاف وهي حجارة رقيقة ملساء وغير ذلك ، والقلم وما يسطرون: قال وما يخطون ، يسطرون: يخطون لأن الخطاط يسطر المخطوط ، في أم الكتاب جملة الكتاب وأصله يشير إلى قول الله تعالى ﴿ وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم ﴾ ما يلفظ: ما يتكلم من شيء إلا كتب عليه يشير إلى قوله تعالى ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ وقوله إلا كتب عليه فيها شيء من القصور ولهذا أردفها بقوله وقال ابن عباس يكتب الخير والشر وعلى هذا فيكون قوله من قول عاماً بأقوال الخير وأقوال الشر إلا لديه رقيب يراقب ، عتيد: حاضر لا يغيب ، قال يحرفون يزيلون وليس أحد يزيل لفظ الكتاب من كتب الله عز وجل ولكنهم يحرفونه ، يتأولونه على غير تأويله قوله يحرفون مأخوذ من التحريف وهو صرف الشيء يقال إنحرفت الدابة أى إنصرفت ويقال حرفت كذا أى صرفته وهو بمعنى التغيير والإزالة عن موضعه قال الله تعالى يحرفون الكلم عن مواضعه أى يزيلون عن مواضعها ولكن هل

التحريف لفظي أو معنوي أو هذا وهذا ، هذا وهذا قد يكون لفظياً وقد يكون معنوياً وقد يكون لفظياً معنوياً - فإذا قال القارئ قل أعوذ برب الناس فهذا تحريف لفظي لكن لا يتغير به المعنى وإذا قال ثم استوى على العرش أى ملكه وقهره فهذا تحريف معنوي وإذا قرأ القارئ وكلم الله موسى تكليماً فهذا تحريف لفظي معنوي وكله مذموم لكن أشده التحريف اللفظي المعنوي وقوله ليس أحد يزيل لفظاً من كتاب الله عز وجل يعني في الغالب وإلا فإنهم أى الذين حرفوا ربما يغيرون يزيدون أو ينقصون وقوله تراثهم تلاوتهم هل جاءت في القرآن تراثهم؟ وإن كنا عن تراثهم لغافلين أى تلاوتهم واعية يعني وتعيها أذن واعية حافظة وتعيها تحفظها وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ يعني أهل مكة يريد بذلك أن الخطاب في قوله لأنذركم يعود إلى أهل مكة ومن بلغه هذا القرآن من غير أهل مكة قال ومن بلغه هذا القرآن فهو له نذير .

وقال لى خليفة ابن خياط حدثنا معتمر سمعت أبي عن قتادة عن أبي رافع « عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لما قضى الله الخلق كتب كتاباً عنده ، غلبت - أو قال سبقت رحمتي غضبي فهو عند فوق العرش ».

حدثني محمد ابن أبي غالب حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا معتمر سمعت أبي يقول حدثنا قتادة أن أبا رافع حدثه أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق: أن رحمتي سبقت غضبي فهو عند فوق العرش »
الشاهد قوله: - كتب كتاباً عنده وهذا كأن المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى وكتاب مسطور .

الدرس السابع والثلاثون:-

باب قول الله تعالى ﴿ والله خلقكم وما تعلمون ﴾ ، ﴿ إن كل شئ خلقناه بقدر ﴾ ويقال للمصورين: احيوا ما خلقتم ، إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ، يغيث الليل النهار يطلبه حثيثا ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين

قال ابن عينة: بين الله الخلق من الأمر بقوله تعالى: ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ وسمى النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان عملاً

قال أبو ذر وأبو هريرة: « سئل النبي صلى الله عليه وسلم أى العمل أفضل؟ قال إيمان بالله وجهاد في سبيله ، وقال: جزاء بما كانوا يعملون ، وقال وفد عبد القيس للنبي صلى الله عليه وسلم مرنا بجمل من الأمر إن عملنا بها دخلنا الجنة فأمرهم بالإيمان والشهادة وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، فجعل ذلك كله عملاً »

هذا الباب أراد المؤلف أن يبين به أفعال العباد هل هى مخلوقة أو غير مخلوقة ، فصدره بقول الله تعالى: ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ خلقكم أمرها واضح ، وما تعملون قيل في إعرابها وجهان:-
الوجه الأول:- أن ما مصدرية ، أى خلقكم وعملكم.

الوجه الثاني:- أن ما موصولة ، وهو الصحيح ، لأنه قال ﴿ أتعبدون ما تحتون والله خلقكم وما تعملون ﴾ أى ما تحتونه ، فأصنامكم مخلوقة فكيف تعبدونها ولا تعبدون الذي خلقكم وخلقها ، فالصحيح الراجح أن ما موصولة لأن السياق يعين ذلك وهى من حيث العموم يجوز أن تكون مصدرية والتقي خلقكم وخلق عملكم ويكون دلالتها على خلق الأصنام من باب دلالة الزوم لأنه إذا كان العمل مخلوقاً كان المعمول مخلوقاً كذلك أما على الوجه الأول فإنها تدل على أن الأصنام مخلوقة بدلالة التضمن والمطابقة ومع ذلك تدل على أن عمل الإنسان مخلوق بطريق الإلتزام ، فأيهما نأخذ؟ أن نأخذ أنها تدل على أن العمل وأن هذه الأصنام مخلوقة بطريق الزوم أو بالعكس؟ بالعكس لأن السياق سياق الآية يراد به بطلان عبادة هذه الأصنام التي نختموها أنتم فهي مخلوقة فلماذا تعبدونها ولا تعبدون الذي خلقكم وخلقها فتقدير الآية فالله خلقكم والذي تعملونه والعائد على الموصول محذوف من القائل والله خلقكم وما تعملون؟ القائل إبراهيم أنكر على قومه أن يعبدوا هذه الأصنام التي هم بأنفسهم ينحتونها وهى مخلوقة لله ثم نرجع فنعود هل أعمال العباد أفعال لهم أو أفعال لله؟ وهل هم مستقلين بها أو غير مستقلين بها سبق الكلام على هذا وبيننا أن في هذه المسألة ثلاثة أقوال:- طرفان ووسط

القول الأول:- طرف يقول أفعال العباد مخلوقة لله وليست فعلاً لهم لأنهم مجبورون عليها يفعلون بغير إرادة ويقولون إن الإنسان الذي يأتي ويركب سيارته ويشغلها ويمشي كالإنسان الذي حمل وهو مغمى عليه ووضع في السيارة ويقولون إن الذي ينزل من السطح بالدرج رويداً رويداً كالذي يلقى من السطح أى أن الجميع يفعل بغير إرادة ولا إختيار ولا شك أن هذا قول باطل لأن كل إنسان يعرف الفرق بين ما يفعله بإختياره وما يفعله بإضطراره .

والقول الثاني:- بالعكس يقول إن الإنسان مستقل بعمله ولا علاقه لله فيه وأنه يفعل بإختياره ويترك بإختياره وعشيته وإرادته وأن الله لا علاقة له بفعله لا مشيئة ولا خلق وهؤلاء هم القدرية الذين هم بحوس هذه الأمة وسبق لنا بيان وجه كونهم بحوساً أنهم جعلوا للحوادث خالقين كما جعلت الحوس للحوادث خالقين .

القول الثالث:- الوسط أن أفعال العباد أفعالهم هم بإختيارهم وإرادتهم لكنها مخلوقة لله من حيث أن فعل العبد صادر عن إرادة جازمة وقدرة تامة والذي خلق هذه الإرادة وخلق هذه القدرة هو الله وخالق السبب التام خالق للمسبب لأن المسبب ناشئ عن السبب فباعتبار الأصل يكون المسبب خالق للمسبب الذي خلق السبب وهذا القول هو الصحيح والدليل على هذا أن الإنسان إذا أجبر على الفعل لم يترتب عليه أثره لأنه ليس بإختياره وأن الإنسان إذا فعل الشيء وهو نائم لم يترتب عليه أثره إلا ما كان من الإسلافاة التي للخلق وأن الإنسان لو نسي وعمل عملاً لم يترتب عليه أثره لأنه بغير قصد وهذا القول تدل عليه القواعد الشرعية والواقع أيضاً لأننا إذا قلنا الإنسان مستقل بعمله ويفعل ما شاء ولا علاقة إلا بفعله صار في ملك الله ما لا يشاؤه وهذا ممتنع إذا تنسب أعمالنا إلى الله تعالى خلقاً ومشية وتنسب إلينا فعلاً وكسباً فنحن الساجدون الراكعون الصائمون المتصدقون الحاجون للمعمرون ولا ينسب هذا الله عز وجل لكن خالق هذه الأفعال هو

الله عز وجل ضرورة أنها صادرة منا وهي من صفاتنا ونحن وصفاتنا مخلوقون لله عز وجل ثم قال المؤلف إن كل شيء خلقناه بقدر كل شيء هذه مفعول لفعل محذوف ويسميه النحويون الإشتغال لأن العامل إشتغل بضميره بضمير المتقدم فقله إن كل شيء خلقناه تقديره إنا خلقنا كل شيء هذا الخلق إنا خلقنا كل شيء هل يشمل فعل العبد؟ الجواب نعم وهذا كقوله تعالى ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾ وهنا يقول ﴿كل شيء خلقناه بقدر﴾ فالآيتين متساويتين دلالة وإذا اختلفتا تعبيراً ويقال للمصورين أحيوا ما خلقتم متى يقال؟ يوم القيامة ، أحيوا ما خلقتم ، فأضاف الخلق إليهم فصاروا هم الفاعلين وهنا يشكل على بعض الناس كيف سمى فعلهم خلقاً؟ الجواب لأنهم يضاؤون بخلق الله ويريدون أن يكونوا كخالق عز وجل في الإبداع والتصوير إذا قال قائل أليست تقولون إن الله منفرد بالخلق فكيف قيل لهؤلاء أحيوا ما خلقتم؟ فالجواب أن الخلق الذي انفرد الله به غير الخلق الذي خلقه هؤلاء خلق الله الذي انفرد به بإيجاد من عدم أما هؤلاء فإنهم لم يوجدوا من عدم وغاية ما صنعوا التغيير والتحويل تغيير الشيء وتحويله فمثلاً يقال الباب خلقه النجار هل هو أوجد المادة الخشب والمسامير وغيرها؟ لا ، لكن حول هذه الأخشاب والمسامير إلى باب وكذلك المصور عنده مادة هل خلق هو المادة؟ لا ، الذي خلق ذلك هو الله وهو الذي شكل هذه الصورة ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ هذه الآية سبق الكلام عليها وبيننا أن الأيام الستة أولها الأحد وآخرها الجمعة ونورد الآن إشكالاً وهو أنه كيف قدر خلق السموات والأرض في ستة أيام أولها الأحد وآخرها الجمعة مع أنه ليس هناك شمس يقدر بها اليوم والجواب أنها تقدر بحركة الشمس على مدى ستة أيام وإن لم توجد الشمس ، قال ابن عيينة يعني سفيان بين الله الخلق من الأمر بينه أي ميزه فقال: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ وكيف ذلك؟ لأنه عطف الأمر على الخلق والأصل في العطف المغايرة إذا الأمر شيء والخلق شيء آخر الأمر أن يقول كن والخلق هو التكوين والإيجاد لقوله تعالى ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ وسمى النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان عملاً وسبق ولنا إن الإيمان عمل الإنسان آمن أي كون الإيمان في قلبه كفر أي كون الكفر في قلبه فهو عمل ، وقال أبو ذر وأبو هريرة سئل النبي صلى الله عليه وسلم " أي الأعمال أفضل قال إيمان بالله ، وجهاد في سبيله " فجعل الإيمان عملاً وقال الله تعالى ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ أي جزاء بالذي كانوا يعملونه سواء الخير أو الشر وقال وفد عبد القيس للنبي صلى الله عليه وسلم مرنا بجمل إن عملنا بها دخلنا الجنة فأمرهم بالإيمان والشهادة وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة فجعل ذلك كله عملاً ، عملاً للإنسان ، فيضاف إليه على أنه هو العامل المباشر أما الخالق فهو الله .

حدثنا عبد الله ابن عبد الوهاب حدثنا أيوب عن أبي قلابة والقاسم التميمي « عن زهيد قال: كان بين هذا الحي من جرم وبين الأشعرين ود وإخاء ، فكنا عند أبي موسى الأشعري فقرب إليه الطعام فيه لحم دجاج وعنده رجل من بني تيم الله كأنه من الموالي فدعاه إليه فقال الرجل: إني رأيته يأكل شيئاً فقذرته فحلفت ألا آكله: فقال: هلم فلأحدثك عن ذلك ، إني أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من الأشعرين نستحمه قال: والله لا أحلكم وما عندي ما أحلكم ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم

بنهب إبل فسأل عنه فقال: أين نفرنا الأشعريون؟ فأمر لنا بخميس زود غر الذرى ثم إنطلقنا ، قلنا ما صنعتنا؟ حلف رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحملنا وما عنده ما يحملنا ثم حملنا ، تغفلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عيته ، والله لا نفلح أبداً فرجعنا إليه فقلنا له ، فقال لست أنا أحكمكم ولكن الله أحكمكم ، إني والله لا أحلف على عيّن فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وتحملتها »

هذه القصة كان بين هذا الحى من جرم وبين الأشعرين ود وإخاء فكنا عند أبي موسى الأشعرى فقرب إليه الطعام وفيه لحم دجاج وعند رجل من بني تيم الله كأنه من الموالى يعني في هيئته وشكله ، فدعاه إليه ليأكل فقال إني رأيته يأكل شيئاً فقذرتة يعني الدجاج والدجاج كما تعرفون تأكل ما هب ودب كل ما على الأرض تأكله من طيب وخبيث وكأنه رأها تأكل شيئاً خبيثاً فقذره وكرهه وهنا نسأل لو أكلت الدجاجة شيئاً خبيثاً نجساً هل تكون حراماً في هذا تبصير إن كان أكثر علفها ولم تطهر منه فإنها تكون حراماً وإن كان نصف علفها أو أقل فهي حلال يعني مثلاً نعطها غراماً من الدم النجس وغرامين من الخبز ونحوه تكون حراماً أو حلالاً؟ حلالاً ، لأن أكثر علفها الطاهر والعكس بالعكس تكون حراماً إلى أن تطهر وكيف تطهرها؟ تطهرها أن تحبس عن هذا الخبيث وتطعم الطاهر صلاة أيام وبهذا تعود طيبة وقال بعض العلماء إن الجلالة التي أكثر علفها النجاسة فهي حلال بناءً على أن استحالة النجاسة تطهرها وعلى هذا فتكون حلالاً لكن الرواية الأولى أصح وهاذان روايتان عن الإمام أحمد رواية على أن الجلالة حلال مطلقاً ورواية على أنها حرام إذا كان أكثر علفها النجاسة ثم ذكر قصة حمل النبی صلى الله عليه وسلم الأشعرين بعد أن أتوه وقالوا إحملنا يا رسول الله فقال ما عندي ما أحكمكم وقد قال الله فيهم ﴿ ما على الذين أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولو وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون ﴾ ولكن الله تعالى يسر لهم ما يحملهم عليه فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنهب إبل أى بغنمة إبل فسأل عنا فقال أين نفرنا الأشعريون فأمرنا بخميس زود غر الذرى الذرى الأسمعة والغر البيض يعني أن أسمنتها بيضاء فسألوا فيما بينهم وخافوا أن يقولوا أكرهوا النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك وقولهم تغفلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عيته لأنه حلف قال والله لا أحكمكم فندموا على ذلك ثم رجعوا إليه فقالوا له هذا قال لست أنا أحكمكم ولكن الله أحكمكم فأضاف حمله إلى الله وهذا استدلال به الجبرية على مذهبهم وقالوا إن فعل العبد فعل الله كما استدلو بذلك لقوله تعالى ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ قالوا فهذا صريح في أن الله أضاف فعل الإنسان إلى الله عز وجل وهنا قال ولكن الله أحكمكم والجواب على هذا أن نقول إن معنى قوله ولكن الله أحكمكم ولكن الله يسر لكم ما لا أقدر عليه حتى أحكمكم هذه الإبل ما كان يخطر ببال الرسول صلى الله عليه وسلم أنها ستأتي ولكن الله تعالى يسرها فكانت إضافة الحمل إلى الله من أجل أنه هو الذي يسر لهم ذلك فحملهم النبي صلى الله عليه وسلم عليه ثم أقسم فقال والله لا أحلف على عيّن فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير منه وتحملتها وهكذا ينبغي على الإنسان إذا حلف على شئ ورأى غيرها خيراً منه أن يتحلل وأن يكفر عن عيته مثال ذلك قال رجل والله لا أسلم على فلان ترك السلام على المسلم حرام والسلام عليه خير وواجب فهنا نقول كفر عن عيّنك وسلم ، حلف شخصاً ، لا يجيب دعوة فلان

نقول كفر عن يمينك وأجب دعوته لأن هذا أفضل ومن ثم قال العلماء إن الحنث في اليمين تجري فيه الأحكام الخمسة وهي الواجب والحرام والمندوب والمكروه والمباح متى يكون الحنث واجباً؟ إذا حلف على ترك واجب أو على فعل محرم إذا حلف على ترك واجب أو فعل محرم صار الحنث واجباً ما معنى الحنث؟ الحنث مخالفة ما حلف عليه فإذا قال والله لا أصلي مع الجماعة قلنا يجب عليك أن تصلي ولو تكفر إذا قال والله لا أترك شرب الدخان قلنا يجب أن تترك الدخان وتكفر ويكون الحنث حراماً إذا كان على فعل واجب أو على ترك المحرم فالحنث يكون حراماً مثاله قال والله لأصلي اليوم مع الجماعة ماذا نقول في الحنث لا يجوز أن يدع صلاة الجماعة حتى وإن قال إنه كفر وكذلك لو قال والله لأشربن الدخان ماذا نقول؟ يجب الحنث الأول:- فعل المستحب قال والله لا أصلي رتبة العشاء نقول الأفضل أن يحث فيصلي ويكفر إذا قال والله لأصلي رتبة العشاء فالحنث خلاف الأولى فإذا قال والله لأكلن البصل ماذا نقول؟ أكل البصل إذا كان يستلزم ترك الجماعة فقد قال العلماء أنه مكروه فالقاعدة عندنا إذاً يكون الحنث واجباً إذا كان الحلف على ترك واجب أو فعل محرم ويكون حراماً إذا كان الحلف على فعل واجب أو ترك محرم والمسنون والمكروه إذا كان على فعل مستحب وتركه مما يكره لأنه لا يلزم منه ترك المستحب الوقوع في القراءة وإلا لقلنا كل إنسان لا يأتي بمسنونات الصلاة لكن إذا كان هذا الشيء مستحب تركه مكروه يكون الحنث فيه مكروهاً أما المباح فقد يقال إنه لا يتصور أن يكون الحنث مباحاً ولو كان حلفه على مباح وذلك لأن حفظ اليمين أولى من الحنث.

حدثنا عمرو بن علي حدثنا أبو عاصم حدثنا قرّة ابن خالد « حدثنا أبو حمزة الضبي قلنا لابن عباس فقال: « قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن بيننا وبينك المشركين من مضر ، وإننا لا نصل إليك في أشهر حرم ، فمرنا بجمل من الأمر إن عملنا بها دخلنا الجنة وندعوا إليها من وراءنا قال: آمركم بأربع ، وأنهاكم عن أربع: آمركم بالإيمان بالله وهل تدرون ما الإيمان بالله، شهادة أن لا إله إلا الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وتعطوا من الغنم الخمس وأنهاكم عن أربع: لا تشربوا في الدباء والنقير والظروف المزفة والختمة »

أما الأول فظاهر الإيمان بالله فسرّه بالإسلام عليه الصلاة والسلام فدل ذلك على أن العمل يسمى إيماناً لأن شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ما ذكر محمداً رسول الله لأنه طوى ذكرها لكونهم جاؤا مقرين بأنه رسول الله وإيقام الصلاة وإيتاء الزكاة وتعطوا من الغنم الخمس وأنهاكم عن أربع وفسر هذا النهي بقوله لا تشربوا في الدبة والنقير والظروف المزفة والختمة هذه أواني يجعل فيها النبيز وهي لحرارتها تطبخ النبي وربما يصل إلى حد المسكر وهم لا يعلمون فنهاهم عن ذلك ثم بعد ذلك نسخ هذا النهي وقال كنت نهيتكم عن الإتيان في كذا وكذا فاتبذوا بما شئتم غير ألا تشربوه مسكراً فهذا النهي نسخ فيما بعد الدباء هي القراعة ولا سيما يقرع النجد هذا مثل الأوعية تماماً يقونه حتى ييس في غسله فإذا ييس فإن المخ الذي في داخله ييس ويكون مثل الورقة ثم يقصون أعلاه ويجعلونه وعاءً وهو في الشكل له حلقوم يعني أعلاه ضيق وأسفله متسع وأما النقير فهو حجر أو خشب أو ما أشبه ذلك ينقر ثم يوضع فيه النبيز وهو حار وأما الظروف المزفة فهي المطلية بالزفت ، والزفت أيضاً حار والختمة هي الجرفة الخضراء وعلى هذا فنقول

هذا النهي قد نسخ وأذن النبي صلى الله عليه وسلم بالانتباز في كل شيء إلا أن نشرب المسكر والنقير يقول -
إنها النخلة لكن بعضهم يقول إنها حجر ينقر ويصب فيه النيز والحجر في الغالب أشد حرارة من جزع
النخلة.

حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا الليث عن نافع عن القاسم ابن محمد « عن عائشة رضى الله عنها أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم احيوا ما
خلقتم »

حدثنا أبو النعمان حدثنا حماد ابن زيد عن أيوب عن نافع « عن ابن عمر رضى الله عنهما قال :
قال النبي صلى الله عليه وسلم إن أصحاب هذه الصور يعذبوك يوم القيامة ويقال لهم : احيوا ما خلقتم ؟ »

حدثنا محمد ابن العلاء حدثنا ابن فضيل عن عمارة عن أبي زرعة سمع أبا هريرة رضى الله عنه
قال : « سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله عز وجل : ومن أظلم ممن ذهب بخلق كخلق
فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعيرة »

كل هذه سبق الكلام عليه والشاهد فيها إضافة الخلق إلى هؤلاء .

باب قراءة الفاجر والمنافق ، وأصواتهم وتلاوتهم لا تجاوز جناجرهم

حدثنا هذبة ابن خالد حدثنا همام حدثنا قتادة حدثنا أنس « عن أبي موسى رضى الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال : مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب ،
والذي لا يقرأ كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها
طيب وطعمها مر

ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل النظلة طعمها مر ولا ريح لها »

هذا التشبيه العجيب الناس مؤمن يقرأ القرآن ويعمل به هذا كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب
أتعرفون الأترجة هي مثل البرتقالة ولكنها أكبر وتختلف نوعاً ما عن البرتقالة هذه طعمها طيب وريحها طيب
هذه مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة لها ريح طيبة لكن طعمها مر
مثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها حلو ولكن ليس لها رائحة والمراد ليس لها رائحة زكية ومثل
الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة وهي مثل التفاحة الصغيرة ولكن طعمها مر جداً وليس لها
ريح يعني ليس لها ريح زكي يجذب هذه الحنظلة يقال إن الإنسان إذا وطء عليها وهي مستوية فإنها تسهل ما
في بطنه يعني بدل ما يشرب المسهل أو المسهل يضع عليها وهي مستوية فإذا به يخر كل ما في بطنه يفعلها
بعض الناس فيما سبق لكن مع ذلك تأكلها المواشي ولا تتأثر بها وهذا من عجائب مخلوقات الله عز وجل
الشاهد أن الرسول صلى الله عليه وسلم أضاف القراءة إلى القارئ فجعلها من فعله وبين أن القرآن يقرأه
المؤمن وغير المؤمن لقوله صلى الله عليه وسلم « ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن » وهذا يوجد منافقون
يقرأون القرآن ولكن لا يعملون به .

حدثنا علي حدثنا هشام أخبرنا معمر عن الزهري ح وحدثني أحمد ابن صالح حدثنا عنبسة حدثنا يونس عن ابن شهاب أخبرني يحيى ابن عروة ابن الزبير أنه سمع عروة يقول:- « قالت عائشة رضى الله عنها سألت أناس النبي صلى الله عليه وسلم عن الكهان فقال: إنهم ليسوا بشئ ، فقالوا: يا رسول الله إنهم يحدثون بالشئ يكون حقاً ، قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم تلك الكلمة من الحق يخطئها الجنى فيقرقروها في أذن وليه كقرقرة الدجاجة فيخلطون فيه أكثر من مائة كذبة »

الكهان هم الذين يخبرون عن المغيبات في المستقبل ، فيقولون سيكون كذا في يوم كذا أو في شهر كذا أو في سنة كذا ، وهذا من علم الغيب الذي لا يطلع عليه إلا الله عز وجل ، ولهذا جاء في الحديث " من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد " ووجه الكفر أنه صدق أن أحداً يعلم الغيب سوى الله ، فيكون في هذا تكذيب لقوله تعالى: ﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ﴾ وهؤلاء الكهان كانوا حكاماً في الجاهلية ، لأن لهم شياطين تتصل بهم وتخبرهم بخبر السماء ، ثم هذا الكاهن يزيد على هذه الأخبار أشياء من عنده يروج بها على الناس ، فإذا وقعت الكلمة الصدق التي سمعت من السماء ظن الناس أن كل كلامه صدق فصدقه بما يقول ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول إنهم ليسوا بشئ ، ليس عندهم علم ، ولما أورد على الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم يحدثون بالشئ يكون حقاً ، قال النبي صلى الله عليه وسلم " تلك الكلمة من الحق يحفظها الجنى فيقرقروها في أذن وليه كقرقرة الدجاجة " هذه القرقرة يقرقروها الجنى في أذنه ، يعني كلاماً ليس بمفهوم جيداً ، فيأخذ من الجنى هذه القرقرة ويضيف إليها ما يضيف ثم يحدث الناس ، فإذا وقعت كلمة الحق قالوا هذا هو العالم ، وكما أن هذا موجود في الجاهلية فما زال الناس أيضاً يأخذون به الآن يصدقون ، حتى إنني رأيت بعض الصحف في أول هذه السنة الميلادية كما هي عاداتهم في التاريخ يكتبون في الصحف قالت الكاتبة فلانة ثم يصورونها سيكون كذا ، سيكون كذا ، الجهال من الناس يصدقون ، وضعفاء الدين يصدقون ، والواجب تكذيب هذا ، والواجب أيضاً منع الصحف من نشر هذه الأشياء ، ولكن مع الأسف فإنها تدخل بلادنا من غيرنا وتروج فينا ، حتى لو فرض أن القضاء والقدر صدق ما يقول هذا الكاهن فإننا نعلم علم اليقين أن هذا الكاهن لا يعلم الغيب ، ولا يجوز لنا أن نصدقه ، ولا أن نركن إلى ما قال قبل أن يقع ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال " ليسوا بشئ " فإن سأل الكاهن ليختبره ويكذبه فهذا لا بأس به ، بل قد يكون واجباً ، وقد اختبر النبي صلى الله عليه وسلم بن صياد فقال ما خبت لك؟ قال الدخ ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أضمر في نفسه الدخان ، لكن هو قصر قال الدخ أعجز أن يكملها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم إحصاً فلن تعدوا قدرك ، فسؤال الكهان ينقسم إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول:- أن يراد به بيان عورهم وكذبهم فهذا جائز بل واجب بشرط ألا يكون في ذلك تغرير لأحد فيغتر إذا جاء هذا الرجل ليسأل الكاهن ، أو يجره هذا الكاهن ويقول فلان جاء إلى وسألني وما أشبه ذلك. القسم الثاني:- أن يسألهم لينظر ما عندهم لا لتصديقهم ، فهذا عليه الوعيد لا تقبل له صلاة أربعين ليلة ، لأن في سؤاها إغراء لهم في ما هم عليه من الكذب والدجل

« وفي سؤالهم أيضاً تغيير للغير حيث يظنون أنهم على حق . القسم الثالث : - أن يسألهم ويصدقهم فهذا الكفر ، لقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم " من أتى كاهناً فصدق به يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم " »

وفي هذا الحديث إشارة إلى أن الإنس قد يستخدم الجن لكن إذا استخدمه لأمر باطل فإنه حرام أو استخدمه بطريق باطل كالذبح له والركوع له والسجود له أو تمكنه من نفسه مثلاً فإن ذلك لا يجوز لأن الجن فيهم سفهاء فيهم من يختار هذه المرأة لجمالها ويختار أن تكون زوجة له وفيه من يختار هذا الصبي لجماله ويفعل به الفاحشة أو هي امرأة تعشق إنسياً وتريد أن تتصل به وما أشبه ذلك فإذا كان على هذا الوجه كان حرام فإذا كان توليهم لطريق حرم أو ليستعين بهم على محرم كان ذلك حرام بلا شك ، أما إذا كان يستعين بهم على شيء مباح فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن ذلك جائز ولكن إذا خيف أن يكون هذا ذريعة إلى أمر لا يجوز فلدينا قاعدة شرعية وهي سد الذرائع .

حدثنا أبو النعمان حدثنا مهدي بن ميمون سمعت محمد بن سيرين يحدث عن معبد بن سيرين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يخرج ناس من قبل المشرق ويقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه ، قبل ما سيماهم ؟ قال : سيماهم التحليق - أو قال - التسديد »

سيماهم يعني علاماتهم وهؤلاء هم الخوارج الذين خرجوا من المشرق فكانوا كما وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم يقرءون القرآن لكن لا يجاوز تراقيهم والعياذ بالله عليك يا أخي أن تفتش في نفسك هل إذا قرأت القرآن يصل إلى قلبك ؟ أو ما في الحنجرة فقط ، إن كان الثاني فعليك بالمبادرة بالعلاج قبل أن يستشفى المرض فلا تستطيع الفكاك منه وإن كان الأول وهو أنك تجد لذة في قراءة القرآن وحلاوة وطعماً وإنشراح صدرك فاعلم أن هذه منة الله عليك فاشكره عليها ليزيدك عليها .

الظاهر والله أعلم أن قوله سيماهم التحليق ليس حلق الرأس كله ولكن يخلقون حلقة كالحلقة على الرأس فإذا أن يكون حلقة دائرة في وسط الرأس يكون ما فوق الرأس باقياً وما أسفل باقي حلقة كالطوق وإذا أن تكون حلقة من أسفل ويكون أعلى الرأس باقياً ، وهناك احتمال ثالث أن تكون حلقة في أعلى الرأس ، أما مجرد حلق الرأس فهذه ليست علامة على الخوارج ، لأن الناس يفعلون وهم ليسوا من الخوارج ، الشاهد من هذا قوله : " يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم " فدل هذا على أن القرآن يقرأه البر والفاجر .

باب قول الله تعالى : - ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾ وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن ، وقال مجاهد : القسطاس : العدل بالزرومية ويقال القسط مصدر المقسط وهو العدل ، وأما القاسط فهو الجائر .

باب قول الله تعالى ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾ ليوم القيامة ، اللام للتوقيت أي في يوم القيامة توضع الموازين وهي موازين القسط أي عدل كما قال تعالى : - ﴿ وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴾ يعني بالعدل ، وقول المؤلف رحمه الله " وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن " هذا هو القول الراجح أن الذي يوزن

هو العمل سواء كان فعلاً أو قولاً وذهب بعض العلماء إلى أن الذي يوزن صحيفة العمل وذهب آخرون إلى -
أن الذي يوزن العامل فأما الذين قالوا بأنه الذي يوزن العمل فأدلته من القرآن ظاهرة وكذلك من السنة قال
الله تعالى ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا
به ﴾ وقال تعالى ﴿ ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ﴾ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ وقال تعالى ﴿ فمن
ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ﴾ وقال تعالى في
آيات أخرى تدل على أن الذي يوزن العمل وقيل الذي يوزن صحائف العمل واستدل هؤلاء بحديث
صاحب البطاقة الذي يؤتى بسجلات كثيرة ويقال هذه سيئتك فإذا رأى أنه قد هلك قيل له إن عندنا لك
حسنة فيؤتي ببطاقة فيها لا إله إلا الله فيقول يا ربي وما هذه البطاقة ما هذه السجلات فيقال إنك لا تظلم
ثم توضع البطاقة في كفة والسجلات في كفة فترجح البطاقة وتطيش السجلات وهذا يدل على أن الذي
يوزن صحائف العمل .

والقول الثالث: - أن الذي يوزن العامل واستدلوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم " إن ساقية يعني عبد الله
ابن مسعود في الميزان أثقل من أحد " وبقوله تعالى ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾ أما الآية فلا دليل
فيها لأن المعنى لا نقيم لهم قيمة وإلا فيقيم الوزن لكل أحد وأما حديث عبد الله ابن مسعود فظاهره أن
الذي يوزن العامل ولكن هل نقول إن هذا خاص بابن مسعود رضى الله عنه أو إنه قد يوزن غيره ولكنه نادر
إثماً القول الرابع أن الذي يوزن هو العمل كما قال البخاري رحمه الله وقوله المقسط وهو العادل وأما
القاسط فهو الجائر الأمر كما قال رحمه الله قال الله تعالى: ﴿ وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ وقال ﴿
وأما القاسطون فكانوا في جهنم حطباً ﴾ فالقاسط هو الجائر والمقسط هو العادل وسمى بذلك لأنه مزيل
للقسط أو للقسط وهو الجور .

حدثنا أحمد ابن إشبك حدثنا محمد ابن فضيل عن عمارة ابن القعقاع عن أبي زرعة « عن أبي
هريرة رضى الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم : كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على
اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم »

هذا أيضاً مما يدل على أن الذي يوزن العمل ، قال النبي صلى الله عليه وسلم " كلمتان
حبيبتان إلى الرحمن - أى أنه يجبهما عز وجل - خفيفتان على اللسان سبحان الله وبحمده سبحان الله
العظيم " لا تثقل على اللسان خفيفة ، ثقيلتان في الميزان وهذا واضح في أن الذي يوزن العمل يعني يوم
القيامة توضع هاتان الكلمتان في الميزان فتكون ثقيلة فإن قال قائل كيف توضع وهى عمل؟ فالجواب أن الله
تعالى قادر على أن يجعل العمل أجساماً ونظير ذلك أن الموت وهو معاً وصفة يؤتى به يوم القيامة ويطلع عليه
أهل النار وأهل الجنة ويذبح أمام الجميع ويقال يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت
والله على كل شئ قدير ، سبحان الله وبحمده أى يسبح الله تسييحاً مقروناً بحمده ، فيكون جمعاً بين التخلية
والتحلية ، التخلية عن صفات العيب والتحلية بإثبات صفات الكمال ، وبذلك يتم الكمال إذ أن الكمال
الذي يمكن أن يقرن به العيب ليس كاملاً والعيب الخالي من الكمال ليس كاملاً ، إذاً يتم الكلام حيث يتم

الكمال فيما إذا إنتفى النقص وثبت الكمال لهذا جمع بينهما فقال سبحانه الله ومحمده وآله هنا تكون -
للمصاحبة وقوله "سبحان الله العظيم" تأكيد لما سبق والعظيم: ذو العظمة والجلال. وبهذا الحديث انتهى
صحيح البخاري رحمه الله وغفر له وختم كتابه بهاتين الكلمتين نسأل الله أن يثقل ميزانه ويغفر لنا وله .

ثناء الله خان

يطلب من مكتبة القدس الإسلامية

١ جلة حي الفيصلية

شارع صاري غرب دوار الفلك ت ٦٩١١٢٤٣ - ص ب ١٥٣٩٣ جلة ٢١٤٤٤